الجزء ١ و٢ كانون الثاني وشباط المجلد الثامن

أنشئت سنة ١٩٢١م

مجلة المجمع العلمي العربي

تنشر في دمشق مرة في الشهر

قيمة اشتراكها السنوي { في سورية ولبنان عشر فرنكات ذهباً
وفي جميع الاقطار اثنا عشر فرنكا ونصف فرنك }

(الدفع مقدماً)

فهرس الجزء الاول والثاني من المجلد الثامن

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٢٨

صفحة

١	التقرير الرابع (اعمال المجمع العلمي العربي)	
١٥	اعضاء المجمع العلمي	
١٩	جريدة المتبرعين والمحسنين للمجمع العلمي	
٢٤	بعض آراء المفكرين	
٢٩	الكلمات غير القاموسية (واجوبتها)	للشيخ المغربي . وللسيد معروف الرصافي . وللسيد احمد امين
٣٨	الادب في البحرين	للسيد عز الدين علم الدين
٤٥	البرازيليون والسوريون	للسيد موسى كريم
٥٧	العلامة الدكتور يعقوب صروف	للسيد محمد كرد علي
٦١	(مطبوعات حديثة) — مرآة الحرمين . كتاب في الادب الجاهلي . نظرات في اللغة والادب . المجموعة الكمالية .	للشيخ مسعود الكواكبي وللشيخ المغربي وللامير جعفر الحسني
٦٥	علائق الحبشة بالبلاد العربية	للسيد عبد الله رعد
٧٨	تاريخ او أسطورة	نشرها المجمع العلمي
٨٤	الادب في البحرين (٢)	للسيد عز الدين علم الدين

صفحة		
٩١	الموازنة بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران اوابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان	للسيد قسطاكي الحمصي
٩٧	عدة الكاتب	للسيد سليم الجندي
١٠٠	فصح وشوارد	للسيد محمد كرد علي
١٠٢	الكلمات غير القاموسية (اجوبتها)	للاب انستاس الكرملي والشيخ احمد الاسكندري
١٠٨	حفلة تنشيط (في المجمع العلمي)	
١١١	(اخبار وافكار) — اقتراح · ملاحظات لغوية · نبذة تاريخية ·	الشيخ احمد رضا والسيد سالم خليل رزق والسيد عبد الله مخلص
١٢٢	(مطبوعات حديثة) — الانتاج الزراعي · تلقيح فهوم الاثر · تهافت الفلاسفة للغزالي · محاضرة في تربية الذوق السليم · اربع محاضرات · مجلة الدروس الاسلامية · عواطف وعواصف الشباب · البستان · من كتاب فتح الباب · المصور · كتب ورسائل مختلفة · رجاء ·	للامير مصطفى الشهابي والسيد محمد كرد علي

الجزء ١ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الثاني سنة ١٩٢٨ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٦ هـ

التقرير الرابع

اعمال المجمع العلمي العربي

« في سني ١٩٢٥ — ١٩٢٦ — ١٩٢٧ »

تقرير رفعه السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي الى صاحب « السمو السيد احمد نامي بك رئيس دولة سورية »

مولاي الرئيس المعظم :

نشأة المجمع ونهضته

منذ اليوم الثامن من شهر حزيران سنة ١٩١٩ وهو اليوم الذي أجابت فيه الحكومة العربية مقترحي ، وعهدت الى ضعفي بالعمل الذي شرفني ، وهو انشاء المجمع العلمي العربي ، لم يبرح مجمعنا يعمل للغرض الذي اجتمع لاجله ، وعقد العزائم على النهوض به · ولم يبدُ في حركته فتور الا من ١ كانون الاول ١٩١٩ الى ٧ ايلول ١٩٢٠ ، عندما اوقفت الحكومة الفيصلية أعماله ايام كانت الفتنة يدب دبيبها بين الساحل والداخل في هذه الديار · ومعلوم ان أعصاب العلم حساسة فهي اول ما يتأثر من أوضاع المجتمع في ايام الهزاهز والزعازع · وقد حدث مثل هذا التراخي

في أعمال المجمع خلال الثورة الشامية الاخيرة ، ولكن لم يظهر اثره كثيراً الا للداخلين فيه ، والناظرين الى حركته بامعان . حتى اذا انجلت الغمرة عاد المجمع يعمل بمضاء أوفر وخبرة أوسع .

في علم عمومكم ان أغراض المجمع تدور حول مسائل تعود بأسرها على إنعاش الآداب العربية ، وتلقين اصول البحث والدرس لنبهاء الدارسين ، وقد عُني بوضع ما عرض عليه وضعه من الالفاظ في المصطلحات العلمية الحديثة ، وأصلح بعض الاوضاع الادارية ، وقوّم ما أمكن لغة الدواوين ، وصحح بعض أغلاط الناثرين والناظمين والخاطبين ، وعاون عدة من المؤلفين والمترجمين على ماهم بسبيله ، ونشط بعض من رأى فيهم استعداداً للكتابة والخطابة وقرض الشعر وألقى من المحاضرات على الرجال والنساء كل طريف من أبحاث الاخصائيين من جماعته وغيرهم ، وصحح بعض المخطوطات القديمة مما تركه السلف ونشر بعضه في سواد الامة ، وبذل جهده في الحرص على آثار السلف ، فجمع بالثقة التي أحرزها ، طائفة عظيمة من الاسفار والآثار ، نشدها في كل مكان وصلت يد طاقته اليه ، ليجعلها وقفاً على الاستفادة في خزائنه .

ومنذ وضع المجمع أساسه لم يخرج عن حدود دعوته العلمية البحتة ، ولذلك صفت مشاربه ، وعاش في ظل سلام ، بمعزل عن النزعات الدينية والنزعات السياسية ، فسهل عليه بهذا ان يشترك مع كل من يخدم الغاية التي يسعى اليها . ولما ظهرت أعماله حاز ثقة كثير من الاندية العلمية في الشرق والغرب ، واستفاضت شهرته وتألقت ، وعرفت الامة العربية مراميه فاستحسنت صنيعه ، ونشطته باقوالها أكثر من أفعالها . اقول أقوالها لان القول أسهل من العمل ، والعمل جديد في ذاته . وليست الامة بأسرها على مستوى واحد من التهذيب حتى تقدّر الاعمال بقدَرها . وما خرج من قاوموا عملنا لاول امره ، عن سيرة كثير من الناس في مقاومة المحدثات ، واستغراب المقصود منها .

المجامع حاجة من حاجات البلاد لا تستغني عنها أمة تريد ان تثبت كفاءتها للحياة الاجتماعية ، وعنايتها بالمطالب العالية . هي قوة تكتسح كل حين جانباً من مجاهل الجهالة ، وتعمرها بمادة العلم الصحيح . والعقلاء على مثل اليقين في انه لن

تتمهد العقبات امام هذا المجمع العلمي ، الا يوم تصبح معاونة المصالح العامة عقيدة راسخة في كل قلب ينبض فيه عرق الوطنية والقومية . ومما يبعث ميت الرجاء فينا ، ان المجمع أثبت بفضل هذه القوة المجتمعة على خدمة العلم ، ان تلك القوة التي كانت ضائعة هي بلا مراء صالحة للعمل النافع . ولولا هذه الكتلة العاملة لذهب ايضاً في جملة ما ذهب هذا الشيء الذي جمع في هذه البرهة القصيرة من المجاميع : عنوان مجد الامة ، ومثال فخارها ، وثمالة ثروتها . وكأن لسان الادب يقول : أكرم بهذه الامة الصغيرة الفقيرة التي استطاعت بالصبر والأناة ان تثبت بهذا النموذج الضئيل انها اهل للرقي وفي جسمها على كثرة ما اعتوره من الامراض الاجتماعية لا تحتاج جراثيم حية الا لمن ينميها ، حتى يتمحض الابناء لما هو مغروس فيهم ، وخدمه آباؤهم في الدهر الغابر اجل خدمة .

مولاي ان القائمين بالمجمع معترفون بان هذا العمل صغير في ذاته ، لا يتسامى بحال الى يفاع عظمتنا التاريخية ، ولا ينم كثيراً عن حضارتنا الباهرة في عهد الدول العربية الرشيدة . وما هذا الا لقلة أسبابه ، وحداثة سنه ، ولكن هذا الصغير لا بأس به بالقياس الى حاضرنا ، والى ما مدّ من الايدي لانعاشه ، وهي ضعيفة منقطعة ، ولولا هذا المنهاج الذي سار على نظامه سيراً متساوقاً في الجملة ، وتقيّل معاهد الغرب في خطواتها ما ساعدته الحال — لما قُدّر لهذا العمل المبتدع عندنا النجاح وطول البقاء . ولا يفوتنا ان المجامع والمتاحف وخزائن الكتب التي يبهرنا امرها في الغرب هي ابنة القرون الطويلة ، وما برحت حكوماتها تأخذ بايدي القائمين بها ، وترصد أموالاً طائلة في موازناتها و يقف عليها المحسنون الأموال ، و يخصونها باعلاقهم وعلاميهم .

المجمع العلمي وحيد في ديار العرب ، ومصر على ما بلغته من استفاضة العلم ووفرة الثروة ، لم توفق حتى يوم الناس هذا الى إنشاء مجمع يليق بمكانتها . وقد صرح مليكها المحبوب صاحب الجلالة فؤاد الاول المعظم ، يوم تشرفي بين يديه الكريمتين في الربيع الماضي ، ان في نيته ان ينشئ مجمعاً علمياً على مثال مجمعنا ، يكون اعضاؤه من عامة ابناء اللغة العربية . « واذا [1] كان الشاميون سبقوا ولا نخر اخوانهم المصريين

(١) من خطاب لواضع هذا التقرير ألقاه في جلسة المجمع العلمي يوم ٢ حزيران ١٩٢٧ .

في هذا العمل النافع، فقد فتح العرب ايضاً الشام قبل ان يفتحوا مصر ببضع سنين . فسبقتنا مصر في تأسيس المجمع أشبه بسبق الشام الى التحضر والتعرب غيرها من بلاد الاسلام في الصدر الاول » . وفي دمشق حدث اول تدوين في الاسلام ، وفي دمشق نُقلت لاول مرة كتب العلوم عن اللغات القديمة الى اللغة العربية ، وفي دمشق أنشئت اول خزانة كتب عربية . فدمشق سبقت غيرها من حواضر العلم في الاسلام ، وكانت منبعث العقل العربي منذ أظلتها راية الاسلام .

ومما يغتبط به مجمعنا انه كان بين سائر الاندية العلمية في بلاد الشرق الاقرب العربي اول ما دعي الى الاشتراك في تأليف المعلمة العربية التي تنوي المملكة المصرية وضعها الآن ، وأرصدت لها مبلغاً في موازنتها لاخراجها للامة على صورة تليق بحاضرها وغابرها . وسيكون للاخصائيين من رجالاته في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر المقام المحمود بين المؤازرين في هذه المعلمة . لاجرم ان صنعة المعلمة هي أعظم عمل علمي قام حتى الآن في تاريخ العرب بعد نهضتهم الاخيرة . والرجاء ان يثبت المؤازرون من اعضائنا بما ينشرون ان العرب بمجموعهم لا يقلون كثيراً عن بعض أمم الحضارة الحديثة .

معهد المجمع واستقلاله

ما فتئ المجمع العلمي منذ استولى لاول تأسيسه على المدرسة العادلية الكبرى ، وجعل فيها مقره ، وخص دار الآثار باكثر قاعاتها ، يتذرع باخذ المدرسة الظاهرية الجوانية المناوحة له ، وهي التي وضع تحت قبتها مؤسسو دار الكتب الظاهرية في سنة ١٢٩٦ هـ خزائنهم وقماطرهم ومخطوطاتهم التي جمعوها من عشر مدارس ، ووسدت الولاية عليها للمجمع يوم انشائه ، ليجعل من جميع هذه المدرسة دار كتب عامة ، يجهزها بجهاز دور الكتب في العهد الحديث ، وما قدمت له أمنيته بحي استصفاء المدرسة بأسرها ونقلت مدرسة نموذج الظاهر الى مكان آخر . أملها في الشهر الاخير من السنة الغابرة واخذ يفكر في إرجاعها ما أمكن الى هندستها الاصلية بحيث لا ينبو عنها النظر، ولا يحاذر العبث بجمالها عشاق المصانع والعاديات . وأصبح مقر المجمع ودار الآثار في المدرسة العادلية ، ودار الكتب في المدرسة الظاهرية .

والعادلية والظاهرية بقية مثات من المدارس التي كانت عامرة في القرون الوسطى في هذا البلد وهي العضو الاثري المهم من تلك المعاهد التي كانت من مفاخر الشام وثبتت على ضربات الايام . وان ما بقي من أجنحتهما دليل على تقدم الهندسة العربية في العصور الغابرة وعلى عناية ملوك هذه الديار بمصانعهم . فقد بدأ نورالدين محمود بن زنكي ببناء العادلية الكبرى ليسكنها الامام قطب الدين النيسابوري ، فهلك الباني والمبني له قبل إنجازها ، ثم عمل فيها الملك العادل ابو بكر بن ايوب ولم تتم ، ثم ولده الملك المعظم ووقفها على والده الذي دفن فيها . وهي أعظم مدارس الشافعية تم بناؤها في سنة ٦١٨ هـ .

اما الظاهرية الجوانية فكانت للحنفية والشافعية أنشأها مدرسة ودار حديث الملك الظاهر بيبرس البندقداري ودفن فيها هو وابنه الملك السعيد سنة ٦٧٦ هـ والقبة التي دفن فيها وحيدة بنقوشها وجميل بنائها في كل مصانع الشام ، وهي المدرسة الفذة التي رأينا في زاوية من زواياها اسم مهندسها « ابراهيم بن غنائم » . ولكلتا المدرستين تاريخ مجيد ، درس فيهما من القرن السابع الى القرن الثالث عشر للهجرة زمرة من أعاظم الامة فقهاء ومحدثين ومفسرين ونحويين ولغويين ومؤرخين وأدباء . وفي العادلية وضع المقدسي تاريخ الروضتين في أخبار الدولتين ، وفي العادلية عمل ابن خلكان تاريخه المشهور ، وفي العادلية والظاهرية رنّ صوت خطيب دمشق الجلال القزويني ، وعلى باب العادلية كان يقف ابن مالك النحوي و يدعو الناس لحضور درسه ، ينادي هل من متعلم هل من مستفيد ، والتاريخ يعيد نفسه ، وفي العادلية نزل ابن خلدون فيلسوف العرب أوائل المئة التاسعة . وكأن المولى تعلقت ارادته فقضى ان لا يخلي العادلية والظاهرية من علم ينشر ، وأدب يذكر ، فاختارهما مباءة للمجمع العلمي يقيم فيها سوق العلم والادب بعد الكساد على النحو الذي كانتا عليه منذ وضع أساسها نور الدين زنكي والظاهر بيبرس .

نعم ان الباقي من جدران هاتين المدرستين هو آخر المعمور في الجملة من اصل زهاء ثلاثمائة مدرسة في دمشق وصالحيتها ، ينم عن ذوق عال في الاسلاف ، وعن فطرة سليمة في حب العلم . ولكن الايام شعثتهما كثيراً ، فتوالت عليهما الزلازل

والحرائق في نوبات التتار وغيرها ، واكل لصوص الاوقاف ما حبس ريعه على مصالحها من المزارع والمقارات . ولما استلم المجمع المدرسة العادلية رمّمها باكثر من ثلاثة آلاف جنيه مصري ، وما زال كل سنة يرمّ شيئاً قليلاً من جوانبها ويعمد الى الاصلاح الضروري الذي لا مناص منه من غرفها وبهوها وفنائها وقبتها بقدر ما تسمح به حالته المالية . اما الظاهرية فقد تسلّمها اليوم مشوهة المحاسن داخلها وخارجها تحتاج الى مبالغ لتصلح حقيقة دار كتب أمام القريب والغريب . وهذا مما ألفت اليه نظر حكومتكم السامية خاصة .

***

كان المجمع العلمي يرسف فيما ترسف فيه الدواوين في الحكومات القرطاسية ، من إطالة المعاملات وتحمل القيود على غير طائل ، فطلبت رئاسة المجمع الى ارباب السلطات العليا بتاريخ ١١ شباط سنة ١٩٢٦ انفصال المجمع وتوابعه (داري الكتب والآثار) عن الجامعة السورية ، وكان انضم اليها منذ يوم ١٧ حزيران سنة ١٩٢٣ ، وان يُجعل مرجعه وزارة المعارف كما كان سابقاً ، وان يكون مستقلاً بامور المالية له شخصيته المعنوية على المثال الذي جرت عليه معظم مجامع العالم . فصدر قرار فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان مؤرخة بيوم ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بنزع المجمع من الجامعة لان المجمع شيء والمدارس شيء آخر .

ان استقلال المجمع يورث أعماله تقدماً وسرعة ، فهو يعرف مايصلحه . وقد كانت المفاوضات في الورق في الدقيق والجليل مما يضيع عليه الوقت ، و يذهب بالفرص التي قد تسنح له لاقتناء الاعلاق والنفائس وغير ذلك من أعماله المتشعبة . وكم من اثر او سفر أفلت منه لعوزه . وكم من مؤتمر دعي اليه ولاسباب مالية لم يتمكن من ان يندب أحد أعضائه ليمثله فيه . فقد دُعي الى مؤتمر المستشرقين وعيد المئة سنة لتأسيس الجمعية الآسياوية بباريز ، وعيد المئة والخمسين سنة للمجمع العلمي الملوكي في بروكسل ، ومؤتمر المستشرقين الالمان في ليبسيك ، والمؤتمر الجغرافي في القاهرة ، وعيد المائتي سنة لمجمع العلوم الروسي في لينينغراد ، ومؤتمر التربية في تورنتو في كندا ، فلم يسعده الحظ بان يمثل في احد مؤتمراتها التمثيل اللازم . وأراد ان يندب بعض أعضائه للبحث

عن سير المجامع العلمية في فرنسا ، وعقد صلات جديدة مع المؤلفين والطابعين فيها ، وجدّ في ارسال احد اعضائه الى بعض بلاد الشام ليلقي نموذجاً من محاضرات المجمع فيها و يبحث عن المخطوطات والعاديات — كل ذلك كان المجمع بل العلم بقطف ثمرته الجنية لحال المال والقيود في صرفه دون بلوغ الأرب · ولما سمحت حكومتكم السنية في الربيع الماضي لهذا العاجز ان ينوب في حفلات شاعر مصر احمد شوقي بك استفاد المجمع فوائد أدبية ومادية مهمة فكان اول تمثيل علمي رسمي عن بلاد الشام في مؤتمر · ولذا بات الرجاء معقوداً ان يعمل المجمع حراً طليقاً اكثر منه مقيداً ·

اما أوضاع المجمع الجديدة التي تقرر منذ السنة الفائتة ان يسير عليها ، ولما تصادق عليها المراجع العليا الى الآن ، فهي ان يكون له رئيس وامين سر موظفين و يقسم المبلغ المخصص رواتب للاعضاء العاملين جوائز ومكافآت لمن يعمل من اعضاء المجمع وغيره في خدمة غرضه ، وبذلك يكافأ العامل وتجود البضائع العلمية التي تعرض على المجمع لان قيمتها موقوفة على جودتهـا وتجو يدها بالدرس والتمحيص فيما نرى وذلك أسوة سائر المجامع في اوربا واميركا ·

أعمال المجمع الاخيرة

لم تنتظم جلسات المجمع في الاشهر التي كانت فيها الثورة على أبواب دمشق ، ولذلك لم يضع الا قليلاً من الالفاظ للمستحدثات العصرية والاوضاع العلمية · ومضت شهور طويلة لم تلق في ردهته محاضرة ، وكان الرجال والنساء يحاضرون كل اسبوع مدة تسعة أشهر في السنة · اوقف المجمع اجتماعاته العامة والخاصة مدفوعاً بعامل الحذر والحزم · ولم يقصر بعض حضرات الاعضاء في الواجب عليهم فناصروا المجمع خلال تلك الفترة باقلامهم ، على ما كان شأنهم منذ وقع انتخابهم وانضموا الى جملة أعضائه ، فبعثوا لمجلته برسائلهم وملاحظاتهم ، وتعهدوا مجمعهم بآرائهم · بيد ان بعضهم أغفلوا معاونة المجمع معاونة فعلية ، ولعله لا يفوتهم ذلك في السنة المقبلة · فقد تزيد فائدة العمل في مثل هذه المصالح المشتركة كلما كثرت الايدي العاملة فيه ، وتنوعت أساليب التلقين والتثقيف ، فتبادل الشرق والغرب الافكار والآراء ·

انحصر عمل المجمع في سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ باصدار مجلته وتنمية مجموعاته من الكتب والآثار بقدر الطاقة ، ودار دولاب إدارته على الاسلوب الذي جرى عليه منذ يومه الاول . وقد صدر حتى الآن من مجلته سبع مجلدات تحوي في مطاويها أبحاثاً لغوية وأدبية ، وتحقيقات تاريخية وأثرية ، ولا يقل في السنة عدد من يؤازرون فيها عن نحو ثلاثين عالماً و باحثاً أديباً . وهذا يندر مثله حتى في المجلات الكبرى في الغرب . وما مجلة المجمع العلمي في الحقيقة الا صورته ومثاله ، واثر من آثار النهضة في الآداب العربية . وكانت المجلة تصدر في ٤٨ صفحة كل شهر بحيث يتألف منها مجلد في ٥٨٠ صفحة فقرر المجمع ان تصدر في سنتها الثامنة بـ ٦٤ صفحة فيقع مجلد السنة في ٧٦٨ صفحة ، وأهم ما تنشره المجلة عدا أبحاثها وتحقيقاتها نقد المطبوعات الحديثة ، بتحليل يراد به فائدة المؤلفين والمؤلف لهم من قراء العربية . وقد قدر المستعربون من علماء المشرقيات هذه العناية وعدوا اكثر أبحاث هذه الصحيفة حجة في الادب واللغة والتاريخ .

بلغ عدد المحاضرات التي أُلقيت في المجمع من بدء سنة ١٩٢٥ الى أواسطها ثلاث عشرة محاضرة مختلفة الموضوعات ، وعدد ما أُلقي منها من أواخر سنة ١٩٢٦ الى أواخر سنة ١٩٢٧ سبع عشرة محاضرة . وما دخل المجمع من الكتب ٢٦٧٩ مجلداً مدة ثلاث سنين منها ٨٣ مخطوطاً و٨٧٩ كتاباً (في ١١٠٠ مجلد) خزانة كتب العلامة رفيق بك العظم التي أوصى بها للمجمع بعد وفاته فنفذ اخوه عثمان بك العظم وصيته في الحال . ومنها مائتا نسخة أهداها امير الشعراء احمد شوقي بك من ديوانه . واذا أُضيف الى مجموع المهدي على أقل تعديل ثمانمائة مجلد ، وهو ما زال في طريق الارسال من كتب النظارات في مصر ، بلغ مجموع ما دخل ٣٤٧٩ مجلداً في السنين الثلاث الاخيرة . ومجموع ما في خزائن المجمع من الكتب الآن ١٦٫٥٠٠ مجلد كان منها في دار الكتب الظاهرية لما تسلمها ٤٠١٤ مجلداً ومن هذا المجموع ٢٠٩٢ خزانة المجمع الخاصة عدا المجلات . وفي خزانة فرع المجمع في حلب ١١٥٣ مجلداً وفي دار الآثار ١٦٩ مجلداً و١٧ مجلداً أُخذت بالتصوير الشمسي . وعدد المخطوطات جميعها ٣٦١٨ مجلداً منها ٢٨٣٣ كانت في دار الكتب الظاهرية لما تولاها المجمع سنة ١٩١٩

و٧٨٥ مجلداً من زيادة المجمع عليها مدة ولايته · وجرى الاتفاق على منح فرع المجمع في حلب مكاناً ثابتاً من أملاك الدولة في أجمل شارع من شوارع الشهباء · وكان أعضاؤنا يأوون الى بناية من بنايات الاوقاف منذ أُسس الفرع هناك ، وهذا ما عاقهم عن إلقاء محاضرات تفيد النشء الحلبي على مثال محاضراتنا في دمشق ·

وزاد عدد المختلفين الى دار الكتب كل يوم ، فما انحطوا عن ستين حتى في ايام الاضطرابات. واربوا اشهراً طويلة عن المئة ؛ والمأمول زيادة عددهم متى انتظمت دار الكتب بانتقالها الى بنايتها الجديدة · وبدأ المجمع على سبيل التجربة منذ بدء سنة ١٩٢٦ يعير بعض مطبوعاته الى المشتغلين بالمطالعة والبحث من الوطنيين والاجانب ، يرسلها الى بيوتهم مدة معينة مقابل سندات موقع عليها منهم · وقد نجح في هذه التجربة · وعسى ان يزيد المستعيرون عناية بالمعار ومحافظة على الوقت ، فيوفر لهم المجمع كل ما يسهل عليهم البحث والدرس أسوة كثير من الخزائن في العالم المتمدن ·

اما دار الآثار فارتقت مجاميعها على صعوبة البحث والحفر مؤخراً ، وساعدها تسهيل الحكومة في الاحايين مهمتها عليها ، خصوصاً بعد نشر نظام الآثار في سورية ولبنان الصادر من المفوضية العليا في ٢٦ آذار سنة ١٩٢٦ والعمل بالمادة الخاصة بالآثار في قانون الانتداب · وقد كان عدد القطع المختلفة التي دخلت دار الآثار سنة ١٩٢٥ — ٧٢٨ قطعة ودخل في سنة ١٩٢٦ — ١٤٩ قطعة وفي سنة ١٩٢٧ ١٠٢ قطعة · وفيها قطع نادرة جداً من الخشب والخزف والفسيفساء والنحاس تساوي بضعة الوف من الليرات · ولو كثر عدد البعثات الاثرية وعاونتها الحكومة بالمال ما وسعتها موازنتها ، لزادت مجاميع الامة من ارضها كل سنة زيادة مدهشة ·

وكانت البعثات الاثرية التي عملت في ارضنا في المدة الاخيرة ثلاثاً البعثة التشكوسلوفاكية برئاسة الاستاذ هوروزني (Prof. Hrozny) نقبت في قرية الشيخ سعد في حوران ، واخذ المجمع ماله الحق فيه من مستخرجاتها ، والبعثة الثانية هي البعثة الافرنسية التي يرأسها الاستاذ دي منيل (du Mesnil du Buisson) قامت بالحفر في المشرفة في جوار حمص واخذت دار الآثار حقها من حفرياته · وقامت

ادارة دار الآثار نفسها بالنبش في قرية جوبر في غوطة دمشق فاستخرجت بعض الزجاجيات . وأمامها الآن عدة اماكن للقيام باعمال الحفر في ضواحي دمشق يلحظ ان فيها كنوزاً مدفونة .

وبلغ ما حوته دار الآثار الى الآن من العاديات ٣١٥ قطعة من الاحجار على اختلاف ضروبها و٦٠٣ قطع نحاسية و٢٥٩ قطعة من الفخار و٥٠ قطعة من الخشب و٢٢٤ قطعة من القاشاني و٦١٤ قطعة من الزجاج و٣١٧ قطعة منوعة و٣٢٠ صفحة من الرقوق عربية ويونانية وقبطية وعبرية و٣٣٥٩ قطعة من نقود اسلامية وغير اسلامية . فيكون مجموع القطع اذا أضيف الى ما دخل في السنين الثلاث الاخيرة ٧١٤٠ قطعة . وقد نظمت دار الآثار تنظيماً حسناً في قاعاتها الاربع بعناية مديرها الامير جعفر الحسني وفضل النباهة . وهو اول من درس الآثار والعاديات في مدرسة اللوفر بباريز بمعاونة المجمع العلمي . وعسى ان نوفق الى ارسال طالب نبيه الى مدرسة السجلات في عاصمة فرنسا ليدرس تنظيم الكتب والمكاتب واستخراج المخطوطات على الاصول الحديثة .

وقد وافقت حكومتكم السامية اول شهر تموز الماضي على وضع رسم على زوار المتحف قدره عشرة قروش سورية ، على ان يبقى الدخول ايام الجمع مجانياً ان أراد ، وسيجبي المجمع من ذلك مبلغاً يصرفه في تحسين حالته واصلاح شأنه . ووزع المجمع العلمي ٩٨٦ كتاباً ورسالة ومجلة على الطلاب والدارسين والباحثين وعلى بعض غرف القراءة التي أنشئت حديثاً خارج دمشق ، منها ما كان من مطبوعاته ، ومنها مما ابتاعه او مما أهدي اليه ، ووزع كمية على معاهد التعليم العالي والثانوي في دولة سورية اهلية كانت او طائفية او اميرية . واعطى جانباً من مطبوعاته وغيرها الى بعض اهل ساحل الشام وغيرهم حباً بنشر العلم والآداب ، ولأن المجمع لا يتوقع من مطبوعاته ربحاً ، بل يقصد الى نشر اللغة والآداب قبل كل شيء ، وادخال كتب صالحة للمطالعة الى ايدي الناس تلقح افكاراً جيدة جديدة ، وبياناً عربياً لا شائبة فيه .

ويطول بي نفس الكلام يا صاحب السمو اذا حاولت ان اورد ولو نموذجات طفيفة مما كتبه زوار داري الكتب والآثار في سجلاتهما من الثناء ، وما رددوه على

عمل المجمع من الشكر لعنايته . وفي مقدمتهم صاحب الفخامة الشيخ المسيو هنري دي جوفنيل المفوض السامي في سورية ولبنان سابقاً، فقد اولى المجمع عطفه وتفضل فمنحه عشرة آلاف فرنك تقديراً لعمله ومعاونة له على قضاء مهمته النبيلة ، وذلك في أحرج الاوقات التي صار اليها المجمع منذ نحو سنتين بتأخر ماليته . وممن خدم المجمع وعطف عليه في العهد الاخير المسيو پيبراليب المندوب الممتاز في دولة سورية وجبل الدروز ، والمسيو راجي مستشار المعارف في هذه الدولة ، فكلاهما تفضل في دائرته وعاون على تسيير مصالحنا .

واذا أشرت في تقريري هذا الى الماديات التي جنتها البلاد فذلك لأشير الى ان ما جمع كان بقليل من النفقة والمقدر ان ثمانين في المئة من الكتب التي اقتناها كان هدية ، واقل من ذلك ما ينفقه على جلب الآثار . هذا من حيث الماديات اما المعنويات فلا يقدرها قدرها الا من عرف ماتنفقه الامم المتحضرة على الاحتفاظ بمجدها ونشر آدابها وتاريخها . وادب العرب وتاريخهم مما يرفع الرؤوس على توالي الاحقاب ، ولو عمل في إحيائها عشرة مجامع من مثل مجمعنا لما كانت الى القصور ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .

اماني المجمع وعمله في السنة القادمة

كان من أعظم اماني المجمع في السنين الخالية انشاء كلية للآداب تضاف الى الجامعة السورية فيكون فيها ثلاثة فروع (الآداب والطب والحقوق) ثم يفكر غيرنا في إضافة الفرعين الناقصين وهما الالهيات والعلوم ، وذلك لعلمه باحتياج الآداب العربية الى ان تتخرج فيها طبقة مختارة تحسن الكتابة والخطابة بلغتها ، وتسير في التأليف والترجمة وتعاطي الامور العلمية وادارة الاعمال على النظام الغربي ، فينشأ من طلاب هذه الكلية كفاة مستعدون لتولي مناصب التعليم والادارة في المدارس الوسطى والعليا ودواوين الحكومة والمسالك الحرة المختلفة ولا سيما الصحافة والتمثيل . فان عمل المجمع لا يتم الا اذا كانت من ورائه قوة تمده ، ومنبت ينشئ رجالاً يعرفون الآداب بفروعها ، خصوصاً وكثير من اعضاء المجمع عانوا هذه الصناعة وعلموها والفوا فيها .

أراد المجمع ان يخرج طبقة من المؤلفين والناقلين غزيرة المادة من لغتهما ولغات أُخرى ، لينتقل العلم من طور الى طور آخر ، اذ ثبت انه لا سبيل الى تقوية ملكة البيان الا بالتخصص فيه ، والتوسع من استجادة الادوات الكثيرة . وقد درس هذا العاجز برامج سبع عشرة كلية للآداب في فرنسا ، ومنها منهاج جامعة الجزائر ومناهج الدروس في جامعات جنيف ولوزان و بروكسل والاستانة ومصر ووضع لائحة قانون كلية الآداب ومنهاج دروسها النظامية ، مع اختيار ما يلائم البلاد من الابحاث واللغات ، فأُغفل هذا المشروع لاغراض تنافي مصلحة الامة . وعسى ان يتغلب الغرض العام على الغرض الخاص في القريب العاجل ، و يبدو هذا المشروع من القوة الى الفعل بما ينير العقول ويحيي موات اللغة . فللمجتمع مطالب عالية يجب ان نعنى بها كلها حتى ندخل ساحة العلم البشري مجهزين بكل جهاز نافع ، والآداب اول فرع يجب على أُمة تحاول النهوض اخذ نفسها بها والتوفر على مدارستها باصولها وفروعها .

***

كتب المجمع العلمي غير مرة يلح على المراجع العليا ان توعز لادارة الاوقاف لتنزل له عما في مستودعاتها من العاديات والطرائف ليعرضها في دار الآثار يستفيد منها العلم والتاريخ . ولم ترض ادارة الاوقاف ان تساهم المجمع على الاقل فيما لديها من العاديات تجعلها في غرف خاصة لها في المدرسة الظاهرية او العادلية تحفظ باسمها وتدار على حسابها باشراف المجمع وعماله او عمالها ان أُحبت ، فتتساند واياها على حفظ آثار الوطن . ومعلوم ان جميع الادوات موفورة للمجمع في هذا الشأن اكثر من غيره ، وهو يعرف كيف يتوسع في العمل و يحافظ على العاديات لينتفع بها الناس . والاوقاف يصعب عليها الآن ان تنشئ لها دار آثار خاصة بموقوفاتها وما حوته مستودعاتها ، ودمشق لا تحتمل متحفين . فقد حاول بعضهم زمن الحكومة العربية ان ينشئ هنا متحفاً عسكرياً مأخوذاً بما كان محفوظاً في قلعة دمشق وغيرها من السلاح والاعلام وجهاز النقل والركوب ، فبقي مشروعه في حيز القول ، لان الخيال غير الحقيقة . هذا ما قلناه في تقرير سنة ١٩٢٤ وقد عرضناه على الاوقاف بطرق مختلفة فلم تره قبولاً ، ولعلها في السنة المقبلة تصح عزيمتها على إجابة سؤلنا خدمة للعلم ، وصيانة لمجد الاسلاف من الضياع .

ان ما شاهدناه من عناية الحكومة بتنشيط الاصطياف والتيسير على المصطافين والسائحين لترغيب البلاد من غشيانهم ارضنا ، وما رأينا من إقبال طبقات الوطنيين والغرباء على زيارة دار الآثار بدمشق يدعو الحكومة الى ان تحرص على توسيع دار الآثار ودار الكتب لتكون حالتها مناسبة مع مكانة البلاد . وكلما كثرت هذه المعاهد يزداد توارد الاجانب الى بلادنا ، ومعلوم ما يحدث الاختلاط بالامم الاخرى من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية . وهذا ما يدعو حكومتكم السنية الى وضع مبلغ في موازنة السنة المقبلة يصرف على ترميم المدرستين الظاهرية والعادلية ، وتستملك الحكومة الدارين اللتين اقتطعتا من اصل بنائهما واحداهما بيد الاوقاف تؤجرها دار سكن .

***

ثم انه مضى على تأسيس دار الكتب خمسون سنة ومن واجب المجمع أن يحتفل بعيدها الخمسيني الموافق لمرور عشر سنين على تأسيس المجمع العلمي ، فيجعل العيدين عيداً واحداً ويدعو الاندية العلمية والجامعات وعلماء المشرقيات في البلاد المتمدنة الى الحضور في الربيع المقبل (١٩٢٨) ولذلك اقتضى ان يسارع خلال هذه الاشهر القليلة الباقية في إدخال هذه الاصلاحات على ذينك المعهدين على اسرع ما يمكن وبصورة تتلاءم مع شأن الدولة وعظمة هذه الامة . ولا شك ان دعوة علماء المشرقيات وغيرهم الى حضور الحفلة العتيدة مما يعلي شأن بلادنا بين البلدان ، ويغدو هذا المؤتمر اول مؤتمر عقد في دمشق . ومتى تمت ادواتنا في معاهدنا لا يصعب دعوة مؤتمر المستشرقين الى الانعقاد في عاصمة بني أمية لان جماع المشتغلين بالمشرقيات في الغرب يودون زيارة الديار الشامية . وتمثيل أممهم في مؤتمرنا فرصة ثمينة لهم ولنا ايضاً .

فأماني المجمع التي يتطال الى تحقيقها والحالة هذه « إنشاء كلية للآداب اولاً » و « جمع آثار الاوقاف المبعثرة في صعيد واحد ثانياً » و « إصلاح المدرستين العادلية والظاهرية والتوسعة على موازنة المجمع ثالثاً » . وهذه المطالب اذا وفقت حكومتكم السنية الى انفاذها من قابل وهو ما يرجى ويُتوقع تخدم هذه البلاد

خدمة حسنة يذكرها التاريخ . ويظهر المجمع في مظهر محتشم يعلي شأن الوطن وينفع بنيه .

ويتمكن المجمع بزيادة موازنته من رم دار الحديث الاشرفية في سفح قاسيون التي اخذها على ان يعمرها ويقيم فيها غرفة قراءة وناديًا للمحاضرات . ويوفق الى نشر ما لديه من المخطوطات التي يتطال الى إحيائها خدمة للتاريخ والادب . فقد كانت اماني رجال المجمع منذ نشأته ان ينشر كل سنة على الاقل مجلد واحد من هذه الكتب النادرة التي حفظت في القبة الظاهرية ، وما فتئت ترقب الايام لتنشر بالطبع بين الناس على وجه يناسب روح العصر من التحقيق والتدقيق . وكانت قلة المال هي الحائلة دون بلوغ هذه الأمنية . وفي عزم المجمع ان ينشئ معجمًا صغيرًا يدخل فيه الاوضاع العلمية الحديثة ، وان يضع رسالة باللغات الحية مزينة بالرسوم يصف فيها المهم من آثار المجمع وعاديات دمشق ، لفائدة طلاب العلم كافة والطارئين على هذا القطر ، ولكن المال هو العائق الاعظم عن اتمام عمله .

اعضاء المجمع العلمي

فجع المجمع في السنين الثلاث الاخيرة بوفاة بضعة من اعضائه الاعلام وهم السيد اوجينيو غريفيني والسيد رفيق العظم والدكتور يعقوب صروف في القاهرة والسيد حسن بيهم والاب لويس شيخو في بيروت والدكتور صالح قنباز في حماة والسيد مالنجو والسيد الياس القدسي في دمشق والسيد براون في كمبريج والسيد رينه باسيه في الجزائر والسيد كليمان هوار في باريز رحمهم الله وعوض العربية عنهم خيراً ٠

وضم المجمع الى اعضائه في هذه الفترة حضرات العلماء والادباء السيد عباس محمود العقاد ، والامير مصطفى الشهابي ، والسيد شفيق جبري والسيد ماسيه والسيد بوفا والشيخ ابراهيم منذر والشيخ مصطفى الغلاييني واحمد شوقي بك والشيخ محمد الخضر حسين واحمد لطفي بك السيد والسيد احمد حسن الزيات والسيد احمد امين والسيد عبد الله مخلص والشيخ سليمان ظاهر والدكتور نقولا فياض والسيد عمر الفاخوري ٠

***

وهذه جريدة باسماء اعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٩٢٧ :

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »

	السادة :	محل الاقامة
١	الدكتور اسعد الحكيم	دمشق
٢	السيد انيس سلوم	«
٣	السيد خليل مردم بك	«
٤	السيد رشيد بقدونس	«
٥	الشيخ سليم البخاري	«
٦	السيد سليم الجندي	«
٧	السيد سليم عنحوري	«
٨	السيد شفيق جبري	دمشق
٩	السيد عارف النكدي	«
١٠	الشيخ عبد القادر المبارك	«
١١	الشيخ عبد القادر المغربي	«
١٢	الكافلبير عبد الله رعد	«
١٣	السيد فارس الخوري	«
١٤	الدكتور مرشد خاطر	«

« الاعضاء »

السادة :	محل الاقامة
١٥ الشيخ مسعود الكواكبي	دمشق
١٦ الامير مصطفى الشهابي	〃
١٧ الشيخ ابراهيم منذر	بيروت
١٨ السيد امين الريحاني	〃
١٩ السيد بولس الخولي	〃
٢٠ السيد جبر ضومط	〃
٢١ الامير شكيب أرسلان	〃
٢٢ السيد عبد الباسط فتح الله	〃
٢٣ الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٢٤ الشيخ عبد الله البستاني	〃
٢٥ السيد عمر الفاخوري	〃
٢٦ الدكتور فيليب حتي	〃
٢٧ الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٢٨ الشيخ مصطفى الغلاييني	〃
٢٩ السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٠ الشيخ احمد رضا	النبطية
٣١ الشيخ سليمان ظاهر	〃
٣٢ السيد جرجي يني	طرابلس الشام
٣٣ الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٣٤ السيد ادوارد مرقص	〃
٣٥ الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
٣٦ الشيخ بدر الدين النعساني	حلب
٣٧ المنسنيور جرجس شلحت	حلب
٣٨ المنسنيور جرجس منش	〃
٣٩ الشيخ راغب الطباخ	〃
٤٠ الشيخ عبد الحميد الجابري	〃
٤١ السيد عبد الحميد الكيالي	〃
٤٢ السيد قسطاكي الحمصي	〃
٤٣ الشيخ كامل الغزي	〃
٤٤ السيد ميخائيل الصقال	〃
٤٥ السيد اسعاف النشاشيبي	القدس
٤٦ السيد عبد الله مخلص	حيفا
٤٧ الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٨ الشيخ محمد بهجة البيطار	مكة المكرمة
٤٩ الشيخ رضا الشبيبي	النجف الاشرف
٥٠ الدكتور امين المعلوف	بغداد
٥١ الاب انستاس الكرملي	〃
٥٢ السيد جميل صدقي الزهاوي	〃
٥٣ السيد عز الدين علم الدين	〃
٥٤ السيد كاظم الدجيلي	〃
٥٥ السيد معروف الرصافي	〃
٥٦ الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة
٥٧ السيد احمد امين	〃
٥٨ احمد تيمور باشا	〃
٥٩ السيد احمد حسن الزيات	〃

« الاعضاء »

السادة :	محل الاقامة	السادة	محل الاقامة
٦٠ احمد زكي باشا	القاهرة	٦٧ الشيخ محمد الخضر حسين	القاهرة
٦١ احمد شوقي بك	«	٦٨ الدكتور نقولا فياض	الاسكندرية
٦٢ الدكتور احمد عيسى	«	٦٩ السيد زكي مغامز	الاستانة
٦٣ السيد احمد لطفي السيد	«	٧٠ السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٦٤ السيد اسعد خليل داغر	«	٧١ الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٦٥ الشيخ محمد رشيد رضا	«	٧٢ الدكتور محمد اجمل خان	الهند
٦٦ السيد عباس محمود العقاد	«		

***

٧٣ السيد مارسيه	Marçais	تونس
٧٤ السيد ماسه	Massé	الجزائر
٧٥ « كي	Guy	ازمير
٧٦ « ميشو بيلير	Michaux-Bellaire	طنجة
٧٧ « فرّان	Ferrand	باريز
٧٨ « دوسو	Dussaud	«
٧٩ « ماسينيون	Massignon	«
٨٠ « بوفا	Bouvat	«
٨١ « جويدي	Guidi	ايطاليا
٨٢ « نلينو	Nallino	«
٨٣ الاب آسين	Asin	اسبانيا
٨٤ السيد لوبس	Lopès	البرتغال
٨٥ « مونته	Montet	سويسرا
٨٦ « هيس	Hess	«
٨٧ « سنوك هورغرنيه	Snouck-Hurgronje	هولانده
٨٨ « هوتسما	Houtsma	«

« الاعضاء »

السادة :		محل الاقامة
٨٩ السيد ارانذونك	Arendonk	هولانده
٩٠ « مرجليوث	Margoliouth	انكلترا
٩١ « بفن	Bevan	«
٩٢ « هومل	Hommel	المانيا
٩٣ « ساخاو	Sachau	«
٩٤ « بروكلمن	Brockelmann	«
٩٥ « هوروفيتز	Horovitz	«
٩٦ « هرزفلد	Herzfeld	«
٩٧ « هارتمان	Hartmann	«
٩٨ « ميتفوخ	Mittwoch	«
٩٩ « سترستن	Zettersteen	السويد
١٠٠ « اوستروب	Œstrup	الدانيمارك
١٠١ « بول	Buhl	«
١٠٢ « بدرسن	Pedersen	«
١٠٣ « موجيك	Mzik	النمسا
١٠٤ « ماهلر	Mahler	المجر
١٠٥ « كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
١٠٦ « كراشقوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
١٠٧ « موزل	Musil	تشيكوسلوفاكيا
١٠٨ « ماكدونالد	Macdonald	اميركا
١٠٩ « كرسيكو	Karsikko	فنلاندا[1]

(١) والاعضاء الذين فقدهم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق . والسيد نخله زريق في القدس . والسيد اغناطيوس غولدصهير في بودابست .

جريدة المتبرعين والمحسنين للمجمع العلمي

ومنهم من تبرع بمال ومنهم بآثار او كتب مخطوطة او مطبوعة

« أ »	
السيد ابراهيم اطفيش	مصر
ابو كامل المعلم	دمشق
السيد ابراهيم زيدان	مصر
احمد تيمور باشا	«
احمد شوقي بك	«
احمد اغا الخانجي	دمشق
السيد احمد الطويل	«
الدكتور احمد عيسى بك	مصر
السيد احمد امين الديك	«
الشيخ احمد الاسكندري	«
الشيخ احمد سليم العطار	دمشق
احمد زكي باشا	مصر
الشيخ احمد عارف الزين	صيدا
الامير احمد مختار الجزائري	دمشق
الشيخ احمد رضا	النبطية

احمد عزت باشا العابد	دمشق
السيد اديب البهنسي	«
اديب مصري	مصر
ادارة المسرة	جونيه
السيد ارنست هرزفلد	المانيا
« اسكندر الخوري البيتجالي	القدس
السيد اسعاف النشاشيبي	القدس
« اسعد خليل داغر	مصر
اكاديمية لينچاي الملكية	رومية
السيد الياس انطون الياس	مصر
« امين الدالاتي	دمشق
« امين هندية	مصر
« امين زيدان	«
« ب »	
السيد براون في جامعة كمبريدج	كمبريدج
البعثة الافرنسية	دمشق

والسيد مرتين هارتمان في برلين . والسيد رينه باسه في الجزائر . واحمد كمال باشا والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي والدكتور يعقوب صروف والسيد غريفيني والسيد رفيق العظم في القاهرة . والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد . والسيد حسن بيهم والاب لويس شيخو في بيروت . والدكتور صالح قنباز في حماة . والسيد مالنجو والسيد الياس القدسي في دمشق . والسيد براون في كمبريدج . والسيد هوار في باريز . أجزل الله ثوابهم .

السيد بدرالدين الشركسي	قنيطرة
السيد بشاره الاصفر	دمشق
« بفن	كمبردج
الشيخ محمد بهجة الاثري	بغداد
السيد بهاء الدين الجابي	دمشق
بلدية دمشق	
بلدية حمص	
« ت »	
السيد توفيق شامية	دمشق
الشيخ توفيق المنيني	«
« ج »	
جامعة سيام	
جامعة ليون	
جامعة بوردو	
جامعة ستراسبورغ	
الجامعة المصرية	
جرجي بك رزق الله	بيروت
الامير جعفر الحسني	دمشق
السيد جميل الكواكبي	«
الجمعية الآسيوية	باريز
السيد جبناردي	دمشق
« ح »	
السيد حافظ زكية	حمص
الدكتور حبيب قشيشو	دمشق
الدكتور حسن رعد	طرابلس الشام

السيد حسن حسني عبدالوهاب	تونس
السيد حسام الدين الكزبري	دمشق
حمدي بك النصر	«
حمدي بك الجلاد	«
السيد حمدي الكيلاني	«
الشيخ حمدي الحلبي	«
« خ »	
الامير خالد الحسني الجزائري	دمشق
خالد بك العظم	«
السيد خالد معاز	مصر
السيد خالد يحيى	طرابلس الشام
خزانة كتب الامة	برلين
السيد خورشيد الشركسي	دمشق
خليل بك مردم بك	دمشق
السيد خيرالدين الزركلي	القاهرة
« د »	
السيد داود صدقي المارديني	دمشق
دار الكتب المصرية	
السيد درويش الدهان	«
« ديمتريوس قاضي	«
المسيو راجي	«
السيد رسلان البلعوط	«
رفيق بك العظم	مصر
السيد رضا الجوخدار	دمشق
« رضا الشربجي	«

رؤف بك الايوبي	دمشق

« ز »

زكي بك مغامز	الاستانة
السيد زعل الدغيم	خسفين

« س »

سامي بك البكري	دمشق
الامير سعيد الحسني الجزائري	«
الشيخ سعيد الرافعي	مصر
سليم افندي البخاري	دمشق
سليم بك عنحوري	«
السنيور سبرانزا	«

« ش »

السيد شفيق الحسيني	حمص

« ص »

السيد صالح القشطوني	دمشق
الدكتور صالح شوري	«
السيد صادق العطار	«
السيد صبحي الطباع	«
السيد صبري اديب الكاشف	«
« صدقي نور الله	جبلة
صفوح بك المؤيد	دمشق

« ط »

الشيخ طاهر الجزائري	«
الامير طاهر الحسني الجزائري	«

« ع »

الشيخ عبد الله الزنجاني	ايران
« عبد المعطي السقا	مصر
عبد القادر بك العظم	دمشق
عبد الرحمن بك اليوسف	«
الشيخ عبد القادر المغربي	«
« عبد الواسع اليماني	مصر
عبد الله بك الاستاذ	دمشق
السيد عبد الجواد الحسيني	حمص
عثمان بك العظم	دمشق
عزت احمد بك العظم	«
السيد عز الدين علم الدين	بغداد
عطاء الله بك الايوبي	دمشق
البرنس عمر طوسون باشا	مصر
السيد عمر الخشاب	مصر
« عين الملك خان	دمشق
« عيسى البابي الحلبي	مصر
« عيسى اسكندر المعلوف	زحلة

« غ »

« غريغوريوس حداد	دمشق

« ف »

« فارس قمحة	«
الامير فاعور الفاعور	القنيطرة
فائز بك العظم	دمشق
فخري بك آل جميل	بغداد

فخري بك البارودي	دمشق
الشيخ فرج الله زكي الكردي	مصر
السيدان فريد ونديم الغزي	دمشق
فريد بك العمري	«
السيد فؤاد الفرا	«
« فهمي ابيو	«
جلالة الملك فيصل الاول ملك العراق	بغداد
« ق »	
القومندان بورجوا	حمص
« ك »	
الامير كاظم الحسني الجزائري	دمشق
السادة كالمان ليفي الكتبيون	باريز
« ل »	
لجنة التأليف والترجمة والنشر	مصر
« م »	
المار يشال ليوتي	باريز
مأمون بك المؤيد	دمشق
مجلس النواب المصري	مصر
مجلس النواب الافرنسي	باريز
محمد باشا العصيمي	دمشق
السيد محب الدين الخطيب	مصر
« محيي الدين رضا	«
الشيخ محمد الخضري	«
السيد محمد جمال	«
السيد محمد عبد الواحد الطوبي	مصر
« محيي الدين الكردي	«
« محمد فائز السفرجلاني	دمشق
« محمد حاجي قولي	حلب
« محمد علي الحلبي	دمشق
« محمد الحمصي	«
« محمد شفيق السيوفي	«
« محمود شغليل	«
« محمد خير الجوخدار	«
« محمد ابو قورة	«
الشيخ محمد رشيد رضا	مصر
السيد محمد هراوي	«
مدرسة اللغات الشرقية	باريز
السيدة مريام هاري	«
مرعي باشا الملاح	حلب
الشيخ مسعود الكواكبي	دمشق
الامير مصطفى الشهابي	«
السيد مصطفى محمد	مصر
« مصطفى البابي	«
المطبعة الاميركية	بيروت
مكتبة الخانجي	مصر
مكتبة سان باولو	البرازيل
السيد ممدوح هنانو	حلب
« منير البرازي	حماه
« منير الدمشقي	مصر

منيف بك اليوسف	دمشق
السيدان مهدي وعبده مرتضى	»
السيد ميخائيل بخاش	لبنان
» ميخائيل فغالي	بوردو
المسيو ميليا	باريز
الامير ميرزا مصطفى	سلمية

« ن »

السيد نجيب متري	مصر
» نعيم عرابي	دمشق

« ه »

المسيو هنري دي جوفنيل	باريز

« و »

وزارة الاشغال	مصر
» »	باريز
وزارة المالية	دمشق
» الزراعة	»
» الاوقاف	مصر
» الزراعة	مصر
» المعارف والفنون	باريز
» المعارف	مصر

« ي »

السيد يحيى الصواف	دمشق
الدكتور يعقوب صروف	مصر
البرنس يوسف كمال	»
السيد يوسف توما البستاني	»
» يوسف ابراهيم	جبلة
» يوسف السبع	دمشق
» يوسف امين شدياق	لبنان

بعض آراء المفكرين
« في المجمع العلمي »

سألت مدام بوج ويكسل اثناء البحث في تقرير فرنسا عن سورية ولبنان أمام عصبة الامم في جنيف : هل في الامكان الحصول على معلومات متممة بشأن المجمع العربي في دمشق . فأوضح المسيو ده كه ممثل فرنسا في تلك الجمعية « ليس المجمع العربي معهد تعليم ولكنه مجمع بالمعنى المعروفة فيه هذه الكلمة في فرنسا . ففيه يجتمع عدد من علماء اللغة العربية الذين يدرسون هذه اللغة وآثارها الادبية » . وجواباً على سؤال آخر قال المسيو ده كه : « ان مجمع دمشق ليس معهد حكومة فهو مستقل استقلالاً واسعاً ويدير شؤونه بنفسه وتقدم له الحكومات بعض المخصصات » .

وجاء في تقرير الحكومة الفرنسية المرفوع الى جمعية الامم في السنة الماضية : « نما متحف دمشق كثيراً هذه السنة وخاصة بفضل اجتهاد محافظه الامير جعفر حفيد عبدالقادر واحد قدماء تلاميذمدرسةاللوفر . وقدجعل هذا المتحف فيبناية من بنايات القرن الثالث عشر التي رممت برمتها منذ سنة ١٩١٩ بناءً على ما ارتآه رئيس المجمع العلمي محمد بك كرد علي . وقد جمعت في هذه البناية المجاميع التي كانت مبعثرة في بعض معاهد دمشق وضمت اليها الوثائق التي اكتشفت في الحفريات ولا سيما حفريات الشيخ سعد والمشرفة وتل النبي مند وتدمر » .

وكتب العلامة المسيو دوسو في تقريره الى مجمع العلوم الادبية والاثرية في باريز : ان متحف دمشق أجمل المتاحف التي تضمها بلاد الانتداب وهو أثر من آثار المجمع العلمي . واثنى على هذا المعهد ورئيسه وعلى دار الآثار ومديرها .

وكتب العلامة المسيو ماسنيون فيمجلة العالم الاسلامي البارزية انه اجتمع بفضل رئيس المجمع وحوله طائفة من العلماء الشاميين المسلمين والمسيحيين يعملون في درس المدنية العربية بعلم تشهد به مجلة المجمع العلمي العربي .

وقال العلامة السيد سنوك هرغرونيه من جامعة ليدن : « واطلعت طلاب العلم من اهل بلادي على أعداد المجلة ، وبينت لهم انها علامة احياء العلوم الشرقية ،

ومعجزة في جنسها ، مسكتة لمن ينكر استمرار التمدن العربي ، وأوضحت لهم عدم قدرة احدنا على تصنيف مقالة من مقالاتها ولو استغرق عمره في طلب علوم العرب » .

وقال العلامة السيد هوتسما مدير المجلة الاسلامية في هولاندة: « وبديهي ان علماء المشرقيات من الهولانديين يهتمون جد الاهتمام بالعمل الباهر الذي تقومون به في الشام لاحياء هذه الآداب لتعيدوا للعرب ما كان لهم قديماً من المقام المحمود في ساحة العلم البشري » .

وقال العلامة الدكتور حتّي في مجلة العالم الجديد في نيويورك ان المجمع العلمي أعظم مشروع أدبي وطني يحق للشاميين المباهاة به ... مجمع يمضي على تأسيسه ست سنوات فقط أصبح متوليًا تحرير مجلة علمية من أرقى المجلات وادارة متحف وطني نفيس ودار كتب كبرى وينشئ فروعاً وينضم الى عضويته زبدة العلماء من مشارقة ومستشرقين ... واذا سلمنا بان المتحف المصري العربي في القاهرة يفوق متحف دمشق الى درجة كبيرة فاننا لا نسلم بان مجلات المستشرقين من انكليزية وافرنسية والمانية تفوق مجلة مجمع دمشق ...

وقال الاستاذ السيد عباس محمود العقاد في البلاغ المصري في القاهرة : « ان اخواننا في دمشق قد سبقونا الى انشاء مجمعهم العلمي فنجحوا نجاحاً يفوق ما عندهم من الوسائل المالية والسياسية والعلمية ، ووطدوا ذلك المجمع توطيداً يبشر باطراد التقدم واتساع الامد وعموم الفائدة في الاقطار العربية ، وكان ذلك بهمة رئيسه القدير وزملائه الفضلاء وعناية مأثورة من حكوماتـ الدولة على اختلافها أمنت المجمع بعض التأمين من الوجهة المالية ودلت على احترام للمباحث والآداب نغبطهم عليه ونظننا أولى به واحجى بالسبق فيه لما عندنا من وسائل العلم والمال والسياسة » .

وقالت جريدة وادي النيل بالاسكندرية : « ان السيد محمد كرد علي رئيس المجمع السوري يقوم من مجهوده الفردي بعمل لم تقدم عليه الجماعات العلمية والادبية عندنا . وقد اغتبطنا باعمال المجمع لما نم عليه من النهضة الادبية في الشام وهي جزء مهم من الاسرة العربية العظيمة ، على اننا تراجعنا الى أنفسنا نسألها واين مصر من هذا المجد الادبي الرفيع » .

وقالت جريدة (فتى العرب) في دمشق : « واذا كانت مصر على ما فيها من علم وثروة ورجال لم توفق حتى الآن لتأسيس مجمع علمي فيها فحسب سورية الفقيرة ان يكون لها مجمع علمي هو نسخة طبق الاصل عن نهضتها العلمية والادبية وصدى ناطق لصوتها الذي لم يكن يسمعه احد قبل سنين قليلة . ان المجمع العلمي يسير الى الرقي والاصلاح الى جانب الامة فاذا استمرت الامة في نهضتها ورقيها كان للمجمع نصيب وافر من هذه النهضة فهو جزء من روح هذه الامة وعنصر من عناصر آدابها وعلومها ... »

وقالت جريدة (الزمان) في دمشق : « المجمع العلمي في دمشق هو مجموعة صالحة من اهل العلم والرأي والتفكير في بلادنا بل هو أصلح هيأة رسمية عندنا تمثل نهضتنا العلمية وجب عليها ان تمثلنا في جميع النهضات العلمية والحركات الفكرية التي ظهرت في سماء هذا الشرق بضعف قبل الحرب وأخذت تظهر بعدها بشيء من القوة يدل على شيئين : على متانتها اولاً وتطور الحالة الفكرية عندنا تطوراً كبيراً » .

وقالت جريدة (الوطن) في بيروت : « فقد كان (المجمع) من حسنات الايام ومن محامد الحكومة الدمشقية بل كان قلادة در في جيد الشام فقد ضم في سلكه البديع عصابة فضل لم يرو تاريخ الدول العربية انضمام مثل عددهم في مجمع بل ضم في عداد أعضائه جماعة من أعاظم علماء وفلاسفة اوربا واميركا ... فهو ولا ريب من مفاخر الامة السورية بل أجل مفخرة يجدد بها العرب ذكر مفاخرهم الغابرة وعلومهم ومدنيتهم العظيمة الباهرة وتقيم لاهل الارض البرهان المحسوس على تقدم السور بين اليوم وتمدنهم ونجابتهم » .

وقال الاستاذ السيد يوسف العيسى في جريدة (الف باء) في دمشق : « على ان الذي يسمع بهذا المجمع ليس كمن يحضر حفلاته فقد كنت أمس أصغي لمحاضرة الاستاذ رئيسه وأجيل نظري في صفوف المحاضرين المتمثلة منهم تلك القاعة الفسيحة وكلهم من زعماء الامة وعلمائها وأدبائها ومفكريها وأتأمل في سكوتهم العميق وعيونهم المتجهة الى الخطيب وهو يسرد لهم تاريخ مجمعهم وأعماله فخيل لي انني في كنيسة او معبد لا هي مسيحية ولا هو اسلامي وانني محاط باتباع ديانة جديدة هي ديانة اللغة

العربية فقلت في نفسي يكفيني ويكفي هذا القوم تعزية عن سالفنا المجيد بهذا الحاضر المؤمل » .

وقال الاستاذ الدكتور حتي في مجلة الكلية في بيروت : « ان ما قام به المجمع وهو طفل في خلال سنواته الاولى من حياته من الخدمات العقلية وصون الآثار ونشر المعارف هو شيء كبير حيوي للامة السورية الجديدة لا يقدّر ولا يثمن بالدنانير السورية الزهيدة التي أرصدتها الحكومة لنفقته فكل درهم في ميزانية المجلس هو في عرفنا حلال لا نستطيع الامة في الاحوال الحاضرة ان تستثمره في طريقة أفضل من هذه الطريقة لإنعاشها وإحياء عقليتها والاحتفاظ بذخائر مخطوطاتها وآثارها من ذلك الميراث المجيد الذي يصلنا بآبائنا وأسلافنا وينشطنا للسير الى العلاء والى الامام ... فحمداً لله الذي وفقنا اخيراً الى اكتشاف امر ينضوي تحت لوائه المسيحي والمسلم واليهودي والشرقي والغربي — وذلك الامر هو العلم » .

وقال الاستاذ الاب لويس شيخو في مجلة المشرق في بيروت : « ومع حسن اختيار الوقع (اي دمشق) نجد في تأليف أعضاء المجمع داعياً آخر لنتوسم فيه الخير فانه يرأسه رجل ... وكذلك اعضاء المجمع العلمي فان في اختلاف عناصرهم من وطنيين وأجانب وفي تباين أديانهم من مسلمين ونصارى وموسويين وفي امتياز مناصبهم من ارباب دنيا ودين ضامناً لثبات هذا الصرح العلمي ورقيه » .

وقال العلاّمة كراتشكوفسكي من جامعة لينينغراد في مجلة « الشرق » الروسية : ومما يستجلب الانتباه ايضاً خلو المجمع من أصحاب الخطط التقليدية الضيقة من المسلمين والمسيحيين ومن السياسيين الذين يفضلون السياسة على العمران فالجميع يربطهم المبدأ الجنسي فلهذا يسوغ لنا ان نعدهم زعماء العربية الفتاة لا بحسب اعمارهم بل بحسب أرواحهم .... ومما نستدل ان العرب قد تمكنوا من عمل ما يتصوره الغرب مستحيلاً في اوربا بعد الحرب أعني ربط جميع البلاد العربية بندى علمي واحد بل ربط جميع علماء المشرقيات في اوربا . ويمكننا هنا ايضاً في فهم كنه التمدن الروحي الحقيقي بملء الجرأة ان نسمي الشعب الشرقي معلم الغربيين وفي هذا وحده خدمة للمجمع العربي لا حد لها » .

وقالت جريدة (لاسيري) في بيروت : « وعبثاً يحاول المرء وصف ما بذله رئيس المجمع العلمي العربي وأعضاؤه من الجهود لوضع أسس متينة تشمخ عليها دعائم هذا البناء القائم على مجد الذكاء السوري . ومن المحال ايضاً إسداؤهم ما يستحقونه من الشكر الجزيل . فعلى الحكومة السورية التي من واجبها ان تفهم هذه الحقيقة ان تعمل عملاً مفيداً من تنشيط المشاريع النافعة بالمال كالمشروع الذي وقف نفسه على العمل فيه حضرة محمد كرد علي والتي عليها تتوقف حياة الاجيال القادمة في الآداب » .

وقال العلاّمة السيد ماكدونالد من جامعة اميركا بمناسبة اطراد صدور مجلة المجمع العلمي خلال الثورة الاخيرة : « لقد أحييتم سنة الجمعية الآسياوية البارزية ايام كانت تثابر على إصدار مجلتها وباريز محصورة » .

وقال العلاّمة الامير شكيب أرسلان : « ان بناية المجمع المعنوية كالمادية متينة ركينة بحيث تثبت على كل هذه النوازل ولم تبال بكل هذه العواصف وهي تعصف من فوقها ومن تحتها » .

وقالت جريدة المقطم بمناسبة المجمع المئوي انشاؤه : قابل المشتغلون بالكتابة والخطابة والتأليف والترجمة الخبر الذي نشرناه عن مشروع المجمع اللغوي بارتياح شديد وأمل يتخلله شيء من الشك فقد اتجهت القوى والنيات غير مرة الى انشاء هذا المجمع اللغوي وأنشئ مثله فعلاً في القاهرة ولكنه لم يكن طويل العمر وسبق ان أسس مجمع علمي في بيروت في أوائل النهضة العلمية الحديثة في سورية ثم أهمل امره بعد عمل نافع مذكور ولم يعش من هذه الهيئات سوى مجمع دمشق وقد أسدى الى اللغة وتاريخ الشرق وعلومه خدمات جليلة يعرفها جميع الذين يطالعون مجلته النفيسة او يعرفون رئيسه واعضاءه المجتهدين اه .

الكلمات غير القاموسية (١)

موضوع اقتراحي ايها السادة هو استمالة نظركم الى العناية بالكلمات (غير القاموسية) وأعني بالكلمات غير القاموسية كلمات نستنكف من ايداعها قواميسنا العربية · لكننا مع هذا لا نستنكف من التكلم بها وايداعها كتاباتنا أحياناً · وقد أصبحنا معشر العرب مع معاجم لغتنا تجاه امر واقع غريب الشكل ذلك اننا نرى الوفاً من الكلمات العربية الحوشية المهجورة الاستعمال قد تبوأت من قواميسنا الصدر والمحراب · والوفاً من الكلمات الدخيلة التي ألفتها الاسماع والتي نرى أنفسنا مضطرين الى استعمالها قد حرمت دخول المعاجم وطرحت وراء الأبواب ·

وهذا على خلاف ما عليه الحال في لغات الامم الراقية : فان معاجمها اليوم تتضمن من الكلمات القديم والحديث الاصيل والدخيل · وميزان التفاضل بينهما انما هو استعمال البلغاء لها لا لكونها اصيلة او دخيلة : فاذا تصفحت معجم لاروس مثلاً وجدت فيه ازاء الالفاظ الافرنسية المحضة ألفاظاً أخرى من لغات مختلفة · فتجد من اللغة العربية مثلاً كلمات (Mesquine) « مسكين » (Felouque) «فُلك» (Marabout) « مرابط » (شيخ صوفي) (Bled) « بلد » (Cable) « حبل » (Sirop) « شراب » (Hourie) «حورية» (Mantille) «منديل» (Jarre) « جرة» في نظير ذلك من الكلمات العربية التي يحلونها المحل الارفع من معاجمهم و يزينون بها خطبهم وكتاباتهم · ولا يخفى على حضراتكم ايها السادة ان الكلمات الدخيلة التي سميناها (غير القاموسية) تبقى مرذولة سيئة السمعة ما دامت لا تذكر في معاجمنا العربية · وما دام كتابنا المجيدون يأنفون من استعمالها خشية ان ينسب اليهم قصور او توصم كتاباتهم بلوثة العجمة · وكل ما أريده الآن من أفاضلنا ان لا ينظروا الى الكلمات (غير القاموسية) نظرة ازدراء ، ولا يحرموا استعمالها على السواء ، بل أقترح عليهم

(١) هو اقتراح في ترقية اللغة كان الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع تلاه في احدى جلساته وقد أرسلت نسخ منه الى بعض الاعضاء فأجابوا عليه وسننشر أجوبتهم تباعاً في المجلة ·

ان يصنّفوها ، ثم يميزوا بين أصنافها، فصنف منها يعلن مجمعنا العلمي الفتوى بجواز استعماله بل بلزوم ذكره في معاجمنا اللغوية الحديثة ايضاً ، وصنف منها يعلن عدم جواز استعماله اصلاً ثم يبين السبب في الامرين الجواز وعدم الجواز .

وها انا ذا منذ الساعة أصنف هذه الكلمات تصنيفاً اوليًا بدرك الذهن منه ما هي الكلمات (غير القاموسية) التي ينبغي استعمالها . وما هي الكلمات التي يجب اطراحها واهمالها .

(الصنف الاول) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية محة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتج بأقوالهم مثل فعل (تبدى) بمعنى ظهر لم تذكره المعاجم بهذا المعنى وانما ذكرته بمعنى (سكن البادية) لكنه ورد في بيت شعر لعمرو بن معدي كرب من قصيدته الدالية المذكورة في ديوان الحماسة والبيت هو قوله :

(وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى)

فما رأيكم ايها السادة في هذه الكلمة (غير القاموسية) ؟ هل يجوز لنا اهمالها بعد أن جاءت في شعر هذا العربي الصميم ؟ لكن لما ذا لم تذكرها المعاجم ؟ هذا شيء آخر لا يتسع الوقت للبحث فيه . ولا أظن ان زملائي أعضاء المجمع العلمي يخالفونني في وجوب الاسراع الى اعلان الفتوى بجواز استعمال كلمة (تبدى) وما أشبهها .

(الصنف الثاني) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية خالصة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج بأقوالهم : وهذا كفعل (أقص) الخبر رباعياً بمعنى (قصه) ثلاثياً لم تذكره المعاجم لكنه جاء في كلام الامام الطبري المشهور ببلاغة عبارته اذ قال في تاريخه (جزء ٢ ص ١٨٤) من الطبعة الاوربية — (فأتيته فأقصصت قصته) .

وأظن ان السادة أعضاء المجمع يوافقونني ايضاً على اعطاء الفتوى بجواز استعمال هذا الصنف من الكلمات (غير القاموسية) . ويمكن ان نعد من هذا النوع اقرار العلامة اليازجي لكلمة (تخيم) مع ان علماء اللغة لم يذكروا الا (تخم) واستعمال الامام الشيخ محمد عبده لكلمة (صدفة) في خطبة شرحه لنهج البلاغة مكان كلمة (مصادفة) .

(الصنف الثالث) كلمات عربية المادة ومع هذا لا يعرفها العرب او يعرفونها في

ممان أخر · وهي كلمات اصطلاحية فنية او إدارية كقولهم (هيأة المحكمة) (تشكيل المحاكم) (انعقدت الجلسة) (تعريفة الرسوم) (ميزانية) (كمية) (كيفية) في نظير ذلك · وهذه الكلمات (غير القاموسية) ارجو من رفقائي أعضاء المجمع ان يجوزوا استعمالها ولا سيما انها كلمات اصطلاحية كما قلنا · ولكل قوم اصطلاحهم ·

(الصنف الرابع) كلمات عربية المادة ولدها المتأخرون من اهل الامصار الاسلامية لا يعرفها العرب الاولون · ولم ينطق بها الفحول المقرمون · مثل فعل (خابره) بمعنى راسله · وفعل (تفرج) على الشيء (واحتار) في امره (وتنزه) في البستان وهكذا · وانا اعترف بانني سألقى صعوبة في حمل زملائي أعضاء المجمع العلمي على اعطاء فتوى بجواز استعمال هذا الضرب من الكلمات (غير القاموسية) ·

(الصنف الخامس) كلمات دخيلة أعجمية الاصل منها ماهو ثقيل على اللسان نحو (اوتوموبيل) (بيرصونالیته) ومنها ما هو خفيف في السمع مثل (فلم) (بالون) وانا على يقين ان اعضاء المجمع لا يجوزون استعمال كلا القسمين الثقيل والخفيف · وانما هم يوجبون العدول عنها الى كلمات عربية تقوم مقامها او تعريبها بكلمات ذات صيغة عربية كما قالوا مناورة في تعريب (Manœuvre) وانا أوافقهم في الكلمات الثقيلة · اما الخفيفة مثل (فلم و بالون) فأرتاح الى القول بجواز استعمالها كما هي ·

(الصنف السادس) أساليب او تراكيب أعجمية تسربت الى لغتنا مترجمة عن اللغات الاوربية وهي مما لا يعرفه العرب الاقدمون وهذا كقولهم : (ذر الرماد في العيون) (عاش ستة عشر ربيعاً) (وضع المسألة على بساط البحث) (لا جديد تحت الشمس) (ساد الامن في البلاد) في نظير ذلك وكل هذا مما استفاض بيننا وتعاورته أقلامنا ولا أظن ان احداً ينازع في جواز استعماله اللهم الا الذين أصيبوا بالوسواس اللغوي ·

(الصنف السابع) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية لا يستعملها احد من الفصحاء بل يتحاشون النطق بها لعمري وهو ما نسميه (العامي) وهذا كثير لا يجهله احد مثل كلمة (بدي) اذهب · (جيب) الكتاب · (لحشه) على الارض · (تعربش) على الشجرة · (تحركش) بفلان · الى غير ذلك وهذا لا يجوز استعماله

بالطبع بل يجب العمل على تقليص ظله من بيننا تدريجاً وتعويد أبنائنا استعمال غيره من الفصيح الذي يصلح ان يقوم مقامه ·

هذا ما خطر لي أيها السادة في تصنيف الكلمات (غير القاموسية) ويمكن تصور أصناف أخرى غيرها اذ ليس القصد من هذا الاقتراح الاستقصاء وبلوغ الغاية وانما القصد الاشارة والتلميح الى ما يجب على مجمعنا العلمي عمله من التسامح واعطاء الفتوى في الكلمات التي عمت بها البلوى ·

المغربي

* * *

جواب الرصافي

« على الاقتراح »

اذا رأيت أمة لا يرغب ابناؤها في اقتناء معجم لغوي مر على وضعه وطبعه بضع سنين فاعلم ان لتلك الامة لغة حية ·

خذ بيد من لقيت وانت ماش في شارع المدينة ثم ادخل به في سفينة بخارية او قف به أمام قاطرة او سيارة او طيارة او نحو ذلك من محدثات العصر وسله عما دق وجل في هذه المحدثات من آلات وهنات فان اجابك باسم كل مسمى سألته عنه فاعلم ان ذلك الرجل انما يتكلم بلغة حية ·

اما نحن فنحن هذا عاجزون ترانا نرجع في معرفة اللغة الى معاجم مرت على وضعها وطبعها القرون كأن اللغة عندنا شيء لا يتغير وكأنها ليست من صفات الحي الناطق تابعة له في تطوره بتأثير الزمان والمكان ومرتقية معه بعوامل العلم والعرفان ·

نحن اليوم لو جئنا أعلم رجال بالعربية فسألناه عما حصل في العلوم والفنون العصرية من مصطلحات وما جد فيها من آلات وأدوات وما رتب للتجارب فيها من مختبرات لوجدناه شبه الاعجم لا يحير جواباً ·

فلغتنا الفصحى اذن ليست بلغة علم وليست بلغة حية · وما حياة اللغة الا بنموها وتطورها باطوار المتكلمين بها ·

فان أردنا ان نجعلها لغة حية فلا بد من ان نتوسع فيها الى اكثر مما يدعونا اليه الاستاذ المغربي · وذلك بان نجعل الاشتقاق فيها قياسياً وان نفتح باب التعريب — الذي سد في وجوهنا كما سد باب الاجتهاد في الدين — على مصراعيه و بأن نفهم ان مفردات اللغة انما تتقرر باستعمال العامة اللهم الا مصطلحات العلوم والفنون فانها تتقرر بوضع الخاصة واستعمالهم اياها · فيجب اذن ان ندخل في معاجمنا كل ما وقع به التفاهم بين العامة من الكلمات الاجنبية التي لا نجد ما يقابلها في الفصحى فنثبتها في المعاجم كما تكلمت بها العامة او بعد شيء من الصقل والتحوير والا أصبحت لغتنا جامدة جمود عقولنا في الامور الدينية ·

وها انا ذا أتعقب كلاً من الاصناف السبعة التي ذكرها الاستاذ المغربي بما يتضح منه رأيي فيها فأقول :

(الصنف الاول) — من التعصب الاعمى التردد في جواز استعمال (تبدى) بمعنى بدا بعد ورودها في شعر ابن معدي كرب · حتى اننا لو فرضنا ان هذا الشعر مصنوع لما جاز ان نتردد في استعمالها جرياً على قواعد الاشتقاق الذي هو قياسي كما قلت آنفاً · فكيف وقد وردت في شعر عمرو · اما منع استعمالها بحجة انها لم تذكر في معاجم اللغة فليعذرني الاخوان اذا قلت انه من السخافة بمكان · او ليس من السخافة ان يدعي مدع ان معاجمنا اللغوية قد حوت كل ما تكلمت به العرب وانها لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من كلامهم الا ذكرتها · فهذا الصنف على ما اري لا حاجة فيه الى الافتاء والاستفتاء بل نستعمله ولو كره الجامدون ·

(الصنف الثاني) — أوافق الاستاذ على جواز استعمال هذا الصنف من الكلمات بلا تردد لان القياس لا يأباه ولان اللغة تتقرر كما قلت آنفاً باستعمال العامة فكيف وقد استعملتها الخاصة كالطبري واليازجي والشيخ محمد عبده ·

(الصنف الثالث) — ان الذي يمنع جواز استعمال هذا الصنف من الكلمات والتراكيب عليه ان يمنع اولاً جميع المصطلحات التي اصطلح عليها علماء المسلمين قديماً في المعقول والمنقول من العلوم التي تكونت في ابان النهضة العلمية الاسلامية · وحينئذ نرجع بلغتنا الى عهد امرىء القيس فلا نتكلم الا بلغته · لا ريب ان الكلمات التي هي من

هذا الصنف انما أوجدتها الحاجة اليها الحاصلة من تقدم الامة في العلم وتطورها في السياسة والادارة وغير ذلك من وجوه الحياة الاجتماعية فعلى القائل بمنعها ان يأتينا بما يؤدي معناها من لغة امرئ القيس ثم يقول بمنعها ·

(الصنف الرابع) — لا يا أيها الاستاذ المغربي انك لا تلقى صعوبة في موافقة زملائك على استعمال هذا الصنف من الكلمات لانهم مضطرون الى استعمالها ان شاؤوا وان لم يشاؤوا ، ولان القياس معك · وما أدري لما ذا لم نشتق من الخبر مخابرة · ثم ان العرب قالت تفرج الغم بمعنى تكشف فنحن كما نستعمل تفرج بهذا المعنى لنا ان نولد منه معنى آخر مأخوذاً من المعنى الاول فنقول تفرجت على كذا بمعنى نظرت اليه لينكشف بالنظر اليه غمي فيكون في الكلام ضرب من المجاز · ذلك لان العامة انما يقصدون في الغالب بالتفرج على امر من الامور دفع الغم وترويح النفس لان التفرج عندهم لا يكون الا على امر غريب يسر الناظرين ولو من بعض الوجوه · وكذا القول في تنزه في البستان واحتار في امره وقد استعمل هذه الاخيرة في شعره الشيخ عبد الغني النابلسي اذ قال :

(حكم حارت البرية فيها وحقيق بانها تحتار)

وكذا ابن عابدين في تسمية كتابه « رد المحتار على الدر المختار » وكلاهما من الخواص والقياس يجيز لنا اشتقاق احتار من حار ·

(الصنف الخامس) — نحن أمام سيل جارف من هذه الكلمات الاجنبية لا يرد تياره تعصبنا للغة · ثم نحن في أشد الحاجة اليها اذ هي على مجرى حياتنا اليومية فليس من الممكن ان نحيد عنها او ان نتجنبها مهما اردنا ذلك · فالصواب هو كما قلت سابقاً ان نفتح باب التعريب على مصراعيه وان نأخذ منها ما تقرر باستعمال العامة اياه بعد صقله وتحويره ان كان فيه شيء من التنافر او الثقل او الخشونة بالنسبة الى لهجتنا العربية ·

وما أدري لما ذا نتحاشى التعريب الذي جرى عليه أسلافنا الاولون متجاوزين فيه مقدار الحاجة · ومن المعلوم ان التعريب لا يشترط فيه كون المعرب ليس له ما يقابله في العربية لان العرب قد اخذوا من لغات الاعاجم كثيراً من الاسماء التي هم

في مندوحة من تعريبها بوجود ما يقابلها في لغتهم بل ان بعض معرباتهم أماتت ما يقابلها من الكلمات الكائنة في لغتهم واستبدت بالاستعمال في اللغة العربية .

(الصنف السادس) — هذا الصنف من أغرب ما رأيته في اقتراح الاستاذ المغربي ولقد وقفت تجاهه متحيراً لم أدر ما ذا أقول . هب مفردات اللغة موقوفة على السماع ولكن من ذا الذي قال وادعى ان التراكيب بما فيها من تشبيه واستعارة ومن مجاز وكناية موقوفة ايضاً على السماع من العرب الاولين هذا لعمرك ما لم اسمعه قبل اليوم . لماذا لا اقول (ذر الرماد في العيون) كناية عن التعمية والاخفاء ؟ ! التركيب عربي محض جار على ما تقتضيه قواعد اللغة . ومفردات هذا التركيب عربية ايضاً فلما ذا لا انطق بهذه الجملة ألان العرب الاولين لم ينطقوا بها . سبحان الله أيخط بنا الجمود الى هذا الدرك ؟ ! . لماذا لا اذكر الربيع وأريد به السنة كلها ؟ ومن الذي حظر عليّ استعمال هذا المجاز الشايع في كلام العرب من ذكر الجزء وارادة الكل؟ لا احب ان اطيل الكلام في هذا فانه من العبث .

(الصنف السابع) — ان الكلام على هذا الصنف من التراكيب العامية لم يحن حينه بعد فلذا امر به ساكتاً بلا جواب سوى انني اقول ان هذه المسألة (أعني مسألة اللغة العامية) من أهم مسائلنا الحاضرة فيجب ان ننظر فيها نظراً دقيقاً وان ندرسها درساً متقناً حتى نميز فيها الحق من الباطل والا فالبت في تركها والاعراض عنها لا يكون في شيء من الصواب على ما ارى . وربما كتبت رسالة خاصة في هذه المسألة ان ساعدني الوقت .

***

جواب السيد احمد امين

« على الاقتراح المذكور »

حضرة الفاضل سلام عليكم ورحمة الله :

سألتني رأيي باختصار في موقفنا بازاء القواميس وبعبارة أخرى في الكلمات غير القاموسية وفي الاصناف التي وضعتموها لها .

فأقول : مذهبي ان اللغة ملك لنا ولسنا ملكاً للغة والامة التي ترفض ان تكون

عبداً الا لله ترفض ان تكون عبداً للغة واذا لم تستعبدنا اللغة لم تستعبدنا القواميس بالاولى . ولكن هل نسمح بدخول كل كلمة خارج القاموس . لا : ان لنا الحق ان نخرج كلمات دخلت فيه وهي الكلمات التي ماتت من طول هجرها . ولنا الحق ان ندخل كلمات خرجت عنها بعد الاختبار والتمحيص والصقل متى احتجنا الى ذلك .

فلغتنا قاصرة في نوعين : النوع الاول نوع من المعنويات وضعت لها الامم الاخرى كلمات وذلك ككلمة (Conception, perception, Idéal) وكل الكلمات التي وضعت في علم النفس والاخلاق والاجتماع .

ورأيي في هذا النوع الا نسمح بدخول الكلمات الافرنجية وان سهل النطق بها بل نختار لها كلمات عربية الاصل ونضعها لهذه المعاني متى كانت معانيها الاولى قريبة من المصطلحات الجديدة وندخل المعاني الجديدة في القواميس .

والنوع الثاني الماديات كأتوموبيل وفونوغراف وهذه ان لم نجد لها كلمة عربية قريبة نستعمل الكلمات الافرنجية بعد صقلها — لا فرق عندي في ذلك بين ان تكون الكلمة في الاصل ثقيلة على اللسان اوخفيفة متى كان لنا الحق في تخفيف الثقيل . . هؤلاء عامتنا استثقلوا كلمة سيناتوغراف فسموها (سيما) وكذلك يفعلون في كثير من الكلمات .

فلنترك الحرية للمؤتمر في كل ذلك يختار منها طبقاً للقواعد المعمول بها في الامم الاخرى ولعله يمكن معرفة الرأي بعد هذه القاعدة في كل صنف من الاصناف السبعة فاما اذا أريد جواب على كل صنف فانا ارى الصنف الاول — يجب ان يدخل منه في القاموس ما نحن في حاجة اليه فقط .

(٢) والثاني كذلك .

(٣) جواز إدخالها في القواميس كذلك .

(٤) لا حاجة الى إدخال هذا الصنف متى كانت اللغة العربية في الاصل غنية بالكلمات التي تؤدي هذا المعنى فاذا لم يكن فيها ما يؤدي اخذناه وادخلناه .

(٥) الصنف الخامس أبنت رأيي فيه قبل بوضوح .

(٦) أوافق كل الموافقة على إدخاله .

(٧) أنواع فمنه كلمات عامية على الوزان العربي اصلها قد أخذ من لغات أخرى

او حرّف عن لغات أخرى مثل (جزمة) و (عربة) وهذه وأمثالها يصح ان يأخذ منها المجمع ما يراه مناسباً — ومنه كلمات ليست على الطريقة العربية ولا تعرف العرب طريقته مثل (ما عليهش) ونحوها وهذه ترفض رفضاً باتاً ٠

وعلى العموم فرأيي ان تنويع الكلمات وتصنيفها ليس فيه كبير فائدة فليترك الباب مفتوحاً أمام المجمع على مصراعيه ليختار انما مايجب ان يعنى به كل العناية المسائل الآتية :

(١) هل المجمع له سلطة وحرية في وضع كلمات غير قاموسية او لا ٠

(٢) ما القواعد التي يتبعها المجمع في وضع الكلمات اذا كانت له الحرية ٠

(٣) كيف تتصل الهيئات العلمية في الامم العربية حتى تضع بالاشتراك كلمات تستعمل بالاتحاد لا ان كل أمة تستعمل اصطلاحاً خاصاً بل ان الامة الواحدة قد تستعمل مدارسها اصطلاحات مختلفة ٠

(٤) ما هي السلطة التي يتخذها المجمع المشترك وكيف ينالها حتى تنشر قراراته في الجرائد الرسمية للحكومة ويخضع لها الافراد والهيئات العلمية ٠

هذه هي المسائل التي يجب بحثها والبت فيها حتى يتم امر القواميس واذا أثيرت بعثت لحضرتكم برأيي فيها والسلام عليكم ورحمة الله ٠

الادب في البحرين

« في فاتحة القرن الحادي عشر »

[شاعر الخط]

« ابو البحر جعفر بن محمد الخطي العبدي المتوفى سنة ١٠٢٨ هجرية »

(ديوانه) — مخطوط على ورق صقيل ضارب الى الصفرة بخط النسخ الواضح ، يشتمل على ٢١٦ صفحة ، و يظهر من صفحة عنوانه انه انتقل بالشراء الشرعي الى خمسة رجال ، وأقدم تاريخ عليه سنة ١١٣٤ رقم تحت صيغة هبة الديوان وهي بنصها :

« بعد الحمد والصلوة لاهليها ، فقد وهبني هذا الديوان الجامع لانواع البلاغة والفصاحة ، الحاوي لمستطرف البراعة والملاحة ، من نتائج أبكار أفكار البحر الزاخر ، والحبر الساحر ، الاديب البارع ، الاريب الساطع ، ابو البحر جعفر بن محمد بن حسن ابن علي الخطي البحراني ؛ تغمده الله بغفرانه ، وأحله دار الكرامة بفضله وسلطانه ، هبةً صحيحةً شرعية ، الشيخ العالم الرباني عمي الشيخ احمد بن جار الله الصّبري (١) مد ظله السامي وكتب هذه الحروف محمد بن صالح بن جار الله عفي عنهم ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١٣٤ والحمد لله اولاً وآخراً » .

والنسخة الاولى من هذا الديوان كانت قد كتبت برسم السيد الشريف جعفر ابن عبد الجبار بن حسين العلوي الموسوي لما بينه والشاعر المترجم من الالفة والاختصاص ، والمودة والاخلاص كما تدل على ذلك الصفحة ٦٤ من النسخة المهداة الى دار الكتب الظاهرية ، ولعل واضع مقدمة الديوان وناسخه هو صديق ابي البحر الحسن بن محمد الغنوي الهذلي من شعراء القرن الحادي عشر ، وهو الذي تولى في اصبهان إنشاد قصيدة شاعر الخط التي عارض بها رائية البهاء العاملي المشهورة ، وليس في فاتحة الديوان ولا خاتمته ما يدل على اسم الناسخ الاخير .

(١) من اهل مدينة الجزائر بين البصرة والمنتفق في بطائح الفرات نسبة الى الصباس وهي قبيلة تقطن الجزائر وحيٌّ من أحياء البصرة .

واما المقدمة فأولها : اما بعد حمداً لله الذي جعل الحمد قيداً لاوابد النعم ، وزماماً لشوارد القِسَم ، ومِجَنّاً عن عوارض النقم ، الى ان قال بعد اتمام الحمدلة والصلوة ، معرباً عن رأيه في الشعر مما نصه : فان الشعر مستبَق فرسان البراعة ، ومناضل رماة الاغراض من اولي البلاغة ، بميدان رهانه تركض الخيل العراب ، واياه ينتجع علم الاعراب ، واليه يفزع تأويل السنة والكتاب لم تزل الجاهلية يجيلون فيه أقداح المفاضلة ، و ينثرون(١) من كنانته سهام المناضلة ، وان في تعليقهم السبع حيث تعلق أربابهم ، ونصبُهم لها حيث توضع أنصابهم ، واجتماعهم بعكاظ يرون فيه أخلاف المباراة ، و يبرون له سهام المباراة ، لشاهداً على علوهم فيه معدّلا ، وقاضياً بعلوه عندهم مسجلا ، ولما جاء الاسلام لم يستحل دمه ، ولم ينتهك حُرُمه ، على انه شديد الحرص على نقض مرائرهم المستمرة ، وافر لرغبة في هدم قواعدهم المستقرة ، وناهيك باعداده صلى الله عليه حسان لذلك شاهد صدق انه في الاسلام غير وعر المسالك ، ولا مهجور الجوانب هنالك ، ولقد كان في ايام الدولتين ، وابان الخلافتين ، معروف المراسم ، مشهود المواسم ، يستنزل به جود الجود ، ويستمطر بيمنه في السنة الجمود ، و يسترسب به كل من خفّت حصاته ، ويستكف به عادية من ترهب شدّاته ، الى ان قال : و يناط به على المرعّث رعاث الاماني و يهنأ به الحسن بن هاني ، و يومى به اوس المجيد وتلذ الرغائب بيد الوليد ، وينحل به ابو الطيب أطايب المزيد ، ثم طارت بتلك النضارة عنقاء مغرب ، ورُمي بعدهم باللكنة المُلسِن المعرب ، وهدأت بعدهم فورة المهدر المشقشق ، وأغار فيلق الزمان على الشاعر المفلق ، وأسلمه الدهر الى قوم لا يعشون الى قبس ساطع ، ولا يعضون على الادب بضرس قاطع ، والممت برحم الادب معهم اجنب ، وذو الفضل مهجور الجوانب متجنب ، والعالم كأنه مطلي به القار اجرب ، حشو أذهانهم السكر ، وملء آذانهم الوقر ، قد أجاءهم سوء بلاء الطبع ورثاثته ، الى تفضيل قدم الزمان على حداثته ، وهل يدخل في حيز الامور الممكنة ، ان تتفاضل الرجال بالازمنة ، وهل يعلو السهى على سهيل ، ببروزه في أوائل الليل ، ام هل يسمو الغثاء وان جاء في

(١) لعل صوابه ينثلون وهو أكثر استعمالاً مع السهام .

مقاديم السيل ، وما زال الادب قوساً لا تعطى باريها ، وزنداً لا تجد موريها ، حتى تلافى الله ذماء الباقي ، واستنقذ روحه وقد بلغت التراقي ، بيمن الاديب الذي جمع بين نجابة العرق ودماثة الخلق ، في الدوحة من ربيعة عروقه تنتشب ، والى الجرثومة من عبدالقيس اصوله تنتسب ، ترجمان العرب ، قهرمان الادب ، ابي البحر شرف الدين جعفر بن محمد بن حسن بن علي بن ناصر بن عبد ، الامام الشهير بالخطي العبدي احد بني عبد القيس بن شمس بن قصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان ، فانه المستولي على أقاصيه ، والآخذ باقدامه ونواصيه ، والقائد لطيّعه وعاصيه ، والمنتقد لجيده ورديّه ، والعارف بصريحه ودعيّه ، وهو المفتلذ انامي عيونه ، والمهتصر أفنان فنونه ، ان شبّب فالخليُّ شجيٌّ ، وان عزّى فالداني الرحم قصيٌّ ، وان ندب فالقصيُّ الرحم دنيٌّ ، وان ادلى بالمعذرة سل السخيمة ، وامتص الضغائن القديمة ، فسيّان عند تغزله العزهاة والغزِل ، ومثلان عند اعزائه المقدام والفشِل ، وعلى الجملة فكل ضرب من الشعر مضروب بسكّته ، وكل صنف من النظم مجذوب بمسكته ، قرض الشعر وأنّفه مرتباً له حسب تلاحقه في الاسنان ، فوفق اطراده في العمر ككعوب السنان ، ليعلم الماهر المتوسم ، والناظر المترسم كيف كان تدرجه من الفتاءة الى الكهولة ، ومن ابان الفضاضة الى الفحولة . ختم الله لنا وله بالحسنى ، ورزقنا واياه من حسن العاقبة بالحظ الاسنى اه .

وانما أوردت ترجمة مقدمة الديوان لدلالتها على مرتبة الانشاء وأسلوبه في البحرين في عهد المترجم وهو عهد انحطاط الآداب في العالم العربي . وقد شعر به واضع المقدمة وأبدى رأيه فيه ، ولان هذه الترجمة على الظن الغالب لم تطلق بالطبع من قيد الخط . والا فان ترجمته مذكورة في سلافة العصر من محاسن اهل العصر وفي خلاصة الاثر ونفحة الريحانة الموجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق ولا يستفيد الباحث من هذه التراجم شيئاً جديداً سوى الملل من قراءة السجع الفاتر الذي تعلموه في المدرسة الحريرية ، او الوصف الجاف المنطبق على كل موصوف وقد جاء في الخلاصة ان البهاء العاملي قرظ لشاعر الخط قصيدته التي عارض بها رائيته الموسومة بروح الجنان في مدح صاحب الزمان وهي منشورة في الكشكول وغيره ومطلعها :

يسري البرق من نجد فهيّج تذكاري عهوداً بحزوى والعـذيب وذي قارِ

ولم يرد في الخلاصة ولا غيرها شيء من هذا التقريظ ولذا رأيت مما يحسن ان أنشر منه هذه النبذة : « ايم الله أني كلما سرحت بريد نظري في رياض قصيدتك الغراء ، ورويت رائد فكري من حياض خريدتك العذراء ، زاد بها ولعي وغرامي ، واشتد اليها ولهي وهيامي فكأنما عناها من قال :

قصيـدتك الغراء يا فرد دهره تنوب عن الماء الزلال لمن يظما

فتروى متى نروي بدائع لفظهـا ونظما اذا لم نرو يوماً لهـا نظما

ولعمري لا اراك الا آخذاً فيها بأزمّة أوابد الالسن ، تقودها حيث أردت ، وتوردها أنى شئت وارتدت ، حتى كأن الالفـاظ تتحاسد على التسابق الى لسانك ، والمعاني تتغاير على الانثيال على جنانك والسلام » . لم نعثر على سنة ولادة الشاعر واما سنة وفاته فقد ذكرها صاحب السلافة وهي ١٠٢٨ هجرية واقدم قصيدة له في ديوانه في الغزل وهو اول ما يجري الفتى جواده في حلبته نظمها في صباه سنة ٩٩٩ وسائر شعره بعد الالف فتكون مدة نظمه نحواً من ثلاثين عاماً ، واذا قدرنا صباه بما بين الخامسة عشرة والعشرين فيكون عمره بين الخامسة والاربعين والخمسين .

وبما ان فارس منتجع أدباء الشيعة وعلمائها كما كانت فروق مستراد رجالـ العلم والادب من فريق السنة رحل اليهـا الشاعر رحلة البهاء العاملي وذلك سنة ١٠١٦ وقطن بها حيناً من الدهر وفيها كانت وفاته كما يظهر من عبـارة السلافة : « وكان قد دخل الدار العجمية فقطن منها بفارس ولم يزل بها وهو لرياض الأدب جانـ وغارس ، حتى اختطفته ايدي المنون » . ولعله توفي في شيراز لانه أرسل منها سنة وفاته ١٠٢٨ قصيدة الى الشيخ احمد بن عبـد السلام البحراني ، ويظهر من الديوان ان له ابناً اسمه حسان وكنيته ابو الفرج أرسل لابيه كتاباً صدّره ببيتين من نظمه فسرّ بذلك ابوه السرور كله وأجابه بابيات متجّمة قائلاً ما معنـاه ان الهلال يصير بدراً كاملاً ، والخطي المترجم كان كسائر علماء العرب الالبـاء والمنصفين من إخواننا الشيعة شيعياً بلا رفض لقوله رحمه الله في وصف الحشيشة الخضراء جرياً — كما ذكر صديقه الغنوي — على أسلوب الامراء المنهمكين في تعاطيها والا فان المسموع عنه

انه لو حلّت لعافها تنزهاً وتركها ابقاء على الشيمة من ملابسة ما يخون العقل و يقدح في المروءة ·

فان قال فيها الناس ما لم يقم به دليل ولم ينهض بصحته خبر

فدعهم فقد قال الخوارج في الفتى علي وقد قال الروافض في عمر

(مقياس شعر العرب) ·— قال النقادة الكبير علي بن عبد العزيز الجرجاني في وساطته « وكانت العرب انما تُفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فاصاب. وشبه فقارب وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض » · فاذا ما حذونا شعر ابي البحر الخطي على هذا المقياس رأينا انه يحاول تجويده وانه حسنه بشرف المعنى غير خلاّب والشعر لا تصغي اليه الافئدة ان كان حسنه وسطاً ولم يبلغ الدرجة العليا كحسن الموسيقي وحسن التصوير وحسن الخطابة وحسن الوجوه ، واما وصفه فقد أحسن بالجملة في بعضه وكان في بعضه الآخر ظالماً لم يدرك شأو الضليع من الشعراء فقد وصف شيراز بوصف عام ينطبق على كل بلدة منعّم اهلها فهو كالمصور الذي لا يصوّر بلدة خاصة بل منظر مدينة او قرية رائعة بشجرها ونهرها فتكون الواحد من جملة التزاويق زينةً للجدران واليك ما قاله بشيرازه :

ان شيراز بلدة لا يكاد الوصف يأتي وان تناهى عليها

ليس ندري سكانها أسرور النفس يأتي من خلفها ام لديها

لو رآها امرؤ وأدخل عدنا سأل الله ان يرد اليها

وممن عاصره من شعراء البحرين المجيدين الشريف العلامة ماجد بن هاشم الحسيني صديق ابي البحر وعشيره فكانا يتجاريان في الشعر فيفضل هذا صاحبه مرة وهذا مرة فما شأى ابو البحر به الشريف وصف البدر اذ كان سامراً عنده وطلع البدر فقال ابو البحر بديهةً :

خذه اليك كصفحة المرآة بدراً يكشف حالك الظلمات

فأجازه الشريف قائلاً :

وكأنه وجه المليحة حسّرت عنه ذوائب فرعها الفحمات
وكأنه والشهب محدقة به ملك اطاف به الجنود ثبات

فقال ابو البحر :

وكأنه الدينار بثت حوله بيض الدراهم غير مجتمعات
وكأنه والنقص يأخذ بعضه قرص اللجين مثلّم الجنبات
وكأنه والمحو في أرجائه وجه الفتاة مجدّر الصفحات

فان ابا البحر يكاد بهذا الوصف المصور يضع البدر امام عينيك ، فتهم ان تلمسه بيديك ، ولم يلحق ابو البحر الشريف في وصف امرأة جميلة تتلو القرآن قال الشريف :

من عذيري من غادة فتنتني وهي تتلو جزءاً من القرآن
بلسان يدعو الى طاعة الله ووجه يدعو الى الشيطان

وكأن ابا البحر عجز هنا عن مجاراته في هذا المعنى فقال لصاحبه وهو يجاريه دعنا نقصر ذلك على الصوت لهجة ومعنى وقال :

وقارئ يوقر الاسماع منطقه اذا تلا جرّع اللذات والغصصا
اذا أطاع لمعنى ما يفوه به قلب ، أهاب به ألحانه فعصى

فأجازه الشريف منشداً :

وتال لآي الذكر قد وقفت بنا قراءته بين الضلالة والرشد
بلفظ يسوق المتقين الى الخنا ومعنى يسوق الفاسقين الى الزهد

والفتوي الذي مر ذكره من أدباء البحرين في هذا العصر المولعين بشعر ابي البحر ويكاد يكون راويته اتصلت به هذه المجاراة فقال يجاريهما ببيتين يدلان على منزلته في الادب ومرتبته في نظم الشعر وهما :

وقار يحط العصم من شعفاتها يزيد على حسن التلاوة حسنه
تقسم قلبي حين غرد تاليا فللرشد معناه وللغيّ لحنه

وسلك ابو البحر في كثير من أبيات وصفه سبيل التشابيه المألوفة في عهد انحطاط البيان والمستبشعة بتصورها كقوله في وصف وزير البحرين :

اسد الفتك ، اجدل الخطف ذئب الـ ـمكر فهد الوثوب كبش النطاح

وبه يخال الانسان ان الوزير جنينة حيوان ، ومنه قوله :

كأنما قـده قضيب وسود ألحاظه قواضب
تفعل أصداغه بقلبي أضعاف ما تفعل العقارب

ولكثرة مايذكر أمثال هؤلاء الشعراء من سهام الاهداب وقسي الحواجب والرماح والقواضب وسائر آلات العذاب الواصب اراد ان يصوّر احد ادباء الفرنجة الشعر العربي فما رأى أصدق من تصوير مسلحة جامعة لانواع الاسلحة القديمة ومن منا لا يذهب الى ان من المصائب ، ما تفعله بعجز البيت الاخير هذه العقارب ·

وقد أجاد في حائيته المشهورة وصف الراح ولو اراد مقطّراً كالعرق لطبّق المفصل لانطباق هذا الوصف على الكحل — الكحول — وهو :

مزجوها فقيـدوها فلو تـتـ ـرك صرفاً طارت بغير جناح

وقارب الاجادة في وصف دولاب القميميات وفي الكلاب وراء الارانب والسمكة الطائرة من البحر التي شقت وجنته اليمنى الى غير ذلك مما يطيل نفس القول استقصاؤه ·

(الباقي للاتي)

ابو قيس

عزالدين التنوخي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

والمجمع العلمي العربي ببغداد

البرازيليون(١) والسوريون

«اللغتان البرتقالية والعربية»

في مطالعتي ان نادي العلم والتاريخ في مدينة لندرا ارسل وفداً جديداً الى البرازيل مؤلفاً من خمسة من خيرة اعضائه ، على ان يقصدوا ولاية ماتوكروسكو ويتعمقوا في مجاهلها ، مفتشين عن آثار مدينة قديمة يقولون ان الفنيقيين بنوها حين استعمارهم تلك البلاد ، ويعزون اليها كل الاحلام التي دونها السندباد البحري في رحلاته .

ولهذه النظرية على غموضها البعيد وبعدها عن المعقول انصار متحمسون في انكلترا وفرنسا ، يعتقدون جد الاعتقاد ان الفنيقيين وصلوا البرازيل قديماً واستعمروا قسماً منها وتركوا فيه آثاراً تدل على مبلغ ماوصلوا اليه من الرقي والعمران . ولكن اولئك الانصار لا يذكرون التاريخ ولا المدة ، ولا يهملون ايضاً امر الاهتمام بهذه القضية للوقوف على الحقيقة بارسالهم الوفد تلو الآخر ، وخصوصاً بعد ان اختفت آثار البريطانيين الثلاثة الذين سافروا الى الولاية البرازيلية المذكورة في سنة ١٩٢٤ .

ولا غرابة في هذه النتيجة لان جانباً صغيراً من تلك الولاية مأهول ، والباقي مجاهل يستحيل الدخول اليها دون التعرض لأخطار هائلة كالأفاعي السامة والحيات الكبيرة ، وهذه اذا رأت حصاناً التفت على بطنه وحطمت عظامه . ناهيك بسوء المناخ في تلك البقعة النائية . اما الخطر الاكبر فهو وجود الهنود المتوحشين في تلك الارجاء ، وهم أقسام منهم من يستقبل المتمدن ويبقيه في حوزته على ان يقتله اذا حاول الهرب او الرجوع ، ومنهم القبائل التي تفترس لحوم الآدميين وغير الآدميين . ويظهر ان هذه القبائل هي التي افترست البعثة الاولى التي أشرنا اليها سابقاً . غير ان هذه الصعوبات والاخطار لا توهن عزائم بعض ابناء الامم المتمدنة الذين يستقبلون الموت باسمين مستشهدين ، في سبيل العلم والتاريخ .

ولا سبيل الى إقامة الشبه بين نظرية الانكليز والفرنسيين من حيث وصول

(١) محاضرة القاها في ردهة المجمع العلمي العربي يوم ١٨ تشرين الاول ١٩٢٧ الاستاذ السيد موسى كريّم من أساتذة الشاميين في البرازيل .

الفنيقيين الى تلك الاصقاع ، وبين حقيقة نفوذ العرب في البرتقال حين اجتاحوا الاندلس أريد بهذا ان تأثير عادات العرب وأخلاقهم في نفوس البرازيليين لا غبار عليه، لان البرتقاليين هم أجداد البرازيليين بلا اشكال . أضف الى ذلك تأثير اللسان العربي في اللغة البرتقالية ، اذ ليس في الارض لغة تقرب بتعابيرها ومترادفاتها وجملها وامثالها من اللغة العربية كاللسان الذي يتحدثون به في البرازيل والبرتقال .

ولا يسمح لي المجال لاطيل الكلام في هذا البحث سوى اني اؤكد ان خمسة آلاف كلمة عربية دخلت البرتقالية . وسوادها يبتدئ بأل التعريف ، ولا يزال على حاله باللفظ الفرنجي غير انهم حرفوا الحروف الحلقية التي تعذر عليهم لفظها ، وأبدلوها بحروف سهلة من لغتهم كابدال الخاء العربية بحرف (ف) الفرنجي كما ترى في كلمات الخياط Alfaiate والخس Alface والخرج Alforge والخرائب Alfarrabios والخنجر Alfange والبحيرة Albufeira والخنا Alfama وكلمات عديدة على هذا النمط استظهر منها خمسمائة على اقل تعديل .

واليك هذا الخبر الذي تلوته في احدى الصحف يتعلق باخبار الشرطة ومنه تدرك تأثير العربية في البرتقالية .

Debaixo de grande algazarra Foi o assassino algemado pelo alferes levando-o a presença do alcaid que o metteuno aljube

وترجمته : انهم أجموا القاتل بعد عربدة غزيرة ، بواسطة الفارس وقادوه الى حضرة القائد الذي طرحه في الجب . وانت ترى ان خبراً صغيراً كهذا يتضمن ست كلمات عربية هي غزارة والجم والفارس والقاتل والقائد والجب .

واليك فقرة أخرى :

Na alfandega entraram batatas e azeitonas detioradas tomando conhecimento do facto o senhor Pedro de Alcantara Mamede

ومعناها انه دخل دوائر المكس صندوق بطاطا وزيتون مهروء ، فسجل ذلك المدير السيد بدرو دي القنطرة محمد .

ويظهر ان طائفة من الادباء السوريين اهتموا للبحث في هذا الموضوع في الآونة

الاخيرة ، وراجت اشاعات غدت في حكم اليقين ان اثنين من صفوة المفكرين عازمان على إصدار مؤلف ضاف بهذا الشأن ، يذكران فيه الالفاظ الدخيلة على اللغة البرتغالية ويردانها الى اصلها العربي . ولا جدال في ان هذا العزم جدير بالاستحسان المطلق لان البرازيليين وأعني بهم الفريق الاخصائي في المواضيع اللغوية كتبوا مراراً بهذا الصدد آسفين لعدم إصدار مؤلف يبحث في اصل الالفاظ العربية وما لحقها من التنقيح والتحريف .

اقول هذا دون ان انسى الاستاذ العلامة محمد سعيد علي البرازيلي المولد ، والمتحدر من ابوين برازيليين ، وهو حفيد احد ابناء الفيحاء . فقد ذاع تضلعه من اللغة البرتغالية حتى اطلع على أسرارها وتناول الالفاظ الدخيلة ورد معظمها الى اصل عربي صحيح بالنظر الى معرفته العربية ايضاً في محاضرة القاها من زمن بعيد في ندوة العلماء البرازيلية . ولم أقف عليها لسوء الحظ غير اني تلوت بعضاً من مؤلفاته اللغوية وفي جملتها كتاب نقد فيه أشعار كاسترو الفس رب الشعر البرتغالي . فقدر العلماء نقده حق قدره ووضعوه في منصب يليق بادبه وعلمه الواسع ولا بدع فهو ابن دمشق وكفى به تعريفاً .

ولديّ أمثلة كثيرة أضرب صفحاً عنها ، بيد ان أمة هذا شأن لغتها دون ان أغفل عاداتها الشبيهة بعاداتنا ، تستأهل بحكم المنطق الاشارة اليها والى بلادها الغنية ومنتوجاتها في هذه المحاضرة المقتضبة .

* * *

يقدر عدد المهاجرين من السوريين واللبنانيين الى سائر أقطار المعمور بنيف ونصف مليون من النفوس ، وقد قصد سوادهم القارات الاميركية لاسباب اهمها غنى العالم الجديد ، وسهولة الثراء الذي يوفره لكل مهاجر مجدّ ، وهكذا يقطن البرازيل اليوم اكثر من مائة وخمسين الف مهاجر سوري ولبناني على وجه التقريب . لان حكومة البرازيل قامت باحصاء عام بمناسبة عيد استقلالها المئوي سنة ١٩٢٢ فجاء عدد المهاجرين من سورية ولبنان نحواً من ثمانين الف فقط . ولما اظهرت استغرابي لمدير الاحصاء في مدينة سان باولو من هذه النتيجة أفحمني بجواب سديد ، خلاصته

ان العدد صحيح لا غبار عليه ، لان هناك فريقاً كبيراً من المواطنين قد تجنس بالجنسية البرازيلية ، فضلاً عن المولودين في البرازيل بل هم برازيليون بالجنسية ايضاً ، و باستثناء هذين الفريقين يصبح العدد معقولاً ، ولتثبيت برازيلية المولود في البرازيل من ابوين اجنبيين ، وقعت اخيراً حكومة البرازيل معاهدات مع سواد الدول الاوربية والآسيوية .

والمهاجرون من المواطنين متجنسون او غير متجنسين يشغل فريق كبير منهم مراكز جديرة بالذكر في مختلف الطبقات ، بفضل الشرائع الراقية التي اتخذتها دستوراً لها تلك القارة المضيافة ، فهي لا تفرق بين الوطني والاجنبي وتعامل الجميع على السواء بلا تمييز ولا استثناء ، حتى دفع الغرور جماعة من الاجانب لم يراعوا حرمة الضيافة فتدخلوا بالسياسة دون ان يلحقهم ضرر او يتناولهم قصاص سوى الانذار والتنبيه ، ولا تجد برهاناً أوفى على صحة هذا الكلام من الثورة التي نشبت في مدينة سان باولو في الخامس من تموز ١٩٢٤ اذ تألفت فيها فوات من الاجانب وانضمت الى الثائرين ، وحاربت القوات النظامية دون ان تنتقم منها الحكومة البرازيلية ، بعد ان ساد النظام وانتصر العدل ، وماذلك الا لان البرازيلي بطبيعته لطيف الجانب وديع الخلق مضياف كبير . وقد يكون ورث هذا من أجداده البرتغاليين الذين استعمروا البرازيل طويلاً و يطلق عليهم مؤرخهم الكبير الاستاذ الشندري هر كولانو لقب مستعربين . ولو وقع هذا الحادث في بلاد غير البرازيل لرأيت الدخلاء ينفون الى خارج البلاد بعد ان يذوقوا من طعم العذاب أشكالاً .

وقد يبدو لاول وهلة اني أسبح بحمد البرازيل ، والحقيقة اني لا آتي بالجديد المبتكر اذا أشرت اليها بالطيبات ، فسل من أردت من المهاجرين الى اية بلاد كانت وسل سواه من المواطنين في البرازيل ، تجد ان البعد شاسع والمدى سحيق ، لان الشامي المقيم في هذه الجمهورية الاميركية يشعر كأنه في بلاده وعقر داره . له مطلق الحرية في الحياة التي يهواها ، فلا مراقبة ولا نقد على آتيه واعماله ، بل هو مطلق التصرف بكل شيء ، في الدائرة التي يتمتع بحقوقها ابن البلاد الوطني على اختلاف مظاهر الحياة وتباين أحوالها .

والبرازيل بلاد واسعة مترامية الاطراف تحتاج الى ابد عاملة لاستثمار ارضيها

ونفتقر الى الزارعين اكثر من اصحاب الحرف . وعلى الرغم من كون الشاميين لا يميلون الى الزراعة بتاتاً ، لم تعمد الحكومة الى سن شريعة تحدد فيها عدد المهاجرين غير النافعين او تحظر على بعض الاجانب حق الاستملاك ، كما فعلت سواها ، بل تركت الامور تجري على سنتها الطبيعية الى ان غدا السوريون الذين لا يعملون بغير التجارة ينزع بعضهم الى احتراف الزراعة حتى لقد دعيت محطة في منطقة زراعة البن باسم هزار وهو كنية سوري من كبار المزارعين . وفي ولاية سان باولو اليوم مزارعون عديدون من كرام المواطنين ومزارعهم تنتج البن والارز والفاجوم والسكر والكاكاو وما اشبه من الاقوات .

ومع انه لم يكن لسوري مزرعة او شبه مزرعة بن حتى سنة ١٩١٠ فلبعض المواطنين اليوم اكثر من ثلاثة ملايين شجيرة بن . وقد خصصت ولاية سان باولو دون سواها معان في البرازيل احدى وعشرين ولاية ، آخرها الولاية التي تعرف باسم احد الانهر الثلاثة الكبيرة في العالم وهي الامازون والنيل ومسيسبي . ولكن ولاية سان باولو هي قلب البرازيل النابض ، ومصدر غناها وعظمتها ، وتعادل صادراتها ثلثي صادرات الجمهورية كلها ، ولولا البن الذي تصدره سنوياً و يقدر ثمنه بسبعين مليون ليرة انكليزية اي ضعف القطن المصري لساءت حالة البلاد . ولو لحظت ان صادرات الامة كلها لا تزيد عن مئة مليون ليرة علمت بالبديهة مكانة ولاية سان باولو من البرازيل .

وقد بلغ من خيلاء بعض سكانها انهم تحدثوا مراراً بالانسلاخ عن جسم الجمهورية واعلان استقلال الولاية ، ولكن الغربيين في مستوى رفيع في الوطنية لا تغرهم الوعود ولا تنسيهم حزازاتهم الشخصية مصلحة الوطن التي هي فوق كل مصلحة ولذلك كان الوطنيون عند اقل إلماع الى هذه الفكرة يهبون دفعة واحدة و يقفون حاجزاً دون تلك الاماني ، مبشرين بوجوب الاتحاد الذي يؤلف القوة ضاربين كشحاً عن كل تقسيم غرار وممالك خلابة .

والحقيقة ان امتياز سان باولو غريب ، فعلى رغم وجود ثماني وعشرين جامعة في عواصم الولايات البرازيلية لدرس الطب والحقوق والهندسة ، تجد المجموع مفضلاً

الجامعات السانباولية ، وقد تخرج من كلية الحقوق فيها نوابغ الامة اذكر منهم المشترع الكبير واللغوي المحقق الاستاذ روي بربوزا وسواه من كبار الاعلام والمفكرين ٠

وقد قاموا باحصاء عن حالة المعارف في البرازيل فكان عدد الذين يحسنون القراءة والكتابة ٤٧ بالمئة في ولاية سان باولو واقل من عشرين في بقيـة الولايات ، اضف الى ذلك نموها العجيب ٠ فقد كان عدد سكان العاصمة في سنة ١٩١٠ (٣٠٠) الف واليوم يكادون يبلغون المليون ، وازداد سكان الولاية من مليونين الى خمسة ، ولذلك أصبحت محط رحال المفكرين وأصحاب المهن الحرة من الشاميين انفسهم ، ففيها خمسة عشر طبيباً وخمسة محامين أخص منهم بالذكر الدكتور يوسف رزق الله المشهور بدفاعه عن السوري من ثلاثين سنة حين اتهم بفرية افتراس لحوم الآدميين وصحفيون عديدون في جملتهم الدكتور سعيد ابو جمرة الذي انتخب عضواً في هذا المجمع العلمي الزاهر والدكتور خليل بك سعادة صاحب المؤلفات المشهورة بالانكليزية والعربية ٠

حدثتُ ان السوريين في الولايات السحيقة البرازيلية أصحاب نفوذ واسع وثروة طائلة ، ولست واثقاً كل الوثوق على حالتهم ، واؤكد ان بينهم ثلاثة من النواب في مجالس الولايات واثنان مساهمان في شركة ملاحة ، وعلى كل فعددهم قليل جداً ، وشأن السوريين المقيمين في مدينتي سان باولو والريو محدود من الوجهة الزراعية ، ولكن في الصناعية والتجارية عظيمة جداً ٠ ولا بدع اذا اشتهر الشامي بضعفه مجتمعاً فقوته فرداً حقيقة ناصعة ، لاسيما اذا ساعده الوسط واكتنفه المحيط بدواعي المدنية ومظاهر النهوض ٠

لقد بدأ المواطنون في تجارتهم يحترفون مهنة البائع الدوار ، او حمل الصناديق المملوءة من البضائع على الظهور ، وهي حرفة لا تدل على العظمة التجارية ، ولكن قاعدة النمو والتطور التي رافقها اقتصاد السوري وجهاده وثباته ضمنت تقدم السوريين حتى اصبحوا سادة البندر التجاري في مدينة سان باولو واصحاب مركز تجاري رفيع في عاصمة البلاد دع مالهم من المكانة في داخلية الولايات باعتبار انهم وحدهم استأثروا بالاتجار ، بحيث يضطر الناس الى شراء الاقمشة والحاجيات منهم ، وهكذا قل عن المدن ، فاكبر المحال التجارية تبتاع منهم البضائع الحريرية النفيسة على ان تبيعها من الاهالي مباشرة ٠ ويمكن القول على وجه الجملة انهم أصبحوا قلب تجارة البلاد ، ولا سبيل الى الدهشة لان

انصراف الشاميين الى التجارة دعاهم الى تناول الصناعة ، ولم يمر وقت قليل حتى اصبحوا أصحاب مئات من مصانع النسيج القطني والجوارب والحرير والمناشف والاقمشة واحيوا هذه الصناعات التي لم يكن لها اثر في البلاد ، فتحسنت سمتهم تحسناً بيناً لان ما فاتهم من الوجهة الزراعية اعتاضوا عنه من الوجهة الصناعية ٠

وليست غايتي الاشادة باسماء المواطنين المجيدين ولكني مضطر بحكم الواجب الى ذكر بعض اثر تفوقهم في السمعة العامة كمصنع النسيج في ايبرنكا الذي هو ملك السادة يافث ومنهم المرحوم نعمة يافث الرياضي السوري المشهور الذي استأثرت به رحمة الله منذ اربع سنوات تخسرت بموته الطائفة السورية رجلاً من خيرة رجالها العاملين على انهاضها ورقيها ، واعترفت بتفوقه حكومة سان باولو ومجلس بلديتها باقتراح رئيسه دعوة شارع في محلة ايبرنكا باسم الفقيد تقديراً للخدمات التي قام بها في المحلة المذكورة من وجهة بناء المعمل والقصور الباذخة ٠ وهذه المحلة ذات شأن تاريخي لانها واقعة على هضبة وفيها نودي بالاستقلال البرازيلي سنة ١٨٢٢ واعتمد الوطنيون الجملة المشهورة : الاستقلال او الموت ٠

ومعمل ايبرنكا من اكبر معامل النسيج في اميركا الجنوبية يديره الآن السيد باصيل يافث وتقدر ثروة آل يافث بخمسة ملايين ليرة انكليزية ، وهناك معمل للحرير والجوارب ملك السادة جبارة من أصحاب النفوذ السياسي ، والسادة ميشال اسعد واخوته أصحاب مصنع للمناشف والجوارب ولهم مركز اجتماعي وكثيرون سواهم من آل معلوف واندراوس بلغوا مستوى رفيعاً في عالم الثراء ، أتحاشى ذكر اسمائهم لان تفوقهم تجاري وانما غايتي الالماع الى الشأن الصناعي والا لاضطررت الى ذكر مئات من الاسماء ومئات المحال ٠ ويقدر العارفون ثروة السوريين اليوم بثلاثين مليون ليرة انكليزية في البرازيل كلها ٠

اما السمعة الادبية فقد رافقت التفوق التجاري جرياً على قاعدة النمو الصحي التي تراها بصورة محسوسة في الاجسام ، فان اعضاء الجسم كلها تنمو دفعة واحدة والا اصبح من شواذ المخلوقات ٠ وبعد سكن القصور ظهر التطور الاجتماعي في السوريين فأخذوا

يقصدون المسارح والاندية و يلبسون نساءهم احدث الازياء وأثمنها ، وغدا لهم شأن كبير في عالم الادب والاجتماع ·

اذكر انه لما زار مدينة سان باولو العلامة الدكتور فيليب حتى استاذ التاريخ في احدى جامعات اميركا الشمالية واحد اعضاء المجمع العلمي العربي الذي أتيح لي الحظ بتعريفه الى الصحف البرازيلية ففوضت الي حينئذ نشر المعلومات عن زياراته التي يقوم بها اثناء اقامته في البرازيل ، وهكذا نشرت الصحف وفي جملتها الرسمية كل ما قدمته اليها خلال شهر كامل مما يبلغ عموداً كل يوم تحت عنوان استاذ سوري في البرازيل · ولما أقامت له النزالة مأدبة اشترك فيها رجال الصحافة البرازيلية وفريق من كبار المشترعين وانضمت الى هذا المظهر التكريمي حكومة سان باولو نفسها اذ أبرق رئيس الولاية الدكتور كرلوس دي كمبوس صديق السوريين الحميم الى المحتفل به يهنئه بمظاهر الاكرام التي تقام له و يشترك مع المحتفلين · والشأن في هذه البرقية ان الرئيس لم يدع رسمياً للحفلة فكان عمله من مظاهر الاحترام الذي تضمره حكومة البرازيل للسوريين وضيوفهم الاعلام ·

والوجه الاهم في فخامة هذا الشعور ان الشامي عصامي في جهاده اذ لا سند له ولا عضد ولا مسحة لتأييد حكومته له منذ عهد الاتراك ، ولذلك كان يشار اليه بالهزء والسخرية ، فاذا ما رأيت الحكومة تعامله بالاحترام كان ذلك من كبير جهوده ومسعاه الشخصي · والحقيقة ان المواطنين لم يحجموا عن مشاركة البرازيليين بمظاهراتهم ومشاريعهم العامة وأعيادهم الوطنية ، ففي غضون الحرب جمعوا مبلغ الف كونت تقريباً (والكونت ثلاثة آلاف وثلاثمائة فرنك بسعر النقد الحالي) مساعدة لجمعية الصليب الاحمر البرازيلية حتى اضطرت بقية النزالات الى احتذاء مثالهم دون ان تبلغ تبرعاتها القدر الذي ذكرناه في حين انها اغنى بما لا يقاس من الجالية السورية ·

وعلى ذكر الاستاذ حتّى اقول ان حضرته وعد في احدى محاضراته في البرازيل بانشاء كرسي لتدريس اللغة البرتغالية في الجامعة الاميركية في بيروت ، وسمعت من احد المقربين الى نظارة الداخلية في مدينة سان باولو ان حكومة الولاية ستبادل الجميل بمثله وتدخل الى برامج المعارف العامة اللغة العربية وتوجب تدريسها حالما نقف رسمياً

على ان الاستاذ حتى قام بوعده · فعسى ان تتم هاتان الامنيتان لان تدريس العربية في المدارس البرازيلية بصورة رسمية على جانب كبير من المكانة اذ يحيي القومية العربية و يوجد صلة ثابتة بين المهاجر السوري وابنه الذي يعتبر برازيلياً لمجرد ولادته في ارض كولومبس · و بالنظر الى جهل السواد المولودين في البرازيل من ابوين سوريين لغة آبائهم تراهم قد اندغموا كل الاندغام بالجنسية البرازيلية وخسروا عروبتهم ابد الدهر ، حتى انه كثيراً ما ينشأ بين الوالد وابنه شيء من الكدر اوالاحتقار لجهل هذا لغة والده وعدم تمكن الوالد من التحدث بالبرتغالية الصحيحة مع ابنه · ولكن هذا الواقع المحزن لا ينسيني الاشارة الى فضل المدارس العربية في مدينة سان باولو فهي تشغل خمس عمارات كبيرة وقد قامت باجل الخدم نحو ابناء المهاجرين اذ لم تلقنهم مبادئ لغتهم فقط بل سعت جهدها لتلقينهم آدابها السامية ·

وفي مدينة سان باولو رجل ناهض وكاتب متفان في خدمة الشرق وابنائه هو شكري افندي الخوري مدير جريدة ابي الهول وصاحب فكرة اقامة نصب للمغفور له اليازجي التي تكللت بالفوز ، وقد اقترح على المواطنين التبرع لاقامة نصب خالد يقدم هدية منهم الى البرازيل بمناسبة استقلالها المئوي ، فأقبل المواطنون من ذوي الاريحية بغيرة ممتازة على هذا المشروع · وسينصب هذا التمثال الفخم قريباً في أعظم ساحات مدينة سان باولو ، ويكفيه عظمة ان يكون من وضع الاستاذ الطلياني الكوماندادور ثمانس أعظم حفار متفنن في العالم ، وفي النصب المذكور تماثيل صغيرة متعددة تشير الى الفنيقيين والعرب ، والى اصل البرازيليين وعظمتهم الحالية ، والى التآخي بين السوري والبرازيلي في كل نكبة وملمة ·

وقد تكررت هذه المآتي من السوريين فأصبح اسمهم موضوع احترام في الصحافة الكبيرة تشير اليهم بمنتهى الود وتعطف على قضاياهم وتنزلهم منزلة الند والنظير مما ندر وقوعه في عامة الاقطار الاميركية · وقد استفادوا هم من هذه الحالة فتوسعوا في أعمالهم وتدخلوا بالسياسة البرازيلية ومنهم الآن نواب في مجالس الولايات ورؤساء بلديات وزعماء سياسيون يشار اليهم بالبنان · ولو أتيح لصحافة البرازيل العربية وخصوصاً صحافة سان باولو ان تجاري المحيط بالرقي وأدب اللهجة ورصين الديباجة ، ولو انزل الله

جل شأنه على قلوب كتابها موهبة التآخي والاتحاد وخدمة الجمهور كي لا يكونوا مثالاً لعقلية الشرقي المتحاسد المتباغض ، لكانت الحالة مرضية من كل الوجوه . فان مما يؤسف له كل الاسف ان يكون قادة الرأي العام في حكم المشاغبين والعاملين على انقسام المجموع وتباغضه وانحطاطه .

تسع البراز يل ايها الاخوان الاعزاء ملياراً من النفوس جرياً على طريقة السكن الاوربية ، لانها البلاد الرابعة في العالم من حيث المساحة . اما عدد سكانها اليوم فسبعة وثلاثون مليوناً وولاية سان باولو صالحة لاقامة مائتي مليون . و بالنظر الى ترامي أطراف تلك الجمهورية تجد مناخ كل ولاية يختلف عن الاولى وكذلك التربة وخصبها وقابليتها للزراعة . ولذلك اهتمت حكومة البراز يل منذ نيف وعشرين سنة بالاعلان عن جودة ارضيها ودعوة العمال لاستثمارها ، وانصرفت بالدرجة الاولى الى خطب ود العمال الايطاليين والبرتغاليين والاسبانيين لانه لم تتألف الى الآن في البلاد قومية متوحدة ، واهل البراز يل مزيج من عناصر مختلفة يسود فيها العنصر اللاتيني ، ولهذا السبب يفضل البراز يليون العمال من اصل لاتيني حتى اذا انشأوا العيال جاءت منطبقة على قاعدة النسب الجنسي .

أضف الى ذلك ان البلاد اللاتينية فقيرة ولاسيما ايطاليا ، وقد ضاقت ارضها بابنائها فعمدوا الى المهاجرة والمتحدر منهم يعتبر براز يلياً قحاً ، خلافاً للالمان والانكليز الذين يقيمون العراقيل في سبيل الاندغام بجنسية غير جنسيتهم بالنظر لرقي مدنيتهم . وقد فازت البراز يل بدعوة العمال الاسبانيين والبرتغاليين من ايسر وجه ولكنها فادت كثيراً في سبيل الطليان وخصوصاً بعد ان حكم ايطاليا موسوليني الاشتراكي المتطرف سابقاً والوطني المتطرف اليوم لانه بعد ان لحظ حاجة البراز يل الى الايدي العاملة ومقدار نفعها في استثمار موارد البلاد قدم شروطاً صعبة ، منها وجوب تدريس اولاد العمال المولودين في البراز يل لغة آبائهم قبل كل لغة ، وتأليف لجنة يرأسها قنصل ايطاليا للمشارفة على حالة العمال الصحية وكيفية معاملتهم في المزارع وجعل ايطاليا الدولة المفضلة من حيث جباية تعرفة بسيطة على بضائعها في دوائر المكس البراز يلية فرفضت البراز يل بكل انفة هذه الشروط ولم ترض بغير الشرط الوحيد الذي وضعته هي نفسها

وهو دفع جوازات سفر العمال من بلادهم الى المزارع . ولا جدال في ان الشروط الطليانية قاسية جداً لتضمنها عدم ثقة في الحكومة السانباولية شروط لا يجوز ان تصدر من أمة مستقلة الى أمة نظيرها . وكانت النتيجة ان انقطعت المفاوضات ولا تزال الى الآن .

والجدير بالذكر انه لم يكد يذيع هذا الخلاف حتى تقدمت دول عديدة للتفاهم مع حكومة البرازيل من هذه الوجهة قادرة التقدمات والمنافع التي تؤديها كدفع جوازات السفر ومنح العمال ارضين صالحة للزراعة اذا شاؤوا الاستقلال ، وقد عقدت حكومة سان باولو الى الآن اتفاقاً مع بولونيا واليابان واليوغوسلافيا والمجر . ومن المعلوم ان المستقبل للبرازيل ، فكلما توفرت الايدي العاملة فيها سهل استثمار كنوزها ومواردها الى ان تصبح جنات تجري من تحتها الانهار .

***

الطبيعة مسرفة في البرازيل ياسادتي ، والربيع دائم وكل ولاية تنتج محصولاً خاصاً . ففي ولاية سان باولو البن والفاجوم والقطن بوجه خاص . وفي ولاية ماتو كروسو الابقار النادرة المثال . وفي ولاية كواياز الارز والتبغ . وفي ولاية ميناس المعادن والمحصولات المتعددة عدا الجبن والزبدة واللبن النقي الصحي . وفي ولاية برانا «الماتي» الذي يتناوله سكان الارجنتين . وفي ولاية ريو كراندي دوسول الحنطة والفواكه التي تضاهي بطعمها الثمار الاوربية . وفي ولاية سانتا كاترينا حيث يعدّن العنصر الالماني مناجم الفحم . وفي ولاية باهيا البرتقال والتبغ والكاكاو . وفي ولايتي بارا والامازون المطاط .

ومدار كلامنا الآن عن البن فهو محصول البلاد الرئيسي الذي يضمن دخول الذهب الى البرازيل وهو قاعدة غناها وعظمتها ولاجله تحصل ولاية سان باولو على اعتماد مالي لدى صيارفة العالم يضاهي اعتماد دول البلقان مجتمعة . ولا بدع فثلثا سكان العالم يشربون القهوة من البرازيل لان محصولها يقدر في ولاية سان باولو بعشرة ملايين الى اثني عشر مليون كيس وفي كل البرازيل ينيف على خمسة عشر مليوناً .

ولما كانت الارقام اوفى دليل في مثل هذه الحال فاننا نورد هنا صادرات البرازيل

من البن ونردفها بمعلومات عن الاسعار والصادرات بالاكياس . ففي سنة ١٨٨١ أصدرت منه مليوناً وربع . وفي سنة ١٨٩١ أصدرت منه ثلاثة ملايين . وفي سنة ١٩٠١ أصدرت منه ثمانية ملايين . وفي سنة ١٩١١ أصدرت منه ثمانية ملايين . وفي سنة ١٩٢١ أصدرت منه عشرة ملايين . وفي سنة ١٩٢٦ أصدرت منة عشرة ملايين . وفي سنة ١٩٢٧ أصدرت منه تسعة ملايين ونصف .

وكانت قيمة هذه الصادرات في السنوات الاولى ثلاثين الف كونت الى ان بلغت ١٠٠ الف كونت في سنة ١٨٩١ و٤٠٠ الف كونت في سنة ١٩٠٧ ومليوناً وسبعمائة الف كونت في سنة ١٩٢٤ ومليوني كونت في السنة الغابرة ومليوناً ونصفاً في السنة الحالية اي من تموز السنة المنصرمة الى تموز في السنة الحالية كما اعتادوا حساب سنة البن في البرازيل .

وسقوط الاسعار محسوس في السنة الحالية بدليل هبوط قيمة الصادرات اكثر من نصف كونت وقد كان معدل سعر الخمسين كيلو في المافر في سنة ١٨٨٥—١٠٠ فرنك فبلغ آخراً الفا ومئتي فرنك والسعر الآن ستمائة الى السبعمائة ، فلا يجد التجار والحالة هذه سانحة أفضل من الحالية لايجاد صلة تجارية عملية بين قلب العربية دمشق والبرازيل التي تضيف عدداً كبيراً من اخواننا وتحلهم محلهم من حسن الضيافة وجميل المأوى .

ولم تبق حاجة للاتيان بالدليل على ان سقوط اسعار هذا المحصول يؤثر في الحالة الاقتصادية البرازيلية و بفقر المزارعين فيحول دون مجيئهم المدن وبذل النفقات الطائلة و ينقص اجور العمال فيمتنعون عن شراء الاقمشة فتحل الضائقة المالية ضيفاً ثقيلاً على كل طبقات الشعب كما حدث مراراً في تلك البلاد . ولا بدع فالناس باعمالهم ومشاريعهم شركات متضامنة او كاصابع اليد الواحدة متى أصيب اصبع منها بسوء شعرت بالالم بقية الاصابع .

ولما كان يتوقف على زراعة البن وأسعاره الرخاء والبحبوحة في البرازيل أنشأت حكومة سان باولو نادياً دعته نادي الدفاع عن البن غايته إقراض او تسليف المزارعين الاموال اللازمة بمقابل محصولهم كي لا يضطروا الى بيعه بابخس الاثمان وقد عقد النادي

في السنوات الاخيرة قروضاً متعددة لهذا الغرض آخرها قرض قدره خمسة ملايين ليرة انكليزية من شهر ونصف والاجتماعات حافلة الآن بين ممثلي الولايات التي تنتج البن لاتخاذ ذرائع تؤدي حتماً الى تحسين اسعار هذا المحصول أسوة بما يعمل الانكليز لاستثمار المطاط والاميركان لاستثمار الحنطة والمصريون في القطن اه ·

العلامة الدكتور يعقوب صروف

فجع العلم العربي يوم ٩ تموز سنة ١٩٢٧ بفقد العلامة المحقق الدكتور يعقوب صروف ، احد منشئي مجلة المقتطف وعضو المجمع العلمي العربي · توفاه الله اثر علة تصلب الشرايين ، فاهتزت الاندية العلمية في الشرق الاقرب العربي لوفاته ، وحل الاسى في قلوب اهل العلم والادب عليه ·

ولد يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٢ م في قرية حدث بيروت ، ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم في مدرسة سوق الغرب ، ثم انتقل الى مدرسة عبيه الاميركية ونال شهادة بكلوريوس علوم من الكلية الاميركية في بيروت سنة ١٨٧٠ · وبعد ذلك درس سنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الاميركيتين وعقبى ذلك دعته الكلية الاميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلسفية فدرّس فيها احدى عشرة سنة ·

وفي خلال التدريس بدا له مع تربه الدكتور فارس نمر ان ينشئ مجلة تبحث في العلوم المادية فاستشارا أستاذهما العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك الاميركاني فشجعهما على عملهما وسمى مجلتهما (المقتطف) وبدأ يؤازر فيها وينظر فيما يترجمانه ويؤلفان · صدر المقتطف في اول ايار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ، ثم رأيا الانتقال الى القطر المصري وأنشأا في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية سمياها «المقطم» لتناصر الاحتلال الانكليزي ، وظلا على إصدار المقتطف والمقطم الى اليوم ·

انقطع الدكتور صروف — الدكتور لقب ناله في الفلسفة من احدى جامعات اميركا — لانشاء المقتطف ، واختص زميله الدكتور نمر بانشاء المقطم وكان الدكتور

صروف ينظر على الاكثر في المسودة الاخيرة من المقطم ، وكثيراً ما كان يحذف منه أشياء تمس عواطف المصريين . وكان المترجم له ورصيفه الدكتور نمر مثال الشريكين المتماسكين الصدوقين ، فأثريا وارتاشا على صورة لم تسبق لغيرهما من ارباب الأقلام في بلاد العرب .

وما زال المقتطف بفضل منشئه يدأب على السير في الخطة التي رسمت له وجلُّ اعتماده في مادته على المصادر الانكليزية والاميركية . ومادته البحث في تقريب العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاقتصادية والزراعية من أذهان الجمهور . وقد نجح في هذا المعنى ، وأثر في أفكار قرائه تأثيراً حسناً ، فكان أداة صالحة لنزع غشاوة الجهل المخيم على العقول . وكثير ممن لم يحظهم الحظ بدراسة هذه العلوم على الاصول في المدارس تلقاها من طريق المقتطف فكان مدرسته وأستاذه من غير نكير .

ذلك لان الدكتور صروف كان يتوخى السلامة في التعبير وقد رزق بياناً لا تكلف فيه ، ورشاقة في الأداء وابلاغ المعنى الى القارىء يفاخر بها ، وقدرة على النقل والاحتذاء قلّ ان داناه فيها احد بموضوعه ، يقرأ المقالة الطويلة لعالم من علماء اميركا او انكلترا فلا يلبث ان يلخصها في صفحات قليلة ، ويزينها بما يشرحها ويحبب الى الناس مطالعتها ، وكان حسن الاختيار فيما ينقل ويحتذي ويؤلف ، وكان التعريب في مجلته اكثر من التأليف ، واكثر التأليف من أقلام مؤازريه في مصر والشام والعراق وغيرها ، ومن قرأ المقتطف وأدمن قراءتها فكأنما يقرأ ملخص آراء العلماء من الانكليز السكسونيين في هذه العلوم . وقد حاول غير واحد من ارباب الأقلام في مصر والشام ان ينسج على منوالها فأخفق لان دراسته الاصلية كانت غير دراسة الدكتور صروف الذي تخرج على يد استاذ حكيم وعلم مبادئ هذه العلوم قبل ان يؤلف فيها ، وسار على سنة الترقي في موضوعاته ، تزيد كل سنة مادته وتزيد معها معارف قرائه .

واذ كانت موضوعاته قد تمس الأديان والتقاليد في الاحايين كان يلزم الحياد على الاكثر فينقل بتصحيح السند والرواية ، ويترك المجال للناس يفكرون فيما يتلون ويتلى عليهم . وكان يتوخى ما أمكن الابتعاد عن مزج القديم بالحديث . ولم يكن ممن

يحسن الظن بمدنية العرب لتشبعه بروح من لم يدرسوها حق دراستها ، ومع هذا نشر لمؤازر به أبحاثاً مهمة فيها بدون تعليق عليها الا في امور لا تحتملها حوصلته و يعتقد خلافها بحسب ما هداه اليه علمه وتلقفه من محيطه وبيئته ، وقد تضطره العاطفة الى ان ينوه بمن لا يستحقون التنو به فيترجم لهم ، و يغفل ترجمة من لا تروقه سياستهم من العظماء والعلماء من المعاصرين والغابرين . كل هذا وهو من التسامح العلمي على جانب عظيم . فكان في كل حياته الى الاعتدال ، يترك للصلح محلاً كما يقولون .

« ولو ظل المقتطف [1] يقبل المناقشة فيما يكتبه و ينشره لانصرفت وجهته من الكليات الى الجزئيات ، وضاع المقصود من إنشائه ، فقد نصح لهما أستاذهما بالعدول عن خطة المحاكات على ما أثبتنا نصيحته في السنة الثامنة فلم يضيعا بعدُ الوقت في الجدال سدى » « ومع ان للمقتطف مشرباً يصعب ان تقبله كل النفوس وأشياعاً يغالون في محبته وإجلال ما يصدر عنه ، نراه الى اليوم يراعي أكثر الاذواق استحساناً . ومن مزج خدمة العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة باباً للعلم قد ينجح في الأعم من حالاته . ومن أجل هذا اضطر المقتطف في الربع الاخير من عمره ان يجاري بعض المجلات في نشر الابحاث الأدبية وأجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد في المختارات الادبية ، فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في امور كثيرة يصح ان يقتنيها اهل كل جيل وقبيل ، ولا مسحة عليها من صحف الاختصاصيين من الغربيين ، تلك الصحف التي تنصرف الى علم او عدة علوم لا تتعداها ، فتطيل فيها وتتوسع ما شاءت وشاء غرضها . وللمقتطف عذر في ذلك ما دام اهل الاخصاء في الشرق لا يعيشون من أقلامهم ، وما عم العلم بيننا حتى يخص » . « ومن كان غرضه ارضاء قرائه كافة لا بد ان يسقط ولو قليلاً فيما يدعوه الخاصة لغواً او حشواً . ولعل ذلك هو السبب الذي دعا منشئه ان قال يوماً لاحد كتاب المجلات انك يا هذا تملأ صحيفتك بالدسم فوق اللازم ، فالاشبه بك ان تفهمها ما تحمض به النفوس ليشتد بها القرم الى العلم » .

(١) مجلة المقتبس (ج ١ ص ١٧٢) .

هذا ما قلته في المقتطف الأغر منذ ثنتين وعشرين سنة . وقد رأيناه لاول انشائه — ومنذ سنتين احتفل بعيده الخمسيني — يفتح صدره لأقلام الباحثين والمستفيدين والعلماء والادباء ، حتى كان مباءة لنشر افكار زمرة صالحة من رجال النهضة العربية في نصف قرن من الشاميين والمصريين والعراقيين وغيرهم . ولذلك دعي المقتطف بحق شيخ المجلات العربية ، وقد سار فيه منشئه بروح الزمن فكانت مباحثه علمية بادئ بدء ، ثم اخذ يعنى بالآداب العربية وما يستهوي العامة الى مطالعته ، خصوصاً عندما انبعثت شعلتها من مصر في الخمس والعشرين سنة الاخيرة ونبغ من المصريين علماء وادباء أرقى كعباً ممن تخرجوا في مدارس المرسلين في الشام ومصر .

وللدكتور صروف فضل عظيم في وضع كثير من المصطلحات العلمية والاسماء الفنية نشرها بلسان مقتطفه فتناقلتها الاقلام ودخلت في الكتب العلمية الحديثة المترجمة . وله طريقة في التعريب وضعها في السنين الاخيرة حبذا لو يسير النقلة عليها لانها زبدة تجارب سنين طويلة وهي خير الطرق في التعريب والاحتذاء . وكان أجزل الله ثوابه على جانب من حسن الادب وتتجلى فيه أخلاق العلماء المصابين هضم ماتعلمه فعلمه من أيسر سبيل ، فرزق الحظوة بما كتب وعرب وكثر أحبابه والمعجبون بعضائه من جميع الطبقات والنحل ، وان واحداً وسبعين مجلداً كتبها الدكتور صروف في احدى وخمسين سنة هي في الواقع أهم معلمة عربية في العلوم الطبيعية والمادية والادبية تخلد بين العالمين ذكره ، وتضعه في الصف الاول من الذين حملوا قبس العلم والادب الى عقول العرب ، وكان مثال الدؤوب والصبر المتواصل ، لم يترك القلم من يده الى ايامه الاخيرة ، يلذه عمله و يتعشقه ، ومن لا يحب موضوعه و يتشبع به يصعب ان يحمل الناس على حبه ، و يبث في الناس دعوته ، ولذلك عُدّ فقد هذا الرجل النافع بعلمه وعمله خسارة كبرى على العرب والعربية رحمه الله .

محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

مرآة الحرمين

كتاب قيم لا مثيل له في جزءين ، وضعه ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري فيه تفصيل اربع رحلات له الى الحج ، لم يدع امراً تنفع معرفته الحاج من اهل المذاهب الاربعة او مريد الاطلاع على سفر الحجاز الا فصله تفصيلاً ، فهو من هذه الوجهة كتاب مناسك واف بالمقصود ، وكتاب تاريخ فيه وصف العادات المتخذة منذ تهيئة المحمل المصري الى عودته بعد الحج ، ووصف المشاهد الاثرية ، وذكر تاريخ العرب وبدء الاسلام وانتشاره وفتوحاته ، وهو محلى بثلاثمائة وواحد وخمسين رسماً شمسياً بديعاً للاورد ذكره فيه من رجال ومعاهد وادوات وكتابات ، وبالجملة هو كتاب لا يتيسر وضعه فيما يتعلق بحج البيت الذي (رفع ابراهيم) قواعده لغير (ابراهيم رفعت) لما له من الولوع في هذا الامر ومساعدة وظيفته على تحصيل ما اودعه فيه من المعلومات الدقيقة والرسوم التي يمتنع على غيره استقصاؤها ، طبع اجمل طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة وجعل ثمنه ذهباً واحداً مصرياً ، وان رسومه البديعة وحدها لتسوى هذا المقدار ·

وقد أحببت ان يكون لي خدمة لهذا الاثر الجليل بتصحيح بعض هنات وجدتها فيه اثناء تصفحه وهي من الجزء الاول : ورد في صفحة ٢٦٢ سطر ٣ من امه صوابه هذا وأمه · وفي ص ٣١٢ س ٢٣ ببدون صوابه ببدن لي · وفي ص ٤٠٥ س ٨ اجلاف صوابه في الحجاز اجلاف وفيها سطر ١٠ الناس صوابه الاجناس وفيها س ١٣ احلاف صوابه في الحجاز (او في الازهر) احلاف وفيها س ١٥ الناس صوابه الاجناس · وفي ص ٤٥٨ س ٥ قبل أنشاء صوابه من قبل انشاء · وفي ص ٤٥٩ س ٢ مرتجت صوابه مزجت ·

ومن الجزء الثاني في ص ٢٠ س ٥ نبيع الخ البيتين صوابه هذان ليسا بيتين يليان البيتين قبلهما بل بيتاً واحداً مستقلاً عنهما · وفي ص ٤٢ س ٥ بنده (انا) صوابه بنده (العبد) · وفي ص ٦٣ س ٣ قائما صوابه أقيما · وفي ص ٦٧ س ٩ الحائر والظالم

صوابه الذي تكلف النهوض كأنه يحمل نفسه · وفي ص ٦٩ س ٤ فأيده صوابه فأيد · وفي ص ٢٣٩ س ١٤ ابراجها صوابه ابرجها · وفي ص ٢٥٧ س١٦ الرضوخ صوابه الأذعان · وفي ص٢٦٨ س ٢١ تذاد صوابه نذاد · وفي ص٢٦٩ س٦ تحسبونها صوابه تحسبنها وفيها س١٣ مال منه صوابه منه مال · وفي ص ٢٧١ س ٦ وعنزواد صوابه وعن وداد · وفي ص٢٨١ س ١٩ الحج صوابه الحاج وفيها س ٢٠ ذلك صوابه اولئك · وفي ص٢٨٤ س٨ يزيغ صوابه يزيغ · وفي ص٢٩٩ س ٥ التغرير صوابه التمزير · وفي ص٣٠٢ س٢ اتباع صوابه ابتاع · وفيها س٥ ولو يكن صوابه وان تكن · وفي ص٣٠٩ س ٥ بلدرم صوابه يلدرم · وفي ص ٣١٠ س٢٣ الفرض صوابه الفروض · وفي ص٣٧٢ س١٧ فما صوابه فيا · فجزى الله المؤلف أحسن الجزاء وله منا الشكر والثناء ·

عضو المجمع العلمي

مسعود الكواكبي

كتاب في الادب الجاهلي

« الفه الدكتور طه حسين أستاذ اللغة العربية في الجامعة المصرية لاستفادة »

« الجامعة في السنتين الاولين من كلية الآداب »

الأستاذ المؤلف أشهر من ان يعرف ، وكتابه هذا مما وضع من أجله يرجع قدره الى حكومة البلاد التي يدرسه ابناؤها ، واما نقده فلا أظن ان سيفوت الذين نقدوا من قبله صنوه (في الشعر الجاهلي) ، وعند ذلك يتمحص موضع النقد منه ، والذي يقال عنه في مجلتنا الآن هو ان موضوع هذا الكتاب الكلام على هذا الادب الجاهلي المدون في الكتب شعراً ونثراً ، وأهم ما فيه المباحث المتعلقة بعدم الثقة في نسبة تلك الآثار الادبية الى من رويت عنهم ، وقد اتى المؤلف من ذلك بتدقيق تظهر الاصابة في بعضه ، لكن على كل حال هو بعد محتاج للتمحيص ، ولا يجدر بالنشء قراءة شيء لم يفرغ من نقده وتخلله فهو على وشك التهذيب والتعديل ، فالكتاب إذن يصلح لان يقرأه مريدو التوغل في هذه الشعبة من فنون الادب ليطلعوا على ما فيه من أنظار

بعضها بدع في بابه ، وبعضها تلخيص لما سبق اليه المتقدمون ، فانه نتيجة اطلاع واسع وفكر جوال ، وهما بعض أوصاف المؤلف الألمعي ·

مسعود الكواكبي

نظرات في اللغة والادب

« تأليف الاستاذ مصطفى الغلاييني طبع في بيروت وعدد صفحاته مائتان »

يدور البحث في هذا الكتاب حول نقد (كتاب المنذر) في الأغلاط اللغوية المتفشية على الألسنة والأقلام · والاستاذان الغلاييني والمنذر من أعضاء المجمع العلمي العربي · و (كتاب المنذر) نشر في الأجزاء الأخيرة من مجلد السنة الماضية من مجلة المجمع · وقد أهدى الأستاذ مؤلفه نسخة من كتابه هذا الى صديقه الاستاذ الغلاييني وكلفه ابداء رأيه فيه ففعل وتتبع ما كتبه في كتابه فوجد معظمه مصيباً فيه فأقره · لكنه نازعه في (ألفاظ صحيحة فصيحة جعلها المنذر من الخطأ وألفاظ ليست من الخطإ وانما هي مما يجوز فيه الوجهان · وألفاظ خطأ فيها الكتاب وهي جائزة لكنها ليست من الفصيح) الى غير ذلك مما رد فيه على المؤلف واستدركه عليه مستدلاً بأقوال اللغويين ونصوص المعاجم وتحكيم الاصول والأقيسة العامة للغة العربية · وختم الكتاب بمباحث في فلسفة اللغة (كالشذوذ والقياس) و (مفردات اللغة) و (تعديل القواعد) و (الاشتقاق) و (التعريب) · ويظهر من مجموع ما كتبه الاستاذ الغلاييني انه ميّال الى (التوسعة اللغوية) متبرأ كل التبرء من (الوسواس اللغوي) حاذياً في ذلك حذو الشهاب الخفاجي مذ قال في شرح الدرة (جزء ٧) « لو اقتصرنا في الالفاظ على ما استعمله العرب العاربة والمستعربة لحجّرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم » وقال الاستاذ المؤلف معلقاً على هذا القول في خطبة كتابه « فكل ما يوافق اصول اللغة مجازاً او تصريفاً او اشتقاقاً اوقياساً وكان مقبولاً عند أصحاب الذوق السليم وكنا في حاجة اليه جاز لنا استعماله وان لم يستعمله الجدود · وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ···· وان ننظر نظرة صادقة في العرب بعد الاسلام وما اشتقوه من لغتهم وما أضافوه اليها من كلام غيرهم وما حرفوه

من ألفاظهم عن معناه الاصلي الى معانٍ أخر اقتضتها الحال واحتاجت اليها الحياة الجديدة ... نرى العجب العجاب ونعلم ان هذا كان سراً من أسرار نهضتهم وامتداد ظل سلطانهم » .

وانا لنشكر لصديقنا الاستاذ الغلاييني عنايته الجلى بابراز هذا الاثر اللغوي النفيس وندعو عشاق اللغة والادب لاقتناء كتابه هذا والاستفادة من علمه والاستضاءة بنوره .

المغربي

المجموعة الكمالية

« في جغرافية مصر والقارة الافريقية لجامعها (البرنس) يوسف كمال »

« سنة ١٣٤٤ هـ طبع في ليدن من بلاد هولاندة »

كتاب بقطع ضخم حجمه (٧٥×٦٠) وعدد صفحاته (١٠٧) وهو باللغة الفرنسية ومزين ببعض صور هذه الوثائق وكثير من المصورات الجغرافية : وهو الجزء الاول من مجموعة وثائق في جغرافية مصر وافريقية جمعها المؤلف بعناية زائدة وعناء شديد ، فجاء هذا السفر ذا شأن كبير أورث جامعها العلامة فخراً عظيماً . فقد جمع بها وثائق تاريخية قيمة منذ عهد الهرم اي منذ سنة ٢٧٦٠ قبل الميلاد حتى عهد البطالسة في القرن الاول قبل الميلاد . ولا يسع كل من عانى هذا البحث الا ان يقدر مجهود المؤلف ويطرب له ، لان هذه المجموعة او هذا التأليف الممتع ملأ فراغاً طالما استغرق جهود كثيرين من العلماء . وقيمة هذا الكتاب العلمية وفوائده الجمة تجعلنا ننتظر بفارغ الصبر تتمة هذه المجموعة النفيسة التي ستقع في عشرة مجلدات ولم يطبع منها سوى مائة نسخة فقط .

جعفر الحسني

١ — السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع العلمي العربي)

الشيخ عبد القادر المغربي (عضو المجمع العلمي العربي)

٣ — الشيخ مسعود الكواكبي (عضو المجمع العلمي العربي)

٤ — احمد تيمور باشا (عضو المجمع العلمي العربي)

٥ — السيد محمد رشيد رضا (عضو المجمع العلمي العربي)

٦ — الامير شكيب ارسلان (عضو المجمع العلمي العربي)

٧ — السيد عباس محمود العقاد (عضو المجمع العلمي العربي)

٨ — الاب انستاس ماري الكرملي
« عضو المجمع العلمي العربي »

٩— احمد لطفي بك السيد (عضو المجمع العلمي العربي)

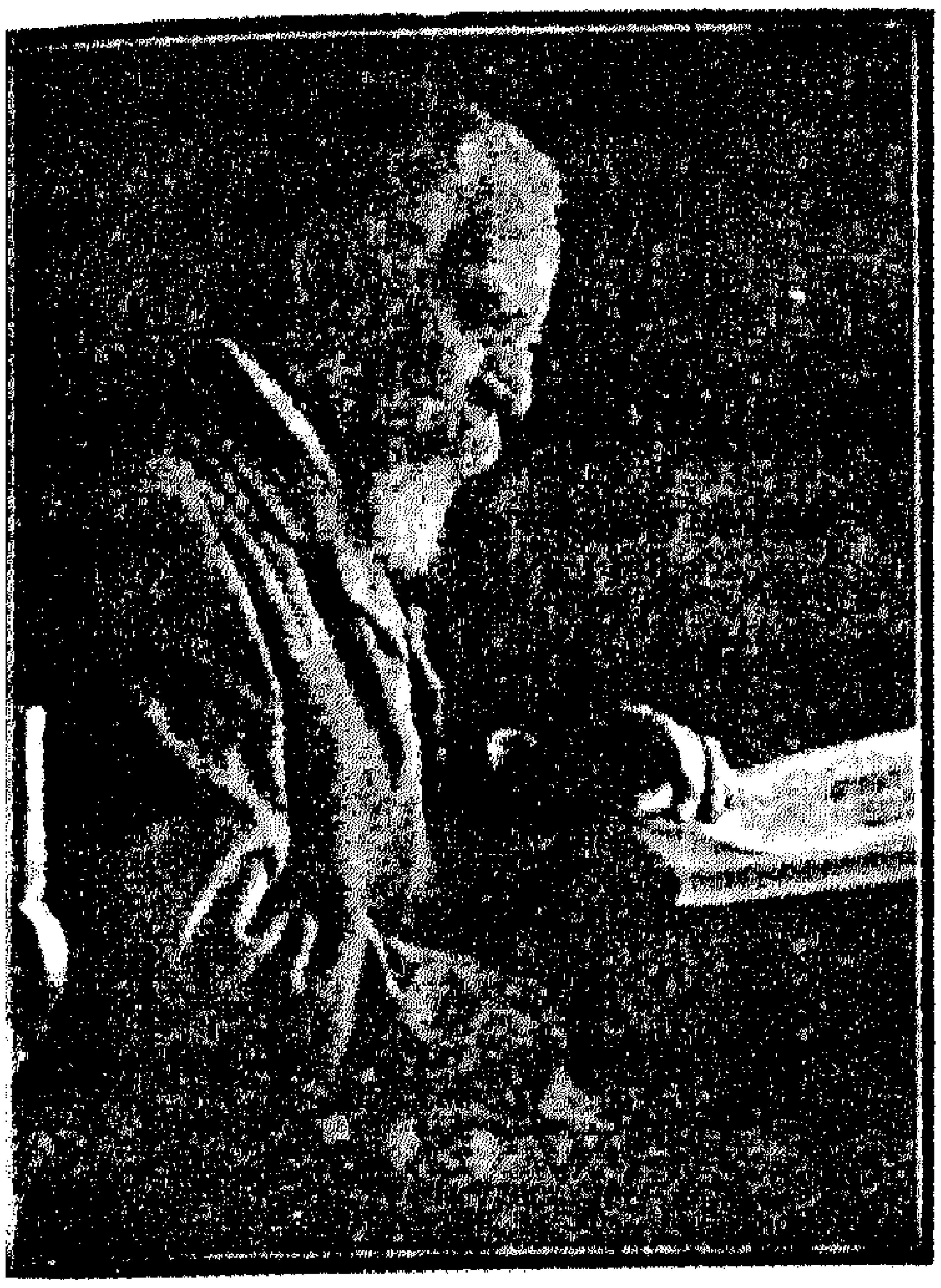

١٠ — السنيور اغناطيوس جويدي
« عضو المجمع العلمي العربي »

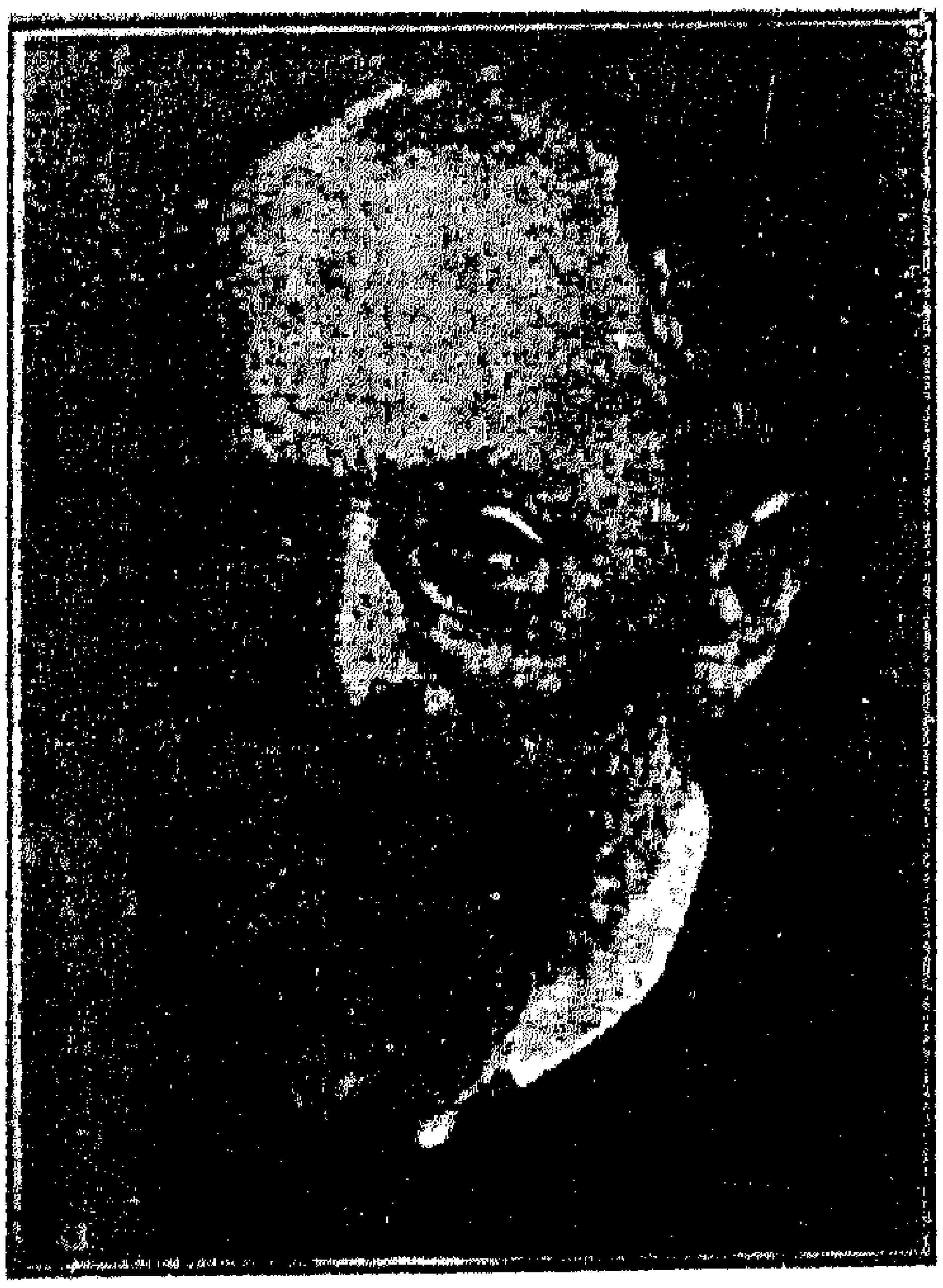

١١ — السيد هومل (عضو المجمع العلمي العربي)

١٢— الشيخ كامل الغزي (عضو المجمع العلمي العربي)

٢١— الشيخ احمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي)

٢٢ — الشيخ احمد الاسكندري
« عضو المجمع العلمي العربي »

٢٣ — السيد مصطفى الغلاييني
« عضو المجمع العلمي العربي »

٢٤— السيد جبر ضومط (عضو المجمع العلمي العربي)

-الشيخ عبد القادر المبارك (عضو المجمع العلمي العربي)

٢٦ — الفيكونت فيليب طرازي

« عضو المجمع العلمي العربي »

٢٧ — السيد حسن حسني عبد الوهاب

« عضو المجمع العلمي العربي »

٢٨ — الامير مصطفى الشهابي

« عضو المجمع العلمي العربي »

٣٧ — السيد عبدالله رعد (عضو المجمع العلمي العربي)

٣٨ — السيد عبدالله مخلص (عضو المجمع العلمي العربي)

٣٩ — الدكتور احمد عيسى (عضو المجمع العلمي العربي)

٤٠ — السيد احمد امين (عضو المجمع العلمي العربي)

٤١ — الشيخ ابراهيم منذر (عضو المجمع العلمي العربي)

٤٣ — الامير جعفر الحسني (مدير دار الآثار العر

٢٩— السيد فارس الخوري (عضو المجمع العلمي العربي)

٣٠— السيد خليل مردم بك (عضو المجمع العلمي العربي)

٣١— السيد امين ريحاني (عضو المجمع العلمي العربي)

٣٢— السيد زكي مغامز «عضو المجمع العلمي العربي»

٣٣ — السيد احمد حسن الزيات
« عضو المجمع العلمي العربي »

٣٤ — السيد عبد الباسط فتح الله
« عضو المجمع العلمي العربي »

٣٥— قسطاكي بك الحمصي (عضو المجمع العلمي العربي)

٣٦ — السيد انيس سلوم (عضو المجمع العلمي العربي)

١٣ — الشيخ بدر الدين النعساني
(عضو المجمع العلمي العربي)

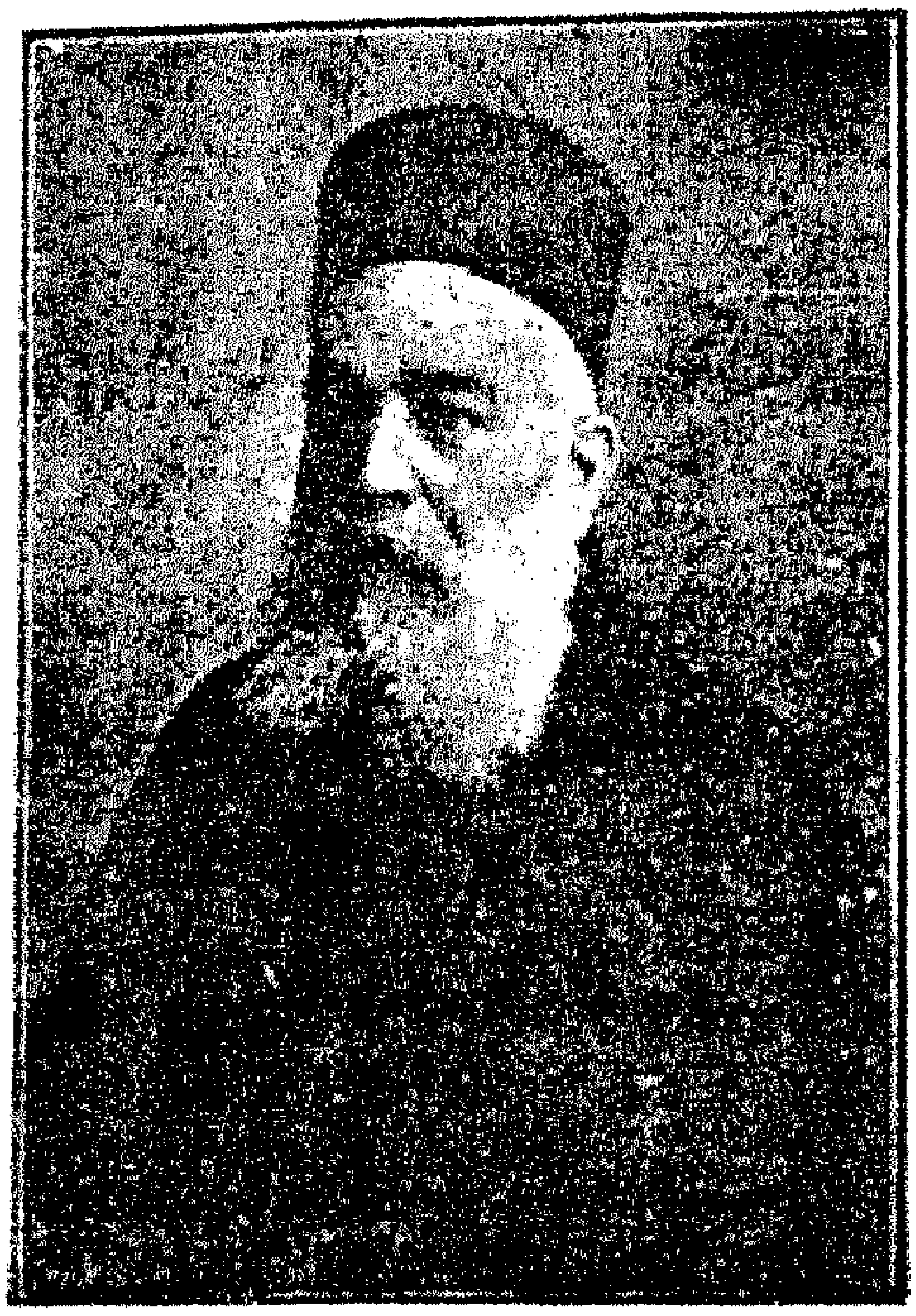

١٤ — المنسنيور جرجس منش (عضو المجمع العلمي العربي)

١٥ — الاب آسين بلاسيوس (عضو المجمع العلمي العربي)

١٦ — احمد شوقي بك (عضو المجمع العلمي العربي)

١ــ الدكتور محمد اجمل خان (عضو المجمع العلمي العربي)

١٨ــ السيد بروكلمان (عضو المجمع العلمي العربي

١٩ــ السيد هورفيتز (عضو المجمع العلمي العربي)

٢٠ــ المسيو ارتور كي (عضو المجمع العلمي العربي

الجزء ٣ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٢٨ م الموافق شعبان ورمضان سنة ١٣٤٦ هـ

علائق الحبشة بالبلاد العربية(١)

« في الجاهلية وفي الاسلام »

(قدم الحبشة واستقلالها) — الحبشة أيها السادة من أقدم ممالك العالم ان لم اقل اقدمها ، وهي الوحيدة بين ممالك الشرق ، التي حافظت الى يومنا هذا على كيانها واستقلالها ، على الرغم من امواج بحور الاطماع الاستعمارية ، التي طالما لاطمتها فألفتها صخرة صلدة انكسرت عليها مياهها المزبدة · دخلها اليونانيون الاقدمون جاليات في عهد بطليوس (Ptolémeé) الثالث ولكن لم يحكموها ، واكاسرة الفرس مع قرب دارهم واتساع ملكهم لم يملكوا يوماً شبر ارض فيها ، وقياصرة الروم الذين دوّخوا الشرق الادنى في آسية وإفريقية لم يتسلطوا عليها ، وغزاهم دراويش السودان اكثر من مرة فعادوا على أعقابهم خاسرين ، وفتحها العرب سنة ١٥٤١ فلم تطل إقامتهم في قلبها ولم يستتب لهم فيها امر حتى أنجد البرتقاليون الأحباش فطردوا الفاتحين ولكنهم ظنوا ان الجو صفا لهم ، فأقاموا نفوسهم مكان العرب ولكن لم تطل مدة استعمارهم ، وفتحها الانكليز عنوةً سنة ١٨٦٨ بجيش جرار مستكمل العدة والسلاح ، ومستوفي الميرة والذخيرة ، ودمرت قنابلهم عاصمتها مكدلا فوق رأس النجاشي ثيوذورس الذي انتحر يومئذ من شدة الغيظ ، ولكنهم لم يأنسوا من نفوسهم بعد ذلك النصر كفاءةً لاستعمار تلك القلاع الطبيعية النائية الدار الصعبة المسالك فاكتفوا من الفتح ان عقدوا

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد عبد الله رعد احد أعضاء المجمع العلمي العربي ألقاها في بهو المحاضرات في السنة الماضية ·

معاهدةً مع خلفه النجاشي يوحنّس واخلوا له بلاده ، وحمل عليهم المصريون حملات متواليات من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٧٦ في عهد الخديو بين محمد علي واسماعيل ، وكانت هذه الحملات انكليزية اكثر مما هي مصرية ، إبتغوا منها فض معضلة النيل ببسط السلطة الانكليزية على أعالي ينابيعه ومجاريه في الأصقاع الحبشية ، وكل حملة كانت تعود بالخيبة على أعقابها بعد تكبدها الخسائر الفادحة في الارواح والاموال ، وحار بهم الطليان فانكسروا شر كسرة في موقعة عدوى سنة ١٨٩٦ ، ولم تجد الالمان دسائسهم واموالهم ومواربتهم السياسية فتيلاً فيما اشرأبت اليه أعناقهم وزينت لهم اطماعهم في ارض الحبش فذهبت أحلاماً تحفر في قلوبهم ، على حد قول راسين شاعر الفرنسيس .

قال فخامة هانري دي‌جوفنيل مندوب فرنسا في جمعية عصبة الامم وعميد الدولة المنتدبة في سورية السابق ، في مقدمة له على كتاب سعادة المسيو بيير آليب « كل فعل نفعله الدول الاوربية تبغي من ورائه بسط لواء سلطتها على الحبشة سواء كان ذلك الفعل مباشرةً او بالدسائس ، انما مصيره الاخفاق » . وقال ايضاً بعيد هذا «لا ننظرن الى المشكلة الحبشية نظرنا الى مشكلة استعمارية بحتة ، ولا نرينّها كباقي المعضلات الافريقية فنحلها بالتجزئة الى مناطق نفوذ تناسب مصالح الحكومات المصاقبة لها ، بل ينبغي ان نحسبها مشكلةً دولية وان نحلها بروح دولية مشتركة » . ولقد قرن القول بالفعل اذ عمل على ادخال الحبشة في عصبة الامم .

على أن الحبشة لم تعش عشرات القرون في عُزلةٍ عن شعوب الارض بل كانت مدى حياتها على اتصال دائم بالامم وخصوصاً بجارتيها العربيتين اليمن ومصر ، اللتين كان لها معها تجارة واسعة . حاربت جيرانها وحاربوها ، كبرت وصغرت ، فتحت بعض بلادهم وفتحوا بعض بلادها ، سنة الله في الامم والشعوب والممالك ، كسنته في الفرد يسعد و يشقى ويفقر ويغنى ولن تجد لسنة الله تبديلا . الا ان كيان الحبشة الاساسي واستقلالها الداخلي والخارجي كانا في كل زمان ولا يزالان الى يومنا هذا أمنع من عقاب الجو . على ان امتزاج الحُبش بالامم الغريبة اثّر في حضارتهم وعوائدهم واديانهم ولغاتهم حتى وفي لون بشرتهم وملامح سحنتهم ايضاً . قال المسيو بيير آليب عن تآليف

(James Bruce و Maurice Delafosse) عن كتب الثقاة من المؤرخين الاقدمين « ان الحضارة الحبشية نشأت في جزيرة العرب فحملها اليانيون الى شرق افريقية منذ عهد بعيد ، ونمت بامتزاجها بالحضارة المصرية » وقال ايضاً بعيد هذا « وانا لنرى الحبشة خلال العصور السالفة يشاركون شديد الاشتراك حياة ذلك الشرق الذي انبزغت لنا منه شمس حضارتنا وانبثق لنا منه نور عقائدنا » (يعني اور بالضمير الجمع) وختم الموضوع بقوله « يستدل من هذا ان الحبشة كانت في ذلك الزمان •شرَعَ المفارق ، اي نقطة الاتصال بين حضارة البلاد المتصلة ببحر الروم ، وبين حضارة البلاد المتصلة ببحر الهند ، وان أقل ما يقال عن الاحباش انهم أمة افريقية لا وجه للشبه بينهم وبين سائر الافريقيين العبيد ، لا في اصلهم ولا في عقليتهم ولا في اذواقهم ولا في تقاليدهم (عني بالتقاليد حضارتهم وعاداتهم وعقائدهم) • ثم تساءل هل هم يا ترى من نسل سام حقيقةً ام من نسل يافث » انتهى •

ونحن نجيبه بالمغزى الذي توخاه هو نفسه من بديع شروحه • ان الحبشة ساميون بلا ريبة ولا شك ، باجماع آراء العلماء والفلاسفة والمؤرخين ، تشهد على ذلك ملامح وجوههم وهي أقرب شبهاً الى النسل الأبيض منها الى العبيد • وبهذا دلالة على ان دماءهم كثيرة الامتزاج بدماء الامم العربية والمصرية • ولم تدعُهم العرب حبشاً الا وعنت بهذه الكلمة صفة الاختلاط في الاجناس الآدمية • تشهد لذلك لغتهم فهي حميرية الاصل كالعربية وفيها الشيء الكثير الذي يشبه لغتنا من حيث الوضع واللفظ والاشتقاق والوزن والاعراب ، حتى ان مئات المفردات من الكلم تفيد نفس المعنى في العربية والحبشية معاً ، منها ما هو حبشي الاصل فصار عربياً فصيحاً كالمنبر والمصحف ومنها ماهو عربي الاصل صار حبشياً كالعين والرأس ومنها ماهو مختلف في حبشية اصوله ام عربيتها والأصح ان يقال فيه ان كلا اللغتين اشتقتاه من الحميرية وهي أم اللغتين الشقيقتين •

* * *

(اديان الحبشة)— اً وثنيتها = دانت الحبشة اولاً كسائر الامم القديمة بالوثنية فعبدت الاصنام وبعض الحيوان والنبات • ومن معبوداتها من الاصنام ما كانت عبادته شائعة عند عرب الجاهلية كاللات والعزّى ويجير وما لم تعبدها العرب كمَعْزرم

و ِمدر ، ومن الحيوان الحية وقد شاعت عبادتها في الحبشة قبل ان يأتيهم دعاة اليهودية الذين هوّدوهم ، ومن النبات بعض الاشجار وهي لا تزال الى اليوم موضع اجلال ونذور عند قبائل الگالا . قال المستشرق الكبير العلامة (Ignacio Guidi) احد أعضاء مجمعنا العربي في محاضرته التاسعة والثلاثين في الجامعة المصرية « تزعم الحبش ان منيلك بن سليمان اول ملوكهم وليس بصحيح اذ الحبش وملوكهم كانوا يعبدون الاصنام مثل مَحْرِم و بحير و ِمدر ثم تنصّر من تنصّر من ملوكهم ، وقد ذكرنا الكتابات الموجودة في قصبة مملكتهم اي اكسوم ونورد الآن بعض سطور من هذه الكتابات تدل على عبادتهم الاصنام قبلاً ثم تنصرهم . واذ كان ايراد هذه السطور انما هو للدلالة على تنصرهم بعد عبادتهم الاصنام لم تكن هناك حاجة الى ذكرها بالحبشية فنكتفي بذكر ترجمتها العربية وهي : « نصبتُ منبراً هنا لمحرم ولبحير ولمدر » ثم في كتابة أخرى : « نصبتُ منبراً لرب السماء الذي أعانني ووهبني المملكة وأسجد له بصدق وانصاف وانا لا أظلم الرعية » فمن هذا يعلم انه ملك نصراني لا وثني لانه في الكتابة الاولى يسجد لصنم ثم في هذه يسجد لرب السماء وهو الله . وهذه الكتابات موجودة الآن في اكسوم » اه .

ومن عجيب ما بقي من اثر عبادة هذه الاصنام ، ان المسيحيين الاحباش ابقوا اسمي بُحيرَ و ِمدر في أسماء الله جل جلاله ، فبحير كان على ما يظهر اله السماء و يقال له بالعربية المشتري (Jupiter) وهو اكبر معبود عند اليونانيين الاقدمين . ومدر كان اله الارض . فيقولون اليوم اكزيْ بُحير و ِمدر اي اله السماء والارض يعنون به الله الخلاق العظيم دون الخليقة من الطواغيت .

٢ يهوديتها = واذ أمها اليهود منذ عشرة قرون قبل الميلاد ، وبعد هذا التاريخ ايضاً ، هوّدوا القسم الاعظم من الحبشة ومنهم الامراء والملوك والناس على دين ملوكهم . وقد أضحت في ذلك الدور شرائع الحبشة الدينية والمدنية صورة طبق الاصل لشرائع مملكة اسرائيل . ودامت على هذا الطراز لا الى دخول النصرانية اليها فحسب ، بل ان معظم حضارتها الحالية ، والشيء الكثير في حفلاتها الدينية والمدنية حتى يومنا هذا ، مقتبسة عن عوائد هيكل سليمان وبلاط ملوك اسرائيل ، من ذلك ان قساقستهم ترقص في

بيعهم كما كان يرقص داود النبي صاحب الزبور وكهنته أمام تابوت العهد ، ضاربين بالدفوف والصنوج وعازفين على المزمار والقيثارة كما كان يفعل كهان اليهود في ذلك الزمان الغابر . وكما كان سليمان الحكيم يجلس على كرسي القضاء ليقضي بعدله المشهور بين رعيته كذلك يجلس النجاشي مرة في كل اسبوع ليسمع بنفسه شكاوي أمته وظلاماتها وينصف بينها المظلوم من الظالم ، وليس لعظيم ولا لامير ولا لاي كان من الحكام ان يمنع احداً من استصراخ الملك في امر قضيته .. والحبشة الى اليوم يطهّرون صبيانهم بالختانة على سنة اليهود اولاً ثم يصبغونهم بماء المعمودية على سنة النصارى .

ولما تنصرت الحبشة ابي بعضهم الا ان يبقى على يهوديته ففروا الى جبال السمن حيث الفوا لانفسهم مملكة صغيرة وملّكوا عليهم فنياس من سبط يهوذا فعرفت هذه المملكة الى اليوم باسم مملكة فلاشا . والى فنياس يمتّ رؤساء الفلاشا اليوم اي انهم يزعمون كالنجاشيين الانتساب الى صلب سليمان الحكيم . على ان استقلال هذه المملكة الصغيرة لم يدم طويلاً وهي اليوم خاضعة لصولجان النجاشي .

٣ً نصرانيتها = في السنة السبعين للميلاد حجّ امين خزائن الملكة يهوديت صاحبة أكسوم الى اورشليم ، ليسجد في الفصح في هيكل سليمان على سنة اليهود ، وكان هذا الوزير حبشي خصياً « ومن الغرائب ان أمناء خزائن النجاشيين اي وزراء ماليتهم ، لا يزالون الى اليوم ينتخبون من الخصيان » واذ كان صاعداً من حجه صادف على الطريق في غزة القديس فلبّس اول الشمامسة وهو من رسل المسيح السبعين ، فتنصر على يده كما روي في فصل أعمال الرسل من كتاب العهد الجديد . واذ بلغ الحبشة بشّر مليكته النجاشية بالانجيل فتنصرت وتنصر معها قوم من المقربين ولكن ما عتّمت الحبشة ان عادت الى يهوديتها بعد موت النجاشية يهوديت وذلك الخصي . حتى كان القرن الرابع للميلاد الذي فيه عمت النصرانية بلاد الحُبش ، وكانت نصرانيتهم على يد شاب فينيقي يدعى (Frumence) ابن اخي الفيلسوف الصوري ميروبيوس الحكيم . وكانت لمجيئه الى الحبشة قصة تخرج تفاصيلها عن ملاك هذه المحاضرة . ومن ذلك العهد دامت النصرانية مذهب النجاشيين ، وان الشعوب على دين ملوكها .

٤ً اسلامها = اول ما دخل الاسلام الحبشة في عهد النبي (ص) اذ هاجر اليها

الصحابة هرباً من الاضطهاد الذي لاقوه في دينهم من قريش وقد أفردنا لهذه الهجرة فصلاً مخصوصاً من هذه المحاضرة . ثم لما برزت العرب من شبه جزيرتهم والتأمت جموعهم بفضل الاسلام اخذوا يبثون الدعوة اليه في البلاد القريبة اليهم وبهذه الصورة انتشر الاسلام بالارشاد والاقناع في انحاء الحبشة الساحلية كبلاد هرر والصومال والدناكل والعدل والواّو والاغاو وسوهو على يد التجار ، فالحبشة كانت ولا تزال الى اليوم كثيرة العلائق التجارية مع البلاد العربية . واذ بعث الخلفاء الراشدون سراياهم وكتائبهم فغزوا البلاد ، ودوّخوا الامم في آسية وافريقية حتى وفي اوربا ايضاً . وقصد المسلمون في هذه الفتوحات التوسع في الملك والتبسط في الاستعمار ، لم يحولوا نظرهم الى الحبشة وهي جارتهم حتى القرن السادس عشر للميلاد . وسأذكر بعيد هذا حديث فتح الحبشة بجيش من مسلمي سواحل شرق افريقية بقيادة الامام احمد .

***

(اصل الأحباش) — ذكر المسيو بيير آليب في كتابه القيم الذي دعاه « مملكة النجاشيين » ورأيه في ذلك رأيُ معظم العلماء الذين بحثوا في مواضيع اصل الامم « ان قوشاً ابنَ ابن نوح عليه السلام ذهب ببنيه وولدهم الى ارض الحبشة عن طريق مصر والسودان فسكنوها وفيها توالدوا ونموا وتكاثروا وملأوها بنسلهم وأعقابهم ، وان أحفاد قوشٍ هم الذين بنوا مدينة اكسوم قبل عهد ابراهيم خليل الرحمان عليه السلام » .

مدينة اكسوم أيها السادة هي اول عاصمة في الحبشة وأقدم مدنها بل قل هي من أقدم مدن العالم . فيها الشيء الجلل من الآثار القديمة ومسلاّت (Obélisques) عجيبة واعمدة ضخمة وأبنية فخمة . فمن هذه الآثار ما عملت فيه أيدي الدهور فحطمته فدرست أجزاء له وبقيت أجزاء مبعثرة . ومنها ما ازدرت بالعصور واعاصيرها ولا تزال الى اليوم اطلالاً . فيها كثير من الكتابات بعضها مسمارية وبعضها حميرية وبعضها يونانيــة وبعضها حبشية . ومن هذه الآثار ما هو أقدم عهداً مما ظن الرحالون الذين رأوها ويرجع تاريخها على الاصح الى عهد نجم الكلب المعبر عنــه عند المؤرخين الأقدمين باسم (Constellation du Chien) . وأجمل ما يشاهد بين هذه

الآثار معبد عريق في القدم وفي وسطه عرش ضخم مهيب مصنوع من صخر الرخام المحبب المعروف بالغرانيت ، وعلى زواياه الاربع أعمدة مربعة الشكل . المعبد والعرش الذي فيه محفوظان الى اليوم جد الحفظ ، فالمعبد قُلع منه الصنم الذي ربما كان فوق العرش وحوّل كنيسةً يحج اليها الاحباش باحترام وتقى وهم يزعمون ان فيها لوحي الشريعة اللذين أنزلهما الله جل جلاله على موسى الكليم عليه السلام مكتوباً عليهما الكلمات العشر . ويروون ان هذين اللوحين المقدسين نُقلا الى الحبشة عندما خرب البابليون اورشليم وهيكل سليمان . ويزعمون ايضاً ان هذا العرش هو الذي جلس عليه منيلك الاول بن سليمان الحكيم من ملكة سبا ، لذلك قضت التقاليد الحبشية ان يذهب كل نجاشي جديد ويجلس على هذا العرش عندما يصلّي على رأسه الاسقف ويلبسه التاج .. مثل هذه التقاليد كثيرة في تواريخ الملوك . أذكر لكم على سبيل المثل سلاطين بني عثمان فكانوا يقلدون السيف في جامع محمد الفاتح وملوك فرنسا فكانوا يتوّجون في كاتدرائية (Reims) .

اما تسمية الحُبش بهذا الاسم فقد أجمع العلماء على انها مشتقة من قوش التي صارت بالنحت «حُبش» على توالي الازمان واللغات . وتسميتها (Abyssinie) بالافرنسية وباقي اللغات اللاتينية فانما هي تحريف عن كلمة حبشي اخذاً عن كتب البرتقاليين الذين استعمروا بعض أقاليمها او بالحري هيمنوا على مقدرات هذه الاقاليم مدةً ما واضعينها تحت حمايتهم . فالبرتقاليون يعبّرون في كتاباتهم عن حرف الشين بحرفي s (ss) فكتبوا حبشي (Abessin) وهم يلفظون أبشين فقرأها غيرهم من الافرنج بلفظ السين المشددة اي أبسين ومنها اشتقوا (Abyssin) و (Abyssinie) . وزعم لبعض المؤلفين ان هذه الكلمة مشتقة من اللاتينية (Abissus) وتعريبها الهاوية قالوا بما في الحبشة من الاودية والوهاد ولكن هذه الرأي نبذه العلماء .

. ولها اسم آخر (Ethiopie) . وهذه الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين وهما (Aitho) وتعريبها أحرقُ و (Pso) الوجه ، قالوا لسواد وجوه قاطنيها . وقد دعتها بهذا الاسم الجالية اليونانية التي رحلت اليها في عهد القيصر بطليموس

(Ptolémée III Evergète) وهذه التسمية لا تزال الاعم الى اليوم والمستعملة عند الحبشة انفسهم .

***

(اول علائق الحبشة بالبلاد العربية) — رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد سليمان الحكيم . هي الرحلة التي ذكرتها الكتب المنزلة فضلاً عن تواريخ الاقدمين وقصص القصاصين . القرآن الكريم والتوراة المقدسة والانجيل الطاهر أتوا على ذكر رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد الحكيم سليمان بن داؤود اي منذ نحو ثلاثين قرناً . تآليف عديدة شرقية وغربية ملأى بالغرائب عن هذه الملكة ذات الاصل الغامض والحكايات السحرية كأنها قصص الجن . من كانت هذه الحورية اوالجنية التي افاضت الاقاصيص بوصفها جعلوا لها بشرة كالنحاس وعينين حمراوين كالعقيق ؟ أكانت حبشية ام يمانية ؟ أيهودية كانت ام مجوسية ؟ تضاربت في ذلك آراء المفسرين فمنهم من قال ان سبأ (بالسين) او شبأ (بالشين) كانت مدينة في اليمن على عهد الحميريين ومنهم من قالوا بل كانت مدينة في شرق افريقية . قال فيها الدكتور (Mardrus) الافرنسي في كتابه الذي عنونه «ملكة سبا» .... واما تلك الملكة الآسيوية التي حام سر ذكرها فوق العقول والادمغة فان اسمها عند الشرقيين بمثابة صورة مقدسة باسلاك ارجعة : ذكرها في السورة الرابعة والثلاثين من القرآن الكريم (وهي سورة النمل) وذكرها في التوراة العبرانية المقدسة بلغة شعرية مقدّمة وذكرها في الانجيل الطاهر في الاصحاح الثاني عشر من بشارة متى ودام ذكرها في سلالتها وهي الأسرة المالكة في الحبشة » . انتهى .

على ان الآراء وان تضاربت فملكة سبا التي رحلت لتسمع حكمة سليمان بن داؤود النبي ملك يهوذا كانت بلا شك حبشية ، لان الاقدمين كانوا يسمون حبشة جميع البلاد التي ماوراء مصر آسيوية كانت ام افريقية ، يوم اذ كانت سلطة النجاشيين شاملة تلك البقاع حتى أواسط إفريقية ، واذ كان البحر الاحمر خليجاً قائماً في وسط تلك المملكة الواسعة الارجاء . قال سترابون : « الحبشة اسم تعرف به الارضون

الممتدة في الشمال » وذكر هوميروس صاحب الالياذة « ان الحبشة تمتد من البحر الى البحر » اي من بحر الهند الى بحر الظلمات او الاوقيانس الاطلنطي ٠

واذا تحرينا أقدم الروايات في تفاصيل رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ، وجدناها في كثير من المخطوطات الحبشية القديمة الموجودة الآن في بعض المتاحف الاوربية ، وأهمها المحفوظة في الـ (Bibliothèque Nationale) وهي المكتبة الوطنية في باريز ، وفي الـ (British Musénm) وهو المتحف الانكليزي بلوندرة وفي قصر آل (d'Abbadie) في شمال فرنسة ٠ ومن هذه المخطوطات كتاب كَبْرا نَكَسْتْ (وتعريبه عظمة الملوك) يرجع تاريخه الى القرن الرابع قبل الميلاد وقد نشره بالطبع العلامة المستشرق (wales Budge) حافظ العاديات المصرية والاشورية في المتحف البريطاني ٠

رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ايها السادة ، وقيعة تاريخية لاجدال بصحتها ، ولكن في المخطوطات التي روت تفاصيلها اوهام ومغالاة وغرائب تحتاج الى الاثبات ، وأعجبها رواية لم تنوّه بها الكتب المنزّلة التي جاءت على ذكر هذه الرحلة ، وليس لها أسناد أخرى في كتب قدماء المؤرخين الذين دوّنوها ، وهي : ان بلقيس كما دعاها العرب عن التقاليد الاسيوية او ميقادي كما يدعوها الاحباش عن مخطوطاتهم القديمة أعجب حسنها الحكيم سليمان فاتخذها بين زوجاته وولد له منها ولد سماه منيلك ٠ فلما شب هذا الغلام أرسله ابوه ملك العبرانيين الى الحبشة بحاشية كبيرة من رجاله فنزل عاصمتها اكسوم وادخل الدين اليهودي وكانت الوثنية شائعة في تلك البلاد وخصوصاً عبادة الحية ٠

الاحباش مقتنعون كل الاقتناع بهذه الرواية ، وهم ينزّلونها منزلة الصحة التي لا ريب فيها ، و يقولون ان ابن سليمان هذا هو منيلك الاول ومن صلبه تسلسلت ملوكهم من ثلاثين قرناً الى اليوم ٠ لذلك فاخر النجاشيون بهذا الحسب والنسب وكلهم ادعوا المتّ اليه من بُعد النسب بين العاهل والآخر ولقبت الأسرة المالكة بالاسرة السليمانية ، وملوكها بالقاب مختلفة فيها صبغة الارث وصيغته عن جدهم الموهوم سيدنا سليمان ٠ فكان النجاشي نقلا ًهيمانوت مثلاً يلقب بعظيم ملوك الناصرة و بسليل

النبيين داؤود وسليمان ، والنجاشي يوحنّس بملك صهيون ، والنجاشي منيلك الثاني بابن سليمان بن داؤود حسب الجسد و بالاسد الظافر من سبط يهوذا ، وغيرهم من النجاشيين بما ضاهاها من الالقاب ٠

انا ممن لم يقتنعوا بصحة هذه الرواية وأميل الى رأي القائلين بان هي الا خرافة لفقها قدماء الاحباش فتناقلتها عنهم الاحقاب وجعلتها عقيدة وطنيـة راسخة ٠ ولذ لا بد لها من أساس وهو دخول الدين اليهودي الى الحبشة من قديم الزمان ، فاظن الاساس الذي بنوا عليه هذه الخرافة التاريخيـة هو هرب بعض اليهود الى الحبشة في ثلاثة أوانٍ مختلفة عريقة في القدم : اولاً عندما تغلب ملك اشور على مملكة اسرائيل الشمالية سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وسبى اهلها ، ثانياً عندما افتتح بختنصر ملك الكلدانيين القدس وخربها سنة ٥٨٦ قبل الميلاد وهدم هيكل سليمان ولم يبق على عموم سكان مملكة يهوذا الجنوبيـة واجلا الاحياء منهم الى بابل ، والثـالث عندما ناوأ ملك فلسطين انتيخوس ابيفانوس اليهود العداء واضطهدهم سنة ١٧٤ ٠ وفي هذه الاوان التاريخية الثلاثة جلا كثير من اليهود الى مصر والسودان وسائر النواحي وخصوصاً الى البلاد العربية كالشام والعراق والحجاز واليمن ولا يبعد ان قسماً من هؤلاء وخصوصاً الذين هاجروا الى مصر العليـاء والسودان جاوزوها الى الحبشة عن طريق العطبرة واقاموا فيها فان مناخ الحبشة الجبلي خير من مناخ بطائح السودان ٠ والله اعلم ٠

* * *

(ذكر احتلال الحبشة اليمن) — قامت في اوائل القرن السادس حرب بين ذي نواسٍ صاحب الأخدود وعربه وهو تبّع يهودي وبين عرب نجران النصارى وذلك بان طمع ذو نواس بقبة نجران ولم تكن لليهود كعبة في اليمن فأراد اعلاء دينه بتحويل قبة نجران الى كعبة يهودية ٠

قال ابن الاثير فسار ذو نواس بجنوده الى اهل نجران ودعاهم الى التهوّد وخيّرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل فمثّل عندئذ بهم وأفنى منهم قريباً من عشرين الفاً بين قتل بالسيف واحراق بالنار وخرب كعبتهم ٠ فأفلت منهم رجل يقال له دَوس ذو ثُعلُبان وهرب على فرس له فسلك الرمل ومضى على وجهه حتى اتى قيصر ملك

الروم (يقول المؤرخون ان هذا القيصر كان يوستنيوس الاول) فاستنصره على ذي نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم . فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك . وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره . فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه النجاشي ٧٠ الفاً من الحبشة « يقول المؤرخون الاحباش ان هذا الحادث وقع في زمن النجاشي كالب او خالب وبعضهم يقولون خالب الاصبهان » وامّر عليهم قائداً يقال له ار ياط ومعه في جنده ابرهة الاشرم . فركب ار ياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان فلما أحس ذونواس استنجد الأقيال فلم ينجدوه وقالوا يدافع كل منا عن بلاده . فسار اليه بمن أطاعه من قبائل اليهود . فلما التقوا انهزم ذونواس واصحابه مقهورين ولحقت بهم الحبشة وأعملت السيف فأفنت ثلثهم واحتل ار ياط اليمن واقام بها وخرب قصورها وأذل اهلها . فلما رأى ذونواس مانزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل به وخاض ضحضاح البحر حتى أفضى به الى غمره فأدخله فيه وكان آخر العهد به . انتهى عن ابن الاثير .

وفي رواية أخرى ان الحبشة لما نزلوا بساحل اليمن ولم تنجد الاقيال ذانواس ، صنع مفاتيح وحمّلها على عدّة من الابل ولقي الحبشة وقال : هذه مفاتيح خزائن الاموال باليمن فهي لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية ، فأجابوه الى ذلك وساروا معه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجّه أصحابك لقبض الخزائن فتفرق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقيال بقتل من يفد عليهم ففعلوا ولم ينج من الحبشة الا القليل فلما سمع النجاشي جهّز حملة أخرى بقيادة ار ياط وابرهة فأنجدت الحملة الاولى وانزلت البلاء بذي نواس وقتلت ودمرت وأحرقت واستولت على اليمن واستعمرتها . قال في ذلك ذو جدن الحميري :

هوّنك ليس يردّ الدمعُ مافاتا لا تهلكي أسفاً في اثر من ماتا
أبعد بينونَ لا عين ولا اثر وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

بينون وسلحين هما كغُمدان من قصور اليمن التي هدمها ار ياط .

قال ابن هشام : وهذا الذي عنى سطيح الكاهن بقوله لربيعة ليهبطن ارضكم الحبش

وليملكنّ ما بين ابينَ الى جرش • والذي عنى شقٌّ الكاهن بقوله لينزلنّ ارضكم السودان ولتملكنّ ما بين ابينَ الى نجران •

قال ابن اسحق : فأقام ارياطُ بارض اليمن بعض السنين في سلطانه ثم نازعه في امر الحكم ابرهة الحبشي حتى انحازت الحبشة الى كل واحد منهما طائفة • ثم سار احدهما الى الآخر برجاله فلما تقارب الناس ارسل ابرهة الى ارياط انك لا تصنع بان تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئًا ، فابرز اليّ وأبرز اليك فأينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده • فقبل ارياط بذلك وكان رجلاً عظيماً طويلاً فخرج ، وخرج اليه ابرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً وخلفه غلام يمنع ظهره • فرفع ارياط الحربة وضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفته فبذلك سمي ابرهة الاشرم • وحمل الغلام على ارياط من خلف ابرهة فقتله فانصرف عند ذلك جند ارياط الى ابرهة واجتمعت عليه كلمة الحبشة باليمن فحكمها •

فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضباً شديداً وقال عدا على اميري فقتله بغير امري ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته • فحلق ابرهة رأسه وملأ جراباً من تراب اليمن وبعث به الى النجاشي وكتب اليه : ايها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك ، فاختلفنا في امرك وكلٌّ طاعته لك ، الا اني كنت أقوى على امر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه • وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من ارض اليمن ليضعه تحت قدمه فيبرّ قسمه فيّ • فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى يأتيك امري فأقام ابرهة باليمن •

قال ابن اسحق : ثم ان ابرهة بنى القُليس بصنعاء والقليس هي الكنيسة التي اراد ابرهة ان يصرف اليها حج العرب وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها • ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب • فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النسأة من بني فُقَيم من مضر اسمه الكناني • والنسأة هم العرب

الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيُحلّون الشهر من الاشهر الحرم ويحرّمون مكانه الشهر من اشهر الحل ويؤخرون ذلك الشهر وهم ضربٌ من الخائنين قال ابن اسحق فخرج الكناني حتى اتى القليس وأحدث فيها ما يغضب الحبشة وفرّ فلحق بارضه . فأُخبر بذلك ابرهة فقال من صنع هذا فقيل له رجل من العرب من اهل هذا البيت الذي تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليَسيرَنّ الى البيت حتى يهدمه ، وكان ذلك باعثاً لقيام ابرهة على عرب الحجاز بحرب دامت شهوراً وتعرف بحرب الفيل اوعام الفيل لان ابرهة سار فيها بجنده راكباً فيلاً . وقد كان دليله رجل من عرب ثقيف من الطائف يدعى ابا رغال . وذلك بان عرب ثقيف اصحاب الكعبة اليمانية في الطائف التي كانت تنافس الكعبة الحجازية بمكة ارادوا هدم هذه الكعبة ليخلو لهم الجو فأرشدوا ابرهة الحبشي على الطريق . وقد مات ابو رغال على مقربة من مكة فرجمت قبره العرب وهو القبر الذي لا يزال يرجمه الناس بموضع يقال له المغمّس على ثلثي فرسخ من مكة على طريق الطائف .

ويروى ان ابرهة لم يوفق في هذه الحملة على نيل مرامه وعاد الى اليمن دون ان يمس البيت بسوء . ولما مات ابرهة مَلكَ اليمن ابنه يكسوم وبعد موته خلفه اخوه مسروق بن ابرهة . واساء الحبشة السيرة في اهل اليمن واشتد عليهم البلاء فقام سيف بن ذي يزن الحميري وطرد الحبشة من اليمن بمعاونة كسرى انوشروان وملك البلاد . وكانت مدة ملك الحبشة في اليمن اثنتين وسبعين سنة . وبذلك تمت نبوءة سطيح الكاهن اذ قال لربيعة بن نصر « بل ينقطع (يعني ملك الحبشة على اليمن) لبضع وسبعين يمضين من السنين » ونبوءة شق الكاهن اذ قال « ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شأن » واذ سأله ربيعة من هذا العظيم الشأن قال « غلامٌ ليس بدنيٍّ ولا مُدنٍ يخرج من بيت ذي يزن » .

« للبحث صلة »

تاريخ او اسطورة ؟

« ظفرنا في الجزء الثامن عشر من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر في تراجم من اسماؤهم (يحيى) بهذه الرواية من خبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأحببنا إطراف قراء مجلتنا بها خصوصاً وهي منقولة من مخطوط نادر من مخطوطات دار الكتب بدمشق » .

يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي البلقاوي ، روى عن زيد بن اسلم ، روى عنه ابو طاهر موسى بن محمد الانصاري المقدسي ، أخبرنا ابو محمد بن الاكفاني ، نا [1] عبد العزيز الكتاني ، انا عبد الوهاب بن جعفر ، انا محمد بن عبد الله بن احمد الربعي الحافظ ، حدثني ابي ، حدثني محمد بن خليد الحلبي ، نا موسى بن محمد بن طاهر الانصاري ، نا يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي من اهل البلقاء عن زيد بن أسلم عن ابيه قال : كان عمر بن الخطاب كثيراً ما يحدثنا عن أخبار الجاهلية واهلها ، و يقول : الاجل حصن حصين ، وكهف منيع ، ولقد أتت عليَّ احوال مهلكات ، نجوت منها سالمًا ، وكنت من أشد الناس إقداماً على ما يعجز عنه كثير من الناس ، من الدخول على الملوك ومباشرة الحرب ، حتى اني ونفراً من أقراني من قريش دون العشرة ، أقدمنا على مائة رجل من ذوي البأس في بعض طريق الشام ، وقد اجمعوا للقاء أقران لهم ، فهجمنا عليهم ضحى ، فواقفناهم حتى ذهب النهار ، وجاء الليل ، فتحاجزنا وما ظفروا منا بشيء ، وافترق أصحابي بعد ذلك فرقتين ، فكنت في أقلهم عدداً ، فأقمت انا ومن صار معي منهم بمكاننا ، وغدا الآخرون عنا يريدون البحر ، فذهبوا الى الساعة ، فانعلم لاحد منهم خبراً ، وانطلقنا نحن الى الشام ، فقضينا امرنا ، فلما هممنا بالانصراف ، طعن رجل من أصحابي فمات ، وسرت انا وواحد منهم لم يبق معي غيره ، فلم ننتصف الطريق بنا حتى غشينا في ليلة ظلمة سبع فاختطفه وبقيت وحدي ، فأتيت مكة فأقمت بها اياماً . ثم توجهت لبعض الامر ، فبينا انا اسير تغولت [2] لي الغول ، فقالت لي : اين تعمد يا ابن الخطاب ، فقلت : وما عليك من ذلك ،

(١) التزمنا الرسم المصطلح في كتب الحديث من ذلك ان (نا) منحوتة من حدثنا و (انا) من أنبأنا . (٢) تغولته الغول أضلته عن المحجة .

فاستدار وجهها حتى صار من ورائها ، فرفعت السيف فأضرب ما بين كتفيها وعنقها ، وانطلقت حتى قضيت حاجتي ، وحدثت نفسي ان لا آخذ في ذلك الطريق فأتيت على المكان الذي وقعت بالغول فيه فلم ار لها اثراً .

فبينا انا اسير اذ سمعت صياحاً قد علا ولا ارى احداً ، فما راعني ذلك ولا استوحشت له وسرت حتى أتيت مكة ، وكان الناس يكثرون ذكر النعمان بن المنذر و يصفون اكرامه من يأتيه من قريش ، فتوجهت نحوه حتى أتيت اليه ، فوجدته جالساً في مجلس عظيم وقد كثر الناس فيه فجلست حيث انتهى بي المجلس ، فبينا انا كذلك اذ سمعته يدعو بقوس وجعبة فأتي بها ، فنكت السهام بين يديه وجعل يتأمل الناس فاذا رجل قد طالهم وعلا عليهم ، رشقه في اذنه بسهم فانشبه فيه ، وكنت رجلاً طويلاً فلما رأيته فعل ذلك برجلين خفت ان يقع طرفه عليّ فيجعلني ثالثاً ، فتلطفت حتى خرجت ثم عدت الى مكة فلبثت بها حيناً .

ثم بلغني عن ملك من ملوك غسان انه من اتاه من قريش حباه وشرفه ، فلم يمنعني ما شاهدته من النعمان ان توجهت حتى انتهيت الى باب ذلك الملك ، فأمكث اياماً لا اصل اليه ولا يؤذن لاحد عليه ، ثم انه جلس جلوساً عاماً فدخلت في جملة الناس ، فاذا هو جالس في صدر مجلسه ، واذا في وسط داره أسطوانة طويلة واسعة الرأس ، فجعل يتأملها ملياً ، ثم أقبل على جلسائه فقال لهم : أترون انه لو اخذ رجل شاب ظاهر الدم حسن الجسم ، فذبح على رأس هذه الاسطوانة أكان يسيل دمه حتى يبلغ الارض ، فقالوا ما نرى ذلك انها لطويلة ، فأمر برجل توسمه من بين الناس ، وقد نظر اليه على النعت الذي نعته ، فأخذ وأصعد الى اعلى الاسطوانة فذبح فسال دمه حتى بلغ ثلثيها ، وانحدر قليلاً فقال : ما أراه بلغ الارض فلقد كانت به أدمة [1] ، ولعله لو كان ابيض اللون كان دمه اكثر ، ثم تأمل الناس فلحظني بطرفه فظننت انه سيأمر بي ، ثم أجال طرفه وغفل عني ، فتلطفت حتى خرجت فعدت الى مكة ، فمكثت بها حيناً .

---

(١) السُّمرة .

ثم توجهت في تجارة الى الشام في رهط من قريش ، فيهم ابو سفيان بن حرب وكان مقصدنا غزة ، فلما اتيناها وجدنا أسواقها قد تصرّمت وبقيت بضائعنا ، فقيل لنا لو اتيتم دمشق لاصبتم بهـا حاجتكم ، فانطلقنا اليها حتى اتيناها فتسوقنا وبعنـا واشترينا ما يصلح لبلادنا وخرجنا نريد طريق بلادنا ، فلما سرنا غير بعيد عرضت لي حاجة فحللت إزاري فاذا فيه صرة ذكرتها حين رأيتها فيها شيء من الذهب ، كانت امرأة من نساء قومي دفعته اليّ وسألتني ان ابتـاع لها به بزاً وما اشبه ذلك ، فقلت لاصحابي انظروني بمكانكم الى ان انصرف اليكم فقـد عرضت حاجة لا بد من العودة فيها الى دمشق ، فأخبرتهم بامر المرأة فقـالوا نحن نقيم عليك فلا تحبسنا ، فرجعت حتى أدخلها مساء فأتيت فندقاً بها ، فنزلته لأبيت فيه وأصبح على حاجتي ، فاني لنائم أتاني رجل حسن الصورة مكتهل فحركني برجله ، ففتحت عيني . فقال لي : من اين انت فقلت : انا رجل غريب دخلت في حاجة . فقال : انطلق معي الى منزلي . قال : فنهضت معه الى منزله فأحسن ضيافتي وبت عنده خير مبيت ، فلما أخذت مضجعي قام يصلي الليل كله حتى أدركه الصبح ، ثم أقبل علي فقـال : لا تخرج الى السوق حتى اخرج معك فتقضي حاجتك . قال : وكان من يخرج الى الاسواق يحرز متاعه مخـافة ان يختطف . قال : وأدرك الرجل النوم لسهره الليل كله ، فكرهت ان اوقظه وخفت ان احتبس انا عن اصحـابي ان انا انتظرته حتى يستيقظ ، فبادرت فأتيت السوق فاذا اكثر اهلها لم يأتوا ، فوقفت أترقب وانا في ذلك أتأمل الناس فاذا ببطريق[1] من بطارقة الروم قد أقبل ومعه جماعة من الاعوان ، فرآني على تلك الحال فعلم اني غريب . فقـال لاعوانه : خذوا هذا فنعم خادم الكنيسة هو ، فأخذوني فانطلقوا بي الى كنيسة لهم فيها بناء قد استهدم ودفعوا اليّ مرّاً . فقالوا : اهدم ، فظللت يومي كله أعمل في ذلك حتى أمسيت فخلوني ، فرجعت الى الفنـدق الذي كنت فيه اول الليلة الماضية وانا بحـالة سيئة ، فبينا انا جالس فيه اتاني الرجل الذي كان أضافني فقال : اين كنت وما كان من امرك ، فاخبرته فقال : الم اوصك لا تخرج الى السوق الا معي . فقلت : انك بت تصلي فأصبحت تعبان واعجلني الامر

(١) البطريق القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وورائي اصحابي ينتظرونني وكرهت ان أعجلك من منامك . فقال : انطلق الآن معي ، قال : فصار بي الى منزله فأحسن ضيافتي ، وأوصاني ان لا أصنع كما صنعت ولا أخرج الا معه ، واخذ في صلاته كما فعل في الليلة الماضية حتى اذا بان الصبح ونام خالفته ، فخرجت الى السوق فاذا البطريق قد غشيني ، فقال لاصحابه هذا صاحبنا بالامس فخذوه ، فأخذوني حتى أوقفوني على موضع الهدم واعطوني المر ، فما زلت أهدم حتى انتصف النهار واشتد الحر وخلا الموضع فجلست استريح في ظل بعض تلك الحيطان ، فماشعرت الا وقد هجم عليّ البطريق فعلاني بسوط معه حتى اوجعني وقال: أتركت العمل وجلست ؟ قال عمر : فأبلغ مني فعله ، ونظرت عن يميني وعن شمالي فاذا ليس احد غيري فاجتذبته جذبة فسقط عن دابته الى الارض ، ثم ضربت هامته بالمر حتى فلقتها وهو في ذلك يصيح و يستغيث فلم يسمعه احد ، فطرحت عليه من ذلك الهدم وخرجت من المدينة هارباً لا التفت ورائي حذراً من الطلب ان يدركني ، وقصدت غير الطريق الذي فيه اصحابي ، فلما ابعدت من المدينة لحقني رجل من الروم يسير في بعض امره ، فكلمني بلغته فلم اعرفها ، واسترابي بي وألح في مخاطبتي بما لا اعلمه وانا أخاطبه بما لا يعلمه هو ، ثم أومأ بيده الى سيفه ليسله فبادرته فغلبته عليه وصرعته عن بغلة كان عليها وضربته حتى قتلته ، وندرت البغلة فذهبت واخذت حتى وصلت الى دير فيه جماعة من النصارى فدخلته فلما رأوني اطافوا بي وسألوني عن حالي فأكتمت عنها وقلت : بما يعرف ديركم هذا قالوا : بدير العدس . وانطلقوا الى أسقفهم فعرّفوه خبري فأتاني فلما تأملني قال : اني لأرى وجه خائف فقلت : وما ترى من خوفي فقال : كن كيف شئت فقد أمن الله خوفك ، ولا مكروه عليك ، اذ قد وصلت الينا ، وانزلني في بيته واحسن ضيافتي ، ثم سألني من انا وممن انا فأخبرته وهو يتأملني ويعيد مسألتي ، وبت عنده فلما اصبحت قال لي : ما تشاء المقام ام الرحيل ؟ فقلت : بل الرحيل فاذا هو قد جاءني بحمارة له قمراء [1] ذات لحم وشحم فأوكفها [2] وحملها خرجين

(١) القمراء ما لونه القُمرة يقال حمار اقمر واتان قمراء والقمرة لون الى الخضرة وقيل بياض فيه كُدرة . (٢) اوكفه شد عليه الاكاف كآكفه .

فيها طعام وطُرف وتُحف وقال لي : اركبها وانطلق فانك لن تأتي على احد من النصارى فيراك عليها الا احسن ضيافتك وحفظك واكرمك وجوزك ، ثم اخذ بيدي فخلا بي من وراء الدير فقال لي : يا عمر قد وجب حقي عليك فقلت : اجل فقال : وانت رجل من قوم كرام ولي اليك حاجة فاقضها فقلت : اذكرها واني لاعجب ان يكون لمثلك الي مثلي حاجة وانا رجل غريب على الحال الذي ترى فقال : اني رجل عندي علم من الكتاب وقد تفرست فيك، ولن تنقضي الايام حتى يتغير ماعليه الناس وينتقلون الى حالة أخرى، وتلي انت هذه البلاد وينفذ امرك وحكمك فيها وفي اهلها ، واخرج من كمه دواةً وصحيفة فقال : حاجتي ان تكتب لي كتاباً يكون في يدي باسقاط الجزية عن هذا الدير ومن يسكنه فقلت : ماكنت أراك تهزأ بي فقال : وما كنت اراك تسيء بي الظن ، والذي انزل الانجيل على عيسى بن مريم ان الامر لحق كما قلت لك فاكتب لي بما سألتك قال : فكتبت له بما سأل وانطلقت فما اتيت على قوم من النصارى الا ضيفوني وجوزوني وارشدوني الطريق وشيعني بعضهم الى بعض حين رأوني على حمارة الاسقف حتى انتهيت الى تبوك فاذا اصحابي نزول على رُكيٍّ[1] فلما رأوني نهضوا اليّ ومسروا بورودي عليهم وقالوا : يا ابن الخطاب حبستنا بالمكان الذي خلفتنا فيه ثلاثاً . ثم لما يئسنا منك سِرنا وبنا منك همٌّ شديد ، فما كان من شأنك فأخبرتهم خبري غير الذي قاله لي الأسقف فاني لم اذكره لهم لضعفه كان في نفسي . وقال لهم ابو سفيان حين رآني راكباً تلك الحمارة : اما ترون هذا الفتى وإقبال امره انه منذ نشأ لو عمد الى حجر لانفلق له عن رزق قال : وكان الأسقف قد اوصاني اذا انا وصلت الى اصحابي واستغنيت عن الحمارة جعلت رسنها في احد جانبي الخرج وأشد الخرجين عليها شداً متقناً وادعها بمكانها حيث كانت ففعلت بها ذلك . فقال لي ابو سفيان : ما هذا فقلت : ما ترى فقال : تدع حمارة مثل هذه معرضة للصوص والسباع فقلت : بهذا امرني صاحبها وهو اعلم بشأنها مني قال : فسمي ذلك الموضع والركي الذي فيه ركي الأتان .

---

(١) الرُّكيّ جمع ركية البئر ذات الماء .

وسرنا حتى اتينا مكة ودار في نفسي ما سمعته من كلام الأسقف فأسررت ذلك الى حاضنة لي ذات فهم وعلم فقالت لي : ياابن الخطاب فاني لم ازل اتوسم فيك الخير وانت صغير وذاك اني رأيتك يومئذ فيما يرى النائم وانت تطول حتى لم استطع النظر الى وجهك لطولك ، ثم مددت يدك اليمنى فنلت بها السماء فقلت في منامي : ما بال ابني فقال لي قائل : انه سينال خير الدنيا والآخرة قال : ونحن في جاهلية لا نعرف معنى هذا الكلام . وكان بمكة رجل من اهل الكتاب يخفي امره و يكتم شأنه ، الا ان اكابر قريش يعرفونه و يكرمونه وربما شاوروه في الامر يحدث لهم . فطرقته نصف النهار ودخلت عليه فقلت له : أغلق الباب فان لي بك خلوة ففعل . ثم قلت : اني اذكر لك حديثين وأسرهما اليك فلا تخبر بهما احداً فقال نعم : فقصصت عليه ما قال الأسقف بدير العدس وبما اخبرتني به حاضنتي من الرؤيا فلما فرغت اقبل عليّ فقال : يا ابن الخطاب اما ماذكره الأسقف فهو اليوم اعلم من بقي على وجه الارض من النصارى وما أخبرك الا بالحق ، واما الرؤيا فانه سيحدث بمكة عن قريب امر يتغير به جميع ما ترى ، وقد اظلّ ، فاذا رأيت اوائله ياابن الخطاب فأتني فان فيه مصداق مااخبرك به الأسقف فقلت : وما هو فقال : لن يخفى عليك فاول امر تراه يحدث فهو هو قال : فانصرفت من عنده وانا أتوقع ماقال . فمات بعد ايام وظهر من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء تحدث به قوم من قريش وجعلوا يتذاكرونه بينهم على سبيل الهزوء فقلت في نفسي : لئن كان هذا حقاً لهو الذي اخبرني به الرجل الكتابي . ولم يزل ذلك يقوى حتى أظهر الله الاسلام قال : اسلم فلما كان في خلافة عمر توجه الى الشام فأتاه شيخ كبير ومعه جماعة من النصارى حين نزل عمر الجابية فسلم عليه وقال : ما تعرفني يا امير المؤمنين فقال : ان كنت صاحبي بدير العدس فاني اعرفك قال : انا هو فقال عمر : فان عهدي بك وانت مكتهل وقد بلغت الآن هذه الحال . وقد اتى الله جل اسمه بالاسلام فما يمنعك من الدخول فيه وانت رجل من اهل الكتاب . وقد كنت اخبرتني بشيء فرأيت من نبائه مااستدللت به على انك من علمائهم ، عندي في ذلك مقول لا احفظه . ثم اظهر الكتاب الذي كان عمر كتبه له يوم نزل به فعرفه عمر وقال : ما تسأل قال : اسأل ان تمضيه لي فقد تقدم به امرك ووعدك .

فقال : انا يومئذ كنا واياكم على حال قد علمتها • وقد ازالها الله وجاءنا بغيرها • ولا بد من احد امرين اما الخراج واما الضيافة • فاختار الضيافة فألزمهم اياها عمر وأسقط عن ديره الخراج على ان عليهم ضيافة من نزل هذا الدير من المسلمين اذا كان عابر سبيل ثلاثة ايام يطعمونهم ما يحل لهم من اوسط طعامهم وكتب لهم بذلك كتاباً وقال عمر : ما اعرف لاحد عندي يداً منذ كنت حتى منّ الله عليّ بالاسلام غير هذا الرجل ، يعني ما كان صنعه به أسقف الدير • وعرض عليه المكافأة من ماله فلم يقبلها • وانصرف الى موضعه واصحابه راضين بما ألزمهم عمر من ضيافة المسلمين اه •

الادب في البحرين

« في فاتحة القرن الحادي عشر »

— ٢ —

(أسلوبه) • — ليس لشاعر الخط أسلوب خاص في صناعة الشعر بل كان ناسجاً فيها على منوال من تقدمه من فحول الشعراء واعظم من حذا حذوه منهم هو الشريف الرضي فارتفعت باحتذائه مرتبة شعر ابي البحر عن شعراء البحرين ، ولكن الشريف لبث في سمائه محلقاً صافّاً ، وابو البحر تجده صفّاً دافّاً • والمقابلة بين الشعرين لا تجشم صاحبها الا عناء المقابلة بين الخشلب ودرّ البحرين ، وهو يؤثر الجزالة في القول على السهولة والادباء من اهل بلده يرون ان فخامة الشعر لا تكون الا في الجزل ، وان الركة في الرقة والكلام السهل ، على ان لكل منها مقاماً معلوماً ، وهذا الشاعر الفنويّ يعرب عن رأيه في قصيدة لامية لابي البحر قائلاً : « ونحى فيها منحى الرقة وتساهل في النظم لغرض في نفسه والا فمذهبه في النظم على خلاف هذا » وقد اكثر في شعره من ذكر بلاد البحرين ومنتجاتها من درّ وتمر وغير ذلك مما هو طابع على شعره يعرف بها تاليه ، ولم يعلم قائله بانه شعر بحراني لا شامي ولا صنعاني وذلك من محاسن شعره • والبيان العربي وان كان واحداً الا انه يستعذب ان يكون لكل قطر بيان ذو طابع

خاص كما ان الاذن تستملح لهجات الاقطار العربية المختلفة ولا يخرجها ذلك عن كونها لغة عربية واحدة ٠

لقد بلغ فساد البيان في البحرين مبلغاً جعل مثل الشريف ماجد وهو من كبار أدباء البحرين اذا سمع قصيدة جيدة لابي البحر يلحقها بشعر البحتري وهو امة في الشعر وحده قال الغنوي راويته بعد ان أنشد الشريف ماجداً قصيدته التي مطلعها :

(سلام يغادي جوكم و يراوحه ونشر ثناء تنتحيكم روائحه)

ان الشريف العلامة أعجب بها وألحقها بشعر ابي عبادة الوليد بن ابي عبيدة البحتري وان هذه القصيدة ليست مما يفرق بينها وبين اشعار ابي البحر العادية وليس احد في عصرنا ممن يشق غبار ابي البحر في جودة السبك وجزالة اللفظ وبكارة المعنى وسلامة النظم ٠

احتذى ابو البحر الرضي في داليته التي رثى بها الصابي حينما اراد ان يرثي قاضي القضاة اباجعفر عبد الرؤوف العلوي الموسوي للسنة السادسة بعد الالف ولنقابل بين المطلعين قال الرضي ٠

(اعلمت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النادي)

فقال الخطي :

(كيف الحمام وثبت اي جواد ورجعت ظافرة بأي مراد)

فلو تلا المرء بيت الخطي وحده لقال لا بأس به ولكنه يتضاءل في عينيه اذا ما قرنه بقول الرضي ، وقد اراد ابو البحر ان يعارض المطلع في قصيدته فاستعمل جميع الفاظ الصدر وبعضها في العجز قائلاً :

(اعلمت من حملوا على اعوادهم المجد قد حملوا على الاعواد)

وقال الرضي :

(ثكلتك ارض لم تلد لك ثانياً اني ومثلك معوز الميلاد)

فقال الخطي :

(هيهات ان ولدت له الدنيا اخاً اني وقد عقمت عن الميلاد)

وقد بالغ في هذا الاحتذاء حتى كأنه والسرقة سواء ٠ قال الرضي :

(قلصت اظلة كل فضل بعده وأمر مشربها على الوراد)

فقال الخطي مغيراً على بيت شريفه :

(نضبت موارد كل خير بعده فالورد معتلٌ على الورّاد)

وقال الرضي :

(عمري لقد اغمدت منك مهنداً في الترب كان مخرق الاغماد)

فأخذ الخطي هذا المعنى وتصرف بالالفاظ وقال :

(ومهنداً ابلى الغمود زلاقةً فغدا التراب له من الاغماد)

وقد يغض الطرف عن سرقة الشاعر اذا احسن استعمال المسروق وانست حلاوة نسجه ولطافة نهجه والزيادة في معناه المتممة أسلوب البيت المسلوب ، ولكن صاحبنا ابا البحر انحط في ذلك عن الرضي وكرّر الاغماد فأساء وما أجاد ٠

ان أئمة البيان هم الالي ينهجون في الصناعتين المناهج القويمة ويمتازون عما سواهم بأساليب مبتكرة مستملحة. واما المقلدون فيتابعون أئمتهم في مناهجهم وينحون مناحيهم صنع الوأواء بالاقتداء بالمتنبي ٠ وقد اعتاد الشريف الرضي في قصائد حماسته وفخره ان يصف شجاعة صحبه وصبرهم على المكاره وخشونة العيش وتوسد اعضاد المطايا وملاقاة المنايا كقوله مثلاً :

(ما كنت ارغب عن هيجاء تقذف بي هام المروري واعناق الشناخيب)
(في فتية هجروا الاوطان واصطنعوا ايدي المطايا بادلاج وتأويب)
(من كل اشعث ملتاث اللثام له لحظ تكرره اجفان مدؤب)

فنحى الخطي هذا المنحى بقوله :

(عدوى لو العادي عليه سوى الردى قسماً لكنت عليه اول عادي)
(في فتيـة ضمنت لهم عزماتهم ريّ القنا في كل يوم جلاد)
(طالوا بايديهم عوالي سمرهم فغنوا بهن عن القنا المياد)

ومن طرائق الجاهلية في التعبير عن الفواجع ان يقولوا مثلاً : ما ادماء كانت ترعى وخلفها خشفها فاختطفه اطلس غادر باوجع من الشاعر مهجة يوم بان الخليط ، ومنها القسم بالابل الراقصات اشباه الحنايا الى غير ذلك مما احتذاه الرضي واجاد فيه لشدة اسر كلامه وجزالته وذلك كقوله :

(حلفت بها كقسي النباع تحسب اعناقهن السهاما)

والخطي يقول :

(اما والراقصات كأن وحشاً تندّ بما حملن من الرجال)

يلجأ الى هذه الطريقة اليوم من ينحت من صخر و ينقطع به امد الكلام وتعوزه المعاني الجليلة واما من يغرف من بحر كشوقي ومعروف واتباع المدرسة الادبية الحديثة فقد اقتصروا على التعبير عن عواطفهم الثائرة وتناول الموضوعات والحوادث الاجتماعية التي تحدق بامتهم فهم الذائدون عن حياضها والمتعاونون على إنهاضها ٠

قال عشيره الغنوي : وكان كثيراً ما يعجبه شعر ابي نواس في الخمريات فربما تعرض لمجاراته فمنه ما قاله في سنة الف وهو غلام مجيزاً له :

(دع عنك لومي فان اللوم اغراء)

(وليلة بت تجلو لي حنادسها مدامة كدم المذبوح حمراء)

(كالنار والماء ان شبت وان لمست وفي الحقيقة لا نار ولا ماء)

(شمطاء عذراء في دن وفي قدح فاعجب لها وهي شمطاء وعذراء)

(كأنها في الدجى والزق يقذفها يرق له من خلال البرق لألاء)

الى ان وصف ساقيها الشادن فقال :

(له محلان في قلبي وفي بصري سواد هذا ومن ذاك السويداء)

(وشابها نطفة من فيه صافية كالراح فهي مع الصهباء صهباء)

(لحا على شربهـا قوم وما علموا يا ويحهم ، ان ذاك اللوم اغراء)

(عيوب شعره) ٠— منها التكرار المعنوي وعدم التصرف بالتعابير والتفنن في ايراد المعنى الواحد المقصود بصور شتى فمن ذلك قوله :

(لا اغب الوزيرَ سعد يناجيـه به ذكر غدوة ورواحِ)

فقد كرر هذا المعنى الدال بتعبير الغدوة والرواح على الدوام والاستمرار في مواطن مختلفة منها قوله :

(فصالحه عني على بعد داره بمدحي كفا غدوةٍ واصيلِ)

وختم رائيته بصاحب الزمان بقوله :

(ولا زال تسليم المهيمن واصلاً اليك به سيرا عشي وإبكار)

ومن تكراره المعنوي قوله في بعض صحابته :

(لا عوز ان يأتي اب بشبيهه وان كثر الابناء يوماً وأنجبا)

وقوله من قصيدة أخرى :

(لاعوز ان يأتي اب بشبيهه سماحة نفس في طهارة مولد)

وفي هذا الكلام فضلاً عن التكرير المعنوي احالة يستنكرها العقل الرجيح ، وينبو عنها الطبع الصحيح .

ومنها التمدح والاستئثار الادبي . وقد قيل كل حق يجمل ذكره الا مدح المرء نفسه . والشعر الرائع تذهب ببهجته الدعوى وان كانت صحيحة ، هذا بالنظر الى فضاء العقل وروح زماننا ، واما بالنسبة الى زمن ابي البحر والذي تقدمه فان التمدح بالشعر كان ينتظم في سلك الفخر ، والشاعر المفتون بشعره يعد الشعر الفاخر من المفاخر وكان اجدر به ان يترك الحكم على شعره لغيره فلكل زمان بيان ، ومن تمدحه قوله :

(فيا ابن محمد بن نقي اسمع ثناء مبرز في النظم فرد)

(سحائب [1] ان تزر ناديك تقلع مواطرهن عن أحواض شهد)

(تشاركني الورى في الشعر ظلماً على اني المبرز فيه وحدي)

ومنها قوله :

(مدائح لم يسمع بها فكر شاعر ولا افتر عن أمثالها فم منشد)

(انا الكوكب الوقاد والعلم الذي به كل من غمت مساعيه يهتدي)

(متى أدعُ عاصي القول يأتي مطاوعا وان يدع غيري طائع القول يقعد)

وقوله في محل آخر :

(وعدّ عن استماعك شعر غيري فاين حصى الطريق من اللآلي)

(مكان قريض غيري من قريضي مكان النغل من ولد الحلال)

يقول رحمه الله هذا وقد قال قبل هذين البيتين :

(١) الصواب السحب .

(« نعز » لو رقي يعقوب منه ببيت او أُقل لظل «سالي»)

وقد بينا من عيوب شعر الخطي انه بالغ في الاحتذاء ، حتى كان والسرقة سواء ، وقد يسرق معتدياً لا محتذياً فمن ذلك قوله والسرقة فيه مبينة لا تحتاج الى بينة :

(يبقى لنا الجود ما بقوا فمتى قضوا قضى الجود بعدهم نحبا)

اخذه من قول : في رثاء معن بن زائدة :

(ولما قضى معن مضى الجود وانقضى واصبح عرنين المكارم أجدعا)

وقوله : (وتحبس نفسها ابداً عليه عكوف المرضعات على الفصال)

من قول الشاعر : (نزلنا ارضه فحنا علينا حنو المرضعات على اليتيم)

واما قوله : (ملكته في الهوى قلبي فصارله عبداً مطيعاً وفيما شاء يسلكه)

(ثم انثني معرضاً والقلب في يده هلا جفاني وقلبي كنت املكه)

فهو مسروق من قول سيف الدولة بن حمدان :

(واعرض لما صار قلبي بكفه فهلا جفاني حين كان لي القلب)

وقد تناول قوله :

(لقد تضاءل حتى لو قذفت به في مقلة ما أحسته مآقيها)

من قول الوزير ابن العميد :

(لو ان ما ابقيت من جسمي قذى في العين لم يمنع من الاغفاء)

وتناول منه ايضاً قوله :

(وعبرة لو دُعي نوح ليسلكها بفلكه قال بسم الله مجريها)

(ومقلة الفت فرط السهاد فلو رد الرقاد عليها كاد يؤذيها)

وشبيه به بمعناه واحالته قول المتنبي :

(اراك ظننت السلك جسمي فعقته عليك بدر عن لقاء الترائب)

(ولو قلم القيت في شق رأسه من السقم ماغيرت من خط كاتب)

وكأن الخطي غار من بيتي السيد علي في الخمر :

(رقت فلولا الكأس لم تبصر لها جسماً ولم تلمس براحة لامس)

(فكأنها عند المزاج لطافة وهم يخيله توهم هاجس)

فأغار عليهما قائلاً :

(ما ذا على الطير اذ أبلى الضني جسدي تخف لو حملتني في خوافيها)
(ان تقعد الطير عن حملي لكم ومرت ريح الصبا فاطلبوني في مساريها)

وفي الديوان من عيوب لغة ونحو واملاء ونسخ ووزن وضرورات له عنها مندوحة فمن ذلك جمعه قوس على قيسان في قوله :

(نواحل كالقيسان مما يعسفو [1] بها كل تيهاء المعالم فدفد)

ومنها استعماله غوغاء بمعنى ضوضاء على غير الافصح في قوله :

(تلك النوادب لا يفيق السمع من غوغاء رنتها ولا ضوضائها)

ومنها استعماله تغاورها بمعنى أغار عليها في قوله :

(كأن قلوبنا لما استقلت ركايبكم ضحى ودنى الوداع)
(فراخ قطاً تخطفها بزاة وعرج ظبى تغاورها سباع)

والحال انه يقال : تغاوروا اذا أغار بعضهم على بعض على سبيل المشاركة ومن اين لعرج الظباء ان تغير على السباع ، الا ان يكون الاصل تعاورها بالعين المهملة فمسخها النسخ ، وفي البيت الاول غلطتان املائيتان : ركايبكم والصواب ركائبكم لان فعلها المجرد ليس أجوف فيكتب الجمع بالياء نحو مسايل جمع مسيل ، ودنا واوية تكتب بالالف ، والظبا تكتب ايضاً بالالف لا بالمقصورة وهي التي يأخذونها (الظبى جمع ظُبة اي حد السيف) ويحاوّن الحُبي حين يبلغ السيل الزبى ٠

« البقية للآتي » ابو قبيس : عزالدين التنوخي
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
والمجمع العلمي العربي ببغداد

(١) لعلها تعسفوا ٠

الموازنة

بين الالعوبة الالهية وزسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٥ =

اولاً : ان كل من تقدم دانتي من كتاب الفرنجة وشعرائهـا لم يرو عن احد من اولئك الابرار الذين نسبوا اليهم العروج الى السماء او الهبوط الى جهنم ، انه نفسه عرج وهبط ، وهذا أقدمهم بولس الرسول يحكي عن السماء فقط ، ثم بعده يوحنا لا يتكلم عن سواها ، واما مَن بعدهما ، فاما ان يحكي عن عروجه على السماء كالقديس ساتور والقديس بَارْبَتّو والقديسة كاترينـا وغيرهم ، او عن المطهر كالقديس باتريس ، او عن جهنم فقط كما رووا عن سواه ، ولم ينفرد عن كل هذه الجماعة الا راهب واحد يدعى البيريك ، ولدى تقصينا البحث عن موقع دير هذا الراهب علمنا انه مدينة كاسِّينو بايطاليا ووجدنا فيها دار كتب تحوي اربعين الف كتاب بينها خمسمائة كتاب مخطوط من اندر الكتب ومنها نسخة خطية من الالعوبة الالهية ، وفي هذه الدار صورة دانتي الاصلية ·

فقد يكون الراهب البيريك — وكانت الرهبان في القرون المتوسطة خزنة العلوم وسدنة المنثور والمنظوم — او دانتي نفسه ، او كلاهما ، طالع رسالة الغفران العربيـة او المترجمة ، بين تلك الكتب المخطوطة النادرة وهو ما لا يشك فيه الناقد ·

ثانياً : ان جميع العارجين والهابطين قد احتذى متأخرهم على مثال المتقدم فكان مجمل كلامهم عن الفردوس لا يتعدى ما عاينوه في زعمهم من الاعاجيب ووصف لذاذات الارواح في ذلك النعيم ، وتفصيل أنواع التعذيب وضروب الآلام التي يجزى بها الاشرار في الجحيم ، على اختلاف في اللفظ وطرق الوصف والتعبير ، واتفاق في وحدة الصورة وان اختلفت ألوان التصوير ، إذن دانتي لم يذهب الى محاكاة هؤلاء ·

(١) تتمة ما نشر في الجزء الحادي عشر من المجلد السابع ·

ثالثاً : ان هوميروس اشعر شعراء اليونان ، وفيرجيل اشعر الرومان قد سلكا في أشعارهما على نقل الحوادث التاريخية وروايتها ولم نعثر على كثرة ما بين ايدينا من كتب الفرنجة وغيرهم على الطريقة التي جرى عليها المعري في رفع مخاطبه الى الفردوس العلوي ، واراءته من اعاليه مشهداً من الجحيم ، وتنقيله صاحبه (وهو ابن القارح نفسه) في عرصات الجنان ، ومكالمته من بها من الانس والجان ، والقائه على قدماء الشعراء وغيرهم من الجن أسئلة أجاب عنهـا بلسانهم مفصحاً عن رأيه ومذهبه ، الى أغراض كثيرة في طي ذلك .

وكأن دانتي لشد ما أعجبته ، ولم يكن لديه صديق كابن القارح يثق به ، رأى ان يكون هو نفسه ابن قارح عصره ، وهو الاشبه بما يزويه ، ولكن لما لم ير ابا علائنا ولا هو ممن يلائمه اختار فيرجيل دليلاً وهادياً في تلك الهاويات المظلمات ، والمهبطات العاتمات وكأني به اخذ كلام ابي العلاء على ظاهره ففهم ذلك العروج عروج تقوى وخشوع واني له ان يتبطن ما وراء ظاهر اللفظ من المغامز ، وهو ليس بعربي ، او ان يجسر المترجم الى نقد ما هنالك او الاشارة اليه — ان كان قد زكن شيئاً منه — وهو في بحبوحة القرون المظلمة وظل محاكم التفتيش .

وقد ذكرنا قبل هذا ان دانتي كان صلباً في دينه ، شديداً في مذهبه ويقينه ، فلم يكن ليدور في خلده شك في جل ماقرأه او وصل اليه من أساطير الاولين بل من الخرافات التي كان يتناقلها معاصروه عن معجزات ينكرها اليوم عقلاء المتدينين ، وكان نقد شيء من ذلك بعيداً عنه بعد الارض من الجوزاء ، وان اقصى مااوحاه اليه خاطره عند نظمه شمل الالعوبة « ان ينتزع الاحياء من تعاستهم في هذه الدنيا ويقودهم الى السعادة الخالدة كما روى هو نفسه » ولكنه وان كان صافي السريرة بهذه الدعوى ، فقد كان يطمح ببصره الى المجد وان جعل غرضه العلويات ، وفي نفسه من الحقد والعداوة وغيرهما من خسائس الارضيات ، ما اتخذ لها الهبوط والعروج اسباباً ، ومهد للولوج فيها طرقاً وفتح ابوابا ، فطرح في جهنم من شاء من اعاديه وخصومه ثم من خالفه في مذهبه السياسي وآرائه في الدين ، وجعل اسم فيرجيل عوذة له يدفع بها اعتراض المعارضين في طريقته الشعرية باللغة الطليانية بدل الرومانية ليوهم العامة من القراء انه

كان يوحى اليه بشعره هذا من فيرجيل فيعظم اسمه وتذيع شهرته بتكراره يا أبت وجواب فيرجيل يابنيّ ، وقد صرح في الاغنية الرابعة بعدّ نفسه سادس شعراء الدنيا ومن ذلك ترى ان ليس « انتزاع الاحياء من تعاستهم الخ » هو وحده غرضه من الموبئه ومعراجه المزعوم بل للفخر ومباهاة شعراء عصره فيها قسط كبير ، ولعله قد تنبأ عن نفسه اصدق النبوة بهذه الدعوة فقط ، فان اكثر ارباب العلم في اوربا قد أجمعوا على انه ثالث شعرائهم كما ذكرنا قبل هذا ، ولعل ذلك كان في القرن الثامن عشر .

على انه لو لم يكن الى تلك الشهرة طموحه ، ولهذا العز الاقعس جنوحه ، ألم يكن الأجدر به ان يطلب من معشوقته بياتريس (وتعبر بها الغبطة) او كما دعاها في بعض شعره (الغبطة الالهية) ان تبعث اليه بملكٍ من الفردوس يكون دليله في تلك الظلمات الحالكات ، او بسادن من سدَنة جهنم عارفٍ بمن فيها ، من اتخاذه فيرجيل دليلاً وهادياً ، ولعله كان يريح القارئ من تكرار لفظ انا لابي ، وابي لي ، بريد قلت لابي واجابني ابي ، مرات عديدة في كل صفحة من الالعوبة ، وان قيل انه اراد بهذا التكرار ايضاح استعانته بروح فيرجيل ليوحي اليه ما نظمه وهو أعظم شعراء الرومان كما هو معلوم ، فنجيب عن ذلك انه كان يرجومنه ان يوحي اليه بعلم العروض والقوافي . فالشعر وجد عند الرومان قبل فيرجيل وهو يعلم ذلك ولم يكن فيرجيل واضع هذا العلم وان كان يريد ان فيرجيل كان يوحي اليه اللفظ والتركيب ، فهو ينظم بغير لغة فيرجيل بل لو علم بها لانكرها عليه كما انكرها عليه بعض مشاهير معاصريه ، وان كان يريد بفيرجيل سمو المعاني ، فليس في الهبوط الى جهنم ومشاهدة ما ذكره كبير معنى ، وقد ألهب دماغه وأتعب قراءه وأسأم نقاديه وفيهم كاتب هذه الموازنة ، بما ابتدعه في جحيمه من التلال ، والاودية والجبال ، والحصون والاسوار ، والبحيرات والانهار ، والمهاوي والفلوات ، والمضايق والاعوجاجات ، والمخابئ والدهاليز والجسور ، والمنافذ والسوابيط والقبور ، واناس بثلاثة اروس على كل كتف رأس ، واناس بثلاثة افواه وكل فم كفم التمساح ، وظلمات مدلهمّات لم يحلم بها حالم ولا يدركها اشد العميان عمىً ، وكان في زعمه يتهاوى فيها تارة ، وطوراً يسير بطيئاً ، وحيناً يقف

يحدث من يريد في النار من اهل النار ٠ وهم يتضرمون ويتوجعون ، ويدورون دورة الرحى بسرعة البرق تنهشهم الافاعي وتلدغهم الحرور الجهنمية او هم يتخبطون على جبال من نار ، او يسبحون في بحار من الماء المدلهم ، او هو بخار النار ولكنهما مياه سوداء قاتمة ذات ريح لا تحكيها في فسادها ريح من رياح الارض ٠ ومنهم من كانت تقذف بهم تلك الأمواج الجهنمية على الدوام بين هبوط وصعود وهم أرواح لا تُنظر ولا تُلمس كالهواء ، ومع ذلك فانه كان يشاهد كل حركة من حركاتهم ويعاين جميع ملامحهم حتى أظافرهم والقروح التي كانت منتشرة فوق أجسادهم ووجوههم الهوائية ، وحكّهم باظافرهم النارية تلك القروح الى كثير من أمثال هذا الوصف الذي تقشعر منه الجلود ولم يستك مثله في المسامع ٠ ثم يحكي ركوبه مع ابيه فيرجيل متن فلك اسود في بحيرة ماؤها اسود في دركات مدلهمات وظلمات غامضات ، ويصف ميل الفُلك لثقل جسمه المادي وخفة فيرجيل وهو روح ٠ ثم يتنطّس بذكر الخطوط المستقيمة والمنحرفة والزوايا والحنايا والاشكال البيضوية والمحدودبة والمقوسة ونصف الزاوية والمربعات والمثلثات ودائرة البروج كأنما هو يملي على تلامذة مدرسة كل ما وعاه من أقوال طاليس وفيثاغورس واقليدس ، ولم تفت بصره الألوان المختلفة التي كان يراها في جهنم في تلك المهاوي والمنحدرات تحت اقصى اسافل الطبقات في معترك عمى تلك الظلمات ٠

كل ذلك وهو هو بلحمه وعظامه وروحه ومادته وثيابه لم يصب باذى النار وهو يتخطر و يتنقل في ذلك الأخدود الجهنمي و يتنسم تلك الأرياح وذلك الأوار ، متضادات متناقضات ، بل هو خلط منظوم او هذيان محموم ٠

رابعاً : ان أكثر تشبيهاته وتصويراته فقيرة محدودة لا تبعد كثيراً عن فيورنسا مسقط رأسه ، او ماحولها من القرى التي لا تعرف اسماؤها اليوم الا من العوشه ، او عن رافين وهي المدينة التي قضى بها آخر حياته وان جازت هذه النواحي فالى رومة وهي مقر العرش البابوي ، وأغلب محادثاته مع اهل النار تدور حول حوادث ايامه السياسية في تلك الناحية الصغيرة من ايطاليا ولعلها أصبحت اليوم مما يبحث عنها المؤرخ الراغب في التنقير عن الاحداث المحلية في هاتين المدينتين او مايليهما في المعاجم ، وانما ذكره ذلك كله في تلك الملحمة الطويلة وقد استحضر لمساعدته فيها روح فيرجيل

أشعر شعراء الرومان ، وخلطه فيهـا كثيراً من آلهة اليونان وابطالهم ، كان على نحو قولهم تمخض الجبل فولد فأرة ، فتراه اذا صوّر مضيقاً من مضائق جهنمه اومعبراً اوجبلاً او غير ذلك ورام تشبيهه بشيء من نوعه على وجه الارض لا يذكر في الاكثر الاما كان في بلدته او نواحيها ، كما تفعل العجوز التي تروم تلهية الاطفال بحكايات تقرّب بهـا الى فهمهم ما ترويه فتقول « كان بيت السلطان في رأس الحارة وكان له بستان اكبر من جنينتي ولعل جنينتها لا تزيد على بعض أذرع » .

وهذا يدلك على ان غرض دانتي في كل بيت من أبيات العوبته كان الانتقام من خصومه في بلدته ونواحيها ، وكان جل قصده ان يقف اولئك الاعداء على ما يقول ، و يردد أصحابه ومن يقول بقوله اللعن على من لعنه ، وان يقال انهذا الا وحيٌ يوحى وانه اخذ كل فصاحة فيرجيل وحكمته ، وعلى الجملة لينتصروا لرأيه ، فقد كان مثلثاً انانيةً ، كثير التطلع الى المجد وهذا لا ينفي ماثبت من تحمسه في دينه .

خامساً : انه جعل جهنمه في أسفل الطبقـات الأرضية حسبما كان يذهب عامة اهل عصره ، وان المطهر اعلى منها طبقات ، وان فردوسه فوق أرفع الجبال فلم يرتفع عن معتهم برأيٍ سمي او مذهب عليّ لاسيما وانه شـاعر ، ثم قسم جهنم الى طبقات بحسب الآثام وهي عنده سبعة او هي رؤس الخطايا ولا نطيل بهذا ، ولكن لا بد لنا من توثيق مدعانا عليه التشبه بانبياء اليهود وانزاله نفسه منزلتهم ببينة لاتدحض وذلك من أغنيته التاسعة في الفردوس اذ يصوّر نفسه في محادثة مع الله وان روح الله حلت بجملته وامتزجت بذاته فتنبأ عن طوفان دم يحدث ببلدة پادو لعصيان اهلها واستنزل النقمة باسقفها الجاحد (في زعمه) وانها ستبكي طويلاً جنايتها النظيمة الخ الخ . وكل ذلك لان هذا الاسقف لم يكن من حزبه او حزب جماعتـه وانه اخبر عنهم او وشى بهم فهلكوا .

سادساً : لم يسبق لاحد ممن عرجوا في زعمهم على جهنم او على السماء ، ان رأى احداً من اصحابه او اعاديه او انه خاطبهم وخاطبوه وعاتبهم وعاتبوه الا ما صوّره لنـا المعري في تمنياته لابن القارح ثم مشى على آثاره دانتي في العوبته فاحتذى عين مثاله ونسج على منواله .

على ان دانتي وان كان قد تصرف في بعض المسروق تصرفاً بعيداً وفي بعضه الآخر لم يزد على التقديم والتأخير وابدال الاسماء فان الناقد المنصف يعترف معنا بصراحة السرقة اذ كل ما خلطه في ألعوبته من الاشارات الى علوم الهيأة والهندسة والتاريخ واللاهوت وآيات من التوراة والانجيل والمعتقدات وأساطير اليونان والعادات القومية والامثال العامية والاحزاب السياسية المحلية والضغائن القومية وغير ذلك مما تعرّض له — في غير محله كما سنبينه بعد هذا — لم يكن ليستر سرقته هذه عن أعين الناقد البصير ولله درُّ شاعرنا :

(ثوب الرياء يشف عما تحته فاذا التحفت به فانك عارِ)

فاول ما فعل انه نزل الى جهنم اولاً ثم طلع الى المطهر ثم منه الى السماء ، وانت تعلم ان ابا العلاء طاف بابن القارح على الفردوس اولاً ثم على جنة العفاريت ثم المطهر ثم جهنم كما مر بك ·

ثم ان ابن القارح وقف في باب الجنة يستأذن رضوان في الدخول فطلب منه جوازاً ولما لم يكن بيده جواز رشاه بقصيدة لم تفعل شيئاً في نفس رضوان ·· ثم وقف عند الصراط واستشفع بالزهراء فأمرت احدى جواريها باجازته كما مرت بك القصة ·

« للبحث صلة » عضو المجمع العلمي العربي

قسطاكي الحمصي

عدة الكاتب[1]

— ٢ —

وفي التاج المسطرة بالكسر ما يسطر به الكتاب . وأسطر الرجل اخطأ .

الدَّأْوج كتنور الكاتب . و يطلق على المدبر الحاسب من قولهم هو يفلج الامر اي ينظر فيه و يقسمه و يدبره .

حَضْرَم القلمَ براه .

كتب الشيء . كَتْبًا وكِتاباً وكتابة خطه والكِتاب اسم لما كتب مجموعاً . والكتاب ما كتب فيه .

والكِتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة .

واكتتب فلان فلاناً سأله ان يكتب له كتاباً في حاجة . واستكتبه الشيء سأله ان يكتبه له . و يقال اكتتبه واستكتبه اذا استملاه .

واكتتب الرجل اذا كتب نفسه في ديوان السلطان .

وكتّب الرجل الغلام تكتيباً وأكتبه إكتاباً علمه الكتاب فهو مُكَتِّب . ومُكْتِب اي مُعلِّم .

ورجل مُكْتِب . له أجزاء تكتب من عنده .

والمَكْتَب . موضع الكُتَّاب . وموضع تعليمهم . والكُتَّاب الصبيان . قال ابن الاعرابي و يقال لصبيان المكتب الفرقان ايضاً .

والكِتْبَة . اكتتابك كتاباً تنسخه .

واستكتب الرجل غيره أمره ان يكتب له او اتخذه كاتباً .

والكُتَّاب سهم صغير مدور الرأس يتعلم به الصبي الرمي و يقال له الكثاب بالثاء قال الاصمعي الكثاب سهم لا نصل له ولا ريش يلعب به الصبيان . قال في اللسان والتاء في هذا الحرف اعلى من الثاء .

---

(١) راجع المقالة الاولى التي نشرت في المجلد السابع .

اللَّحَق ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه فتلحق به ما سقط عنه . و يجمع ألحاقاً وان خفف فقيل لَحْق كان جائزاً .

الكُرَّاسة بالضم الجزء من الصحيفة يقال قرأت كراسة من كتاب كذا وهذا الكتاب عدة كراريس وفي اللسان الكُرَّاسة من الكتب واحده الكراس والكراريس سميت بذلك لتكرسها . قال في اللسان . وكل ما جعل بعضه فوق بعض فقد كُرِّس وتكرس هو .

الصحيفة التي يكتب فيها من جلد او قرطاس والجمع صحائف وصُحُف وصُحْف والصحيفة الكتاب . والتصحيف الخطأ في الصحيفة . والتصحيف تغيير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد من الموضع يقال صحفه فتصحف اي غيره فتغير حتى التبس . والنسبة الى الصحيفة صَحَفي يقال رجل صحفي ومعناه يأخذ العلم منها دون المشايخ .

الرَّق بالفتح الصحيفة البيضاء وقيل الجلد يكتب فيه والكسر لغة قليلة فيه .

والرِق بالكسر ورق الشجر والشيء الرقيق .

والرُق بالضم الماء الرقيق في البحر او في الوادي لا غزر له .

الكُنَّاشات بالضم والشد الاصول التي تنشعب منها الفروع قال في التاج ومنه الكناشة لاوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة .

وفي شفاء الغليل كناش بضم الكاف العربية وتخفيف النون وآخره شين معجمة بزنة غراب لفظ سرياني معناه المجموعة والتذكرة والكنش الجماعة ثم قال وقد وقع هذا اللفظ كثيراً في كلام الحكماء وسموا به بعض كتبهم كما يعرفه من طالع كتب الحكمة .

الهامش حاشية الكتاب يقال كتب على هامشه وعلى الهامش وعلى الطرة وهو مولد .

المُهْرَق . الصحيفة البيضاء يكتب فيها . فارسي معرب والجمع المهارق . وقيل المهرق ثوب حرير ابيض يسقى الصمغ و يصقل ثم يكتب فيه وهو بالفارسية مُهْرُكَرْد وقيل مَهْرة لان الخرزة التي يصقل بها يقال لها بالفارسية كذلك .

القرطاس بتثليث القاف والقرطس كجعفر ودرهم الصحيفة التي يكتب فيها .

القضيم والقضيمة الصحيفة البيضاء وقيل القضيم الجلد الابيض يكتب فيه والجمع قضم بضمتين وبفتحتين .

الكاغد بفتح الغين القرطاس وهو معرب والكاغذ بالذال المعجمة لغة فيه ٠

الطِرْس الصحيفة التي محيت ثم كتبت وقال الليث الطرس الكتاب الممحو الذي يستطاع ان تعاد عليه الكتابة وفعلك به التطريس ٠ وطرّسه أفسده و يقال طرّست الصحيفة تطريساً اذا انعمت محوها وطرّس الكتاب سوده ٠

وجمع الطرس أطراس وطروس والصاد لغة فيه ٠

الطِلْس لغة في الطرس ٠ والطَلْس بالفتح المحو ٠ طلس الكتاب طلْساً وطلّسه تطليساً كطرّسه تطريساً ٠

وفي اللسان الطِلْس كتاب قد محي ولم ينعم محوه فيصير طلساً ٠ وفيه ايضاً ٠ واذا محوت الكتاب لتفسد خطه قلت طَلَسْتُ ٠ فاذا أنعمت محوه قلت طَرَسْتُ ٠ والطلاسة مشددة خرقة يمسح بها اللوح المكتوب ويمحى ٠ و يقال طَمَسَ الرجل الكتاب طُمُوساً اذا درسه ٠ وفي اللسان الطمس ، استئصال اثر الشيء ٠ وانطمس الكتاب وتطمس امّحى واندرس ٠

القُنْداق صحيفة الحساب قال الاصمعي أحسبه معرباً ٠ وقال بعض العلماء : الغالب استعماله في الكتب المنصرفة في الخدمة وحساب العمال والخراج ٠

العُهْدة كتاب الحِلْف والشراء ٠ و يقال استعهد من صاحبه اذا اشترط عليه وكتب عليه عُهدة ٠ و يقال في خطه عهدة اذا لم يقم حروفه ٠

السِجِل ٠ كتاب العهد ونحوه والجمع سجلات وهو احد الاسماء المذكرة المجموعة بالتاء ولا يكسر وقيل السجل الكتاب الكبير ٠ وقيل الصحيفة التي فيها الكتاب وقيل الصك ٠ وفي المصباح السجل كتاب القاضي ٠ وأسجلت الرجل اسجالاً كتبت له كتاباً ٠ وسجل القاضي بالتشديد قضى وحكم وأثبت حكمه في السجل ٠

عضو المجمع العلمي العربي

سليم الجندي

فصح وشوارد

هذه تراكيب بليغة وألفاظ مختارة نقلت من كتب الفصحاء تصلح ان يدمجها ارباب الاقلام في تضاعيف كلامهم احياء لها وحباً بتنمية ثروتنا اللغوية ٠

الحكايات القلقة والاشارات البعيدة ٠ تعاييت في شيء فتحجاه لي ٠ كان يجلس اليّ من العتمة الى ان ينكشف السامر ٠٠ كان على قصره ودمامته تائهاً ذا أبهة وذهاب بنفسه ٠ لم يتعلق عليه بشيء اي لم يخطأ ٠ قال ابن السكيت يقال بلّ الرجل من مرضه وابلّ واستبلّ ٠ انا جارك منه (مجيرك) اجتر سفرة واستل سلة فأخرج منها رغفاناً ووذراً من لحم ٠ اعطي من سيرورة الشعر شيئاً ما اعطيه احد (اي من سيره وشهرته) ٠

تغامزا بي فتقبعت عليها فعمدا ٠ اذا تلسنني ألسنها ٠ يسكن الحيره و يراكن الريف ٠

[انخرط الرجل في الامر وتخرّط ركب فيه رأسه من غير علم ولا معرفة (عن اللسان) فلا يقال اذا انخرطت في سلكه الا اذا أريد حشرت نفسي ولست باهل ٠ وفي (التاج) قال شيخنا : استعمل الناس كثيراً الانخراط بمعنى الانتظام والدخول كالخرط في السلك اذا انتظم فيه وقد وقع في كلام الفصحاء الثقات من علماء اللسان كالسكاكي والزمخشري وأضرابهما ولا يكاد يوجد في كلام العرب ونصوص اهل اللغة ما يؤيده ثم رأيت الشهاب وقع له مثل هذا ولكنه رحمه الله وقع في جامع اللغة لابن عباد وعلى قولهم خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة قال فعلمت انهم تجوزوا به عن جعله في العقد الى آخر ما ابداه ونقله في شرح الشفا وعناية القاضي وهو كلام لا محيد عنه] ٠

أجدّك لاتفعل — لايقال الامضافاً واذا كسر استحلفه بحقيقته واذا فتح استحلف بجنته واذا قلت بالواو فتحت وجدّك (لاتفعل) قاله الفيروز ابادي ٠

يقال يوم صائفٍ ورابعٍ وشاتٍ من الصيف والربيع والشتاء ، و يقال في

الازمنة اذا أريد الاقامة فيها صافوا وشتوا وارتبعوا واذا أريد الدخول فيها قيل أصافوا وأشتوا وأربعوا وأخرفوا ·

يقال هروته بالهراوة وسوطته بالسوط وسفته بالسيف وعصوته بالعصا وهي قليلة · يقال أحال في المكان وأحول اذا أقام فيه حولاً وكذلك آصل وأضحى وأفجر وأقمر وأظلم وأعتم ولم يسمع في المغرب شيء · يقولون البداية بكذا وانما هو البداءة بضم الباء والهمز · أراهم يتشاهدون مرة و يتغايبون أخرى ·

فلان حسن المحضر والمغيب · يقال ارض غَمِقة كثيرة الانداء وبئة وعن عمر ابن الخطاب ان الأردن ارض غَمِقة وان الجابية ارض نزهة · صبحوهم فحسُّوهم اي قتلوهم قتلاً ذريعاً ، وفي الكتاب العزيز اذ تحسُّونهم باذنه · استعمل الاندلسيون « الطومارة » في مقام البطاقة وفي كتب اللغة الطامور والطومار الصحيفة والجمع طوامير · واستعمل لسان الدين بن الخطيب لفظة « العائلة » وقد انكرها بعض علماء اللغة من اهل هذا العصر · ووردت لفظة «البخت» في شعر محمد بن جُزي الكلبي ·

نعم لست ارضى عن زماني او ازى مكاناً به السفن المواخر والبخت

لابي الخير المروزي النحوي المتوفى سنة ٤٢٣ هـ ·

تناقى المال والعقل فما بينهما شكل
هما كالورد والنر جس لا يحويهما فصل
فعقل حيث لا مال ومال حيث لا عقل

محمد كرد علي

الكلمات غير القاموسية

« جواب الاب انستاس الكرملي »

— على اقتراح الاستاذ « المغربي » —

(الصنف الاول) كل لغوي يوافق على تدوين مثل تلك الالفاظ لانها فاتت اللغويين ولو عثروا عليها في وقتهم لحرصوا على ابداعها معاجمهم ·

(الصنف الثاني) كَلِمُ فصحاء العرب الاسلاميين من أبناء صدر الدين الحنيف وبعده تدون ايضاً لانها موآدة ، وأغلب مصطلحات علوم الادب والرياضيات والعقليات والالهيات غير مدوّنة · ولهذا تجمع وتبوّب كسائر المفردات الفرائد لاننا في حاجة اليها والى مُثُلها · اما (تخيم) و (صدفة) فليستا من هذا الصنف ·

(الصنف الثالث) بين هذه المفردات ماهي حديثة الوضع نقلاً عن الترك وعمن جاراهم من كتبة لغتنا المحدثين ومنها قديمة الوضع · ومنها لها صلة تجوز اتخاذها في العربية لمجاز في معناها · فمثل (هيئة) المحكمة و(تشكيل) المحاكم ترفض لاستغنائنا عنها بجماعة المحكمة وتأليفها ولانها من الوضع الجديد التركي الاصل · ومثل انعقدت الجلسة وتَعْرِفة (لاتعريفة) الرسم وميزانية تقبل لصلتها بالفاظنا · ومثل كيفية وكمية وماهية وماضاهاها تتخذ لانها قديمة مولدة وردت في مؤلفات السلف ·

(الصنف الرابع) الالفاظ التي ذكرها الاستاذ المغربي قديمة وهي للمولدين وهي من طبقة ماجعلها في الصنف الثاني وربما رتقي بعضها الى اول صدر الاسلام · إذن انا أوافق من يدونها في المعاجم وان لم اجعلها من الصنف الذي سماه شيخنا المغربي « الصنف الرابع » ·

(الصنف الخامس) الاعجميات الثقيلة على اللسان والمخالفة للأوزان العربية تنبذ او تقصر لتوزن وزناً عربياً حتى يأنس اليها أبناء لغتنا · واما الاعجميات الخفيفة اللفظ والوزن فتقبل وتدوّن · ففلم وبالون ومناورة من المستحسنات · ومثل ذلك فعل أجدادنا · فلقد كان عندهم مثلاً : العَيْثُوم والعَيْهم والكُلْثوم والعَقَرْطل والكَوْدن والدُّلَم والدَّغفل وابو مزاحم وهي اسماء للفيل بين صغير وكبير ، بين ذكر وأنثى ، بين ضخم وغير ضخم · فلما جاوروا الفرس وسمعوا منهم (الفيل) نسوا او تناسوا

ألفاظهم القديمة ولم نسمعهم ينطقون سوى بالفيل ونعتوه بالذكر والانثى او الصغير والكبير او الضخم وغير الضخم هرباً من اتخاذ تلك المفردات الثقيلة التي هي أثقل من جسم الفيل نفسه ، بل تجاوزوا الحد في هذا المعنى اذ شرحوا تلك الالفاظ العربية بالحرف الأعجمي (فيل) وهذا أقصى الافراط فتأمل ٠

وقد لاحظت في لغتنا ألفاظاً جمة قتلت الأعجمية العربية ولا سيما اذا كانت مادة لفظ الاعاجم تشبه مادة لغتنا والوزن وزناً عربياً ، فان لم يتوفر فيهما ذانك الشرطان ، تموت الأعجمية لا رحمها الله ٠

(الصنف السادس) الأساليب والتراكيب الأعجمية لا أوافق عليها البتة ، فهي موصومة بلعنة بل بنسمات العرب في جباههـا ٠ اما ماذكره حضرة المغربي فهو (افكار) او (خواطر افرنجية) او اعجمية ولكنها مفرغة في قالب عربي حسن ٠ فانا من أشد الناس ترحيباً بها واول من قال باتخاذها لانهـا ثروة جديدة ٠ اما الاساليب او التراكيب الاعجمية فكتقديم المضاف اليه على المضاف كما هو الامر في الفارسية والانكليزية الى ما ضاهى هذا الوضع ٠ فهذا الذي يسمى الاساليب او التراكيب الأعجمية فاكرهه ٠ اما التعابير او الخواطر فامرآخر أرحب به واضمها الى صدري ٠

(الصنف السابع) اني لا انبذ الالفاظ العامية بتاتاً ، بل اقول : ان في تلك المفردات ماهو مصحف عن فصيح فيعاد اليه ، ومنه ما اخترعه العوام سداً لثغر ، اوراًباً لصدع ولا نعرف له فصيحاً ، او لم يتصل بنـا فصيحه ٠ فمثل هذه الالفاظ تتخذ حتماً ، ولا سيما اذا كانت تدل على معنى يعود الى العلوم على اختلاف أنواعها ٠

أذكر مثلاً : الزَهْدي والبَرْبن والخُستاوي عاميات تدل على ضروب من التمر ، فاما الزهدي فهومصحف عن (أزاذ) اي حُرّ ومعنى (حُرّ) هنا كثيرالوجود منه اي يقابل كلة (commun) بالفرنسية ٠ فحينئذ يجب ان يقال (ازاذ) لازَهدي لان الازاذ هو الذي كان معروفاً عند سلفنا ٠ واما البَرْبَن والجستاوي فلم يعرفها من تقدمنا فيجب اتخاذهما وان كَفَّرَنا جهلة اللغة ٠

على اني ازيد على ماتقدم : ان الالفاظ غير المقبولة لاي سبب من الاسباب لابد من تدوينها في كتاب يحويها كلها وذكر ما يقابلها في الفصيح ان وجدت ، والا لتدون

ولنشرح حتى تبقى للاجيال القادمة من باب الوقوف على ما كان متداولاً ومعروفاً في عصر من العصور · فالالفاظ عندي كالآثار القديمة فهي تفيدنا لا محالة والمولع بها لا يلقي منها شيئاً بل يبوّبها او يصنفها ، فيجعل الثمين منها في طبقة الثمينة ، والبخسة في طبقة البخسة ، وما كان منها بين بين ، يضعها في الطبقة الوسطى ، وهكذا لا يُنْبَذ منها شيء بل يحفظ الكل ، ويكتب على كل طبقة منها كما يكتب الصيدلي على القناني فترى فيها : السامّ ، والمضرّ ، والنافع والمغذي الى غيرها · فالسامّ من الالفاظ : العامي القبيح الذي يرى له فصيح ، والمضرّ : المبتذل من الالفاظ ، والنافع : المولّد الذي لاغنى لنا عنه ، والمغذي : الفصيح الجامع لجميع شروط البلاغة والفصاحة ·

***

« جواب الاستاذ احمد الاسكندري »

— على الاقتراح المذكور —

يجب قبل اجابتي عن مواد الاقتراح ان نسلم بصحة هذه الاصول العربية :

(أ) ان العربية الفصحى التي نكتبها ونقرؤها ونؤلف بها هي غير العامية الدارجة لغة تخاطب العوام التي تختلف باختلاف الاقطار العربية ·

(ب) ان العربية الفصحى محدودة بقواعد واصول ثابتة نحوية وصرفية وبمخارج حروف خاصة ، فاذا حرفت قواعدها عن مواضعها بان جعل الفاعل منصوباً والمفعول مجروراً واسم الفاعل على وزن اسم المفعول واسم المفعول على وزن اسم الفاعل وان ننطق بالثاء تاء وبالذال دالاً ، خرجت عن انها العربية الفصيحة المعروفة لغة مضر ولغة القرآن وأصبحت ضرباً من العامية ·

(ج) ان العامية في كل قطر عربي لا تحد بقواعد ثابتة ولا اصول وكل يوم هي في شأن ، وانه يجوز تغييرها في كل حين وانه يجوز دخول الكلمات الاجنبية فيها بدون قيد ولا شرط ، فلو فرضنا تدوينها واستعمالها في القراءة والكتابة كما فعل الاوربيون

بعاميتهم بعد هجر فصيحتهم اليونانية او اللاتينية او التتونية جاز لنا ان نغير فيها كل يوم ما نشاء ونكيل لها من الالفاظ الأعجمية كيلاً ٠

(د) ان لغة التدوين والقراءة والكتابة ولغة المعجمات الاوربية هي لغات عامية استبدلت بلغاتهم القديمة وهي لا تحرج من إضافة كلمات عربية وغير عربية اليهـا كما لا تحرج عاميتنا التي لم تدوّن بعدُ ولم تتخذ لغةً كتابة وقراءة عن قبول اي تغيير في المادة والهيأة ٠

(ه) حينئذ لا يصح ان نقيس العربية الفصيحة على العامية الاوربية فنقول : يوجد في معجماتهم تسامح باضافة كلمات غير اوربية ولا يوجد عندنا هذا التسامح في اضافة كلمات أعجمية او عامية في معجماتنا ٠

اما اذا جعلنا لغاتنـا هي العامية (لا قدر الله) وهجرنا الفصحى بالتدريج طبعاً كما يشير علينا هؤلاء المتسامحون فانه يجوز لنا ان نجاري الاوربيين وندخل في لغتنا العامية هذه ما نشاء ونتسامح في ان نحشو معجماتنا بالوف الكلمات ، وإذن فلا نتبجح بقولنا : اننا نتكلم بالعربية بل الاخلق بنا ان نقول اننـا نتكلم بالسورية او المصرية او اليمنية او المراكشية الخ ٠ وإذن لا نقول ان في الدنيا أمة عربية تبلغ مائة الف الف او ثمانين الف الف بل نقول ان في الدنيا أمة سورية وأمة مصرية وأمة مراكشية وهلم جرا ٠ وإذن يكون (على تطاول الدهور وتمادي التسامح) ما يؤلف وينظم ونكتب في مصر لا يفهم في الشام وما يكتب في اليمن لا يفهم في مراكش ويتم التقاطع بين الامة العربية كما تقاطع أبناء التتون من الالمان والانجليز وأبنـاء اللاتين من الايطاليين والاسبانيين اذ لا جنس الا باللغة فهي عنوان الامة فاذا زالت العربية بالتدريج زالت الامة العربية الكبرى بعد قرنين او ثلاثة ببركة أمثـال هؤلاء المتسامحين المفتونين بتجدد اللغة في اوربا غير شاعرين بفرق ما بين لغتنا الفصيحة ولغتهم العامية ٠

اذا سلمنا هذه الاصول جاز لي ان أجيب عن اقتراح صديقي القديم العلامة الشيخ المغربي :

٠ (الاقتراح الاول) — بشأن الكلمات العربية التي وجدت في شعر من يحتج

بعربيته في المعجمات — أقول في الجواب. تقبلها على الرأس والعين بشرط ان تكون في شعر صحيح لا في نثر اللهم الا اذا اشتهر النثر كالامثال . وذلك لان المعجمات المطبوعة ليست هي اللغة كلها وكم انكرنا من كلمات لم تدون في المعجمات المطبوعة في مصر ثم وجدناها في المعجمات المطبوعة في حيدرآباد وفارس كالمغرب للطرزي والفائق للزمخشري ومعيار اللغة للشيرازي والازمنة والامكنة .

(الاقتراح الثاني) — بشأن الكلمات التي وجدت في كلام من لا يحتج بعربيته الخ . ونقول هذه فيها نظر فان كان القائل قريب عهد بالعرب وأثر عنه الفصاحة كأبي نواس ومسلم وابي العتاهية وابي تمام والبحتري والمتنبي جاز لنا ان نستأنس بهذا الكلام وخاصة اذا وافق القياس العربي ويرجح في ذلك الشعر من النثر لان النثر غير مضبوط بوزن فيكون عرضة لتحريف النساخ كما هو المظنون في همزة الطبري في (أقصه) اما اذا بعد القائل عن عصور الفصاحة كاهل زماننا ومنهم اليازجي ومحمد عبده فلا يقبل منهم الا ما ثبت في اللغة او وافق القياس ولو لم يذكر في المعجمات ولا تكفي شهرة هؤلاء الناس حتى في اللغة فنعتبرهم واضعين فيها . ولهؤلاء المشهورين أغلاط لا تحصى في النحو والصرف واللغة والهجاء .

(الاقتراح الثالث) — بشأن الكلمات العربية المادة التي استعملت مجازاً في غير معناها او اشتقت بالاشتقاق القياسي من فعل عربي صحيح او نسبت الى لفظ عربي وغير ذلك من بقية مصطلحات العلوم والصناعات فهذه كلها نقبلها بصدر رحب لان التجوز قياسي عند جمهور الائمة مع شرط العلاقة والقرينة ، ولان كثيراً من المشتقات قياسي ولان النسب باصوله قياسي بل ان المنسوب بصيغة النسب العربية الى اسم اعجمي يعتبر عربياً . وهذا الصنف هو عمدتنا وملجؤنا في تنمية اللغة وجعلها تجاري أحوال الزمان والمكان وفي رأيي انه يُغنينا عن كل دخيل .

(الاقتراح الرابع)— بشأن كلمات وضعها المولدون ولا اصل لها في الفصيح . والقول هذه لا يجوز استعمالها الا في العامية وقلنا (لا اصل لها الخ) لانها لو جرت على مقتضى قياس عربي من مجاز او اشتقاق او نسب الخ جاز استعمالها ولو لم توجد في المعجمات لان المعجمات كثيراً ما تهمل القياسي اتكالاً على القواعد .

(الاقتراح الخامس) — بشأن كلمات اعجمية الخ . اقول ان الاعجمي صنفان صنف عرب به من يعتد بعربيته وهم الجاهلية واهل القرنين الاولين من فصحاء الامصار والقرون الثلاثة الاولى من اهل جزيرة العرب وحكمه حكم العربي الا قليلاً وصنف استعمله غير من يعتد بعربيته وهذا لا يعتبر من الفصيح في شيء وحكمه حكم العامي ويعتبر إدخاله في الفصيح من باب اللحن وخرق القواعد لأنه لم يوجد امام قط من أئمة اللغة زعم ان التعريب قياسي وانما هو سماعي لقلة الوارد منه في الفصيح اذ لا يزيد على الف كلمة في لغة تبلغ اربعة آلاف الف كلمة واكثر . وانما يجوز استعماله في عاميتنا كما هو الواقع الآن من مثل اوتوموبيل وغيره والخفة والثقل او صغر الكلمات وطولها ليست من المرخصات في هدم اصول اللغات .

(لاقتراح السادس) — أساليب وتراكيب أعجمية تسربت الخ . انا لا اقول ان هذه الاساليب أعجمية لان الفاعل لم يتقدم فيها على الفعل ولا المضاف اليه على المضاف ولا الصفة على الموصوف ولا وضعت فيها علامات للاضافة وانما هي انواع من المجاز والكناية تسيغها الاصول العربية وكم وسعت اللغة أمثالها بصدر رحب زمن الدولة العباسية وبخاصة أساليب المنطق وأدلة التوحيد والاصول فانها على رأي شيخنا المغربي أساليب أعجمية وفي رأينا أساليب عربية رتب التعقل اوالخيال فيها على مألوف اليونان اما بعض أساليب المنطق الناشئة عن ضعف في الترجمة او عن الترجمة الحرفية فهذا نمنعه ولو نطق به الكندي وابن سينا و يجب علينا اصلاحه الآن اثناء محاولتنا تذهيب[1] العلوم . وفي رأيي ان هذا الصنف داخل في الصنف الثالث او هو عينه .

(الاقتراح السابع) — ألفاظ لا يجوز استعمالها في الفصيح كما يرى الاستاذ المغربي وهي الكلمات المولدة التي لا يستعملها احد من الفصحاء وعنده ان اليازجي والشيخ محمد عبده من الفصحاء ونحن نعتبرهم من المولدين فهما والبارودي وشوقي واضرابهما لو وقع منهم مايخالف قواعد العربية وما لا أصل له في اللغة لنبذناه نبذ النواة ولا كرامة وتركناه للعوام ان شاؤوا استعملوه او اطرحوه .

هذا ما أراه وأظن ان بعضه لا يخفى على ذوق شيخنا المغربي خفة (القلم) فقد

(١) ولعل صوابه (تهذيب) .

عرفت منه شيئاً كثيراً من ذلك ايام كونه في مصر ولكن لكم دينكم ولي دين وسلامي عليه وعلى اخواني اعضاء المجمع وتحياتي الخالصة ·

حفلة تنشيط

« في المجمع العلمي »

لما رأى المجمع حفلات التكريم تقام في طول البلاد العربية وعرضها تنويهاً باسم أشخاص فضلاء نفعوا البلاد بعلمهم وآثار نبوغهم — رأى هو ايضاً ان يقيم حفلة مبتكرة في نوعها دعاها (حفلة تنشيط) ذلك ان اربعة من طلاب المدرسة التجهيزية أظهروا في امتحان شهادة العالمية (البكالوريا) — ذكاءً وتفوقاً لاسيما في الآداب العربية وقرض الشعر العربي ومثل هؤلاء الشبان كانوا اذا نبغوا في عهد عرب الجاهلية دقت البشائر وأقيمت المهرجانات فرحاً بهم واستبشاراً بنبوغهم في الشعر من حيث يذودون به عن حمى قبيلتهم ويفحمون الذي يهجوها او يعتدي عليها — كل ذلك حمل المجمع العلمي على إقامة حفلة التكريم او التنشيط لهؤلاء الاربعة فدعا لها الجم الغفير من أدباء الحاضرة وفضلائها ·

فلما جاء الوقت المعين (الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم الجمعة الواقع في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧) اكتظت ردهة المجمع بالمدعوين وغيرهم وفيهم سعادة مدير الجامعة السورية رضا بك سعيد ومدير مكتب التجهيز واساتذته ورفاق الطلاب الاربعة من تلاميذ المكتب وطائفة كبيرة من شعراء الفيحاء وأدبائها · ولما استتم عقدهم نهض الاستاذ رئيس المجمع السيد محمد كرد علي وأبان الغرض من هذه الحفلة وذكر ما روي عن غلادستون الشهير من انه اذا كان رأى غلماناً يلعبون في الشارع رفع قبعته تحية لهم وقال ان هؤلاء الغلمان سيكونون رجال المستقبل فهو يحيي بهم الرجولة المندمجة في هذه الطفولة ، وكذلك المجمع يكرم هؤلاء الشعراء الاربعة الذين

سيكونون في المستقبل نوابغ تباهي بهم الشام غيرها من البلاد . وان هذه الحفلة ستكون من اكبر المنشطات لهم للمضي في هذا الطريق طريق النبوغ والتفوق في الادب العربي وخدمة الوطن العربي . ثم قدم الشبان المحتفل بهم للجمهور وهم السادة زكي المحاسني ثم جميل سلطان فأنور العطار فعبدالكريم الكرمي وأعلن الرئيس ان كلاً منهم سيتلو على الحضور قصيدة من شعره تدل على مبلغه منه وتفوق فيه .

فتقدم السيد زكي المحاسني وتلا قصيدته التي موضوعها (الشاعر الحزين) ومطلعها :

شاعر الشجو فادح الآلام مستمر تبريحه كالضرام
منذ شرخ الصبا يلوح له القـ ـبر وتبدو أضواؤه في قتام
هو سر لا يستطاع له علـ ـم ولغز ينأى عن الافهام

ارسل الشعر من عميق اساه فتغذوه محزن الانغام
فأنال التبريح كل شجي وخلي قسطاً من الآلام
لا تلمه في الشعر ان كان شجواً فتثير الاشجان بعض الملام

آه من ليلة اساها براني ساورتني فيها قوى الاسقام
قد تعالى فيها الرنين على قـ ـبر فتاة من شاعر مستهام
عمي الحزن فاحتواها وأبلى حسنها النوم في طباق الرغام
ليت دمعاً عندالمساء يُروّي من تجاليدها غليل الرمام
فجع الدهر كم يبالغ فينا باعتساف ويثني باجترام

* * *

ثم تقدم بعده السيد جميل سلطان فتلا قصيدة موضوعها (الأُم) ومطلعها :

أذهاباً مع الاماني مليا لانطوى عهد من يعيش هنيا
ناضر العود في ازدهار حلوم باسمات تشع نوراً سنيا

انما الأُم كوكب لا يراه حاضر الأُم كوكباً دريا
آية الله نعمة وابتسام الـ ـفجر نوراً والروض عرفاً زكيا

من سواها يُسيغ كأس المعالي ويفدّيك بالفؤاد رضيا
هي مهد الحنان والأمل البا زغ توحي فتنبت القلب ريا
الى ان قال حسب من ربت البنين صغاراً انها تستفز روحاً ابيا
ان دعت شبلها لخوض المنايا خاضها مشرعاً بها السمهريا
يستطيب المنون تحت لواءٍ تخذته لواءها القوميا
أيها ذا الخفّاق رفرف ولا زلـ ـت عزيزاً مبجّلاً محميا

* * *

ثم تقدم بعده السيد انور العطار وتلا قصيدته التي موضوعها (الشاعر) ومطلعها :

خلّياه ينح على عذباته ويصغ من دموعه آياته
ويرتّل ألحانه بخشوع مستمداً من العلى نغماته
الى ان قال شاعر صاغه الاله من البؤ س وابدى الاسى على نظراته
وحباه السحر الحلال فغنّى شاكراً ربه على نفحاته
وسري النظيم ما كان حياً فالهوى والشعور في طياته
وسري النظيم ما كانت الحكـ ـمة فياضةً على جنباته
ومنها يخلد الشاعر الحزين اذا قطّـ ـر أنفاسه على صفحاته
ومنها كتب البؤس فوق خديه سطراً تتراءى الآلام في كلماته
للهوى قلبه وللشجو عينا ه وللعالمين كل هباته
ومنها علل النفس دهره بالأماني غير ما ناظر الى عقباته
كل من في الوجود يجني مناه وهو يقصي عن نيله ثمراته

* * *

ثم ختمت الحفلة بالسيد عبد الكريم الكرمي وموضوع قصيدته (قصة بدوية) أو (ابنة الشيخ رضوان) فذكر خلاصة تلك القصة ثم تلاها ومطلعها :

ناوليني الرباب قبل زيالي لست مذمومة ولست بسالي
ودعيني اسمعك وجد (ابنة الشـ ـيخ) و(رضوان)وهو سر الجلال

قالها شاعر الطبيعة في الليـ ل ومهوى الاشعار تلك الليالي

مسك الشاعر الرباب فأنت أنة الواجدين في الاطلال

لحنا شفقا عليها كأم حين تحنو على وحيد غالي

قال والغيد حوله ساكنات وسكون الحسان عين الكمال

ربوة يسكن الغرام اليها يعتليها (رضوان) كل زوال

كان يرعى انعام شيخ عجوز ساد قسماً من قومه والآل

ثم سرد الشاعر خبر الراعي والشيخ رضوان وابنته ٠

اخبار وافكار

اقتراح

مع تقديري قدر الهمة التي يبذلها رجال مجمعنا الموقر وقدر جهودهم الكبيرة فيه لا ازال ارى فراغاً لم يتسع لهم الوقت لسده ، وارى الناس لا يزالون يتحدثون به الا وهو البحث في وضع الاسماء للمسميات الأعجمية الطارئة على اللغة ٠

انني ألمس الصعوبة التي تقوم في هذا السبيل كما انني أحس عظيم التبعة الملقاة على عاتق المجمع منه وارى جيشاً لجباً من الالفاظ الطارئة يطلب اثوابه العربية ليدخل حظيرة اللغة وهو كل يوم في زيادة من عدده ٠ ولا يفيد التسويف الا ازدياد المشقة وعظيم الكلفة وتزيد العبء وان العمل بقدر الاستطاعة فيه قضاء للغرض ولا يعدم المجمع (ورجاله من خيرة رجال الامة العربية) واسطة لتخفيف العبء والنهوض بالواجب ٠

ان تبعة الإهمال تقع على كاهل المجمع قبل كل احد لانه المجمع العربي الوحيد الذي له انصاره وهو المؤيد بعلماء اللغة في سائر الاقطار فعليه ان يضع وعلى الامة ان تتبع ٠

انني ارى الالفاظ الطارئة على ضروب منها ما عرف واشتهر في البلاد بعجمته قبل ان يوضع له اسم عربي مثل (تلغراف وتلفون) ومنها ما وضع اسمه العربي قبل اشتهاره فعرفه الناس به (كالطيارة للاروبلان) ومنها ما سبقت معرفته وضع اسمه

في قطر وسبق وضع اسمه معرفته في قطر آخر فعرف في القطر الاول بعجمته وفي الثاني باسمه العربي (كالاتوموبيل) فهو في الشام مشهور باسمه الأعجمي وفي بعض أقطارها كشرق الأردن باسمه العربي (سيارة) .

وأجد ان الاسماء الأعجمية المشهورة منها الثقيل غير الجاري على اوزان اللغة (كالاتوموبيل والمداموازيل) ومنها الخفيف الجاري على وزن اللغة مثل (فلم ودوش) ولا غرابة اذا نفرت العامة مما لا تألفه من الأوزان الثقيلة والكلمات التي لا تجري على سنن لغتها فحرفت وتصرفت بما شاءت حتى ساغت لها . فقد اجتزأوا بالتيل عن التلغراف في بعض الاقطار العربية . واستعملوا كلمة مكنة او ماكنة في معنى الاوتوموبيل كما هو شائع عند سواقي الساحل . ومكنة لفظة أعجمية أصبحت عربية لشيوعها عندهم ولخفة لفظها . فاذا صح ان المسمى اذا وضع له اسم عربي اومعرب قبل اشتهار اسمه وتداوله الشعراء والكتاب في الصحف ثبت له اسمه العربي وكان الأعجمي غريباً واذا سبق اسمه الاعجمي فتداوله الناس صعب صرف ألسنتهم عنه الا الى مايقاربه في اللفظ فاذا كان ما يقاربه في اللفظ خفيفاً عليهم تقبلوه بقبول حسن .

فاذا صحت عزيمة المجمع على هذا فاني أرى أسهل طريق وان كان بحداثته لايخلو من الصعوبة ان يبادر معها أمكن الى المسميات الطارئة حديثاً قبل شيوع امرها فيضع لها اسماءها العربية ثم يعمد الى المسميات الاخرى فما كان منها شائعاً معروفاً ولكنه ثقيل خففه بالحذف والتبديل ، وما كان خفيفاً على وزن عربي أقره كما هو كما فعل العرب بلجام وأمثالها .

واما طريقة وضع الاسماء فلكي تكون معتمدة صالحة ينبغي ان يشترك فيها كل أعضاء المجمع وهم من خيرة علماء العرب وذلك بان يؤتى بالمسميات فتشرح معانيها عن لغاتها الأصلية ويضع لها المجمع ما يراه الاعضاء الحاضرون من الاسماء ثم ينشر ذلك على الاعضاء المراسلين ضارباً لهم اجلاً للجواب ، ثم يعلن عند نهايته صفوة الآراء في الاسماء ويختار منها ما كان عليه الأكثرون منهم ثم يسجله في سجله المخصوص لهذه الغاية وتنشر خلاصته كل عام .

ان هذه الطريقة هي أجلب للثقة وأجمع للآراء في وضع كلمات تدخل في صلب اللغة بتقرير المجمع لها والله ولي التوفيق · عضو المجمع العلمي العربي

احمد رضا

ملاحظات لغوية

ارجو ان تسمحوا لي بابداء بعض الملاحظات او اضافة بعض الاشياء الى مقالتي الاستاذين الفاضلين الجندي والشهابي اتماماً للفائدة · فمما فات الاول (الأرقم) من اسماء القلم ولعله سمي بذلك تشبيهاً بالحية الارقم لاستطاعته نفث السم الادبي نفث هذا السم المادي · و (الخَضْخَاض) من اسماء المداد وسمي هذا مداداً لان الدواة تُمَدُّ به · و (المِحْبَر) اي موضع الحبر · و (قُرْضَة) الدواة اي موضع الحبر منها · و (حَبَّرَ) الدواةَ : وضع الحبر فيها · (وأَمَدَّ) الكاتب : اعطاه مدة قلم · (ونَمَى) الحبر في الكتاب : اشتد سواده بعدما كُتِب · وصريف القلم : صوت جريانه · والرَّشْقُ صوت القلم · والنميم والنميمة : صوت الكتابة · وحَمْرَمَ القلمَ : براه · وتشعث رأس القلم : انتقش طرفه وساء خطُّه · والتائث برأسه شعرة اذا علقت به او التفت عليه · وللكتاب اسماء كثيرة غير ما ذكر منها المَنْصوب والعُصفور والصَّكُّ والنَّقْرُ وهو الكتاب في الحجر · والمَرْسوم وهو الكتاب المطبوع · والمنشور وهو ما كان غير مختوم من كتب السلطان ومنه مناشير الاحبار · والمَوَدَّة لانه جالب للمودة · والوَضيمة وهو كتاب تكتب فيه الحكمة · والبلاغ وهو كتاب يودعه صاحبه حكماً في مسألة · واما السِفْر فهو الكتاب الكبير وقيل هو جزء من أجزاء التوراة تقول حطمني طول ممارسة الاسفار وكثرة مدارسة الاسفار · والزِبْر والزَبور والزَبير والضِبار والمَدْرَجُ وهو الكتاب المطوي والديوان وهو الكتاب يكتب فيه اهل الجيش واهل العطية · ومن اسماء الكاتب القَأْوج والمُرَقِّن والمُرَقِّم والمَجَّاج سمي بهذا لان قلمه يمجُّ المداد · والصَّكَّاك وهو كاتب الصكوك — وحافظها · وقالوا قَرْمَطَ الكتاب كتبه دقيقاً اوقصيرالاحرف اوقارب مابين سطوره ورَقَّنَ الكتابَ

قارب مابين سطوره ومثل قرمط نمنم وقيل دامج ايضاً . وهذا خط تزل اذا كان متلززاً يقع الشيء الكثير منه في القرطاس اليسير . والعُهْدة الضعف في الخط يقال في خطه عُهْدة اي هو رديء الخط . وطلّخ الكتابة أفسدها . ورمج الكاتب ما كتبه : أفسد سطوره بعد كتابتها وجمجم الكتاب وتبجه وتبجّجه : عمّاه وترك بيانه . والقِمَطْرُ ما يصان فيه الكتب يذكر ويؤنث وربما قيل قِمَطْرة . ونمّق الكتاب حسّنه وزيّنه بالكتابة . ورقّنه حسّنه وزيّنه . وزوّقه تزويقاً قوّمه تقويماً . وخطٌ رشيق : ظريف . والرَّوْشُ : الخط الحسن . والعَطلاسة : خرقة يمسح بها بلوح المكتوب ويمحى بها وأنجل الصبي لوحه مثل نجله الخ الخ .

ومما فات الاستاذ الشهابي المِطْوُ فهو كالمطر : سنبول الذرة وقد ذكر للخيل الطويلة المُطُطُ والسلاجم ولكن العرب وضعوا ألفاظاً خاصة للخيل الطويلة فقالوا : فرس قوق طويل القوائم وهي قُوْقة وفرس مُشَذَّب طويل ليس بكثير اللحم تشبيهاً له بالنخلة المشذّبة . والشَّغاصية وهي الفرس الطويلة الشديدة النشيطة . واليعقوب وهو الفرس الطويل السريع . والطِمِرُّ هو الفرس الطويل القوائم الخفيف . والمُقَلّص وهو المشرف المشمّر الطويل القوائم يقال فرس مُقَلّص . والقَرُوري وهو الفرس المديد الطويل القوائم . والمُزْلول وهو الفرس الطويل الصلب . وفرس هيكل مرتفع ، وفي فقه الثعالبي هو الطويل الضخم تشبيهاً له بالهيكل وهو البناء المرتفع . والشَّيْظَمُ الطويل الجسيم الفتيّ . والسَّلْهَبُ وهو ماعظم وطالت عظامه وفي الصحاح هو الطويل على وجه الارض وربما جاء بالصاد . وفرس أشق وأمق طويل . والشَوْهاء الفرس الطويل الرائعة . وفرس صقيلٌ طويل الصقلين . وقد طذب الفرس طال ظهره وطالت رجلاه في استرخاء فهو أطْذَبُ .

ويرادف العمشوش العِذْق والمُكَذَّبُ وهو العنقود أكل بعض ما فيه . وقالوا سوّج على النخل والكرم تسويجاً أحاط عليه بالساج . والوَشيع ماجعل حول الحديقة من الشجر والشوك منعاً للداخلين . ويقال لذكور النخل الأرْعال ج رِعل .

وأرى ان أضيف شيئاً الى ما تقدم عن الاجنّة التي تكلم عنها الحكيم الالمعي امين المعلوف فقد قال العرب المَجْرُ مافي بطون الحوامل من الابل والغنم . والقَذَويُّ

كل ما في بطون الحوامل وقيل خاص بالشاء وكذا الغَذَوي والغَذِي . والمَليط هو الجنين قبل ان يشعر . والدُّعَرُ ما أجنّت حمر الوحش في أرحامها قبل تمام خلقه وكذلك الدُّعَرَة والدُّعَرَة ايضاً اولاد الحوامل اذا صُوِّرت . وقد وُزِّع الجنين توزيعاً : صُوِّر في البطن فنبتت صورته وتحرك . والمَقِيطُ هو الذي يولد لستة اشهر او سبعة . والغَيْضُ : السقط الذي لم يتمّ خلقه . والحضيرة : ما تلقيه المرأة من اولادها . والأحشوش والحُشّ والحَشيش : هو الولد اليابس في بطن أمه . والأسجَعُ : الذي رمت به امه بعد ما نُفِخ فيه الروح الخ .

النبك : سالم خليل رزق

نبذة تاريخية

« تتعلق بدمشق وجامعها وما حوله »

— تمهيد —

اضطرّني البحث مرة الى سؤال صديقنا العلامة الجليل الاستاذ احمد تيمور باشا عن كتابة تاريخية ظهرت في المسجد الاقصى كان السائح الهروي نقلها في كتابه « الاشارات الى معرفة الزيارات » لاعتقادي بان الخزانة التيمورية لا تخلو من مثل هذا الكتاب الذي لا يزال مخطوطاً لم يمثل بالطبع فبعد ان تفضل بنسخ صورة الكتابة وارسالها الي مشفعاً إياها بملاحظات حكيمة وآراء سديدة استنسخ كتاب الاشارات بالتصوير الشمسي وأهداه الي على نسختين نسخة قديمة كتبت سنة ٩٧٧ هـ ١٥٦٩ م ونسخة جديدة تاريخ نسخها سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م وقد جاء في آخر الاولى ما نصه :

« وافق الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة المعظمة نهار الثلاثاء أواخر شهر المحرم من شهور سنة سبع وسبعين وتسعمائة أحسن الله تعالى عاقبتها بخير لنا وللمسلمين امين والحمد لله رب العالمين وذلك على يد العبد الفقير الى الله تعالى عثمان بن احمد المعري المؤذن يومئذ بمدينة حماة المحروسة بجامع الكبير الأعلا غفر الله له وللمسلمين اجمعين آمين » .

اما الثانية فلم يُذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها ولاالاصل الذي نقلت عنه بل يقول ناسخها المجهول : «وكان الفراغ منه ضبيحة يوم الجمعة سنة ١٣١٠ الف وثلاثمائة وعشرة على صاحب الهجرة أفضل صلاة وأزكى سلام ومسك ختام» .

و باول صفحة وآخر صفحة من هذه النسخة ختم «وقف احمد بن اسماعيل بن محمد تيمور بمصر» وهو صاحبنا المتقدم ذكره أمدّ الله في حياته وأدام به النفع .

وفي هذه النسخة المكتوبة بقلم دقيق سقط مقدار كراس فيه بقية وصف بغداد ومدن العراق الاخرى ووصف مكة وماياليها من مدن الحجاز وبعض من وصف المدينة .

فجاءت في ٨٣ صفحة بعكس الاولى التي تتألف من ١٢٤ صفحة وكل من النسختين بعض زيادات ونواقص وأغلاط قد تتم احداهما الاخرى وهذا ما دعا صديقنا العلامة تيمور باشا الى تصويرهما واهدائهما الي معاً .

والسائح الهروي مؤلف هذه الرحلة قد اشتهر بكنيته حتى ان النسخة المحفوظة منها في دار الكتب المصرية لم يكتب عليها اسمها بل كتب في اولها «رحلة ابي الحسن»(١)

وقد ترجم ابن خلكان للهروي في كتابه وفيات الاعيان بقوله : (٢)

«ابو الحسن علي بن ابي بكر بن علي الهروي الاصل الموصلي المولد السائح المشهور نزيل حلب طاف البلاد واكثر من الزيارات وكان يطبق الارض بالدوران فانه لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الاماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها الا رآه ولم يصل الى موضع الا كتب خطه في حائطه ولقد شاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها على كثرتها الى ان يقول :

وكان مع هذا فيه فضيلة وله معرفة بعلم السيمياء وتقدم عند الملك الظاهر صاحب حلب وهو ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وأقام عنده وكان كثير الرعاية له وبنى له مدرسة بظاهر حلب وفي ناحية منها قبة دفن فيها عقب وفاته سنة ٦١١ هـ (١٢١٤م) وذكر له من المؤلفات كتاب الاشارات وكتاب الخطب الهروية وقال ان له غير ذلك من الكتب اهـ» .

(١) فهرست الكتب العربية المحفوظة بدار الكتب الخديوية المصرية (ج ٥ ص ٥٨) . (٢) وفيات الاعيان (ج ١ ص ٤٣٧) .

و يظهر من بعض أقوال المؤلف في رحلته انه ألف كتاباً سماه العجائب والآثار والاصنام والطلسمات ذكر فيه ما وقع نظره عليه من عجائب المدن والامصار ، وآخر وسمه بكتاب منازل الارض ذات الطول والعرض وهما مفقودان الآن على ما نعلم ٠

والذي تبين لنا من أقواله في آخر الرحلة ان اكثر كتبه اخذتها الفرنج وغرقت في البحر الا انه بعد ذلك يقول انه ذكر في كتابه الثاني ما قدر عليه ووصل اليه و ينهي كلامه بقوله فمن أراد ذلك فليطلبه ففيه الكفاية لاهل الدراية ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده ٠

والذي يهمنا من ذلك كله بعض تعاليق مفيدة كتبها احد من اتصل الكتاب اليهم وهو يضع توقيعه على هذا الوجه « حرّره أكمل » وفي احد تعاليقه « قال كاتبه محمد الأكمل بن مفلح » وفي آخر « قال جدي العلامة شيخ الاسلام شمس الدين محمد بن مفلح في كتابه الفروع في كتاب الجنائز » ٠

وقال في تعليقه على صلخد التي ذكرها الهروي بهذا الاسم : « صوابه صرخد ذات قلعة عظيمة وجامع وكانت لعز الدين ايبك المعظمي جدي لامي » ٠

قلنا وعز الدين هذا هو مملوك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الذي كان أعطاه صرخد وقد توفي عز الدين في محبسه بالقاهرة سنة ٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م ٠

وقد تقدم ان الكتاب تم نسخه سنة ٩٧٧ هـ فيكون الأكمل الذي حشّى عليه عاش في القرن العاشر الهجري او فيما بعده ٠

وقد علق على مدينة دمشق بعض تعاليق كتبها تحت عنوان « نبذة تاريخية تتعلق بدمشق وجامعها وما حوله » وهو ما اتخذناه عنواناً لمقالتنا هذه فقال في حاشية صفحة من الكتاب « لما مات السلطان صلاح الدين يوسف بنى ولده العزيز عثمان مدرسته الى جانب الكلاسة ونقل اليها والده ودفنه في قبة في جوارها والمدرسة تعرف الآن بالعزيزية والوقف عليها قرية محجة من عمل ازرع من حوران (١) وفي

(١) المحجة قرية بين اذرعات ودمشق و بجانبها محطة لسكة الحديد الحجازية في الكيلومتر ٧٨ من دمشق وازرع قرية ومحطة في الكيلومتر ٩١ وقد ذكر الاولى ياقوت في معجمه وقال انها من قرى حوران ولم يذكر الثانية وترى ان الأكمل قد رسمها بلا الف اي زرع ٠

سنة ٦٠٦ امر بتبليط الصحن الخارج بتولي الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكير وبتبليط الاروقة الجوانية في مباشرة الوزير جمال الدين الاسكندري المعروف بابن فارس في سنة سبع وستمائة وجدد المقصورة التاجية المعروفة كانت بابن سنان في سنة ٦٢٤ وجدد من الرخام القائم بجدران الجامع ما كان متزايلاً في الايام الاشرفية ولما تملكها الملك الاشرف موسى بن العادل امر بترميم الحنايا وجدد بعض المقاصير ولما توفي في سنة ٦٣٥ عُمل له تربة شمالي الجامع والكلاسة ولها شبابيك الى الكلاسة ودُفن بها ورتب فيها قراء .

ولما ملكها الصالح اسماعيل بن العادل عمل وزيره امين الدولة عبد السلام السامري بالجامع طلسماً للحيات فلا تدخل اليه واحترقت » .

هنا انتهى التعليق الذي حشي به على صفحة من الكتاب وجاءت بعده ورقة طيارة ليست من الكتاب كتب فيها ما سيأتي ذكره ولا نعلم اذا كانت متممة للحاشية الاولى او قائمة بنفسها فاذا لم تكن لاحقة لما سبق فيكون قد سقط منها كلمة سقطت او هدمت او احترقت وهذه هي الحاشية الثانية : « في الايام الصالحية النجمية المأذنة الشرقية بجامع دمشق عند اول قدومه اليها في سنة ٦٤٥ وأقامت خراباً ثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً فأمر السلطان بعمارتها في أوائل سنة سبع واربعين وستمائة في الايام الصلاحية الناصر بن الملك العزيز صاحب حلب ورمى من ماء القنوات زيادة على ماء باناس للجامع الأموي مقدار سبعة عشر أصبعاً من أصابع الماء للكلاسة والبركة المجددة بباب البريد والقسطل الماء والمارستان .

(الكلاسة) .— عمرها السلطان نورالدين محمود بن زنكي بن آق سنقر البرسقي سنة ٥٥٥ واحترقت هي ومأذنة العروس في المحرم سنة ٥٧٠[١] .

(قبة الفوارة) .— بصحن جامع دمشق المعروفة بقبة ابي نواس أقيمت سنة ٤١٦ ولجعفر بن دواس الكتاني المعروف بقمر الدولة يصف الفوارة :

(رأيت بالجامع المعمور معجزة ... في حاو ليث أخذي من بها سمما)
(فوارة كلما فارت فرت كبدي ... من حيث قابل أنبوباً لها ركما)

(١) مأذنة العروس هي احدى مآذن جامع بني أمية بدمشق .

(الناصرية الجوانية النحوية) ٠— عمرها الملك الناصر سنة ٦٤٣ على يد الحاجب وهي سنة ملك صلاح الدين دمشق[1] وامر بتجديد عمارة الكلاسة سنة ٥٧٥ على يد ابن العميد الحاجب ٠ وابتدئ ترميم دائر قبة النسر والرفوف المستدير عليها والطاقات في الايام الناصرية الصلاحية ابن ايوب بتولي القاضي محيي الدين القرشي قاضي قضاة الشام سنة ٥٨٥ وتمت الكلاسة فان نور الدين مات ولم تكمل وجددت في ايامه فوارة جيرون » ٠

وكتب في ورقة طيارة ثانية : « في الايام الظاهرية الركنية أخرجت الصناديق والمجاورون من جامع دمشق وقلعت الدرابزينات وفكت المقاصير في سنة ٦٦٥ وصلى فيه في هذه السنة وطاف به فرأى الحائط القبلي قد اتسخ رخامه وتشعث الفسيفساء فأمر باصلاحها وغسل الأساطين وذهبت رؤوسها وغير ما يجب تغييره من الرخام وذهب تازيره والكرمة التي تدور به[2] ٠

(١) في هذه العبارة اضطراب فصلاح الدين الاول ملك دمشق سنة ٥٧٠ ﻫ ١١٧٤ م بينما هو يقول ان الملك الناصر عمر الناصرية سنة ٦٤٣ ﻫ ١٢٤٥ م فاذا كان يقصد بالملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين فهذا قد ملك دمشق ودخلها سنة ٦٤٨ ﻫ ١٢٥٠ م فيجب ان يكون بناء المدرسة بعد ذلك التاريخ ٠

(٢) لعل البقية الباقية من هذه الكرمة هي المحفوظة بدار الآثار العربية والتي وصفت بمجلة المجمع العلمي العربي (م ٧ ص ٤٥) ولكن في الامر ما يدعو الى النظر فان واصفها الاستاذ جعفر الحسني مدير دار الآثار العربية في دمشق يقول ان كرمة جامع دمشق قد زالت فيما زال من الصناعات النفيسة في حريق سنة ٤٦١ ﻫ ١٠٦٨ م في حين ان الواصف يقول بان الكرمة التي تدور بالحائط القبلي قد ذهبت سنة ٦٦٥ ﻫ ١٢٦٦ م فهل هذه الكرمة هي غير الاولى التي كانت ايضاً في الجهة القبلية من المسجد وذهبت طعمة للحريق كما قيل ام هي بقاياها ولكنه أجهز عليها حريق آخر أودى بها وببهائها ٠ وعلى ذكر الكرمة التي يقول عنها الاستاذ الحسني انها صنعت في

ولما دخل دمشق المولى الصاحب بهاء الدين علي بن محمد مع السلطان سنة ٦٩٠ نظر في وقوفه وما يفرض منها لارباب الرواتب فمن كان مستغنياً وليس به انتفاع في علم أبطله وكان بصحن الجامع حواصل للمنجنيقات وحواصل للامراء من خيم وغيرها فأمر بازالتها فاتسع وزاد رونقه ٠

(ذكر ما جدد بظاهر دمشق من الجوامع) ٠— جامع الجبل المعروف بالحنابلة بسفح قاسيون اول من خطه الحاج علي الفامي من محلة مسجد القصب وشرع في بنائه ومعه جماعة من الحنابلة الصالحيين ثم بلغ مظفر الدين صاحب اربل ان الحنابلة بدمشق شرعوا في بناء جامع بسفح قاسيون وانهم عاجزون عن العمل وإتمامه فسير اليهم حاجب من حجابه ومعه ثلاثة آلاف دينار لتتميم العمارة ومهما فضل من ذلك يشترى به وقف و يوقف عليه وتم سنة ٥٩٦ ٠

(جامع مصلى العيدين) ٠— قبلي البلد أنشأه الملك العادل سيف الدين ابوبكر ابن ايوب سنة ٦٠٦ ٠

(جامع التوبة بالعقيبة) ٠— انشأه الملك الاشرف موسى بن ايوب سنة ٦٢٢ وكان يعرف بخان الدعاري وقيل بخانات الريحان وكان به كل مكروه من القيان وغيرها ٠

(جامع جراح) ٠— أنشأه الملك الاشرف موسى سنة ٦٢٣ ٠ ٠

(المدرسة المرشدية بسفح قاسيون) ٠— أنشأتها الخاتون المعظمة عصمة الدين بنت الملك المعظم عيسى سنة ٦٥٤ ولها وقف مزرعة بالقابون [1] و بساتين

ايام الوليد بن عبد الملك بن مروان عند بنائه مسجد دمشق فان جعل تاريخ صنعها سنة ١٨٦ — ١٨٧ هـ ٨٠٢ — ٨٠٣ م هو مغلوط فيه اذا لم يكن ذلك من خطإ الطبع فان الوليد لم يل الخلافة قبل سنة ٨٧ هـ ٧٠٥ م ومسجد دمشق قد بني في سنة ٨٨ هـ ٧٠٦ م وان كان زعم بعض المؤرخين ان العمارة بدئ فيها سنة ٨٧ لكن الاعم على انها كانت في سنة ٨٨ ٠

(١) القابون قرية نزهة في ضاحية دمشق بينها وبين دومة الغوطة و يقول ياقوت عنها موضع بينه وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد الى العراق في وسط البساتين ٠

بالصالحية (١) .

(الماردانية بالصالحية) — جامع ومدرسة وتربة إنشاء عزيزة الدين اخشرويا الماردانية سنة ٦١٠ وأوقفتها سنة ٦٢٤ (٢) .

انتهت النبذة التاريخية التي أوردها أكمل وقد علق على قبر وائل بن الاسقع الذي في قبلي الباب الصغير من ميدان الحصى قبلي دمشق وفي النسخة الجديدة من الرحلة وائلة بن الأصقع فقال : « الاصح انه واثلة بن الأسقع وله مسجد بدمشق داخل باب الشاغور قرب تربة الشنباشي يعرف به » .

هذه هي تعاليق محمد الأكمل بن مفلح عن دمشق نقلناها واكثرها غير معجم حتى الأعلام منها وبعثنا بها لمجلتكم الزاهرة لعلاقتها بتاريخ دمشق .

حيفا : عبد الله مخلص

استدراك

وقد ترجم له السيد كمال الدين الغزي الدمشقي المتوفى ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م في ذيل طبقات الحنابلة بما ملخصه :

« محمد أكمل الدين بن ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن محمد أكمل الدين بن عبدالله ابن محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الشهير بالقاضي اكمل بن مفلح الراميني المقدسي الاصل الدمشقي الشيخ الامام العالم البارع المؤرخ المسند الفقيه مولده بدمشق وكان له خط حسن كتب به عدة مجاميع وعلى كتابته رونق ظاهر وله عدة تواليف وتلخيصات وتعاليق وفوائد وكان ينظم الشعر وتوفي في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٠١١ هـ ٧ حزيران سنة ١٦٠٣ م » اهـ باختصار من طبقات الحنابلة للشيخ محمد جميل الشطي الدمشقي الذي

---

(١) الصالحية حي من أحياء دمشق كثير العمارة وفي معجم ياقوت : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق وفيها قبور جماعة من الصالحين و يسكنها ايضاً جماعة منهم واكثر أهلها ناقلة البيت المقدس على مذهب احمد ابن حنبل . (٢) في كتاب تنبيه الطالب وارشاد الدارس الى ما في دمشق من الجوامع والمدارس لعبد القادر النعيمي قال عنها ابنة ملك ماردين .

فنّي على ذلك بقوله «ص ٩٤» : «هذا آخر من عُرف من بني مفلح في دمشق وقد انقرضت هـذه الأسرة ولم يبق منهـا سوى الأسباط وهم بنو الاسطواني الأسرة الكبيرة المعروفة بدمشق تولوا عنهم أوقافاً ووظائف كثيرة» .

مطبوعات حديثة

الانتاج الزراعي

«في مصر والولايات المتحدة والمانيا»

تأليف السيد احمد مراد البكري طبع بمطبعة المقتطف في مصر ويحتوي على ٢٦٨ صفحة متوسطة منها نحو مئة صفحة كلها في الاحصاء

أورد المؤلف في هذا الكتاب احصائيات زراعية ثمينة وشيئاً في علم الاقتصاد الزراعي وأبحاثاً في أهم الوسائل التي تتوسل بها تلك البلاد لتزيد المنتجات الزراعية فيها . واذا صح ما ورد في جداول الاحصـاء يمكن ذكر نموذج مما أورده المؤلف مثل ان غذاء الفلاح المصري ربعان من دقيق الذرة والربع من دقيق الحنطة ومن الأرز والخضر والربع الأخير من اللحم واللبن . اما معظم اللحوم فيأكلها ذووا اليسار في المدن وان كل ١٠٠ فدان مصري تقوم بتغذية ٢٠٠ الى ٢٥٠ شخصاً في مصر ، وان عدد الفلاحين في مصر ٧٠ ونيف في المئة من السكان اما في المانيا فنحو ٥٠ في المئة . لكن الفلاح الالماني أقوى فلاحي العالم على الانتاج في مساحة واحدة ، وان الاجانب تملك نحو ١.١ في المئة من اراضي مصر الزراعية وهو مقدار كبير ، وانه بلغ عدد المعلمين في المدارس الزراعية في الولايات المتحدة ٢٠١٢ معلماً وعدد التلاميذ ٧١٢٩٨ تلميذاً وذلك سنة ١٩٢٣ . اما في مصر فلم يزد عدد الطلاب في المدارس الزراعية على ٥٢٣ طالباً في سنة ١٩٢١ فالفرق بين البلدين بعيد حتى مع مراعاة عدد السكان في كليهما .

وغلط المؤلف في تقدير متوسط ما تدره الأبقار الحلوبة في مدرسة الجيزة الزراعية فبدلاً من ان يجمع كل ما حصل من الحليب ويقسمه على عدد الأبقـار وهو ٢٢ بقرة

فقد اخذ المقدار الذي درته أجود بقرة والمقدار الذي أعطته أقل الأبقار دراً وقسم مجموعهما على اثنين وهذه الطريقة غير صحيحة ٠

وحبذا لو اعتنى المؤلف الفاضل بلغة الاجزاء التاليـة التي وعد باصدارها فان بعض جمل الكتاب (وهو الجزء الاول) تكاد تكون عامية مثل الجملة الآتية التي وردت تحت الصورة المقابلة للصفحة ١٤ وهي : « ٠٠٠ عمر هذه البقرة حوالي ١٣ سنة وكسور وهي شـامي بلدي وقد أعطت ٠٠٠٠ » وليس يخـاف على حضرة المؤلف ما لفصاحة اللغة من الشأن في التصانيف ٠ عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

تلقيح فهوم اهل الاثر

« في عيون التاريخ والسير »

تأليف الحافظ جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ نشره وعلق عليـه الشيخ محمد يوسف البريلوي التونكي وطبع في مطبعة جيد پرنس برقي ببلدة دهلي في الهند ص ٣٨٤

طبع هذا المختصر في تاريخ الصدر الاول للاسلام الاستاذ البريلوي طبعاً حجرياً على العادة القديمة في اكثر كتب الهند ، منقولاً عن نسخة مخطوطة صحيحة مضبوطة كتبت في المائة السادسة تقريباً وجدت في مكتبة الوزير الامير عبد الرحيم خان بن النواب محمد علي خان في بلدة تونك وعلق عليها حواشي مستنداً فيها الى أمهات كتب التراجم المعتبرة ومما استند عليه من المخطوطات في تقويم الاصل الذي لديه مسند ابي يعلى الموصلي والتاريخ لابي حاتم والحاشية للاستيعاب فدل على معرفة في البحث ومما قاله في المقدمة : « وفيه التاريخ والسير وعلوم الحديث أعني الوفيـات وطبقات الرواة وبيان المقلين والمكثرين والوحدان وغيرها من الفوائد التي لا تكاد توجد في غيره لطلبة العلم المبتدين وللعلماء المنتهين ومما حداني الى نشره اعراض اكثر علماء الهند وطلبته واستغناؤهم عن هذه الفنون الشريفة وهي مما يلزم معرفتها على طالبي العلم لانها

معارف عمومية » . فنثني على عناية الاستاذ الناشر وتحقيقه في اخراج هذا الكتاب الممتع للناس خدمة للتاريخ والحديث . وما نظن النسخة التي طبعت من هذا الكتاب في مدينة برسلاو في المانيا منذ زمن الا قطعة من الاصل الذي وفق العالم الهندي الى إحيائه .

م . ك

تهافت الفلاسفة للغزالي

« نشره الاب موريس مويج اليسوعي وطبع في المطبعة الكاثوليكية »
« في بيروت سنة ١٩٢٧ في ٤٤٧ صفحة »

طبع هذا الكتاب منذ مدة طويلة في مصر طبعة تجارية وها قد طبعه هذا الاستاذ الطابع طبعة علمية معارضاً له على نسخ مخطوطة محشياً له وخادماً لمتنه وقدجعل له فهارس تقرب منال فوائده على كل طالب فاستحق ثناء العلم على عنايته البالغة . وقد قدم له مقدمة بالفرنسية في بيان الغرض الذي يرمي اليه بهذه الطبعة وكتب التعاليق عليه باللاتينية . لكن مما يؤاخذ عليه انه بدأ به على الاصول الغربية من الشمال الى اليمين خلافاً لكتب العرب التي يبدأ بها من اليمين الى الشمال . تخالف بذلك سنة علماء المشرقيات المستعربين في نشرهم الكتب العربية على المثال الذي جرى عليه واضعوها . فان هذا الكتاب وهو الكتاب الاول من مجموعة سماها المكتبة العربية الفلسفية القديمة قد خالف فيه دي خوي المستشرق الهولاندي في نشره المكتبة الجغرافية العربية وخالف فيه كوديرا وربيرا المستشرقين الاسبانيين بنشرهما المكتبة الاندلسية العربية وخالف اماري المستشرق الايطالي في نشر المكتبة الصقلية وخالف موجيك المستشرق النمساوي في نشره المكتبة الجغرافية التاريخية وخالف فيه عشرات غيرهم من أعلام المشرقيات الذين نشروا الكتب العربية على صورتها المستقيمة المتعارفة .

م . ك

محاضرة في تربية الذوق السليم

« للاستاذ احمد فهمي العمروسي طبعت بمطبعة النهضة بمصر ص ٣٢ مع الصور »

مؤلف هذه المحاضرة من علماء التربية في مصر واشتهر بتآليف كثيرة وضعها في هذا الشأن وهذه المحاضرة ألقاها في مؤتمر التعليم الاولي المنعقد في سنة ١٩٢٥ في القاهرة يبين فيها اثر الفنون الجميلة في تربية الذوق السليم موردا لذلك الأمثلة مما حوته متاحف مصر من بدائع الآثار ومصورا لها تصويرا جميلا وقد شفعها بنبذة عن الفنون الجميلة عند العرب منها ما اختبره بنفسه ومنها ما اقتبسه عن علماء الفرنج لجاءت صفحات قليلة تحوي علما جما . م . ك

اربع محاضرات

« السيد احمد فهمي العمروسي طبعت ثانية بمصر سنة ١٩٢٦ م ١٣٤٤ هـ »

« ص ١٣٣ بحجم صغير »

هذه محاضرات ألقاها الاستاذ العمروسي بك في التربية في انكلترا واميركا ومقارنتها بالتربية عند الامم اللاتينية . ولكن لم يفته ان يشفعها بما كان عند العرب من مثلها فأورد لذلك الأمثلة التي تدل على علو كعبه في الادب كما دل بهذه المحاضرات على امتيازه في فن التربية وانه هضم ما تعلم فأجاد فيما علم . وكتب العمروسي بك تجمع بين الحديث ولا تغفل عن التذكير بالقديم وامتازت باسلوبها وجمال وصفها مملوءة بمشاهداته وتجاربه الخاصة . م . ك

مجلة الدروس الاسلامية

أحسن صديقنا العلامة السيد لويز ماسنيون أستاذ علم الاجتماع في « كوليج

دي فرانس » ببار يز واحد اعضاء المجمع العلمي العربي باصدار هذه المجلة الفرنسية في عاصمة فرنسا فسدّ بها فراغاً كان ملموساً لكل من يحب التعمق في الدروس الاسلامية من الغربيين وغيرهم وقد عاهد قراءه انه ينقل من أصح المجلات العربية والغربية ما له مساس بموضوعه الذي سيقسمه فيما يظهر الى اثني عشر باباً وهي (١) التهذيب الاسلامي وغيره (٢) تاريخ الافكار العلمية (٣) المباحث اللغوية (٤) اصول الشعوب وأساطيرهم (٥) التاريخ الاوربي ونشر النصوص القديمة (٦) الفنون والصنائع (٧) القضاء والادارة (٨) العقائد والفلسفة والتصوف (٩) التجدد والمناقشات الدينية والتبشير (١٠) الاستعمار الاوربي والسياسة الحاضرة (١١) تاريخ الارجاء الطبيعية ووصف البلدان (١٢) البحث في الكتب وغيرها . وقد تكلم رصيفنا في هذه المسائل وأشار الى ١٢٣ كتاباً صدرت في هذه الموضوعات في العهد الاخير بلغات مختلفة ومنها العربية والفارسية والتركية . وفي هذا الجزء مقالة في الازهر وإصلاحه للسيد اشيل صيقلي وأخرى في عادات المرأة البربرية وإصلاح عادات البربر وغير ذلك من الابحاث والوثائق التاريخية واسم هذه المجلة النافعة (Revue des Etudes Islamiques .) وعنوانها : Librairie Orientaliste Paul Geutbner 13, rue Jacob Paris

م ٠ ك

عواطف عواصف الشباب

للسيد لطفي اليافي طبعت في مطبعة « فتى العرب » ١٩٢٧ ص ٦٢.

هذه مقالات ادبية ، انتقادية ، غرامية ، اجتماعية منها المترجم عن الافرنجية ومنها ما وضع مباشرة ، وهي لطيفة في أسلوبها وإنشائها . ولم يخرج كاتبها عن اصول اللغة . نقرأ ونفهم وتستطاب في اكثر الاذواق . واذا اكثر الكاتب من النسج على هذا المنوال ونماه جاء بطريقة طريفة .

م ٠ ك

البستان

« جمعه وشرح غريبه السيد اسعاف النشاشيبي طبع بمطبعة المعارف بمصر »
« سنه ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م ص ١٣٥ »

هذا آخر كتاب في الاستظهار للمدارس الابتدائيـة وهو سبعة أقسام مدرجة موافقة قوى الطلاب ، جمعه العلامة الاستاذ النشاشيبي وتوخى فيه السهولة والبيان فدل على ذوقه العالي في الادب وسيفيد الطلاب لانه يعلمهم السهل الممتنع فيُطبَعون بطابع الفصيح من الصغر . ولا غرو فكل تآليف الاستاذ سلسلة مفرغة في قالب الاحسان في البيان .

م . ك

—

من كتاب فتح الباب

« في الكنى والالقاب »

لابي عبد الله محمد بن اسحق بن مندة الاصفهاني نشره السيد سفن ددرنج (Sven Dedering) في أُبسالة من بلاد السويد

هذه قطعة من هذا الكتاب في ذكر ما انتهى اليه من كُنى المحدثين من الصحابة والتابعين على مراتبهم وطبقاتهم من عُرف باسمه وخفيت كنيته او عُرف بكنيته وخفي اسمه اومختلف في اسمه . وهومختصر جداً أشبه بفهرس ومع هذا وضع له الناشر فهارس واختلاف النسخ على العادة المتبعة عند المستعربين من علماء المشرقيات فكان حجم ما كتبه وعلق عليه (٥٥ص) والاصل (٤٨) بطبع مشرق لا غبار عليه .

م . ك

العصور

هي مجلة انتقادية في الادب والعلم والسياسة لمحررها الاستاذ السيد اسماعيل مظهر صاحب المؤلفات والابحاث في الفلسفة ومذهب النشوء واصل الانواع . اطلعنا على الاجزاء الثلاثة الاولى منها الصادرة في القاهرة فرأيناها ملأى بالافكار الجديدة والابحاث العلمية الطريفة والقصص المربية وتراجم بعض العظماء من الغربيين مما يستفيد منه المطالع عبرة و يرقي العواطف البشرية . وحبذا لو أضاف الاستاذ الباحث صاحب هذه المجلة الى هذا العلم الجديد شيئاً من العلم القديم ، ففي رجال العرب ايضاً أناس أحرياء بان يكونوا عبرة لأحفادهم اليوم ، وعند العرب من هذه العلوم المادية والفلسفية بحسب أعصارهم ما يجب إحياؤه والتنظير بينه وبين ما عرف المحدثون من نوعه ، فما كل قديم بال ولا كل جديد حال ، ونرجو ان يلاحظ منشئ المجلة الأغلاط المطبعية وغيرها فان رسالة كرسالته هذه يجب ان تخلو ما أمكن من الاخطاء . م . ك

﴿ كتب ورسائل مختلفة ﴾

(١) رواية الحب المكتوم تعريب السيد امين غريب صاحب مجلة الحارس طبعة ثانية مصححة طبعت في مطابع قوزما في بيروت ١٩٢٧ .

(٢) دليل الاصطياف والسياحة سنة ١٩٢٧ ! طبع بمصر ص ٢٠٨ .

(٣) مجموعة فرح للاغاني والاناشيد طبعت بمطبعة الفيحاء في سان باولو (البرازيل) ص ٦٤ .

رجاء

نرجو من اعضاء مجمعنا العلمي — وقد قرأوا اقتراح الاستاذ « المغربي » في الجزء الاول من هذه السنة — ان يكتبوا الى المجلة بآرائهم في هذا الاقتراح على نمط الأجوبة التي رأوها ننشر في المجلة من حيث الاختصار في العبارة . والاقتصار على ما له علاقة بالموضوع .

الجزء ٣ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آذار سنة ١٩٢٨ م الموافق رمضان وشوال سنة ١٣٤٦ هـ

ابو حيان التوحيدي

عصر التوحيدي

ان القرن الذي أُولد التوحيدي ، وشبَّ فيه واكتهل وشاب ، هو العصر العباسي الثالث ، فسدت في تضاعيفه عصبية بني العباس ، فلم تبق لهم كلمة مسموعة ، ولا رأي جميع ، ولا قوة نافذة ، ولا كيان يُرتجى معه البقاء ، دخلت الاعاجم منذ قرن وتسلطت على امور الدولة ، ودب دبيبها في جسم العباسيين ، وما دخل القرن الرابع حتى رأيت الامور تلتوي ، ودولة الخلافة تخرج عن الصورة التي رسمها لها الاسلاف ، وشمل الضعف معظم أوضاعها ، وعاث سوس فساد الغريب في ذلك الجسم العظيم ، وتناثر عقد البلاد الاسلامية وانتقصت من أطرافها ، والاهواء مشتتة ، والنفوس شعاع .

لم يكد ينسلخ الربع الاول من هذا القرن حتى استولى ابن رائق على البصرة وواسط ، واستأثر البريديُّ بالاهواز وأعمالها ، وذهب ابناء بويه الديلميّ بفارس والرّي وأصفهان وطبرستان وجرجان وكرمان والجبل ، وغدت خراسان وماوراء النهر بيد السامانية ، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في ايدي بني حمدان ، وانتقلت مصر والشام الى الإخشيدية ، والبحرين واليمامة الى القرمطي ، والمغرب وإفريقية الى القائم العلوي ، والاندلس للناصر عبد الرحمن الأموي .

ولم يبق للخليفة العباسي غير بغداد وأعمالها ، والحكم فيها لابن رائق ، وليس للخليفة وزير ، وانما كان له كاتب يدبر إقطاعاته واخراجاته القليلة ، وكلما امتدت كلمة

ملك او امير سطا على من يجاوره واستصفى مملكة صاحبه ، فابن رائق بعد البصرة استولى على دمشق ، والبريدي بعد خوزستان استولى على بغداد ، وبنو بويه بعد بلاد الشرق استولوا على بغداد (٣٦٧) وخُطب لهم فيها مع الخليفة . وهكذا كانت مملكة بني العباس نهبَ ايدي الاتراك والديلم — والاتراك جيل من التتر معروف والديلم سكان الجبال في فارس — وكلهم شاركوا العرب في سلطانهم بل حاولوا نزع تراثهم من ايديهم .

وكثر قتل الخلفاء وخلعهم ، فقتل المقتدر ، وبويع للقاهر ثم خلع ، وخلفه الراضي ، واستخلف المتقي ، ثم بويع للمستكفي وهو كأكثر من سلفه مغلوب على امره . وهناك دول تقوم في الشام كدولة بني حمدان بعد الإخشيديين ، ودولة الفاطميين تستولي على مصر (٣٦٣) ويخطب للفاطميين في مكة والمدينة بدل الخليفة العباسي ، وتقتطع من تلك الدولة العظمى دول وممالك . وقد أصبح خليفة بني العباس أشبه بصاحب منصب ديني له القول ولغيره العمل ، هو يملك الامم والجسم يستغله المستغلون من المتغلبين والمتوثبين ، والبلاد تخرب والنفوس تهلك ، حتى لقد خربت بغداد عند استيلاء البويهيين عليها واخذوا بتجديدها ورمّها لاول امرهم وكانت في القرنين الثاني والثالث أعمر مدينة في الارض . وكان القرامطة[1] خلال ذلك القرن يعيثون في البلاد ، فعلوا أفاعيلهم في العراق ثم تعدوا الى الشام بعد ان عبثوا بمقدسات الامة في الحجاز وكذلك كان شأن غيرهم من الخوارج والنزّاع الى الفتنة .

اما الروم فكانوا يغادون الشام القتال و يراوحونها ، ودولة بني حمدان كفت البلاد عاديتهم . وفي خلال هذا القرن انقرضت دول ولا سيما السامانية والإخشيدية وقام محمود بن سبكتكين رجل ذاك القرن فاستولى على خراسان وامتدت فتوحه حتى فتح جزءاً مهماً من بلاد الهند والشرق .

***

(١) القرامطة نسبة لحمد بن قُرمط لقب بذلك لقرمطته اي تقريبه في خطه او خطوه وهو صاحب الدعوة الباطنية .

الحالة العلمية والاجتماعية في عهده

وفي هذه المملكة بل الممالك التي كانت تتخبط في أقدارها ، وتختلط امورها بايدي أخيارها وأشرارها ، نشأت زمرة صالحة من العلماء والادباء ، بقوة التسلسل المنبعثة من عمل القرن الثالث . وقد تضعف السياسة في أمة وتبقى قوتها المفكرة سائرة سيرها ، علومها آخذة بالنظام الذي كان لها على عهد سيادتها ، كما قيل « يفنى القميص وفيه ريح المندل » ولقد ساعد على هذه النهضة بعض أصحاب السلطان من هؤلاء الملوك ، ممن ارادوا ان يكون في جملتهم الأجلاء والفضلاء ، يستأثرون بهم دون جيرانهم ، و يزينون بهم ملكهم ، اويستخدمونهم ليعينوهم على قيام امرهم ، او يختارون طبقة من الادباء والشعراء ، ينادمونهم ويمدحونهم ، ويخلدون مآثرهم ، ويعظمون مفاخرهم ، فيعتزون بهم عند القريب والغريب ، والبغيض والحبيب . فكانت في هذه السبيل تجاري بغداد كل من أصفهان وشيراز ونيسابور وهمذان وأرجان وكرمان والري وسمرقند و بلخ وحلب والقاهرة وقرطبة .

وتنوعت المذاهب التي غلبت على البلاد ، فكانت اهل البصرة قدرية وشيعة وحنابلة ، وفي بغداد من جميع النحل وفيها غالية يحبون معاوية ، ومشبهة وهم أصناف كثيرة ، و يهود اقليم الجبال اكثر من نصاراها ، ومجوسها كثير ، والمجوس أصحاب زردشت المعظمين للنار وسائرالانوار بقيت منهم بقية مهمة الى هذا القرن في العراق والاهواز وفارس وأصبهان وخراسان وغيرها من مملكة الفرس قبل الاسلام . ولكل بلد من بلاد العجم طرز يخالف الطرز الآخر ، فمنها ما تجد فيه الغلبة للحنفيين ، ومنها ما كانت حنابلته كثيرة ، ومنها ما كانت شيعته غالية ، ومنها ما تغلب فيه أصحاب الحديث ، واكثر اقليم خوزستان معتزلة ، وفي الاقاليم الاخرى شيعة وحنابلة وشوافع . والفتن كثيراً ما تقع بين الحنابلة والشوافع في بغداد او بين السنة والشيعة في دار السلام وبعض أصقاع فارس والجبال وما اليها فيفني بعضهم بعضاً .

والحنابلة في بغداد يثورون على المنكرات ينكرونها بالعنف ، ويقضون عليها بالقوة ، ويتدخلون في امور لو كانت للحكومة بعض قوة ما وقعت ، كما فعلوا في بغداد يوم

مات محدث الامة ومؤرخها ابن جرير الطبري ومنعوا دفنه في المقابر ، لانه لم يذكر الامام احمد بن حنبل في جملة الفقهاء وعده في المحدثين ، وكما وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين الحنابلة وخصومهم قتل فيها خلق كثير من الجند والعامة وذلك بسبب خلاف نشأ في تفسير قوله تعالى : « عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً » . فقال ابو بكر المروزي واصحابه بقول ، وقالت الطائفة الاخرى بآخر ووقع الهرج والهيج .

ومن اجل هذا اعتصم بعض العلماء والحكماء باهداب التقية [1] خشية العامة [2]

(١) التقية مشتقة من اتقاه اي خافه وهي ضد العلانية ، وكان المسلمون لاول عهدهم وهم ضعاف يتقون من عدوهم فيدارونه اذا كان قوياً من غير ان يستحلوا دماً حراماً او مالاً حراماً اوغيرذلك من المحرمات او يظهروا الكفار على عورة المسلمين . واختلفت الفرق الاسلامية في التقية ومنها التي تجوزت فيها كثيراً وبعضهم حدد لها شروطاً ولاسيما عندما يخشى المرء على نفسه فيدفع الضرر عنها بالمداراة والمداهنة والمباطنة . والعقل يقتضي بان يستعمل في دار التقية ما لا يستعمل في دار العلانية .

(٢) قال ابو عبيدالله المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ في الموشح : حدثني احمد بن محمد بن زياد قال : سألت اباالغوث عن السبب في خروج ابيه عن بغداد ، فقال لي : كان ابي قد قال في قصيدته التي رثى فيها اباعيسى بن صاعد ابياتاً ، وجد بها بعض اعدائه عليه مقالاً ، فشنع عليه انه ثنوي ودارت في الناس ، وكانت العامة حينئذ غالبة ببغداد ، فخافهم على نفسه فقال لي : قم يابني حتى نطفئ عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود ، قال : فخرجنا ، واقام فلم يعد . قال والابيات :

اخيّ متى خاصمت نفسك فاحتشد لها ، ومتى حدثت نفسك فاصدق
ارى علل الاشياء شتى ، ولا ارى التـ جمع الا علة للتفرق
ارى العيش ظلا توشك الشمس نقله فكيس في ابتناء العيش كيسك او حمق
ارى الدهر غولاً للنفوس ، وانما بقي الله في بعض المواطن من بقي
فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى؟ وعرّج على الباقي فسائله لم بقي
ولم ار كالدنيا حليلة وامق محب متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عياناً وهي صنعة واحد فتحسبها صنعي حكيم واخرق

وجهلة السلاطين ، ممن قد يحرصون على مراعاة العامة اكثر من حرصهم على رضا الخاصة ، والتقية واجبة في مثل هذه الاحوال ، فكان ما كان من تأليف المجالس السرية من الفلاسفة وارباب العقول الكبيرة . وكان التوحيدي الذي يعنينا الآن تحليل حياته ، ووصف عمله ، احد أساطين تلك الحلبة حقبة من الزمن ، والحركة الدائمة في الافادة والاستفادة . والعقل الكبير والعامل الجبار ، ملئت ايام حياته بغرائب فكان عجباً في نفسه ودرسه وقوة انتاجه على معاندة الدهر له .

نشأته وأعماله

هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي (بفتح التاء وسكون الواو وكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها) نسبة فيما قيل للتوحيد وهو نوع من التمر كان يبيعه ابوه بالعراق ، وعليه حمل بعض شراح ديوان المتنبي قوله :

يترشفن من في رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقيل ان التوحيدي نسبة للمعتزلة ، لانهم يسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد ، وهو الارجح . ذكروا في اصله انه شيرازي وقيل نيسابوري وقيل واسطي ، ولا يعلم ان كان أجداده عرباً صرفاً او فرساً استعربوا ، وكنيته ابو حيان ، ولد على الغالب في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع او في أوائل العقد الثالث وعُمِّر لانه مات على رأس الاربعمائة او بعدها بقليل .

نزل التوحيدي بغداد صغيراً على ما يظهر ، وتخرج في النحو بابي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني ، وبالفقه الشافعي بابي حميد المَرْوَرُّوذي وابي بكر الشافعي ، وحضر في أوقات مختلفة بين سنتي ٣٦١ — ٣٩١ هـ دروس يحيى بن عدي وابي سليمان المنطقي وغيرهما من الفلاسفة . فجاء مفتناً في العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام على رأي المعتزلة ، وبأخذه الفلسفة عن ورثة علوم الاقدمين في عصره عد حكيماً عظيماً ، وصفا ذهنه ، وزاد تسامحه ، وأصبح يحكم عقله فيما يرى ويسمع ، لا يأخذ الاشياء على ظواهرها بل يعمق البحث ويواصل الدرس والنظر ، غير متحيز لفئة ، ولا متعصب لرأي جماعة .

وصفه ياقوت بانه كان جاحظياً ، يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ ، ويشتهي ان ينتظم في سلكه ، فهو شيخ في الصوفية ، وفيلسوف الادباء ، واديب الفلاسفة ، ومحقق اهل الكلام ، ومتكلم المحققين ، وإمام البلغاء ، فرد الدنيا الذي لانظير له ذكاء وفطنة ، وفصاحة ومكنة ، كثير التحصيل للعلوم في كل فن ، حفظة واسع الرواية والدراية . قال : ولم أر واحداً من اهل العلم ذكره في كتاب ، ولا أدمجه في ضمن خطاب ، وهذا من العجب العجاب . وقال فيه انه صوفي السمت والهيأة ، وانه كان فقيراً صابراً ، وعده السبكي في فقهاء الشافعية وقال انه من المؤرخين وروى الحديث وأرواه ، وآخر ما أخذ عنه بشيراز سنة اربعمائة .

ولابي حيان تصانيف كثيرة منها كتاب الصديق والصداقة ، وكتاب المقابسات او المقابسة وكتاب الاشارات الالهية جزآن ، والرد على ابن جني في شعر المتنبي ، وكتاب الامتاع والمؤانسة جزآن ، وكتاب الزلفة جزء ، وكتاب رياض العارفين ، وكتاب تقريظ الجاحظ ، وكتاب مثالب الوزيرين[1] وكتاب الحج العقلي اذا ضاق

(١) اطلع ياقوت الحموي على بعض كتب التوحيدي أوائل القرن السابع ونقل منها كثيراً في كتابه معجم الادباء فمنها اطلع عليه ومنها ما كان بخط المؤلف كتاب تقريظ عمرو بن بحر الجاحظ و « مثالب الوزيرين » و «الإمتاع والمؤانسة» و« كتاب المحاضرات او محاضرات العلماء » . وفي مكاتب الاستانة نسخة من مثالب الوزيرين وفي دار الكتب بدمشق الجزء الاول من الاشارات الالهية وله مختصر محفوظ في دار كتب الامة ببرلين . وفي دار الكتب الامبروزيانية في ميلانو بايطاليا الجزء الثاني من الإمتاع والمؤانسة ونسخة من كتاب البصائر له وفي مكتبة الفاتح في الاستانة خمس نسخ مخطوطة من كتاب البصائر والذخائر وفي دار الكتب في ليدن نسخة من الحجيج للتوحيدي . وفي كتاب في التصوف كان بدمشق فبيع مؤخراً في القاهرة وهو مكتوب بالقلم الكوفي ذكر لابي حيان وعده المؤلف في المتصوفة واقتبس من عباراته على ما حدثني الثقة ولم يكتب لي الاطلاع على هذا الكتاب . وليس لابي حيان من المطبوع سوى رسالة الصديق والصداقة وكتاب المقابسات ورسالة ثمرات العلوم .

النضاء عن الحج الشرعي ، ورسالة في صلات الفقهاء في المناظرة ، الرسالة البغدادية ، الرسالة في أخبار الصوفية ، الرسالة الصوفية ايضاً ، الرسالة في الحنين الى الاوطان ، كتاب المحاضرات والمناظرات ، كتاب البصائر والذخائر في عشرة مجلدات كل مجلد له فاتحة وخاتمة .

وكتبُ ابي حيان أسئلة وأجوبة وروايات ومساجلات ومحاضرات ومحاضر جلسات وتقريع وتقريظ ونقد ولمز ووعظ وإرشاد وكل صفحة منها تدل على علو كعبه في العلوم المختلفة ، وبلوغه درجة عالية في الفهم أنزلته منازل أعاظم المنشئين والمؤلفين واتى فيها بصورة صحيحة من صور العلم والأدب في ايامه . وسنعرض هنا لبعض تآليفه ونسوق رواميز منها مما كتبه التوحيدي مباشرةً او مما نقل عنها في الامهات نعرضها لنتبين روح صاحبها من أقواله ولتم لنا أمنيتنا في الوقوف ما أمكن على حياة هذا العظيم ، الذي تنكرت النفوس لمشربه وأنكره كثيرون ، وما مثله بالذي يكون نكرة . ذلك لانه قال الحقّ ولم يزل قائله من الممقوتين كما قال المعريّ .

تصوف التوحيدي وفلسفته

كان التوحيدي على ما يظهر من كلامه ، من اهل الباطن اي الصوفية ، ومن اهل الظاهر اي الدينيين الحكماء ، جمع بين مذهب الصوفية أمثال المحاسبي والتُّستُري والجنيد والسري السقطي والرقي وبشر الحافي وابراهيم بن أدهم وابن يسار وغيرهم من النساك اوالصوفية ، ومذهب السجستاني والزَّنجاني والمهرجاني والصَّيمَري والمقدسي والمجتبي وابن زُرعة وابن سوار وابن رِفاعة في الحكمة . وكان الصحابة والتابعون نساكاً في الصدر الاول ، زاهدين بالطبع في زخارف الدنيا ، ولم يكد ينتصف القرن الثاني حتى هجمت الحضارة فنشأ التصوف ، وصار طريقة يقبل عليها المتزهدون ، يعالجون بها كلب المتكالبين على الدنيا ، واول من سمي بالصوفي في اهل السنة ابوهاشم الصوفي المتوفي سنة ١٥٠ . وسلك الصوفية طريق تصفية النفس بالرياضة، والعزوف عن بهارج العالم ، وعرّفوا علمهم بانه العمل لما فيه ترقية اهل الكمال من النوع الانساني في مدارج سعادتهم ، والامور العارضة لهم في درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية .

وقيل ان اصل اسمهم الصوفية يرجع الى آل صوفان خدام الكعبة المتنسكون المتصوفون ، والارجح انهم نسبوا الى الصوف لباس العباد واهل الصوامع ، لان هؤلاء القوم خلعوا ثياب الخز والحرير ، ولبسوا هذه المسوح على عادة اهل النسك في اهل الاديان الاخرى ولهم مراسمهم ومصطلحاتهم .

اما الفلسفة فحدها كما قال الفارابي : « العلم بالموجودات بما هي موجودة » او علم حقائق الاشياء والعمل بما هو أصلح . وكانوا في ذاك العصر يقسمون الفلسفة قسمين احدهما الجزء النظري والآخر الجزء العملي ، وينقسم الجزء النظري الى ثلاثة أقسام وذلك ان منه ما يفحص فيه عن الاشياء التي لهـا عنصر ومادة ويسمي علم الطبيعة ، ومنه ما الفحص فيه عما هو خارج عن العنصر والمادة ويسمي علم الامور الالهية ، ومنه ما ليس الفحص فيه عن اشياء لها مادة مثل المقادير والأشكال والحركات وما اشبه ذلك ، ويسمى العلم التعليمي والرياضي ، وكأنه متوسط بين العلم الاعلى وهو الالهي ، وبين العلم الأسفل وهو الطبيعي . واما الفلسفة العملية فهي ثلاثة أقسام احدها تدبير الرجل نفسه او واحداً خاصاً ويسمى علم الأخلاق ، والقسم الثاني تدبير الخاصة ويسمى تدبير المنزل ، والقسم الثالث تدبير العامة وهو السياسة المدنية والامة والملك . وكانوا يدمجون في العلم الطبيعي الطب والآثار العلوية وعلم المعادن والنبات والحيوان وصناعة الكيمياء .

وكان التوحيدي صوفياً فيلسوفاً بهذه الشروط ، شهدت له كتبه بانه متصوف ، وشهدت له بانه فيلسوف ، فجمع من ثم بين العلوم المادية والعلوم الممادية ، ووفّى كل علم قسطه من النظر ، فكان فيه الصدر المقدم . وليست له طريقة خاصة في التصوف ولا مذهب معروف في الفلسفة ، بل انه أحاط بجميع الطرق ، وحنى عليها وبسط لاهلها جناح الرحمة ، وطابت نفسه بعشرة اهل ثقتها والأخذ عنهم . وقد تجلت شخصيته العلمية بما نقله من المباحثات والمناقشات المشربة بروح الحرية المعمولة بعامل الجرأة على كسر القيود التي قيدت اهل مذهب خاص من مذاهب العلم الديني او الفلسفي ، وبدا كل ذلك في مظهر غريب باسلوب انشائه . وإنا على مثل اليقين ان غفلة المؤرخين اوتغافلهم عن الترجمة للتوحيدي ، مع هذه البسطة في العلم الواسع ،

والبيـان الرائع ، كانت بسبب اخلاقه فغمطوه بذلك حقه ، لكن الفضل لا يستر بحجاب ، والعقل لا تخفى عظمته على ذوي الالبـاب مهما تبدلت الاحوال ودرجت الأجيال والأحقاب .

اخلاقه وحالاته

ظهر ان ابا حيان كان مقتراً عليـه في الرزق ، وانه ربما كان يعيش بالوراقة او النسخ في بغداد مدة طويلة — والوراقة في القديم كالطباعة في العصر الحديث من موارد العيش لكنها صناعة شـاقة وان كانت خير معوان لاخراج العلماء والادباء — ولم يل التوحيدي امراً من امور الدولة ، ويستحيل على من كان في مثل علمه واستغرائه في دفاتره ، ان يـتفـّ الى تقلد الأعمال الدينية والادارية والسياسية ، او يجد في وقته متسعاً للقيام بها ، فاذا لم تكن له إدرارات من السلطان او الخليفة يعيش بها يبرّح به العَوَز والإملاق . وهكذا كان شأن بعض معاصريه مثل ابي بكر القومسي الفيلسوف الذي وصفه ابو حيان بانه كان بحراً عجّاجاً ، وسراجاً وهّاجاً ، وكان قرين التوحيدي في الضرّ والفاقة ومقاساة الشدة ، ومن الإضافة بمنزلة عظيمة ، وهو الذي قال للتوحيدي ذات يوم : ما ظننت ان الدنيـا ونكدها تبلغ من انسان ما بلغ مني : ان قصدت دِجلة لاغتسل منهـا نضب ماؤها ، وان خرجت الى القفار لاتيمم بالصعيد عاد صلداً أملس . فالتوحيدي لم توظف له وظيفة ولا أجري عليه رزق ، فمن اين كان يرتزق ؟ وهو يرى جنون الدهر بابنائه ، و يشهد المتوسطين في العلم والعقل بل بعض النَوكَى ينهال عليهم الرزق اي انهيـال وتؤاتيهم ضروب السعادة ولما تستعد لها انفسهم .

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن احاظ قسمت وجدود

نظر ذات اليمين وذات الشمال يلوب على من يفهمه الى جملته ، و يكشف عنه ضره وبؤسه ، والناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه كما قال علي (كرم الله وجهه) ولما ترامى الى بغداد نبأ مكارم ابن العميد والصاحب بن عباد من وزراء آل بويه في الشرق ، وكانا يُفضلان على أعلام العلم في مدينة دار السلام و يبرّانهم بهباتهم الحين

بعد الآخر ، ووصلت عطاياهما الى شيخي التوحيدي ابي سليمان المنطقي وابي سعيد السيرافي — سمت نفس ابي حيان الى ان يقصد ذينك الوزيرين وانقطع اليهما ، وقدم بين يدي نجواه مدحهما اولاً ، الا انه لم ينل منهما رغبته ، وانقلب بعد مقام ثلاث سنين في دار الصاحب لم ينله منه درهم ، ولا أعطاه راحلة ولا زاداً ، واخفق في قصر الصاحبين مع انهما كانا مع الوزير المهلبي من اكبر حماة الأدب ، كما كان سيف الدولة بن حمدان في حلب . وربما كان التوحيدي استطال عليهما ، وفيهما عزة السلطان وأبهة الفرس فازدرياه فشق عليه الامر ، وهجاهما في كتاب اسماه « مثالب الوزيرين » أورد فيه حكايات في ثلبهما ، ومنها ما عزاه الى بعض من روى عنهم ، وذكر وقائعه معهما ، قال انه فارق باب الصاحب سنة ٣٧٠ وقد نال منه هذا الحرمان الذي قصده به ، واحفظه عليه ، وجعله من جميع غاشيته فرداً ، ومن جملة ما نقره من الصاحب ان هذا قدم اليه رسالة في ثلاثين مجلدة على ان ينسخها له فقال : نسخ مثله يأتي على العمر والبصر ، والوراقة كانت موجودة ببغداد ، فأخذ الصاحب في نفسه عليه .

وقد عرفنا شيئاً من أخلاق التوحيدي في هذا الكتاب ، وربما أثار ما قاله فيه ثائرة المتعصب للوزيرين ، وأحبابهما كثار في الامصار ، فأعرض الناس عنه وأوقعوا فيه وأسقطوه من دواوينهم . وعجيب ان يغضب الناس لهضم حق المهجوين ولا يتناظرون لحق الهاجين ، وقلما يحفلون بالسبب الذي ألجأ هؤلاء الى الهجاء . وقيل ان الصاحب بن عباد اتهم التوحيدي بالزندقة ففر منه وطلبه الوزير المهلبي ليقتله ففر الى ديار بكر وفي رواية انه مات في الاستتار . ولكن التوحيدي اذا فاتته أفضال الوزيرين الصاحبين ، فقد لقي اكراماً من الوزير صمصام الدولة ابن سعدان وعبد الله ابن عارض الشيرازي ، ولابن سعدان ألف كتاب الصديق والصداقة وكتاب الإمتاع والمؤانسة ، وللدآجي بشيراز ألف كتاب المحاضرات . ولم نعلم السبب الذي عاق التوحيدي عن اهداء كتبه كلها الى بعض عظماء عصره ، وكانت طريقة اهداء المؤلفين مصنفاتهم لامير او عظيم من الشائع المعروف وكثير من المؤلفين كان من أهم موارد عيشهم التصنيف باسماء معاصريهم والارتزاق بعطاياهم وهداياهم .

قضت الفاقة على التوحيدي ان يتكفف بعض الامراء ، وهو عارف بان استجداءهم

ضرب من ضروب المذلة الفادحة ، وكتابه الى ابن العميد نموذج من هذا التنزل بل التبذل ، ولكن العجز غالب لانه مبذور في الطينة كما قال عن نفسه . وقال انه تصفح النـاس فوجدهم احد رجلين رجل ان نطق نطق عن غيظ ودمنة وان سكت سكت عن ضغن وإحنة ، ورجل ان بذل كدّر بامتنانه بذله ، وان منع حسن باقباله بخله . ولقد دعا ، وقد ترقرقت عيناه بالدموع لما أخفق عند بعض من قصدهم ، وبان له نبوّ الدهر به ، وضياع سعيه ، وخيبة أمله ، في كل ما ارتجـاه لمم او مهم ، او حادثة او نائبة ، دعا بما دعا به بعض النساك فقال : « اللهم صن وجوهنـا باليسار ، ولا تذلها بالإقتار ، فنسترزق اهل رزقك ، ونسأل شر خلقك ، ونبتلي بحمد من اعطى ، وذم من منع ، وانت من دونهم وليّ الإعطاء ، وبيدك خزائن الارض والسماء » .

واذا أنصفنا اباحيان فلناه على ما بدر منه في حق عظيمين غمط حسناتهما وجسم سيئاتهما ، واي رجل بريء من عيب او عيوب ، مما ساقه اليـه ضعف في نفسه ، او خيبة في أمله ، او مساس في عاطفته ، اواعتداد برأيه . فلا نذهب مع القائلين في الحكم عليه بالزندقة اللهم اذا وقفنا في الحكم عليه عند حدود أقواله ، وفيهـا شاهد عدل على توحيده ، وبعده عن الالحاد الذي قُرِّف به . على ان معظم من ذكروه ومنهم صاحب تاريخ بغداد ومؤلف معجم الادباء قالوا انه كان يتألّه اي يتنسك ويتعبّد ، والناس على ثقة من دينه وصحة عقيدته . ودعوى ابن الجوزي في ان زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندي وابو حيـان وابو العلاء المعري ، وانه كان اشدهما : صرّحا وهو جمجم ، من الكلام الذي يلقى على عواهنه ، اخذه على ما يظهر بدون روية ، وتابعه عليه بعض الناقلين من دون تمحيص ولا تحليل ، وكذلك ما قيل من ان الصاحب ابن عباد وقف على قدح التوحيدي في الشريعة وقوله في التعطيل وما كان يخفيه من ذلك ، فطلبه ليقتله ففرّ ، كلام فيه نظر ايضاً [1] على ان كثيرين

(١) في المجلة الاسلامية ترجمة للتوحيدي بقلم الاستاذ مرجليوث الانكليزي جاء فيها ان الوزير المهلبي نفى اباحيان لما صرّح به من الإلحاد في كتبه التي ضاعت . وذكر له المترجم السيد مرجليوث كتاب التذكرة التوحيدية وكتاب أخبار القدماء وذخائر الحكماء وقال انه ليس من الثابت ان هذين التأليفين دخلا في شيء من فهرس كتب التوحيدي التي ذكرها ياقوت

من المتصوفة شطحوا اكثر من شطحات ابن الراوندي والتوحيدي والمعري فلم يُتهموا بشيء ولا قدح الناس في دينهم ، وذهبوا من هذا العالم بسلام ، لم يمسسهم احد بسوء ، ولا طعن طاعن في عقيدتهم . ولطالما وجهت تهمة الزندقة الى كثير ممن توسعوا في علم الكلام او العلم الالهي ، اوعلوم الاوائل من الفلسفة والطبي والرياضي ممن استعملوا العقل ولم يجمدوا على التقليد ، وكان نمط تفكيرهم جديداً يخالف من بعض نواحيه نمط التفكير الذي اصطنعه رجل مات او رجال ماتوا ، فوقروا في الصدور وعلت منزلتهم بين الناس ، وكان الميت أفضل عندهم من الحي ، وقد يكون بينهما بون بعيد ، وفروق ظاهرة . والارجح انه كان للحسد والجهل مدخل كبير في الطعن على التوحيدي ، والطاعنون إما حسدة ساقهم لؤم الغريزة الى النيل من عظيم بذّهم وأربى عليهم ، فما استطاعوا مشاركته ومنافسته ، او انهم جهلوا حقيقته وتأولوا كلامه ، وباب التأويل متسع لمن يحاول ان يسقط مؤلفاً مثله ، خاض أصعب المسائل الالهية والدينية والاجتماعية .

وقال فيه بعض واصفيه انه قليل الرضى عند الاساءة اليه والاحسان ، الذم شأنه ، والثلب دكانه ، يشتكي صرف زمانه ، ويبكي في تضاعيفه على حرمانه . وقد لامه أستاذه السيرافي يوماً وهو ينقل ذم أعرابي — بقوله « تأبى الا الاشتغال بالقدح والذم وثلب الناس » فأجاب : « أدام الله الاستاذ ، شغل كل انسان بما هو مبتلى به مدفوع اليه » وهذا الخلق في النيل من الناس لا سبيل الى تبرئة ابي حيان منه ، لانه مما أجمعت الآراء على انه كان فيه مستأصلاً بادياً ، وهو مزاج خاص من جملة أمزجة بني آدم . و يوشك صاحب هذا المشرب ان يعادي اكثر من يعاصرونه ، هذا وهم دونه في صوب العقل وذوب الفضل . و « اذا أقبلت الدنيا على احد أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » .

ان الرجل الذي يخوض غمار المباحث التي خاض التوحيدي عُبابها ، وخرج منها ناصع الجبين والحجة ، ناجح المسعى والمرمى ، وهو من افراد الدنيا بذكائه ونبوغه ، يستحيل ان يتقيد بقيود أفكار غيره يصدر اذا صدروا ، و يرد اذا وردوا ، يقلدهم في كل ما قرروا او قُرِّر لهم ، و يتابعهم عموا اوضلوا ، أبصروا ام اهتدوا

و « الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل إثمان إثم العمل به وإثم الرضى به » . وفي تاريخ البشر عدد ليس بقليل من نوابغ الارض كان نصيبهم نصيب ابي حيان من الناس والمجتمع : قضوا ايامهم في ضيق من معاشهم، وضيق من عقول اهل محيطهم ، وضيق من عبث المناظرين والمتعالمين ، وسيطرة المستبدين والجائرين .

شعره وتفننه

تُرى هل كان التوحيدي يسمع الموسيقى والغناء ، ويجلس الى ارباب الدعابة والهزل ولو في الاحايين ، ويخلع ثوب الجد والوقار ساعة من ليل او نهار ، وبغداد في ايامه علقت الطرب ، ورفعت أقدار المسمعين والمسمعات الى أسمى الرتب ، وخرج الادب فيها عن حد النظر والخيال ، وأصبح أطرب الشعر ما صدر عن قلب ملتهب وفؤاد مضطرب ، ووصف واقعة حال ، بعيدة عن الخيال . واكبر الظن ان التوحيدي لم يكن على شيء من هذا اللهم الا اذا كان في صباه ، وقد عرف بنسكه وزهده ، أجمع على ذلك العارفون به ، لو لم تناقضه القطعة الوحيدة التي انتهت الينا من شعره وهي في غزل رقيق ، صدر عن ذوق تام في الغرام ، فكانت أشبه بكلام من ابتسم للحياة والايام ، فأخذ ينظر اليها نظر المتفائل ، على حين كانت اكثر نظرات التوحيدي متشائمة متألمة ، هذا اذا لم يؤول له مأول بان هذا اللسان كان في موضوع من موضوعات اهل الباطن ، كما يفسر بعض المتصوفة كثيراً من غزل من أثروا شعرهم او نثرهم فيدعون انه في العزة الالهية او في المقامات المطهرة . اما ابيات التوحيدي فهذه :

يا صاحبيَّ دعا الملامة واقصرا ترك الهوى يا صاحبي خسارة
كم لمت قلبي كي يُفيق فقال لي لجَّت [1] يمين ما لها كفارة
أنا لا أفيق ولا أقتر لحظةً ان انت لم تعشق فأنت حجارة
الحب اول ما يكون بنظرة وكذا الحريق بدأوه بشرارة
يا من احب ولا أسمي باسمها إياك أعني فاسمعي يا جارة

(١) لجَّ في اليمين لم يكفرها مدعياً صدقه فيها .

شيء من تشاؤمه

كان ابو حيان قد أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها ، وضنّاً بها يزعمه على من لا يعرف قدرها بعد موته ، وكتب اليه القاضي ابو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه ، ويعرفه قبح مااعتمد من الفعل وشنيعه ، فكتب اليه ابو حيان يعتذر من ذلك :

« حرسك الله ايها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك ، وأعاذني من مكافأتك على ذلك ، وأجارنا جميعاً مما يسود وجه عهد ان رعيناه كنا مستأنسين به ، وان أهملناه كنا مستوحشين من أجله ، وادام الله نعمته عندك ، وجعلني على الحالات كلها فداك » .

« وافاني كتابك غير محتسب ولا متوقع ، على ظماء برح (١) مني اليه ، وشكرت الله تعالى على النعمة به عليّ ، وسألته المزيد من أمثاله الذي وصفت به بعد ذكر الشوق اليّ والصبابة نحوي ما نال قلبك ، والتهب في صدرك ، من الخبر الذي نمي اليك ، فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار ، وغسلها بالماء ، فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك ، كأنك لم تقرأ قوله جل وعز (كل شيء هالك الاوجهه له الحكم واليه ترجعون) وكأنك لم تأبه (٢) لقوله تعالى (كل من عليها فان) .

« وكأنك لم تعلم انه لا ثبات لشيء من الدنيا ، وان كان شريف الجوهر ، كريم العنصر ، مادام مقلباً بيد الليل والنهار ، معروضاً على حوادث الدهر وتعاور الايام . ثم اني اقول ان كان أيدك الله ، قد أنقب خفك (٣) ما سمعت ، فقد أدمى أظلّي ما فعلت ، فليهن عليك ذلك ، فما انبريت له ، ولا اجترأت عليه ، حتى استخرت الله عز وجل فيه اياماً وليالي ، وحتى اوحي اليّ في المنام بما بعث راقد العزم ، واجد فاتر النية ، وأحيا ميت الرأي ، وحث على تنفيذ ما وقع في الروع ، وتربع في الخاطر ،

(١) شديد . (٢) أبه له وبه كمنع وفرح فطن اونسيه ثم تفطن له . (٣) اصل المثل إن يدم أظلك فقد نقب خفي . الاظل ما تحت منسم البعير ، والخف واحد الاخفاف وهي قوائمه . يضرب به المشكو اليه للشاكي اي انا منه في مثل ماتشكوه (امثال الميداني) والمنسم كمجلس طرف خف البعير وهما كالظفرين في مقدمته .

وانا أجود عليك الآن بالحجة في ذلك ان طالبت ، اوالعذر ان استوضحت ، لتثق بي فيما كان مني ، وتعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي . ان العلم « حاطك الله » يراد للعمل كما ان العمل يراد للنجاة ، فاذا كان العمل قاصراً عن العلم كان العلم كلاً على العالم ، وانا اعوذ بالله من علم عاد كلاً وأورث ذلاً ، وصار في رقبة صاحبه غُلاً ، وهذا ضرب من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار .

لما ذا كره كتبه وما اورثه

« ثم اعلم علمك الله الخير ، ان هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته فاما ما كان سراً فلم اجد له من يتحلى بحقيقته راغباً واما ما كان علانيــة فلم أصب من يحرص عليه طالباً على اني جمعت اكثرها للناس ولطلب المثالة[1] منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله ولا شك في حسن ما اختاره الله لي وناطه بنـاصيتي وربطه بامري وكرهت مع هذا وغيره ان تكون حجة عليّ لا لي .

ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنـه اني فقدت ولداً نجيباً وصديقاً حبيباً وصاحباً قريباً وتابعاً اديباً ورئيساً منيباً فشق عليّ ان ادعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضيَ اذا نظروا فيها ويشمتون بسهوي وغلطي اذا تصفحوها ويتراءون نقصي وعيبي من اجلها . فان قلتَ ولِمَ تسِمُهم بسوء الظن وتقرّع جماعتهم بهذا العيب فجوابي لك ان عياني منهم في الحياة هو الذي حقق ظني بهم بعد الممات وكيف أتركها لاناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من احدهم وداد ولا ظهر لي من انسان منهم حِفاظ . ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة الى اكل الخَضِر[2] في الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة والى بيع الدّين والمروءة والى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق والى ما لايحسن

(١) الفضل يقال هو من ذوي مثالتهم . (٢) الخضر ككتف البقلة الخضراء كالخضرة كفرحة وهي بقلة خضراء خشناء ورقها مثل ورق الدخن وكذلك ثمرتهـا وترتفع ذراعاً وهي تملأ فم البعير (التاج) .

بالحر ان يرسمه بالقلم و يطرح في قلب صاحبه الألم واحوال الزمان بادية لعينك بارزة بين مسائك وصباحك وليس ماقلته بخاف عليك مع معرفتك وفطنتك وشدة تتبعك وتفرغك وما كان يجب ان ترتاب في صواب مافعلته واتيته بما قدمته ووصفته وبما أمسكت عنه وطويته اما هرباً من التطويل واما خوفاً من القال والقيل ·

شكوى الهرم

« وبعد فقد أصبحت هامة (١) اليوم او غد فاني في عشر التسعين وهل لي بعد الكبْرة والعجز أمل في حياة لذيذة او رجاء لحال جديدة الست من زمرة من قال القائل فيهم :

نروح ونغــدو كل يوم وليلة وعما قليل لا نروح ولا نغدو

وكما قال الآخر :

تفوقت درّات الصّبا في ظلاله الى ان أتاني بالفطام مشيب

وهذا البيت للورد الجعدي وتمامه يضيق عنه هذا المكان ·

« والله ياسيدي لو لم اتعظ الا بمن فقدته من الاخوان والاخدان في هذا الصقع من الغرباء والادباء والاحباء لكفى فكيف بمن كانت العين تقرّ بهم والنفس تستنير بقربهم فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والريّ وماوالى هذه المواضع وتواتر اليّ نعيُهم واشتدت الواعية (٢) بهم فهل انا الا من عنصرهم وهل لي محيد عن مصيرهم أسأل الله تعالى رب العالمين ان يجعل اعترافي بما اعرفه موصولاً بنزوعي عما اقترفه انه قريب مجيد ·

بمن اقتدى في احراق كتبه والحامل له عليه

« وبعد فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بائمة يقتدى بهم و يؤخذ بهديهم و يمشي الي نارهم · منهم ابو عمرو بن العلاء وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف دفن كتبه في بطن الارض فلم يوجد لها اثر · وهذا داود الطائي وكان من خيــار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادةً و يقال له تاج الامة طرح كتبه

(١) يقال هو هامة اليوم او غد اي مشف على الموت · (٢) الصراخ ·

في البحر وناال يناجيها : نعم الدليل كنتِ والوقوفُ مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول . وهذا يوسف بن أسباط حمل كتبه الى غار في جبل وطرحها فيه وسد بابه فلما عوتب على ذلك قال : دلنا العلم في الاول ثم كاد يُضلنا في الثاني فهجرناه لوجه من وصلناه وكرهناه من اجل من أردناه . وهذا ابو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها (١) بالنار ثم قال : والله ما أحرقتكِ حتى كدت أحترق بك . وهذا سفيان الثوري مزّق الف جزء وطرحها في الريح وقال : ليت يدي قطعت من هاهنا بل من هاهنا ولم اكتب حرفاً . وهذا شيخنا ابو سعيد السيرافي سيد العلماء قال لولده محمد : قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الآجل فاذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمة للنار .

« وما ذا اقول وسامعي يصدق ان زماناً احوج مثلي الى ما بلغك لزمان تدمع له العين حزناً واسى و ينقطع عليه القلب غيظاً وجوىً وضنى وشجى وما يصنع بما كان وحدث و بان ان احتجت الى العلم في خاصة نفسي فقليل والله تعالى شاف كاف وان احتجت اليه للناس ففي الصدر منه ما يملأ القرطاس بعد القرطاس الى ان تفنى الانفاس بعد الانفاس وذلك من فضل الله علينا ولكن اكثر الناس لا يعلمون . فلم تعني عيني ايدك الله بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة والتصحيح و بالسواد والبياض وهل ادرك السلف في الدين الدرجات العلى الا بالعمل الصالح وإخلاص المعتقد والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا وخدع بالزِّبْرِج (٢) وهوى بصاحبه الى الهبوط وهل وصل الحكماء والقدماء الى السعادة العظمى الا بالاقتصاد في السعي والا الرضى بالميسور والا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم فأين يذهب بنا ؟ وعلى اي باب نحط رحالنا ؟ وهل جامع الكتب الا كجامع الفضة والذهب وهل المنهوم بها الا كالحريص الجشع عليها وهل المغرم بحبها الا كمكاثرها ؟ هيهات الرحيل والله قريب والثواء قليل والمضجع مقض والمُقام ممض والطريق مخوف والمعين ضعيف والاغترار غالب والله من وراء هذا كله

(١) سجر التنور أوقده . (٢) الزِّبرج بالكسر الزينة بالوشي او الجوهر .

طالب . نسأل الله تعالى رحمة يظلنا جناحها و يسهل علينا في هذه العاجلة غدوها ورواحها فالويل كل الويل لمن بعد عن رحمته بعد ان حصل تحت قدرته .

يشكو صحته وشيخوخته وعوزه

« ثم اني أبدك الله ماأردت انأجيبك عن كتابك لطول جفائك وشدة التوائك عمن لم يزل على رأيك مجتهداً وفي محبتك على قربك ونأيك (مقيماً) مع ما أجده من انكسار النشاط وانطواء البساط لتعاور العلل عليّ وتخاذل الاعضاء مني فقد كلّ البصر وانعقد اللسان وجمد الخاطر وذهب البيان وملك الوسواس وغلب اليأس من جميع الناس ولكني حرست منك ماأضعته مني ووفيت لك بما لم تف به لي و يعز عليّ ان يكون لي الفضل عليك وأحرز المزية دونك وماحداني على مكاتبتك الا ماأتمثله من تشوقك اليّ وتحرقك علي وان الحديث الذي بلغك قد بدد فكرك وأعظم تعجبك وحشد عليك جزعك والاول يقول :

وقد يجزع المرء الجليد و يبتلي عزيمة رأي المرء نائبة الدهر
تعاوره الايام فيما ينوبه فيقوى على امر و يضعف عن امر

على اني لو علمت في اي حال غلب عليّ ما فعلته وعند اي مرض وعلى اية عسرة وفاقة لعرفت من عذري أضعاف ما ابديته واحتججت لي باكثر مما نشرته وطويته واذا أنعمت النظر تيقنت ان لله جلّ وعزّ في خلقه أحكاماً ، لا يغارّ عليها ولا يغالب فيها لانه لايبلغ كنهها ولا ينال غيبها (ظليتها) ولا يعرف بابها (مسافتها) ولا يقرع بابها وهو تعالى أملك لنواصينا وأطلع على ادانينا واقاصينا له الخلق والامر وبيده الكسر والجبر وعلينا الصمت والصبر الى ان يوارينا اللحد والقبر والسلام .

حاشية له

« ان سرّك جعلني الله فداك ان تواصلني بخبرك وتعرفني مقر خطابي هذا من نفسك فافعل فاني لا ادع جوابك الى ان يقضي الله تعالى تلاقياً يسر النفس و يذكر حديثنا بالامس او بفراق نصير به الى الرمس ونفقد معه رؤية هذه الشمس والسلام عليك خاصاً بحق الصفاء الذي بيني وبينك وعلى جميع اخوانك عاماً بحق الوفاء

الذي يجب عليّ وعليك والسلام . وكتب هذا الكتاب في شهر رمضان سنة اربعمائة اه .

يعتذر ببلاغته عن فعلته

هذا هو كتاب التوحيدي كشف به الغطاء عن محيا حقائق عصره وألمّ فيه اي إلمام بما حداه على تعفية اثره لما لقي من الانكار وناله من اهل جيله وقبيله فهُجّن بما هُجّن وأُزعج بما أُزعج ولولا ان السوبداء غلبت عليه باقراره واليأس من الحياة وبنيها سد عليه مسالكه وزين له إتيان ما اتى على حين كانت ولا تزال بنات الافكار اغلى من كل عقار ونضار لما أُقيمت له معذرة ولا أُسبل على ذنبه ستر المغفرة . و بالسوبداء قد يهلك المرء اعزّ حبيب على قلبه حتى اذا ثاب اليه عقله ندم على فعلته بل بالمِرّة الصفراء قد يقتل نفسه والنفس أعزّ الاعلاق على الاطلاق . والتوحيدي مع هذا لم يأت بدعًا فريًا ولعمله اشباه ونظائر في كل عصر ومصر . بيد ان الزمن الذي قلبه كل مقلب وغيره في اعطاف النعم يتقلب واخرجه من جلده ونبا به عن طوره بما رآه من خُبث وخَبَث وعَدَث وعَبَث — لم يرض ان يستلب جميع جواهره وعقوده ليستمتع بذرو من درره اهل الاجيال الحاضرة على نحو ما استمتع بها ابناء الأعصر الغابرة فقضى له من قبل المأتم الذي عقده لاحراق كتبه ان يتناقل الوراقون والطالبون أسفاره و يتنافسوا في نسخها واقتنائها فبقيت بصنيعهم هذه البقية الباقية الصالحة من أفكاره التي حفظت ذكراه على كرور الاعصار وطارت كل مطار في الاقطار والامصار .

وان اعظم ما ينتقد عليه في هذه الرسالة قوله انه جمع اكثر كتبه للناس ولطلب النفل منهم وعقد لرياسة بينهم ومن الجاه عندهم . وقوله هذا ينافي في الحق هدي العلماء فان العلم يراد لذاته وتأليف الكتب يقصد بها نفع الناس ونشر فكر وبث حقيقة ثم يتوقع منها مأرب آخر هذا اذا كان يريد بعبارته ما فهمناه منها فان هذا التصريح مما يعاب عليه وما نرى هذه الافكار تلتئم مع الفلسفة والتصوف .

على انا رأينا ابا حيان في بعض احواله ومواقفه يقول غير هذا رأيناه يتول

وقد رأى في جامع الرصافة المعافا بن زكريا وقد نام مستدير الشمس في يوم شات وبه من اثر الفقر والبؤس والضر امر عظيم مع غزارة علمه واتساع ادبه وفضله المشهور ومعرفته بصنوف العلم سيما علم الاثر والاخبار وسير العرب وايامها فقال له: مهلاً ايها الشيخ وصبراً فانك بعين الله ومرأى منه ومسمع وما جمع الله لاحد شرف العلم وعز المال فقال: ما لا بد منه من الدنيا فليس منه بد ثم قال:

يا محنة الدهر كفي ... ان لم تكفي فخفي
قد آن ان ترحمينا ... من طول هذا التشفي
طلبت جداً لنفسي ... فقيل لي قد توفي
فلا علومي تجدي ... ولا صناعة كفي
ثور ينال الثريا ... وعالم متخفي

«للكلام صلة»

محمد كرد علي

علائق الحبشة بالبلاد العربية

« في الجاهلية وفي الاسلام »

— ٣ —

(ذكر انكسار الاحباش وخروجهم من اليمن ورجوع الحكم الى العرب تحت سيادة الفرس) . — سيف بن ذي يزن ويكنى بابي مرة من سلالة التبابعة ملوك حمير وآخرهم عهداً وهو الذي سعى في إخراج الحبشة من بلاد اليمن . وذلك ان ابرهة الاشرم لما تولى اليمن انتزع ريحانة زوجة ذي يزن وكان سيف صغيراً فترعرع في حجر ابرهة وهو يظنه اباه وكان ابوه قد أمّ كسرى انو شروان يستصرخه على الحبشة وان يكون ملك اليمن له فوعده النصرة وطال تلبثه عنده حتى تصرم حبل اجله .

فلما شبّ سيف عنّ لاحد ابناء ابرهة ان ينتقص شأنه فعيره وهجّن اباه فهرع الى أمه وسألها عن امر ابيه فأعلمته اليقين فأقام حيناً الى ان مات ابرهة وابنه يكسوم وقام مسروق اخو يكسوم . فخرج سيف حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه امر الحبشة وسأله ان يخرجهم ويبعث من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه قيصر . فخرج حتى اتى النعمان بن المنذر وكان عامل كسرى على الحيرة وما يليها من ارض العراق فشكا اليه امر الحبشة فقال له النعمان ان لي على كسرى وفادة في كل عام فأقم حتى يكون ذلك ففعل . ثم خرج معه فأدخله النعمان على كسرى فطأطأ رأسه وبرك على نحو العادة المرعية في بلاط فارس وقال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة . فقال له كسرى : اي الاغربة الحبشة ام السند . فقال بل الحبشة فجئتك لتنصرني ويكون ملك بلادي لك . قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم اكن لأُورّط جيشاً من فارس بارض العرب . ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وكساه كسوة حسنة . فلما قبض ذلك منه سيف خرج وجعل ينثر تلك الدراهم للناس فبلغ ذلك الملك فقال ان لهذا لشأناً ثم بعث اليه وقال له عمدتَ الى حباء الملك تنثره للناس . فقال سيف وما أصنع بهذا ما جبال ارضي التي جئت منها للملك الا ذهب وفضة . فجمع كسرى مرازبته (والمرازبة جمع مرزبان وهم الوزراء وعظماء السلطنة في

فارس) وقال لهم ما ذا ترون في امر هذا الرجل · فقال قائل ايها الملك ان في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل فلو انك تبعثهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم وان ظفروا كان ملكاً أردته · فبعث كسرى من كان في سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم (اي جعل عليهم عاملاً يعني قائداً) رجلاً منهم يقال له وَهْرَز · ولما وصلوا الى ساحل عدن جمع سيف الى وهرز من استطاع من قومه · وقد قُتل مسروق بن ابرهة الحبشي في هذه المعركة ودخل وهرز مع سيف الى صنعاء ·

قال ابن اسحق : عن هذه المعركة عنى سطيح الكاهن بقوله « يليه إرمُ ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك احداً منهم باليمن » · فلما قتل مسروق وانهزم الحبش كُتب الى كسرى فامر ان يملك سيف بن ذي يزن وفرض عليه خراجاً وجزية في كل عام · وهكذا عاد ملك اليمن الى العرب ولكن بقيت السيادة العملية للفرس حتى ظهر الاسلام فأجهز عليهم وأدال دولتهم ·

(ذكر هجرة الصحابة الى ارض الحبشة) ·— حدث عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق قال : لما رأى رسول الله (ص) مايصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن ابن عمه ابي طالب وانه لا يقدر ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لوخرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكاً لا يُظلَم عنده احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه · فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ص) الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم فكانت هذه اول هجرة في الاسلام وكان المهاجرون من المسلمين الذين لحقوا بارض الحبشة سوى ابنائهم ونسائهم ثلاثة وثمانين رجلاً · فأمنوا بارض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون في ذلك احداً وقد احسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به · (وهنا عدّدهم المؤلف فرداً فرداً باسمائهم) ·

قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله (ص) قد أمنوا واطمأنوا بارض الحبشة وانهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ائتمروا بينهم ان يبعثوا فيهم رجلين من قريش جليدين الى النجاشي فيردَّهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وامنوا فيها · فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل

وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته · (والبطارقة جمع بطريق وهم عند الروم والحبشة كالأقيال عند العرب والمرازبة عند الفرس من عظماء المملكة وحكام الاقطاعات · والبطريق غير البطرك فالاول لقب لذي منصب سياسي و يدعوه الافرنسيون (patrice) او (Patrique) والآخر لقب لذي منصب ديني وهي اختصار لكلمة بطريرك اليونانية) ·

قال ابن اسحق في عنعنة من حديث لام سلمة بنت ابي أمية ابن المغيرة زوج النبي (ص) قال قالت لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه · فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم ان يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا الا اهدوا له هدية · ثم بعثوا بذلك عبدالله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص فأمروهما بامرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما الى النجاشي هداياه ثم سلاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار · فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل ان يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم انه قد ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم · وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم ليردوهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينًا واعلم بما عابوا عليهم · فقالوا لهما نعم · ثم انهما قدما هداياهما الى النجاشي فقبلها منهما · ثم كلماه فقالا له عش ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت · وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم اعلى بهم عينًا واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه · قالت ولم يكن شيء أبغض الى عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص من ان يسمع النجاشي كلامهم · قالت فقال بطارقته حوله صدقا ايها الملك قومهم اعلى بهم عينًا واعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم · قالت فغضب النجاشي ثم قال لا والله لا أسلمهم اليهما قومًا جاوروني

ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فأسألهم عما يقول هذان في امرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم واحسنت جوارهم ما جاوروني . قالت ثم ارسل الى اصحاب رسول الله (ص) فدعاهم . فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه . قالوا نقول والله ماعلمنا وما امرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم ماهذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من هذه الملل . قالت فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب فقال : عش ايها الملك كنا قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار و يأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وامرنا ن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً . وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا واحللنا ما احل لنا . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى وان نستحل ما كنا نستحله من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك .

قالت فقال له النجاشي هل معك مما جاء عن الله من شيء . قالت فقال له جعفر نعم . فقال له النجاشي فاقرأه علي . فقرأ عليه صدراً من كهيعص . قالت فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم . ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله ما أسلمهم اليكما ولا يكادون . قالت فلما خرجا من عنده قال عمرو بن

العاص والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم . فقال له عبد الله بن ربيعة وكان اتقى الرجلين لا تفعل فان لهم أرحاماً وان كانوا قد خالفونا . قال والله لأخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد . قالت ثم غدا عليه الغد فقال ايها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل اليهم وسلهم عما يقولون فيه . فأرسل اليهم ليسألهم عنه . قالت ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن مريم اذا سألكم عنه . قالوا نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم ما ذا تقولون في عيسى بن مريم . فقال جعفر بن ابي طالب نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (ص) هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول . فضرب النجاشي الى الارض وقال اذهبوا فأنتم آمنون بارضي ، من سبّكم غرم . ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها . فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه ، وما اطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه . فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاآ به . قالت واقمنا عنده بخير دار مع خير جار .

(رجوع المهاجرين الى مكة) . — ذكر سفيان بن عيينة عن الاجلح عن الشعبي ان جعفراً بن ابي طالب رضي الله عنه رجع من الحبشة وقدم على رسول الله (ص) يوم فتح خيبر .

وقال ابن اسحق ان قد بقي بارض الحبشة من اصحاب رسول الله (ص) حتى بعث فيهم رسول الله الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري بعد فتح خيبر فحملهم في سفينتين وقدم بهم الى مكة . فكان الذين رجعوا من الحبشة الثلث فقط ومات هنالك من مات والباقون تخلفوا عن المجيء . وقد تنصر بينهم واحد فقط وهو عبيدالله بن جحش فكان اذا مرّ بالمسلمين بعد نصرانيته يتهكمهم بقوله فقحنا وصأصأتم اي ابصرنا وانتم تلتمسون البصر فجرت هذه العبارة من ذلك اليوم مثلاً .

هذا حديث اول هجرة للصحابة الى الحبشة . وقد هاجروا اليها هجرةً ثانية وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقبل الى مكة وهو على شركه قبل اسلامه فلقي

المسلمون منه بلاء وأذى وشدة فهم بعضهم وهاجروا الى الحبشة لينضموا الى من بقي مقيماً في تلك الارجاء . وكان ذلك استناداً الى ما روي في مكة عن اسلام النجاشي .

(اسلام النجاشي اصمحة) . — كان اسم النجاشي ايام هجرة المسلمين الى الحبشة اصمحة والعرب يقولون الاصحم بن ابجر . قالوا انه أسلم سراً ولكن رواية اسلامه لا ذكر لها في تاريخ ملوك الحبش . وقد رواها ابن اسحق فيما يلي قال :

بعث رسول الله (ص) ابن عمه جعفراً بكتاب الى النجاشي : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ملك الحبشة . سلم انت فاني احمد الله اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه . واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله . وقد بعثت اليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين فاذا جاءك فاقرهم ودع التجبر فاني ادعوك وجنودك الى الله . فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي . والسلام على من اتبع الهدى » .

فكتب النجاشي الى رسول الله (ص) : « بسم الله الرحمن الرحيم . الى محمد رسول الله من النجاشي الاصحم بن ابجر . سلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا اله الا هو الذي هداني الى الاسلام . اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى . فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً . انه كما قلت . وقد عرفنا ما بعثت به الينا . وقد قربنا ابن عمك واصحابه . فأشهد انك رسول الله صادقاً مصدقاً . وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين . وقد بعثت اليك بابني ارها بن الاصحم بن أبجر فاني لا أملك الا نفسي . وان شئت ان آتيك فعلت يا رسول الله فاني أشهد ان ما تقول حق . والسلام عليك يا رسول الله » .

ولكن بعد ان أورد ابن اسحق هذين الرقيمين التسار يخيين عاد فأوقع القارئ في ريبة من امر الرد (اي من امر جواب النجاشي) ومن امر صحة الرواية التي أسندها اليه اذ قال : ان النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة فاذ كانوا في وسط

البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا · كما ان تاريخ ملوك الحبش يدعو ابن اصحمة عَمْدَ صهيون وقد ملك على الحبشة بعد موت ابيه ·

وقال ايضاً المؤلف نفسه : حدثني جعفر بن محمد عن ابيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه · فأرسل الى جعفر واصحابه فهيأ لهم سفناً وقال اركبوا فيها وكونوا كما انتم · فان هُزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرتُ فاثبتوا · ثم عمد الى كتاب فكتب فيه هو يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله و يشهد ان عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم · ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن[1] · وخرج الى الحبشة فقال : يا معشر الحبشة الستُ احق الناس بكم · قالوا بلى · قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم · قالوا خير سيرة · قال فما لكم · قالوا فارقتَ ديننا وزعمت ان عيسى عبد · قال فما تقولون انتم في عيسى · قالوا نقول هو ابن الله · فقال النجاشي واضعاً يده على صدره على قبائه هو يشهد ان عيسى بن مريم ولم يزد على هذا شيئاً · فرضوا وانصرفوا · قال ابن اسحق : ولما مات النجاشي كانوا بمكة يتحدثون باسلامه و بانه رؤي على قبره نور · وقد صلى عليه النبي صلاة الغائب ·

(فتوحات المسلمين في الحبشة) ·— عندما برزت العرب من شبه جزيرتهم والتأمت جموعهم بفضل الاسلام بعد ان كانوا في الجاهلية اشتاتاً بعضهم لبعض عدوّ كما ذكرنا فويق هذا · اخذوا يثيرون الحروب بقصد التوسع في الملك والتبسط في الاستعمار · قال العلامة احمد زكي باشا احد اعضاء هذا المجمع العربي في احدى محاضراته على تلامذة الجامعة المصرية « ان الحرب هي من طبيعة الانسان او هي من المصائب الضرورية كما يقول علماء العمران · واية دولة قامت قديماً او حديثاً وتوسعت في العمران بغير الحرب » اهـ ·

وان في عداد الجيوش التي سيروها وفتحوا بها فتوحاتهم المشهورة في الشام ومصر

(١) القباء هو رداء الحبشة الوطني يُصنع من الوبر الاسود وهو يشبه البُرنُس عند اهل تونس ومُراكُش وجزائر الغرب ·

والعراق وإفريقية حتى وفي بعض انحاء اوربا سربة صوبوها الى جارتهم الحبشة ففتحت اولاً بلاد الزيلع ونزلت ارض جَبْرَةَ التي تعرف اليوم بجَبَرْت وهـذه البلاد هي صحراوية من اعمال الحبشة على ساحل البحر الاحمر . وانتشر منذ ذلك العهد الاسلام في جميع البلاد الساحلية السفلي التي تحيط بالحبشة الداخلية العليا وهي المعبر عنها في التواريخ العربية بالطراز الاسلامي لانها على جانب البحر كالطراز له ولا يزال منتشراً الى اليوم. والامراء الذين تولوها هم من بني عبد الدار ومن بني هاشم القرشيين . أشهرهم الامير عمر الذي يقال له وَلَشْمَع وولداه حق الدين ، وصبر الدين ، وعليّ بن صبر الدين ، وسعد الدين محمد ابو البركات ، وابو بكر بن علي ، والحوي بن منصور ، ومنصور بن سعد الدين وجمال الدين ، وحرب جوش ، واحمد بدلاي وغيرهم . وهؤلاء كانوا في غزوات مستمرة مع الاحباش على عهد النجاشيين اسحق بن داوود وأندراوس بن اسحق وحربناي بن داوود . حتى تمكنت منهم الاحباش وأخضعتهم لسلطة الصولجان ولكنها لم تظلم المسلمين ولا فتنتهم قط عن دينهم . وقد عامل النجاشيون الامراء المسلمين الذين ناوشوهم العداء معاملة حسنة حتى انهم عادوا فولوهم واولادهم من بعدهم على المقاطعات التي كانوا يحكمون عليها . وهكذا استتب الامر وهدأت الفتن دهراً طويلاً فيما بينهم . قال ابو جعفر : وقد بعث عمر (رضه) علقمة بن مجزّز المدلجي الى الحبشة في البحر وذلك ان الحبشة كانت تطرفت طرفاً من أطراف الاسلام فأصيبوا . فحلف ان لا يبعث برجاله الى ارض الحبش .

وفي منتصف القرن السادس للميلاد قام الامام احمد امير العدل المسلمين (ويلقبه الاحباش باحمد كران اي الاعور كما لقب العرب فيما سلف ابرهة الحبشي الذي حكم اليمن بالاشرم) بفتنة كبيرة واستمال اليه الامراء المسلمين حكام المقاطعات الحبشية الساحلية واستنجدهم على النجاشي فأنجدوه وقاموا معه جميعاً بالجهاد فدخلوا قلب الحبشة العليا ودوّخوا اهلها وجنودها وفتحوا مدنهـا وقتلوا ودمروا حتى كاد الحبشة ان يُغلَبوا على امرهم و يزول سلطانهم فاستنجد النجاشي ملك البرتقال . وكانت البرتقال يومئذ دولة ذات عزّ وبطش وسيدة معمورات واسعات الارجاء بعيدة الانحاء . وكانت الهند ملكها واغنى مستعمراتها . فأنجده بجيش نزل الى البر في مصوّع

سنة ١٥٤١ تحت قيادة خريستوف دي كاما فكسر عساكر المسلمين في معارك كثيرة الا ان عسكره انكسر بعد ذلك وقتل القائد دي كاما في معركة مهمة . ولما نمي الخبر الى نائب ملك البرتقال في الهند وكان اخا القائد المقتول جهز نجدة أخرى وارسلها الى الحبشة فتمكنت من اصحاب الامام احمد وردتهم على اعقابهم . وقتل الامام نفسه في موقعة وابنادكا تخلفه على سرير هرر ابنه نور ولاه النجاشي نفسه على تلك المقاطعة الحبشية الاسلامية المتوسطة بين الساحل والداخل . ومن سلالة نور الامير عبد الله صاحب هرر السابق وهو حي يرزق على ما اظن . وقد حدث لهذا الامير ان قام على النجاشي منيلك فكسره النجاشي واسره في بلاطه وكانت هذه الفتنة دسيسة من الانكليز في أواخر القرن الماضي نفهمها فيما بعد النجاشي فعفا عن اسيره الامير وعاد فولاه إمارته ورد اليه املاكه المحجوزة . واذ لم يحسن الامير بعد ذلك سياسته عزله وولى مكانه الراس مكونن من امراء الاحباش فلزم الامير عبد الله بيته بجانب المسجد الذي شاده هو من ماله . وقد تعرفت اليه في هرر وكان شيخاً هرماً محترم الجانب منكباً على العبادة وتقوى الله . وكانت بيني وبينه صلة الصداقة .

ومن آثار فتوحات الامام احمد في قلب الحبشة العليا اسلام مقاطعة جمّا باجمعها وسكانها من قبائل الگالا فلم يجبرهم النجاشي على العودة عن اسلامهم وولى عليهم اميراً مسلماً يتوارث عنه ولده الإمارة . وقدم امير جمّا بحاشية كبيرة عاصمة الحبشة اديس ابابا إبان اقامتي فيها لمواجهة النجاشي فتسنى لي التعرف اليه ويدعى الامير محمداً ابا جعفر . والحبشة يقولون « دجمّا اباجفار » . وهو الذي زوج ابنته من النجاشي يسوع الثالث الذي أسلم إبان الحرب العالمية .

(اسلام النجاشي يسوع الثالث بن ميخائيل) ·— الراس ميخائيل ابو هذا النجاشي كان اميراً مسلماً يحكم في طاعة النجاشي بلاد قبائل الولّو المسلمين وكان اسمه السلطان محمد علي . ثار على ملكه منيلك الثاني فظفر به النجاشي واسره وولى حاكماً مسيحياً على بلاده . وكان محمد علي هذا رجلاً زكياً فطناً . فلما امسى اسيراً ذليلاً في قصر النجاشي ورأى في طبع منيلك حلماً ودعة وفي سياسته ميلاً عظيماً لجمع القلوب وتأليف الوحدة الوطنية في إقطاعات مملكته . اخذ يستعطف و يتقرب من بابه ثم

تنصر على يده وهكذا دأب في التحبب اليه حتى نال حظوة لديه ولقبه بلقب رأس (وهو اكبر لقب في الحبشة يوازي لقب خديوي التركي و Vice roi الافرنجي) . وصاهره بان زوجه من ابنته البكر وأعاده عاملاً على بلاده يحكم باسمه قبائل الولو . وقد رُزق من امرأته ابنة النجاشي ولداً ذكراً دعا اسمه يسوع . فلما نما هذا الصبي حتى بلغ السادسة او السابعة من عمره اتى به ابوه الى بلاط جده النجاشي حيث أقام مع اترابه اولاد الامراء الذين يؤلفون غلمان القصر .

« هذه العادة لاتزال متبعة الى اليوم في قصور النجاشي وأمرائه وهي قديمة العهد جداً وكانت مرعية عند ملوك اليونان والفرس والرومان وملوك اوربا جمعاء في عهد الاقطاعات وبعده . وهؤلاء الغلمان يدعوهم الافرنج (les pages du Palais) .

واذ أنهك المرض منيلك في أواخر ايامه واشتد تأثيره على دماغه ولم يكن له عقب ذكر يرث الملك من بعده حتى ولا واحد من ابناء عمه وذوي قرباه من العصبيين انقسم أمراء الحبشة فيما بينهم احزاباً في امر هذه الوراثة فشدَّ بعضهم أزر الملكة طهايتو (وبالعربية الشمس) لترث التاج عن زوجها وتحيز غيرهم لابنته الثانية الاميرة زوديتو (وبالعربية صاحبة التاج) (لان البنت البكر زوج الراس ميخائيل كانت قد توفيت) وهي العاهلة الحاليـة . ومنهم من تحزّب للامير تفري (وبالعربية هيوب) ابن الراس مكونّـن (وبالعربية القاضي) وعضد الراس ميخائيل ابنه الامير يسوع حفيد النجاشي الداخل في طور النزاع والف حوله لفيف من مريديه المقرّبين . فتغلب هذا الحزب بدهائه على سائر الأحزاب وافترص يوم ضعف شديد في عقلية النجاشي فأقنعه بتسمية حفيده الامير يسوع ولياً لعهده وكان لهم في يوم من شتاء عام ١٩٠٩ ما طمحوا اليه فنودي بالامير يسوع بن ميخائيل ولياً لعهد السلطنة ووارثاً لتاج جده الامبراطور منيلك الثـاني وقـد جلس بعد وفاة جده على عرش الحبشة عام ١٩١٣ وتوّج باسم يسوع الثالث وهو حدث لا يتجاوز السنة السادسة عشرة من عمره . فتلاعب به الدساسون وكان اول عمل حملوه عليه تسمية ابيـه الراس ميخائيل قائداً عاماً لقوات الحبشة ثم قلد أهم مناصب المملكة لمريديه من الحزب الذي ينتمي اليه فكان

من وراء هذا الفعل ما كان من استياء بقية الاحزاب وانتقاضهم عليه واشتعلت الحبشة بثورة يخرج شرحها عن ملاك موضوع هذه المحاضرة ·

ولما هبت رياح الحرب الكونية واشتعلت نيرانها اغتنم الالمان فرصة الثورة الضاربة في الحبشة وعملوا على الانتفاع منها وتحويلها لمآربهم وكان النجاشي يسوع قد هرب ببعض رجاله الموالين الى هرر · وهنالك دهاه الالمان وأشاروا عليه بالعودة الى دين أجداده موهمينه انه بهذا يستطيع ان يجيش قبائل المسلمين في السواحل فيسترد بها عاصمته ويقهر اعداءه القائمين عليه · ولم يكن الالمان ليبطنوا في ذلك الا الاغارة بهذا الجيش على المستعمرات الافرنسية والانكليزية والايطالية القائمة على شواطئ بحر القلزم · وقد جازت حيلة الالمان السياسية على النجاشي يسوع فأذعن لهم وأسلم ودُعي محمد يسوع وبث الدعوة الى الجهاد بين الحبشة المسلمين فتبعه قوم منهم وخشي قوم سوء المغبة فلم ينجدوه · وبلغ ذلك أسقف الحبشة الانبا متاؤوس المصري الصعيدي (المتوفى حديثاً) فأفتى بخلعه · ونجح سفراء الحلفاء للاحزاب فانضموا بعد تشتيت آرائهم وعادوا فألفوا كتلة واحدة وطنية رصت بنيان كيانها ونادت بالاميرة صاحبة التاج ابنة النجاشي منيلك عاهلة بالاصالة سنة ١٩١٦ وبالامير تفري ابن الراس مكونن قيما على الملك بالوكالة ووليا للعهد لان العاهلة المذكورة مترملة من زوجها عن غير عقب ·

واذ نهض النجاشي محمد يسوع بالموالين الى العاصمة ليفتحها عنوة تشتت شمل جنده ووقع ابوه الراس ميخائيل اسيراً فانهزم عند ذلك النجاشي الى صحراء الدناكل وعزم ان يجتاز البحر الاحمر الى ساحل اليمن فلم يفلح لان اعداء أصحابه الالمان كانوا له ولهم بالمرصاد فلجأ الى مقاطعة تكره حيث لحق به الامير تفري فأسره وساقه الى منفى الملوك · وبهذا انتهى امر هذا النجاشي وامر دسائس الالمان الذين استخدموه لقضاء مآربهم فكانوا سبب شقائه ·

عضو المجمع العلمي العربي

عبد الله رعد

الادب في البحرين

— ٣ —

ومن اغلاط الكتابة :

(واجفاناً (مأرقة) دواما لها عن خاطب الغمض امتناع)

والصواب مؤرقة لان ما قبل الهمزة مضموم . ومن خواطئه اللغوية قوله :

(لم يألفوا كنف العقيق وانما شتوا بار باع القصير وقيضوا)

بالضاد المعجمة وصوابه قيظوا من القيظ اشد الصيف حراً لا من القيض وهو قشر البيضة . ومنه قولهم مع البيض خير من القيض وقيّض تستعمل بمعني قيض الله له الخطأ او الصواب وما اشبه ذلك من التعبير .

ومن الخطإ النحوي قوله في صدود البيض عن شعراته البيض :

(أوَ للبيض عن سناهن أوما كان (ناشٍ) عن صدهن صدود)

والصواب ناشئاً خبر كان المقدم .

ومن عيوب النسخ مسخ اجفال باجفان في بيت يصف فيه النياق :

(لهن اذا ما استرفض الآل سمته على الأين (اجفان) النعام المطرّدِ)

ومن مخالفة العروض والوزن الذي وقع فيه الناسخ قوله :

(لو كان في وسع جهدي ان اشكم شوقي واشكو(اليكم) وجدي وتبريحى)

الصواب لكم . ومن أغلاطه اللغوية قوله :

(يا شوى قلبي على البعد فهل من لقاً يعدي على ذاك ووصلي)

فهو يريد مصدر شوى اللحم شيًّا وشواء واما الشوى فما ليس بمقتل من الانسان تقول رمى الصيد فأشواه نقيض أصماه ، ومن المجاز اعطاني من الشوى وهو رذال المال وكل ذلك شوىً ما سلم شرفي اي هو حقير ، وتعبيره يا شوى قلبي من اقوال العامة في البحرين وفي الشام ايضاً تقول الثكلى عندنا « يا شوى قلبي عليه » اي على فقيدها ولو وضعها بين قوسين يدلان على الرواية لما خطأناه . ومنها استعماله التفرّاق للفراق وهو غير صحيح ولا مستعمل لا في الشام ولا في العراق .

(فان من جمع الزوجين قبلك لا   بعيــا بألفتنا بعد التفرّاق)

اي لا يتعب بجمعنا بعد تفريقنا وهو بيت ضعيف الأسر لم يجوّد حبكه .

ومن مسخ النسخ قوله :

(وخذوا بالتراث من قاتل الشعر   فما الحزم ان تضاع الذحول)

والصواب الترات جمع ترة وهي الوتر اي الثار تقول : هو اطلب الناس للترات ما بين دجلة والفرات ، ولا معنى للتراث وليس هنا من يأكله اكلاً لمّاً ، والذحول في آخر البيت دليل على صحة ما نقول :

ومن الأغلاط النحوية ولعله من مسخ النسخ ايضاً :

(فما اشقاك يا من لا يذقه   واحظى من تعاطاه واسعد)

ويغلب الظن على المسخ ان الوزن يستقيم لو قال : يا من لم يذقه ، وكلامه على نبات الحشيشة الملعونة ، ولو نظمنا في وصفه لقلنا :

(فما اسماك يا من لم يذقه   واسفلَ من تعاطاه وانكد !)

هذا ولعل في ديوان ابي البحر غير هذه الهفوات اليسيرة وهي بالنظر الى تجويداته الجمة كالحسنات يذهبن السيئات . واما الديوان من وجهة الادب الحقيقية اي الأخلاق ، فجل قصائده قيلت في المدح وفيه من المغالاة والاغراق ما لا يحمد ، خلا ما قاله في الرثاء المحمول على الوفاء ، فمن إغراقه الكاذب قوله :

(وزفرة لو ثوى اليوم الخليل بها   اودى ولم يغن عنه برده فيهـا)

(لو سيم وبل الحيا اطفاء وقدتها   لم تلفه ومياه الارض تطفيهـا)

(وعبرة لو دعي نوح ليسلكهـا   بفلكه قال : بسم الله مجريهـا)

ومن هذه الاحالة التي يمجها العقل السليم وذوق العصر الحاضر قوله :

(أصبحتُ أثقلَ مني نملة   فزنوا بي بعضها يرجح بكلي)

(ثم لو قـد حملتني بقة !   مدة الايام لم تعي بحملي)

وفي تعي المجزومة زحاف كان له عنه مندوحة بقوله لم تتعب .

واما الرثاء فقد بز فيه اقرانه ولا سيما مراثيه في آل البيت فانها :

(ارق من دمعة شيعية   ترثي عليّ بن ابي طالب)

وقد اشتهرت مرثيته في الامام الشهيد ابي عبدالله الحسين وامرته الطاهرة وهي التي مطلعها : (معـاهدهم بالابرقين هوامد رزقن عهاد المزن تلك المعاهدُ)

ولو قال : سقين لكان أعرب وأطرب ومنها في وصف ذلك المستبسل :

(كأني به في ثلة من رجاله كما حف بالليث الاسود اللوابد)
(اذا اعتقلوا سمر الرماح وجردوا سيوفاً اعارتها البطون الاساود)
(فليس لهـا الا الصدور مراكز وليس لها الا الرؤوس مغـامد)
(الى ان ثووا في الرمل صرعى كأنهم نخيل أمالتهن أيد عواضد)
(ولم يبق الا واحد الناس واحداً يكابد من أعدائه ما يكابد)
(يحامي وراء الطاهرات مجاهداً باهلي وبي ذاك الحامي المجاهدُ)

ومن شوائبه ومعائب جيله الاستجداء والبذاء في الشعر ومدح ما هو خليق بالذم كمدحه الحشيشة بقصيدة طويلة تحبب التحشيش الى قلب كل سخيف العقل كالقصيدة التي نظمها جواباً لحشيشية بعض فتيان القطيف وفي قصيدة ابي البحر من فاحش البذاء ما يندى له جبين الحياء ومن استجدائه الشـائن قوله يعاتب بعض العلويين الشريف ناصر القاروني مستجدياً .

(ما كنت احسب والعليـاء مولعة يخفض شأن اخي العلياء والحسبِ)
(اني أمد لا ندى العـالمين يداً يدي لاعلق ما أوتيـه من نشبِ)
(حتي سألتـك يا احنى الانام على ضعفي قويتَ ويا احفى البرية بي)
(فظلت توسعني مطلاً يضيق به صدري ويضطرني كرهاً الى العتب)

فكيف يكون اندى العالمين يداً من يوسعه مطالاً يضيق به صدره فيضطره الى العتب الى ان يقول في الجواد المطُول :

(اما الوفاء فشيءٌ قـد سمعت به ولن تراه ولو امعنتَ في الطلب)

وانظر الى بعد همته ومبلغ عزته قائلاً :

(أصبحت منذ اليوم ضيقةً يدي فابعث اليَّ ولو بعثت بدرهم)
(انا غرس أنعمك التي لاعذر لي ان لم أواصل شكر تلك الانعم)

واما محاسن ابي البحر فجمة منها ما كان في حب اوطانه والحنين الى اهله وخلانه كقوله :

(أأحبابنا والمرء يا ربما دعا … أخا النأي ان ضاقت عليه مناوحه)
(هل الدهر مدنيني اليكم فمبردٌ … لهيب اشتياق يزمض القلب لافحه)
(كفى حزناً اني بشيراز مفرد … اباكر ما يضني الحشا وأراوحه)
(وشوقاً لو استجلى سناه اخو الدجى … لاغناه عن ضوء المصابيح قادحه)
(احن فلا ألقى سوى هاتف الضحى … يطارحني شكوى النوى وأطارحه)
(يكاد اذا هزّ الجناح نخاله … تقض بترجيع الحنين جوانحه)
(خلا انه ذو رفقة فمتى دعا … تجبه على قرب المكان صوادحه)
(يشن عليّ البعد غارات جوره … وتهتف بي من كل فج صوائحه)
(له الغلب فليثن الاعنة مبقياً … عليّ فما عندي جنود تكافحه)
(سقى جدّ حفص الغيث سحّا ولو همى … لها الدمع اغناها عن الغيث راشحه)
(ولا زال خفاق النسيم اذا سرى … عليلاً يماسي جوها و يصابحه)
(بلاد اقام القلب فيها فلم يزل … وان طمحت بالجسم عنها طوامحه)
(هل الله مستبق ذماي بعودة … اليها يريني الدمع قد هش كالحه)

ان هذا الشعر ليفيض شعوراً ولو ترجم الى اية لغة اجنبية لشارك الفرنجي الشاعر في حزنه وأشجانه وبكى لغربته وبعده عن أوطانه ، واما حنينه الى اهله وولده فيحاكي به حنين شاعر الفرنجة فكتور هوغو الى ولده وولع شاعرنا بولم شاعرهم أشبه من الجمرة بالجمرة قال ابو البحر :

(ان يصبني ذكر الديار فانه … لاناث أصبية بها وذكور)
(وجدي الصغير بها لاصغر صبيتي … وكبير أشواقي بها لكبيري)
(وكريمة الطرفين جُرّ على التقى … والدين فاضل ذيلها المجرور)
(ومهفهف زرت غلائله على … غصن يميل به النسيمُ نضير)
(رشأ جراحاتي جبار عنده … ابداً وكسري ليس بالمجبور)
(ضاحي الجبين وانه ليريك من … تحت الخمار شمائل المخمور)
(انا اسعد الثقلين ان ادناهمُ … مني رواحي نحوهم وبكوري)
(لأجشمن الناجيات اليهم … والسفن قطع مفاوزٍ وبحورِ)

(ولالقين بحر وجهي نحوهم — حر ين حر هوى وحر هجير)
(فعسى ابتذال الصون يفضي بي الى — من صين تحت اكلة وستور)
(فأبيت قد القيت اعباء السرى — وارحت ظهر مطيتي وبعيري)
(ان كان ذاك فيا سعادة طالعي — ونجاح آمالي ويمن ظهوري)
(يامن اسيّر كل يوم نحوهم — كتبي اذا اعيا على مسيري)
(لا تحسبوها انها كتبت لكم — بسواد حبري بل سواد نظيري)
(من لا يطيق فراق يوم واحد — لكم فكيف يكون بعد شهور)
(آه ، وقل على أوال تأوهي — فاذا جننت بها فغير كثير)
(ما كنت مبتاعاً ازقة فارس — بالفيح من عرصاتها والدور)
(هيهات ما شيراز وافية بما — في تلك لي من نعمة وحبور)
(بلد تعادل صيفها وشتاؤها — في الطيب للمقرور والمحرور)
(يتكاءد الرزق العباد وانه — فيها على باغيه غير عسير)
(سيان عيشة كادح وصرفه — فيها ونعمة موسر وفقير)
(ان طبق المحل البلاد فاننا — في روضة من خصبها وعبير)

الى ان يقول :

(لا عيب فيها غير ان حياضها — شرع لورد الليث والخنزير)
(هي جنة لو ميّزت نعماؤها — ما بين عبد مؤمن وكفور)
(يا جادها الهتن الملث فاصبحت — غرضاً لحلول النطاق غزير)

انا قرأنا في اللغة الفرنسية كثيراً من قصائد الحنين الى الاوطان والاهل والاخدان مما يحل الحليم له الحبوة ، وتنشأ له في قلب الخلي الصبوة ، واقسم لو قرأنا هذا الشعر في اية لغة فرنجية كانت او ما يسامية ادبا ، لخرجنا من جلودنا طربا ، ولا اقول هنا لطربي لو قال : بلد تعادل صيفه وشتاؤه لأصاب شاكلة الصواب وتظهر مزية هذا الشعر ، وسمو مرتبته ، اذا نُظر الى العصر الذي قيلت فيه وهو عصر الانحطاط الادبي في العالم العربي -

ومن ظرائف ابي البحر المستملحة انه بلغه عن بعض فتيان القطيف انه يقول الشعر

فاستنشده فأنشده مالم يرزق لديه حظوة ونقدشعره فوقع فيه ذلك الشعرور فقال ابو البحر هازلاً ومؤدباً ماينطبق على كثير من مستعلجة شعرائنا ومتفرنجة أدبائنا :

(يا خليليّ من ذؤابة شيبا ن وبدعى لما ينوب الخليلُ)
(ان هذا الفتى الذي وسم الشعـ ـرَ بعارٍ ما ان نراه يزولُ)
(قد نفى مدية الجهالة يفري ودج الفضل فهو منه قتيل)
(يا حماة القريض هبوا لاخذ الـ ـثار فالخطب لو علمتم جليل)
(وخذوا بالترات من قاتل الشعـ ـر فما الحزم ان تضاع الذحولُ)
(لاك في فيه شحمة الشعر من لم يدر ما فاعل ولا مفعولُ)
(وادعى رتبة البلاغة في القو لِ غبي لم يدر ايش يقولُ !)

وقال فيه ايضاً وبنى قصيدته على مطلع لاخيه الغنوي وهو هذا :

(اعمل لنفسك مثقالاً ومعياراً واسرر اباك بان يلقاك عطاراً)

فقال ابو البحر ما يشبه قول الشاعر الفرنسي الكبير بوالو (Boileau) في قصيدته (صناعة الشعر [1]) : « كن بالحري بناء ان كان ذاك استعدادك » (Soyez plutôt maçon, si c'est votre talent) وقد نظمت هذا المعنى على البحر والقافية :

(كن بالحري انت بناءً ومعمارا ان كان طبعك هذا او فنجارا)

ابو البحر :

(او فاتخذ لك سنداناً ومطرقة واعمل متى شئت سكيناً ومسمارا)
(او فاتخذ لك منشاراً وقشترة وكن كنوح نبي الله نجارا)
(او صائغاً يسبك العقيان يبرز من ابريزه للنسا صفاً ودينارا)
(او فاتخذ لك مزماراً ودبدبة وعش لك الخير طبالاً وزمارا)
(او كن فديتك صفّاراً فليس على علياك بأس اذا أصبحت صفارا)
(او كن كصاحبك الادنى اباحسن أعني علياً [2] فتى عمران زرّارا)

(١) L'art poétique . (٢) علي بن عمران من آل عبد المحسن من القطيف كان بينه وبين المتشاعر ألفة وحرفته صنعة الازرار .

(او فاتبع ابن مهنى[1] في بزازته … او فامش خلف فتى شنصوه[2] قصارا)
(او فاسأل ابن مهني علم صنعته … مما يفيدك بالدينار قنطارا)
(او عالج الأتن في أدوائهن وكن … شروى خميس بن خضامُوه[3] بيطارا)
(اوفاقتلع من رشالا[4] الطين متخذاً … منه الجرار وعش في الخط جرارا)
(اوفاقتن الأتن واحمل فوقها حطباً … تخير شيء اذا أصبحت حمارا)
(اوفاحمل الفخ واذهب حيث شئت تصد … به لصيبة أهل الخط اطيارا)
(وان سمعت مقالي فامض متكلاً … على الهك في الابوام[5] بحّارا)
(وان ترفعت عن هذا فحي على … استغفار ربك تلق الله غفارا)
(وقيا في بيوت الله تسمعنا … أذانك العذب آصالاً واسحارا)
(اومنشداً مدح خير الناس!!! حيدرة … او قارئاً في نواحي السوق اخبارا)
(ولا تلمّ بربع الشعر ان له … ظعناً تأخرت عن مسراه اذ سارا)
(قد حلقت بنفيس الشعر طائره … عنقاء مغرب فاقعد عنه اذ طارا)
(وها كها كشواظ النار لافحة … أثناء قلبك لا تألوه اسعارا)

وبهذه الأهجية العجيبة حاكى ابو البحر مهرة السحرة من الفرنجة ، وانظر ماأوجع تهكمه بقوله ناصحاً : وان سمعت مقالي فامض متكلاً على الهك الخ . وما أكثر ادعياء الأدب فينا ممن لو شعروا بنقصهم وتخلفهم لما شعروا ، ولما عدوا من المفاخر ، ما يأتوننا به كل يوم من المساخر ، فنسأل الرحمن الرحيم ان يلهمنا رشدنا ويهدينا السراط المستقيم .

ابو قيس
عز الدين آل علم الدين

---

(١) محمد بن مهنى الحسيني من باعة البز في القطيف ومن أشراف البحرين له فضل وأدب أكب على علم الصنعة الالهية اي الكيمياء . (٢) سليمان بن محمد شنصوه كان قصاراً في البحرين . (٣) كان مشهوراً في القطيف بمعالجة الحمير والرفق بهم جزي خيراً . (٤) مقلع للطين . (٥) جمع بوم وهو السفينة الكبيرة ويعرف بهذا الاسم في خليج البصرة .

عدة الكاتب

— ٣ —

الوِصْر السجل والجمع اوصار · والوِصْر والوَصِيرة والوَصَرَّة والأوصر الصك والوِصْر كتاب الشراء والاصل إصر لان الإصر العهد وفي اللسان الوِصْر الصك وكتاب العهد ·

السِفْر الكتاب · وقيل هو الكتاب الكبير والجمع اسفار والسافر الكاتب لانه يبين الشيء ويوضحه والجمع سفرة ·

الصَّك الكتاب والذي يكتب للعهدة معرب چك وجمعه صكاك وصكوك وكانت الارزاق تسمى صكاً لانها كانت تُخرَج مكتوبة ومنه الحديث في النهي عن شراء الصكاك والقطوط وفي حديث ابي هريرة قال لمروان احللت بيع الصكاك هي جمع صك وهو الكتاب · وذلك ان الامراء كانوا يكتبون للناس بارزاقهم واعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل ان يقبضوها معجلاً ويعطون المشتري الصك ليمضي ويقبضه فنهوا عن ذلك لانه بيع ما لم يقبض · وفي المصباح الصك الكتاب الذي يكتب في المعاملات والاقارير وجمعه صكوك وأصُك وصكاك · وصك الرجل للمشتري صكاً من باب قتل اذا كتب الصك ·

القِطّ الصك بالجائزة · وكتاب المحاسبة · قال في اللسان والقِط في كلام العرب الصك وهو الحظ والنصيب · واصله الصحيفة للانسان بصلة يوصل بها ·

الإضبارة الحزمة من الصحف وهي الإضمامة يقال جاء بإضبارة من كتب وإضمامة من كتب وهي الأضابير والأضاميم ·

وضَبَر الكتب يضبُرها ضَبْراً جعلها إضبارة · وضبّرها تضبيراً جمعها والضُبار الكتب لا واحد لها [1] ·

---

(١) والضَّبْر جلد يغشي خشباً فيها رجال يقربون الى الحصون لقتال اهلها والجمع ضبور · ومنه قولهم انا لا نأمن ان يأتي بضبور هي الدبابات التي تقرب للحصون لتنقب من تحتها الواحدة ضَبْرة · والضَّبْر الجماعة يغزون على ارجلها · والرَّجَّالة ·

الدفتر بفتح الدال وكسرها جماعة الصحف وقال الجوهري الدفتر واحد الدفاتر وهي الكراريس ·

البَرْنامج · الورقة الجامعة للحساب ·

الرَّاهْنامج · كتاب الطريق يسلك به الربانية البحر يهتدون به في معرفة المرامي وغيرها وهو معرب ·

الفهرس بكسر الفاء والراء وسكون الهاء الكتاب الذي تجمع فيه الكتب · وهو معرب · وقال الخوارزمي هو كتاب ودفاتر تذكر فيه الاعمال ويكون في الديوان وقد يكتب فيه اسماء الاشياء · وفي شفاء الغليل ان هذه اللفظة فارسية وفارسيتها بكسر الفاء وسكون الهاء وكسر الراء المهملة تليها سين مهملة ساكنة ثم مثناة فوقية ساكنة ايضاً [فِهْرِسْتْ] ومعناها اجمال الاشياء لتعديد اسمائها وحصرها مطلقاً على الترتيب · ثم انهم عربوه فقالوا فهرس يفهرس فهرسة كدحرج · وفي التاج وقد اشتقوا منه الفعل فقالوا فهرس كتابه ·

البطاقة · الورقة وقيل رقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما تجعل فيه ان كان عيناً فوزنه اوعدده وان كان متاعاً فقيمته · وقيل الرقعة الصغيرة تكون في الثوب وفيها رقم ثمنه ·

الرُّقْعة واحدة الرقاع التي تكتب ·

المنشور من كتب السلطان ما كان غير مختوم ·

الطامور والطومار الصحيفة قيل هو دخيل وقال ابن سيده أراه عربياً محضاً لأن سيبويه قد اعتده في الابنية فقال هو ملحق بفسطاط ·

الألوك والألوكة والمَأْلُك والمَأْلُكة · الرسالة ·

القائمة الورقة من الكتاب وقد تطلق على جميع البرنامج ·

الرفيعة القصة يبلغها الرجل و يرفعها على العامل يقال لي عليه رفيعة ورفائع وهو مجاز ·

الرَّقيم الكتاب يقال رقمت الكتاب اذا كتبته فهو رقيم ومرقوم ورقم الكتاب يرقُمه رقماً أعجمه وبينه وكتاب مرقوم اي قد بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط · ورَقَمْت الشيْ أعلمته بعلامة تميزه كالكتابة ونحوها · والتاجر يرقم ثوبه بسمته ·

ورقّن الكتاب ترقيناً زينه · والمرقّن الكاتب وقيل المرقّن الذي يحلّق حلقاً بين السطور كترقين الخضاب ·

ويقال رقّن الكتاب اذا قارب بين سطوره وقيل رقّنه نقطه وأعجمه ليتبين والترقين في كتاب الحسبانات تسويد الموضع لئلا يتوهم انه بيض كيلا يقع فيه حساب ·

وفي التاج والترقيم والترقين بالميم والنون علامة لاهل ديوان الخراج من اصطلاحاتهم وذلك بان تجعل على الرقاع والتوقيعات والحسبانات لئلا يتوهم انه بيض كيلا يقع فيه حساب ·

ويقال بنّق الكتاب اذا جوده وجمعه ·

ونبّق الكتاب سطره وكتبه · ونبق الكتاب لغة في بنقه والنَّبْق مثل النَّمْق الكتابة · يقال نَمَق الكتاب ينمُقُه نمْقاً كتبه ونَمَّقه حسنه وجوده · ونَمَق الجلد ونَمَّقه نقشه وزينه بالكتابة · والنَّمَق الكتاب الذي يكتب فيه ·

ولمَق الشيء يلمُقه كتبه · ولمقه محاه وهو من الاضداد يقال لمقه بعدما نمقه اي محاه بعدما كتبه ·

الرَّقْش الخط الحسن · والرَّقْش والترقيش الكتابة والتنقيط والترقيش التسطير في الصحف ·

الخَرْبَشة افساد العمل والكتاب يقال كتب كتاباً مُخَرْبَشاً · وكتاب مخرَبَش اي مفسد · وكان كتاب فلان مخربشاً اي فاسداً · والخَرْمَشة افساد العمل والكتاب · وقد خرمشه · والخربشة والخرمشة الافساد والتشويش[1] ·

عضو المجمع العلمي العربي

سليم الجندي

(١) هكذا جاءت لفظة التشويش في كتب اللغة فنقلناها على ما فيها ·

فصح وشوارد

حُبيت وَسعِدت ، لاشقيت في عيشك ولا بعِدت • فمن انتم خالَد عليكم النعم • رموهم عن قوس العداوة واضمروا لهم ضِغن الشنآن • من فُرَص اللص ضجة السوق • يقال هو يُخلي وربما مرت له الابيات مغسولة ليس فيها بيت رائع اي يعمل الابيات ولا تصيب فيها بيتاً نادراً كما ان الرامي اذا رمى برشقه فلم يصب منه بشيء قيل اخال • امدهُ الناس ابصارهم واسماعهم متوقعين لما ينمُّ به • ضحك الناس به وصار شهرة • تقول العرب مَدجَّج ومُدَجِجَ وعبد مكاتِب ومكاتَب وشاد مغرِب ومغرَب ومكان عامر ومعمور وآهل ومأهول و نفست المرأة ونفِست وعُنيتُ بالشيء وعَنيت به وسعِد فلان وسُعِد وزُهي علينا وزها • اي ان هذه الالفاظ كما قال الثعالبي تأتي بلفظ المفعول مرة وبلفظ الفاعل مرة والمعنى واحد •

يقال سر كاتم اي مكتوم • يقال ظلّمه اذا نسبه للظلم وجهله اذا نسبه للجهل • ما رأيت احداً أشد بَذخاً بالكفر من فلان • تقول اكريت الدار مشاهرة ومسانهة ومياومة ومناهرة وملايلة ومساوعة من الساعات • وما امنع ان يكون ••• وما ادفع ان تكون ••• فلان مُضيَّق محنَق اي متضايق من الدين متألم • شمل البلى ابلادها (آثارها) • يقال امرأة ذكِرة اذا تشبهت بالذكور • ليس يحل لاحد قرفه به (اتهامه) • كما وصفت بديًّا (اي باديء بدء) • انه لحبيب اليَّ ان اوفر اموالهم • استيقظ فزعًا وقد بَشم بهم اي ضاق بهم ذرعًا • وايم الله لو اردت غير هذا من رخاء او غضارة عيش لكان اللسان به مني ذلولا • فكان اذا صُنع له طعامه هيء على شيء وغطي حتى اذا دخل اجتبذه فأكل • لم يأل حتى تملأ • حسن الجسم ممتليء البَضعة • ولعمري ان هذا لجَوْر خق الجور • نحن في ايام الفصل (Demi - saison) لاشتاء ولا صيف • هن في الجمال والبزازة وحسن الهيأة كما شاء ربك • ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم وترعف به مراعف اقلامهم •

[قال الثعالبي : كلمة واحدة من الالفاظ تختلف معانيها باختلاف مصدرها وليس للعرب كلمة مثلها هي قولهم وجد ، كلمة مبهمة فاذا صُرِّفت قيل في ضد العدم وجوداً

وفي المال وُجْداً وفي الغضب موجِدة وفي الضالة وجداناً وفي الحزن وَجْداً . وقال: فصل في الفرق بين ضدين بحرف او حركة ذلك من سنن العرب. كقولهم دَوِيَ من الداء وتداوى من الدواء واخفر اذ أُجار وخفر اذا نقض العهد وقسط اذا جار واقسط اذا عدل واقذى عينه اذا القى فيها القذى وقذّاها اذا نزع عنها القذى وما كان فرقه بحركة كما يقال رجل لُعَنَة اذا كان كثير اللعن ولُعْنَة اذا كان يُلعن وكذلك ضُحَكَة وضُحْكَة في أشباه لذلك] .

حدوة لهم على استعمال الامانة — اي سوق لهم وحث . استوبلوا عواقب الامور — استوبل الشيء اذا تركه لوخامته وان كان محباً له . الناس فيه أُسوة — سواء — اياك والعجلة بالامور قبل اوانها ، او التسقط (التهاون) فيها عند امكانها . لقد تيست فيها وتيس مالك — تيسه تتييساً رده عنه ومنه حديث علي لانيسنهم عن ذلك اي لابطلن قولهم . فلان هرّة الناس اذا كرهوا ناحيته . تطلعت نفسه الى المحقرات — اشفت واشرفت عليه . ولا ينتجي الادنين فيما يحاول — يقال انتجاه اذا افضى اليه بسره وخصه به .

للمؤمل بن أميل مات في حدود سنة ١٩٠ .

لا تغضبن على قوم تحبهم	فليس منك عليهم ينفع الغضب
ولا تخاصمهم يوماً وان ظلموا	ان الولاة اذا ما خوصموا غلبوا
يا جائرين علينا في حكومتهم	والجور أقبح ما يوتي و يرتكب
لسنا الى غيركم منكم نفرّ اذا	جرتم ولكن اليكم منكم الهرب

محمد كرد علي

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٦ =

ويقول دانتي في أغنيته الاولى من جهنم انه سأل فيرجيل كيف كان حضوره اليه في الغابة المهلكة وفي ذلك المقام المخيف ، فيجيبه فيرجيل ان بياتريس (وهو اسم معشوقته كما تعلم) قداستدعته من مقره واستحلفته ان يذهب و ينجد محبوبها و يسعف ملتمسه ، وان شفقتها على محبوبها هي عذرها في التماسها هذا منه ، وانها وعدته بالثناء عليه عند عودتها الى سيدها (ربها) . الاغنية الثانية من جهنم .

وفي الاغنية الثالثة يقول : ولما وصلنا (هو وفيرجيل) الى ساحل ذلك البحر الجهنمي ظهر لنا شيخ معمم (عمه الشيب) على سفينة وصاح بنا الويل لكنّ ايتها الانفس الشريرة لا تترجين البتة في الرجوع الى رؤية السماء ، ها انا آت لاحملكن الى الشط الآخر في منطقة الظلمات والى وسط النيران المضطرمة والجليد الابدي ، وانت ايها الانسان الحي من هم الذين اتوا بك الى هنا ؟ أبعد عن الاموات الخ حينئذ قال له قائدي (اي فيرجيل) ياكارون لا تدافع ، : هكذا يريدون هناك حيث يقدرون على كل ما يريدون فلا تسأل شيئاً فوق هذا :

اما هي قصة ابن القارح مع رضوان والزهراء وجاريتها بعينها ؟ هذه في الفردوس ودانتي في جهنم والاسماء مختلفة فقط . وكما اجتمع ابن القارح في الفردوس مع جماعة من الشعراء الزنادقة ، فان دانتي يجتمع في جهنم مع أعاظم الشعراء الوثنيين وهم هوميروس وهوراس واوفيد ولوكان (او لوكانس) ، ولكن لم يجتمع بهم ليـ ألم ان ينشدوه أشعارهم للتحقيق عنها أو نقل عنهم في الادب او التاريخ ، بل ليعترفوا له بالفخر الذي هو به جدير ، و يعدوه سادسهم ، (وان لم يذكر اسم الخامس فهو قائده ومرشده فيرجيل)

وانه مشى معهم حيناً نحو ذلك النور الساطع (في ظلمات جهنم) وانهم قد تحادثوا بما يحسن السكوت عنه في هذا الوقت ... وقد وجدنا انفسنا قرب قصر منيف محاط بسبعة اسوار يجري تحته نهر سلسبيل غير عميق ، قطعناه بسهولة ، ثم دخلنا الى ذلك القصر من سبعة أبواب (حكاية عدد السبعة) حتى وصلنا الى روضة رصّعها نبت نضير رطب ... ثم يجتمع بطائفة من فلاسفة اليونان والرومان يذكر اسماءهم ، ويذكر اسم الرئيس ابن سينا وابن رشد واسماء بعض القياصرة وبينهم اسم صلاح الدين الايوبي . (الاغنية الرابعة من جهنم) .

بيد ان هذا الاجتماع وان حصل في جهنم ، فقد كان في قصر فخم منيف تحف حوله رياض وانهار ... (ونترك الكلام الآن على أمثال هذا الخلط الى الخاتمة) .

وكما صوّر المعري تلاعن ابن القارح والشياطين وتناشد ابليس الزبانية ان يجذبوا ابن القارح الى اعماق جهنم وجوابهم له ليس لنا ياابا زوبعة على اهل الجنة سبيل ... فان دانتي يقول في الاغنية السابعة :

.. وصاح بلوتوس بصوت أجشّ ياابت ابليس ، ياابت ابليس اجذبه ، ولكن قائدي الكريم قال لي لكي يبعد الشجاعة الي نفسي لاتخف شيئاً ، فانه مهما بلغ سلطانه لن يمنعك عن النزول الى هذه المنطقة ، ثم التفت نحو هذا الشيطان وصاح به ، اخرس ياذئب اللعنة ، وانشقّ انت نفسك من غيظك فاننا لسنا ندخل دون غرض الى جهنم ، فانه هكذا يُراد هناك ، حيث ميخائيل جازى الكبرياء القبيحة الخ الخ ..

وقد أورد مثل هذا في الاغنية الثانية والعشرين ولعلنا نلمح اليها في الخاتمة . وفي الاغنية الثامنة عشرة يذكر جسراً قديماً (في جهنم) وقف عليه مع مرشده ورأى عدداً عظيماً من اهل النار يتبعهم الزبانية متسلحين باسواط لامعة وهم يجلدونهم بها جلداً متناهياً في القساوة والغضب وبينهم شيخ عظيم الهيكل لا يظهر عليه اثر للألم ...

فكأنه يعيد لنا ما ذكره المعري عن بشار بن برد بلفظ مختلف واسماء اعجمية .

وفي الاغنية الرابعة والعشرين يذكر وصوله وقائده الى جسر ساقط متهدّم وان قائده رفعه الى قمة صخرة وقال له تعلق شديداً بهذه البقية الباقية ولكن تحقق اولاً من

فوقها الخ الخ · وهي حكاية الصراط في رسالة الغفران ، لكنها هنا مسرودة بصورة فقيرة واسلوب غثيث ·

« في المطهر »

يجد عند باب المطهر شيخاً هو بواب المطهر يمنعه الدخول (قصة رضوان) و يعيد فيرجيل له القول عن امرأة نزلت من السماء وطلبت منه ان يأخذ دانتي في ظل حمايته ... ثم يقول له البواب ان كان ثمت امرأة سموية تحبيك وتشجعك فلا حاجة بي الى مجاملتك ومديحك بل يكفيني ان تكلمني باسم المرأة التي ارسلتك ·

وكأن دانتي اعاد قراءة رسالة الغفران ووجد انه لم يشر في أُلعوبته الى حكاية قصيدة ابن القارح في مدح رضوان عند دخوله مع فيرجيل الى الجحيم ومخاطبتهما البواب هناك ، فاستدرك ذكر ذلك مع بواب المطهر وجوابه له لاحاجة بي الى مديحك ومجاملتك · أوَ لا يقول الناقد المنصف عند هذا البرهان الناصع وأمثاله مما تقدم ذكره ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقد برح الخفاء بالحجة الواضحة ·

« في الفردوس »

في الاغنية الخامسة وقد انتقل الى الطبقة الثانية من طبقات الفردوس او السماء يرى نفسه مع بياتريس مع نسوة حسان نورانيات يدرن حوله وحول بياتريس راقصات يغنينه حتى تكاد بياتريس تسكر معه من انوارهن وغنائهن · وكأنه يعيد لنا بهذا المشهد عودة ابن القارح الى قصره في الجنة وقد حفت الحور بسريره الخ ·

وفي الاغنية العاشرة وما بعدها تسأله بياتريس اوروح أُخرى (وتلك الأرواح لاتظهر له الا بصور نساء حسان نورانيات) أتريد ان تعلم ماهي الازهار التي تزين هذه الهالة التي تراها حول المرأة النورانية (بياتريس) ؟ ثم تبدأ فتسمي له علماء ورهباناً وقديسين وشهداء باسمائهم ، وتقول له هذا استحق الفردوس بكتابه كذا ، وذاك برسالته كذا ، والآخر بمؤلفه التأملات كذا ، كتوما الاكويني واغوسطينوس وكراتيانوس ، ودومينيكوس وغيرهم كثيرين ... وهوعين ماذكر في رسالة الغفران ، باختلاف في الاسماء والالفاظ عن شعراء الجاهلية · وفيما يأتي بعدها من الاغاني الفردوسية يذكر شجيرة تحيي بمائها وتثمر دائماً ، ولا يسقط ورقها ، اما اثمارها فأرواح سعيدة كان لها

شهرة عظيمة على الارض قبل ان ترتفع الى السماء ··· وهي بعينها شجرة ابن القارح في الفردوس تنفض من الجوز عدداً لا يحصيه الا الله ، تنشق كل جوزة عن اربع جوار يرقصن على ابيات الخليل فتهتز ارجاء الجنة ··· ويخاطب النسر في الفردوس والنسر يجاوبه ، كما هو الشأن مع ابن القارح في مخاطبته الاسد وركوبه بعض دواب الجنة ، الى كثير من أمثاله · وآخر ما يسمعنا في فردوسه صورة ايمانه ، وليست من الشعر في شيء ، ولا من عجائب السماء ؛ ولا من الحوادث النادرة ·

« خاتمة »

فاذا نظر الناقد المنصف بعين لا يطرفها ثوب العصبية ، وروح تجردت من درن الشعوبية ، فيما بسطناه في هذه الموازنة من البراهين ، وأجملناه من الادلة الناصعة ، حكم معنا حكماً لا مردود له ان الالعوبة الالهية هي بنت رسالة الغفران ، لا يسترها ما ألقاه عليها دانتي من جلابيب الظلمات ، وما لفها به من السحب الكثاف المدلهمات ، ولا يواريها عن الاعين النقادة كثرة المنخفضات والمنعرجات ، ولا الاقواس الهندسية والاشارات الفلكية ولا ما أدمجه فيها من كثرة الاسماء الاعجمية والآلهة اليونانية ، ولا الحلة الشعرية · ولله در القائل :

(من رام طمس الشمس عمداً اخطا الشمس بالتطيين لا تغطى)

وكان الأجدر به لو أنصف ، ان يسمي ابا العلاء قائده ومرشده ، لا فيرجيل فهذا لا يدَ له في هذه الحكاية ، وان قيل ان ابا العلاء كان غريباً عنه في اللغة والدين ، قلنا ان فيرجيل لم يكن أقرب فيهما اليه · ولكن انّى له ان يشير الى اسم المعري وفي ذكره اسرع لتنبيه الى فضيحة الالعوبة ، وهي التي كان يرى في نشرها اعلاء شأنه وخلود اسمه ، على انه ان كان قد فاته المجد في حياته ، فقد نال خلود الاسم كما توقع بعد وفاته · ثم ان شهرة فيرجيل وهو ابن أمته ، كانت كما هو معلوم قد طبقت الخافقين ، فرأى ان يستظل باسمه ، وفي ذلك له غاية الشرف وابعد مجال التضليل في اصل الالعوبة · ومع هذا فلعل دانتي كان اكثر انصافاً من كثير من علماء زمانه وقد كانوا ينسبون الى انفسهم اكثر كتب علومنا التي ترجمت الى لغتهم اللاطينية كما مر بك قبل هذا ·

بقي ان نشير في هذه الخاتمة الى مايعرض للناقد من الحيرة والدهشة بل من الدُوار عقب مطالعة الالعوبة الالهية والتبصر في ما اشتملت عليه من شتى الاغراض ، وتباعد مناحيها عن الموضوع الذي قصد له المؤلف حتى بات كل واحد من هذه الاغراض غريباً في مكانه بعيداً عن بيئته ، وحتى باتت الالعوبة الالهية جديرة بان تسمى كناشة حكايات بيتية ، واخبار بلدية ، او مجموعة من شتى الأحداث ، او كشكولاً حوى معجماً صغيراً من الاسماء المشهورة والمجهولة ومبادئ بعض العلوم ومنازعات قومية وآراء سياسية وفلسفية وشرعية ودينية وتاريخية وعلمية وشعرية ولغوية وشيئاً من علمي النبات والحيوان ومن عجائب المخلوقات بل اوهاماً وتخيلات وحماسة ، وكله متداخل بعضه في بعض بنظم شعري .

وقد يقول بعض فطيري الرأي ، انها لم تنل ما نالته من الشهرة البعيدة ، ولم يعدّ مؤلفها ثالث شعراء الافرنج ، الا لما نعده هنا عيباً ونحن نقول في الجواب على هذا ، أن الموازنة تتقاضانا ان نشفع الاعتراض بالبرهان والنقد بالحجة المنطقية واليك البيان . « للكلام بقية »

عضو المجمع العلمي

قسطاكي الحمصي

مطبوعات حديثة

كتاب بادية العرب (١)

تأليف المستشرق التشكوسلوفاكي ألويز موزيل (Aloes Musil) أستاذ الدروس الشرقية في جامعة شارلس ببراغ وعضو المجمع العلمي العربي

لم يكد ينجو حتى العلماء من تسخير الحكومات في الحرب العظمى • فالحكومة وان جازت العالم على عمله ، كانت تسخر علمه لاغراضها السياسية والحربية • ومن العلوم المسخرة في تلك الايام المشرقيات • ومن المسخرين — مأجورين كانوا اومتطوعين — ثلاثة معروفون اليوم لان اقلامهم نمّت عليهم • ثلاثة من الاوربيين هم الكرنل لورنس وهو اكثرهم شهرة واقلهم علماً ، ومؤلف هذا الكتاب وهو اكثرهم علماً واقلهم شهرة ، والمستر فلبي ثاني هذا وذاك في العلم وفي الشهرة •

على انه لم يفز من الثلاثة فوزاً باهراً ، من الوجهة الحربية والسياسية ، غير واحد وهو لورنس • ولم يفز من الثلاثة ، من وجهة علمية ، غير واحد هو الاستاذ موزيل• اما من الوجهة الادبية المحضة فالثلاثة متساوون في العظمة والكرامة — الثلاثة من المسأيين ؟ في حلبة الفن • كتب لورنس كتاباً كله طعن وضرب ونسف وتدمير — كتاباً هو قصة عنترة الانكليزي ولكنه خلو من الشعر • وكتب فلبي رحلته في مجلدين فحاول في أسلوبه ان يقلد الرحالة الشهير هنري دَوْطي فخرج عن البساطة المحمودة ولم يدرك الصناعة المنشودة • وألف الاستاذ موزيل كتباً ضخمة باسلوب عادي ممل لا يستغوي من القراء غير من له غرض علمي او مصلحة سياسية او اقتصادية في البلاد العربية •

قد رحل هذا المستشرق المعروف بين العرب بالشيخ موسى الرويلي ، بضع رحلات

---

(١) طبع باللغة الانكليزية في مطبعة الحكومة (Stâni tiskâna, Prague) للجمعية الجغرافية الاميركية بنيويورك (American Geographical Society, New York) بعناية المجمع العلمي التشكوسلوفاكي والمستر كراين الاميركي المشهور بحبه للعرب •

في القسم الشمالي من هذه البلاد ، فكانت الرحلة الاولى في البتراء وأطراف الحجاز الشمالية في سنوات ١٨٩٦ — ١٩٠٢ ، والرحلة الثانية في الحماد والاراضي الواقعة بين الجوف جنوباً والميادين على الفرات (١٩٠٨—١٩٠٩) ، والثالثة في تدمر وجوارها (١٩١٢) ، والرابعة (١٩١٤ — ١٩١٥) ، هي الرحلة السياسية من اجل الدول الوسطى في الحرب العظمى ·

وقد كتب رحلاته باللغة الالمانية ونشرها في بضعة مجلدات · ثم تعاون على ما يظهر المعهدان التشكوسلوفاكي والاميركي ، اي المعهد العلمي ببراغ والجمعية الجغرافية بنيويورك (وكان المستركراين اساس هذا التعاون) في طبع الرحلات باللغة الانكليزية · فظهر في السنة الماضية المجلد الاول منها « البتراء وشمالي الحجاز » وبين يدينا الآن المجلد الثاني « بادية العرب » وسيتبعها الثالث والرابع ·

يقسم هذا الكتاب المطبوع طبعاً جميلاً ، المزين بالرسوم ، المشفوع بعدة خارطات ، الى ثلاثة أقسام : وله ملحق طويل هو كتاب بنفسه · اما الاقسام الثلاثة فأولها وأكبرها هو ثمرة الرحلة الكبرى في الشمال · وثانيها حكاية رحلة صغيرة في العراق من عين التمر الى قصر الاخيضر فالنجف · وفي القسم الثالث جزء من رحلته الاخيرة (١٩١٤ — ١٩١٥) التي رحلها من الشام الى الزبيبيات (في قلب الحماد) ومنها الى الجوف ، فحائل ، فالمشهد (النجف) ·

وفي الملحق نبذات تاريخية عدة منها نبذة طريفة في عرب الشمال في عهد الاستيلاء الاشوري · ونبذة عن دومة الجندل (الجوف) قبل الاسلام وبعده · وأخرى عن طريق القوافل القديمة والحديثة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة · والنبذة الثامنة (الاخيرة) في الطريق التي سلكها خالد بن الوليد من العراق الى الشام بموجب روايات المؤرخين العرب كالطبري وابن عساكر وابن العبري والبلاذري وغيرهم ·

في هذا الكتاب إذن بحر من العلوم التي تهم علماء المشرقيات وتفيد المتأدبين من ابناء العرب · وقد برز لنا في ما يؤثر منه امران اولها العذاب الذي يقاسيه الرحالة المستعرب في طلب العلم ، وثانيها التدقيق الذي يتحراه في نقده ثم في تسجيله للناس · وطريقة الاستاذ موزيل هي الطريقة العلمية الالمانية التي لا تتعدى المحسوس في مثل

هذه الرحلات ، وقلما تسمح للنفس التي يروعها الجمال — جمال الشكل وجمال المعنى — ان تعاون الضمير الذي لا يهمه غير الحقيقة الحسابية .

— ٢ —

كانت دمشق باباً للرحلات الثلاث التي يحمل هذا الكتاب اخبارها . فجاءها الرحالة في اول عهد الدستور العثماني ، وجاءها عندما أصبح الدستور ساطوراً لضرب أعناق أعداء الاتحاديين (١٩١٢) ثم جاءها في نوفمبر سنة ١٩١٤ وقد أمست الدولة العثمانية سيفاً بيد الالمان ، فكان في الرحلتين الاوليين عالماً ، وكان في الرحلة الاخيرة سياسياً او مسخّراً للدعاية الالمانية . ولكن عمله الدائم المحاسن والفوائد هو عمله العلمي الجغرافي . و يعود الفضل الاكبر في تمهيد سبيله وحمايته في البادية الى صديقه الصدوق الامير نوري الشعلان شيخ مشايخ الروَلا . على ان تلك الحماية لم تكن دائماً فعلية فعّالة . ومن اين لها ان تكون كذلك واعداء النوري يومئذ كثيرون في بادية الشمال وفي الجنوب ، فلم يكن للرولا من القبائل الموالية غير القليل كبعض الحويطات وولد علي والعمارات .

رحل الاستاذ موز يل — الشيخ موسى الرو يلي — في خريف سنة ١٩٠٨ الى الميادين على الفرات ، ومنها نزل الحماد ، ورحل منها الى وادي سرحان ، فالجوف ، فالهوجا حيث كان الامير نوري الشعلان مخيماً ، ومن الهوجا عاد شمالاً فوصل الى اللاَّهة[1] قرب جبل عنيز (عنزي)[2] جنوباً بشرق منه . ثم رجع جنوباً الى سكاكه وقاره ، فاجتمع بنوري ثانيةً هنـاك ورافقه شمالاً فعرج على قصر الازرق وقصر الحلاَّبات وعاد الى الشام بعد سبعة اشهر من ارتحاله منها .

سبعة اشهر في البادية وفي ايام لم يكن ابن سعود قد استولى عليها كلها . فلا عجب اذا كانت الأسفار محفوفة بالاخطار . فقد كانت قافلة الشيخ موسى عرضة للصوص

(١) لاهه — وقد جاءت في معجم البلدان الإلاهه — كانت قديماً الحد الفاصل بين عرب الحيرة الذين كانوا يدينون للفرس وبين عرب الشام الذين كانوا يدينون للرومان .

(٢) جبل عنزى هو اليوم اقصى نقطة الى الشمال في حدود المملكة النجدية .

والغزاة ، فوقعت بايديهم مراراً ، ونجت بفضل الكرام الشجعان من العرب ، وفي مقدمتهم الامير نوري وابنه نواف والشيخ رشيد بن سمير من مشايخ ولد علي .

ولم يكن الشيخ موسى موفقاً بخدامه وأدلائه فسلبه احدهم ماله ، وخانه الآخر ، وهجره الثالث ، وكان الصالح منهم « يصلي و يفلّي نفسه » فسرت الى الشيخ « بركاته » والعياذ بالله . ثم أمر وأهين في سكاكه ، ومرض ورفيقه بالحمى . هي المشقات في بادية العرب بعضها ينسيك بعضاً ، و يلزمك بعضها لزام الظل ، فيوماً ترتشف الماء من الموحلات في قعور الآبار ، و يوماً تكاد تهلك من الظماء ، تحرقك في النهار شمس الهاجرة ، وتتألم في الليل من شدة البرد وانت لا تأذن ربعك بشب النار خوف ان يهتدي اليكم اللصوص .

سبعة أشهر من هذه الاخطار والمشقات . ثم عاد الشيخ موسى (موزيل) الى الشام ظافراً بما كان ينشده من العلم — والغنيمة الكبرى السلامة .

وقد ألم هذا العالم بالعلوم التي تختص باماكن المياه التي نزلها والتي سمع بها ، وبمن نزلها من الاقدمين ، وبمن ينزلها اليوم ، و بالطرق اليها القديمة والحديثة — طرق الفاتحين من بلاد آشور وطرق القوافل من الشرق الى الغرب — مستشهداً باقوال العرب المؤرخين منهم والشعراء وبما اكتُشف في بابل من آثار الآشور بين في أواخر القرن الماضي — ومصححاً في بعض الاماكن أغلاط ياقوت الجغرافية وأغلاط الطبري وغيره التاريخية .

اما وصفه للبلاد ، جبالها وتلولها وأوديتها وشعابها وآبارها وغدرانها وسبخاتها وخبراتها و براكينها وآثار البراكين والضلوع المكونة من الحمم ، فوصف علمي تام اي وصف جيولوجي جغرافي . وهو مع ذلك لا يخلو في بعض الاماكن من الجمال كوصف الحماد عند الغروب (صفحة٧٣) والخَبْرة (صفحة٧٦) والقرَن او القرْن بالتسكين كما يلفظها البدو (صفحة ٤٦٦) والسراب (صفحة ٢٢٧) وشجر الغضى في النفود (صفحة١٤٩) وقد قال ان نار الغضى تدوم تحت الرماد عشر ساعات لا غير .

ومن فوائد الكتاب لمن يروم درس القبائل ، او لمن لم أشغال معها ، ماجاء فيه عن عرب الرولا والعمارات والفدعان وولد علي . فقد ذكر المؤلف أفخاذ كل قبيلة

وبطونها وشيوخها ومضاربها والاماكن التي تصيف وتربع وتشتي فيها · وأهم ما جاء في هذا الباب احصاؤه لعرب الصليب الذين تضاربت فيهم آراء العلماء والمؤرخين · وتقسم الصليب الى اقسام تدعى بآل كآل ماجد في جوار الكويت ، وآل جميل في القصيم ، وآل بذّاق في جوار حائل ، وآل وذيخ وآل راضي في الحماد الخ · وعددهم بأسرهم ثمانية عشر بطناً وعدد خيامهم كلها ١٤٦٠ خيمة · والصليب تدفع الخوة للبدو المجاورة لهم مقابل الحماية · ولكل قبيلة كبيرة شيخ خاص بذلك ، هو ضابط الارتباط بين تلك القبيلة والصليب المقيمين في ديرتها او جوارها ·

كأن هؤلاء العربان من غير العرب اصلاً · وقد قيل في ذلك أقوال هي كلها من باب التخمين · فقد يكونون من بقايا الصليبيين في هذه البلاد · او كما قيل للاستاذ موزيل وقيل لنا — وهو الارجح — قد دخلوا البلاد العربية من الحساء فيرجح إذن ان يكونوا من بقايا الصابئين والله أعلم ·

ومن محاسن هذا الكتاب ان اسماء الاعلام والاماكن والآبار مضبوطة كلها بقدر مايستطيع الاجنبي ضبطها ، فيمكن القارئ العربي — اذا ماعرف القاعدة ان يردها الى اصلها دون ان تلتبس عليه السين والصاد مثلاً ، او الطاء والتاء ، او الدال والضاد ·

على انه من وجهة انكليزية ، يُنتقد على المؤلف انه في الطبعة الانكليزية لم يتبع القاعدة المصطلح عليها في اكسفورد والجمعية الملكية الآسيوية ، والتي أصبحت شائعة بين المستشرقين والادباء الذين يكتبون في المواضيع الشرقية · ومن اكبر شواذه في هذا الباب انه عبر عن الياء بالجيم (J) وهي بالانكليزية لا تؤدي معناها بالالمانية · فالقارئ الاميركي او الانكليزي الذي يقرأ (Dmejr to Al - Mijadin) لا يستطيع ان يلفظ الكلمة الاولى ويقول في الثانية : المجادين لا المياذين · فكان ينبغي للمؤلف والمحرر ان يستعيض عن هذه الجيم (J) بال (Y) فيكتب (Jamama) لا (Yamama) و (Zabibiyat) لا (Zabibijjat) ·

ومما يزيد في حجم الكتاب ويضجر القارئ التدقيق في بعض الامور التي لا تفيد ولا تهم احداً ، مثال ذلك مما لا تكاد تخلو صفحة منه : « من الساعة ١١/٠٨ الى الساعة ١١/٢٢ استرحنا · وفي الساعة ٢٤٥ بعد الظهر وصلنا الى شعيب الذَرْي

شمالي آبار الشُبَيْشة » · « رعت جمالنا من الساعة ٥٦/٩ الى الساعة ٤٢/١١ » ·

وهل ينقص الكتاب او العلم شيء نافع اذا أُهمل مثل هذا التدقيق في الاستراحة والرحيل · وفي مرعى الاباعر ؟ ·

— ٣ —

في الرحلة الثالثة (١٩١٤—١٩١٥) يوم جاء الاستاذ موزيل (الشيخ موسى الرويلي) دمشق كان الامير نوري الشعلان معتقلاً في الضمير ، فتوسط لدى الحكومة من دجلة ؟ فأطلقت الحكومة سراح الامير بعد ان تفاهمت واياه على محاربة الانكليز وعدها النوري وعداً كان الشوق الى البادية ، بل الى الفرج ، أكبر ما فيه ، وأسرع بعد ذلك في الرحيل دون ان ينتظر صديقه ومنقذه الشيخ موسى ·

ثم سافر الشيخ موسى وهو ينشد شيخ شيوخ الرولا · راح يفتش عليه في البادية ، وظل يطوف عشرين يوماً قبل ان ظفر به في مخيمه بخَبْرة الهَجْم جنوبي اللاهة في قلب الصحراء · وقد كان أوفر حظاً في هذه الرحلة منه في الرحلة الاولى · كيف لا وهو الآن مندوب او شبه مندوب الدول الوسطى في الحرب العظمى ؟ كيف لا وقافلته هي ضعفا ما كانت في السفرة الاولى وفي أحمالها الهدايا لشيوخ البدو ؟ رحلة علمية خيرها جزيل لا يرافقها غير الشقاء · ورحلة سياسية لا خير فيها لاحد ترافقها التجلة والكرامة · هي الحياة حتى في البادية ·

وما أجمل ما كان من استقباله في مخيم النوري بخَبْرة الهَجْم · جلس اخو العرب الشيخ موسى الفلاخي (Czech) الى يمين الامير ، وكان في سلامه ، وفي شوقه ، وفي اسئلته كواحد من العرب ، بل كواحد من بيت الشعلان · وقد حزن حزن واحد منهم عندما سأل عن بعض اصدقائه الغائبين وسمع الجواب ·

— « وممدوح بن سطام ، وعذوب بن مجول ، وسعود (ابن الامير نوري) اين هم ؟ » فأجاب الامير بكلمة واحدة : « راحوا » ·

ثم أخبر أخاه الشيخ موسى كيف قُتل عذوب في الغزو · « عادت فرسه وحدها ملطخة بالدم » وكيف قُتل ممدوح في غزوه بعض عربان شمّر · « غزاهم بالنفود فغنم جمالهم وغرّب هادياً ورجاله · فكمن له العدو ، ووقع ممدوح بيد الشمامرة في

شعيب العاه . جانا بخبره من نجوا و« حنا » بِدَل العامود » . وابنه سعود ؟ ذهب فريسة الغدر . « قتله كلاب بن غازي عند ملتقى وادي النعيم بوادي سرحان شمالي قراقر . جاءوه غادرين يقولون انهم بأمرة عودة ابي تايه — وعربان بن غازي يلبسون مثل عربان عودة — فصدقهم سعود وأنزلهم عليه فغدروا به . « ثوروا » البنادق مفاجأة على سعود ورجاله فقتلوه وقتلوا اربعة معه ، وشردوا . ولكن الباقين من رجالنا لحقوا بهم ، فأدركوهم صباح اليوم الثاني ، وساقوهم الى المكان الذي سال فيه دم سعود ، فذبحوهم ورؤوسهم الى القبلة ذبح الغنم » .

هي حياة البدو . وقد جاء الشيخ موسى من « ديرة الفلالخ باوربا » ينصحهم بان « يثوروا » بنادقهم على الانكليز بدل ان « يثوروها » بعضهم على بعض . جاء يوفق بين القبائل المتعادية و يستنهضهم في مناصرة الدولة العلية وحليفتيها المانيا والنمسا . وكان الامير نوري قد خرج من دمشق والحكومة تظن انه سيسعى والشيخ موسى لإنجاح المشروع . ولكن الحكومات لا ترجم بالغيب ، وقلما بفتح البدو قلوبهم في غير البادية .

قال الامير يخاطب الشيخ موسى في جلستها الاولى السياسية : « انت يا اخي تعلم ما بقلبي . انت تعلم اني لا أثق بالحكومة ولا الحكومة تثق بي . لولاك لكنت لا أزال اسيراً في الغوطة .... وهذه الحكومة تطلب مني ان أساعدها في محاربة الانكليز . تطلب مني انا النوري الذي حاولت مرةً ان تشنقه ، النوري الذي ظل سنتين في سجنها ، النوري الذي خلصته انت ياشيخ موسى من المشنقة ، تطلب منه هذه الحكومة الملعونة الوالدين ان يستنفر العربان لمحاربة الانكليز ... وهذه الحكومة والله يا اخي ، تضرنا اذا أرادت وتضر اهلنا وعشائرنا . يلزمنا ثياب . و يلزمنا قمح ويلزمنا شعير لخيلنا . وهذه لا نجدها اليوم في غير الشام . واهل الشام لا يبيعوننا اذا عادينا الحكومة . اهل الشام يكرهون الحكومة مثلنا و يساعدونها علينا . فهل تلومني اذا وعدت الحكومة بالمساعدة . « سأنطيها » الوعود بالكلام والكتابة .... ولكني أدفع الميرة والله . أساعد الحكومة بمالي . أطعم الملعونة الوالدين من الذهب . سامي باشا (المشير يومئذ) اكل أرطالاً من ذهبي وعندما لجأت اليه حكم علي

بالشنق .... هي تبغي الرجال والجمال للحرب . وتقول لي انها تساعدني بعد الحرب على ابن الرشيد . والله اعلم اذا كانت تكذب او تصدق في قولها » .

عند هذا قطع نوّاف عليه الحديث قائلاً : « هي تكذب يا ابي » وكيف تساعدنا وانور باشا يرسل الى ابن الرشيد السلاح والذخيرة والمال ؟ ... وهذا الانور هو الذي صالح ابن سعود واعطاه « النيساشين » ثم اعطى ابن الرشيد السلاح والمال ليحاربه .... ولولا هذا الانور لما نكث ابن الرشيد عهد الصلح بيننا وبينه وبينه وبين ابن سعود ... اعلم ياشيخ موسى ان ابي يدفع الى الحكومة اربعة آلاف ليرة كل سنة ويشتري بماله مايلزمه من السلاح والذخيرة ليحمي عشائره ويحمي رعايا الحكومة في القرى المجاورة للبادية . اما ابن الرشيد فالحكومة « تنطيه » كل شهر مائتين وثلاثين ليرة عثمانية و« تنطيه » كل مايبغي من السلاح والذخيرة ، فتقويه علينا ، ليسلب « طروشنا » ويقتل رجالنا .

الامير نوري : « وما العمل ياابني نواف ؟ هل يمكنك ان تحارب ابن الرشيد ؟ واين سلاحنا من سلاحه ؟ اربعة آلاف بندق على خمسة عشر الف موزر . وخرطوشنا ماينفع . لا ياوليد . خيره لنا ان نطيع الحكومة وننتظر . لننتظر الى ان تنتهي الحرب . الحكومة تبغي السلم بين العشائر . و« حنا » الرولا نبغي السلم — نحتاج الى السلم » .

الشيخ موسى : « الحق مع والدك يانواف . اتحدوا فيخافكم ابن الرشيد وتخافكم الدولة .... وانا الكفيل ان عشائر الفدعان يصالحونكم ... ويجب ان تصالحوا ابن الرشيد » . وكان عودة ابو تايه حاضراً فافصح عما في صدره وكان في ذلك اصرح من النوري وابلغ من النواف . قال عودة : « وهل تظن الحكومة اننا لا نفهمها ؟ تقول لنا : السلم . وهي تبغينا للحرب . هي لاتثق بنصارى سورية ولاتثق بدروز حوران ، ويلزمها جمال لتمشي الى مصر . وهي تعرف ان مازالت القبائل متمادية تعتذر كل قبيلة وتخيلها على عدوها . اقول انا ابو تايه للدولة : دونك وعبطان [1] . ويقول

(١) وعبطان بن غازي شيخ الحويطات الذين كانوا يومئذ معاونين لحويطات عودة ابي تايه .

لها النوري : دونك والفدعان . ويقول لها النواف : دونك وابن الرشيد . وهم يقولون لها قولنا ويحيلونها علينا . النتيجة ؟ كلنا نظل في خيامنا ... اي بالله يلزمنا السلم . يلزمنا لمصلحتنا لا لمصلحة الحكومة . اكتب يا شيخ موسى الى الحكومة وقل لها اننا نمشي معها بشرط ان تردع اعداءنا وهم في الظاهر اصحابها » .

الشيخ موسى : « وهل تمشي وعربانك مع الجيش الى مصر » .

عودة : « لا اخرج من البادية ما زال فيها خصومات ولكن اذا صالحت عبطان وابن الرشيد واعطتني الحكومة السلاح والذهب — يلزمني ذهب وسلاح — امشي والله ، امشي الى مصر » . وكان في مخيم الامير بعض شيوخ العمارات فقال احدهم مجيباً على كلمة للشيخ موسى في الجهاد : « الجهاد هو ان نحمي خيامنا وطروشنا » .

وفي لغة المتمدنين الجهاد هو الحرب في سبيل الوطنية فيقول الانكليزي مثلاً : الجهاد هو ان نحمي بريطانيا العظمى وممتلكاتها . لا فرق إذن بين عقلية البدوي وعقلية الانكليزي . فلما ذا نكرم هذا في جهاده ونتهم ذاك بالوحشية ؟ .

« واعلم ياشيخ موسى » — الكلام لشيخ آخر من شيوخ العمارات — « اننا لا نكره الانكليز ولا نحبهم . ولكن اذا اقتربوا منا وحاولوا التعدي علينا فالويل لهم . هم الآن يحاربون الدولة فلتحاربهم الدولة بجيشها » .

الامير نوري : « كلامك زين . ولكن يجب ان نطيع الحكومة . الله ينصر الدولة » . ثم قال للشيخ موسى وهو عائد وإياه الى خيمته : « لا بد من الكلام السياسي . فلا يسوّد وجهي احد مع الحكومة » .

وظل النوري يتدرع بالسياسة — ظل يداوي ويتلون — الى ان ظهر في الحجاز بعد سنة الكرنل لورنس فغلب الخيّال الانكليزي النسر الالماني .

اجل ، قد ظفر لورنس بما لم يظفر به الشيخ موسى لجمع شمل العربان وفي مقدمتهم الرولا والحويطات وضمهم تحت لواء الشريف — ولواء الاحلاف — وكان الفضل الاكبر في فوزه للذهب الانكليزي .

ومعلوم ان الليرة الانكليزية تزيد الليرة العثمانية عشرين غرشاً .

ومعلوم — نيوم ! — ان عقليـة اولئك الاحلاف مثل عقلية شيخ العمارات الذي قال : « الجهاد هو ان نحمي خيامنا وظروشنا » .

فهل يلام العرب اذا هم فضلوا لورنس والشريف على موسى والجمال ؟ هل يلامون في ما تقاضونه للدفاع عن الانكليز والفرنسيس ونحن نرى اليوم ما يتقاضانا الاجنبي في دفاع اسمي عنا ؟ ! .

قد كشفت لنا الايام بعد تسع سنوات من الهدنة ، عن بواطن الاحلاف ونياتهم فصرنا نعذر العرب لانهم باعوا الدولة العلية بل الدول الوسطى بعشرين فضة . بل صرنا نأسف لان الدول الوسطى انسحبت يومئذ من المزايدة ، والا لانقلبت الآية ولباع العرب لورنس والشريف ودول الاحلاف جمعاء بعشرة لا بعشرين فضه .

عضو المجمع العلمي العربي

امين ريحاني

عصر المأمون

« للدكتور احمد فريد رفاعي المجلد الاول ٤٧٢ المجلد الثاني ٤٣٩ المجلد الثالث »
« ٣١٧ طبعت في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م »

هذا كتاب مفيد جوده مؤلفه فنال به لقب « دكتور » من الجامعة المصرية بدرجة ممتازة جداً وقد تفضل المؤلف فأطلعني عليه وهاك ما كتبته من الملاحظات بحرفه :

أدخلت السرور على نفسي لتفضلك باطلاعي على كتابك «عصر المأمون» وهو في المخطوطة وذلك لجلالة الموضوع في ذاته ، ولان المأمون نسيج وحده في الخلفاء ، وخير خليفة جمع العلم والعمل ، يحبه ويحب عصره كل من كان له حظ من تاريخ العرب ، وكانت سيرته اجمل سيرة في الملوك الذين عقمت الايام ان تلد شبيهاً لهم ، وحق لكل جيل ان يتغنى بمناقبه ، ويتغزل بمحامده ، وهي القدوة وهي العبرة ، ما دام يدرس تاريخ الخوالف .

أعجبت بتنسيق كتابك وفيه من الامتاع والابداع شيء كثير ، وراقتني سلاسة

عبارتك ، ودقة تصرفك ، وحسن مأتاك في البحث ، وصحة حكمك على معظم الحوادث ولقد قربت بهذه العناية منال الاستفادة على الطالبين ، ونفذت الى ظلمات التاريخ فخرجت منها بشهاب قبس ، أنار ناحية كبرى من نواحي عظمتنا الغابرة ، قرأت الوفا من الصفحات فكتبتها في بضع مئات ، مشفوعة بجميل استقرائك وصحيح استنتاجك ، وصورت للناس مدنيـة عصرنا الذهبي حتى كادوا يلمسونه ويحسونه ، فكان حقاً على المنصفين ان يمدحوا غناءك ، ويحمدوا دؤوبك وعناءك .

لا جرم ان هذه الصفحة الكبيرة من تاريخ العرب خليقة بالدرس والتأمل كل حين ، لانها ثمرة نضج العقل الاسلامي الذي ينادي على وجه الدهر ، بلسان الحـال والمقال ، ان الامة التي استطاعت منذ اكثر من الف عام ان تعمل للحضـارة هذه الاعمال الجسام ، مستعدة في كل زمن ان تأتي بمثلها او أحسن منها .

وما رأيت شهد الله في كتابك بجملته وتفصيله ، ما يصح ان تؤاخذ عليه ، الا تصويرك بعض أدوار الامويين في صورة باهتة استندت في اخذ بعض خطوطها وأشكالها على مؤلفين متعصبين ، كاليعقوبي وابن الطقطقي والمسعودي والاصفهاني ممن لم تكد تسلم نفوسهم من الشعوبية وكان التشيع غالباً عليهم . فكتبوا ما كتبوا مدفوعين بعوامل سياسية ، وجوزوا بث دعوتهم بانواع من التحيل والتلفيق .

وان من يسبون الشيخين وابنتيهما الطاهرتين سباً قبيحاً ، و يتعبدون الخالق بذلك ، و ينعتون الخليفتين الاولين « بصنمي قريش » وهما ما هما من المكانة المجمع عليها في الاسلام ، يغضون ولا يبالون من بني أمية . وهناك الدماء المطلولة ، والطوائل المتأصلة والملك المستأثر به ، والاهواء التي جعلوا من اركانها الانحاء على كل من لم يشايعهم .

وان من تجنوا بنشر نحلتهم ، والدافع اليها الدنيا لا الدين ، جنوا واي جناية على الدين والدنيا . ومن أشنع أعمال المنحرفين عن بني أميـة وضع الاحاديث الملفقة على الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن خلقوا ما قالوا على الدين وصـاحبه ، كيف يجدون حرجاً في اختلاق الاكاذيب على الامويين ؟ وفي يقيني اننا لو حاسبنا الامويين والعلويين حساباً تاريخياً دقيقاً ، لاثبتنـا لكل منهم حسنات وسيئات ، وما خرجوا كلهم عن البشرية ، يعشقون الدنيا و يقاتلون منافسيهم عليها ، والتفاوت بين الفريقين

في الاثر الذي اثره كل منهم في كيان الامة ، اما العصمة فالشرع والعقل لم يثبتاها لاحد من الناس ، على نحو ما يحاول الطالبون ان يثبتوها لأئمتهم ، و يقولون في غيرهم ما قاله مالك في الخمر .

لا يحكم التاريخ على الناس الا باعمالهم ، واعمال الأمويين التي اعتز بها الاسلام والعرب ماثلة للعيان على الزمان ، فماهي ياترى أعمال من سوّدوا صحيفتهم ظلماً وعدواناً، و بالغوا فيهام بسبيله حتى خرجوا عما يقول العدو في عدوه ، فأخرجوهم عن الملة، وقضوا بان شيعتهم المغموطة الحق ، المثلوبة التراث ، من عنصر الملائكة الكروبيين او اعلى من ذلك .

وأرى ياصاح ان لا تغتر ايضاً بما نسب لبعض المشاهير مما فيه تنقيص بني أمية . فرسالة الجاحظ التي استشهدت بها وانت شاك في نسبتها اليه ، قد تضمنت اقذاعاً بخلفائهم ، لا تثبت بالنقد الصحيح انها من تأليفه ، وهو امام العقل والعلم ، فقد نسبوا للجاحظ عدة رسائل ومنها رسالة الاخلاق التي نشرتها منذ مدة ، وترجح بعد حين انها ليحيى بن عدي . وقد انتحلها ايضاً محيي الدين بن عربي في فتوحاته .

ومما نحلوه لابي عثمان رسالة مناظرة الربيع والخريف المطبوعة في مطبعة الجوائب بفروق وبأقل تأمل نعرف انها من كتابة القرن الحادي عشر او الثاني عشر للهجرة . وكم من رسالة او كتاب نحلت للمشهورين من سلف الامة ، ولكم نسبت اليهم اقوال ماخطرت لهم ببال . ان رسالة الجاحظ هذه التي وضعها من دسوا كثيراً من الجمل في نهج البلاغة تأييداً لسياستهم قد قصدوا بها شيئين ، ترويج النغمة التي يضربون على أوتارها ليهزوا بها أوتار قلوب الموافقين والمخالفين ، ثم الحط من مرتبة الجاحظ في نظر العقلاء .

وما قلته في بعض المصادر الشعوبية الشيعية أجهر به ، ولا دهان في الحق ولا هوادة ، عند الحكم على بعض الكتب التي اعتمدت ، وكان الاولى الرجوع الى الاصول المنقولة منها مثل « تاريخ التمدن الاسلامي » و « معاني الادب » و « مشاهير الخطباء » ثم ان روايات « الاغاني » و «حلبة الكميت» و «المستطرف» ليست مما يعتمد عليه في تحليل اخلاق خليفة ، ذلك لان العقل يرد الاقاصيص الموضوعة على يزيد بن عبد الملك واستهتاره بغرام سلامة وحبابة مما رواه الاصفهاني ليسلي قراءه بالغرائب كما روي خبر

تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية وما الى ذلك . والعقل يرد كل الرد ما اتهم به الوليد بن يزيد في خمرياته التي فاقت كما قلت خمريات يزيد بن معاوية .

وقولهم ان يزيد حمل معه كلاباً في الصناديق لما ولي الحج لهشام ، وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها عليها ، وحمل معه الخمر وأراد ان ينصب القبة على الكعبة و يشرب فيها الخمر . ولعمري كيف يجرأ الوليد الثاني ، على ما فيه من مجون واستهتار بالشعائر ، ان يأتي مثل هذه المنكرات ، ولم يكن هشام بالغرّ المحمّق حتى يوليه الحج ، وهو على هذه الصورة من الاخلاق . اللهم ان هذه التهمة وتهمة يزيد بن معاوية في تعاطي الشراب الى آخر ما اتهموه به ومنها عشقه عمته ، مما اختلقه من لا خلاق لهم . ولو كان يزيد بن معاوية على ما ذكرنا ما سكت رجال الدين عنه ، وفيهم بقايا الصحابة والتابعين ، وقد شهدنا الوليد قتل في أقل من هذا ثم تقوّلوا عليه كثيراً وتزيدوا .

وقولك (ج ۱ ص ۷۰) ان دولة بني أمية كانت مكروهة عند النـاس ملعونة مذمومة ثقيلة الوطأة ، مستهترة بالمعاصي والقبائح فيه مبالغة وغلو ، وليت شعري اذا كانت دولة بني أمية مكروهة مذمومة اما كانت ذلك عند اعدائها فقط ممن عادوا العباسيين ولعنوهم ايضاً « راجع رسالة ابي بكر الخوارزمي الى شيعته » ، ثم اي دولة رضي الناس كلهم عنهـا ، وقد شهدنا ثلاثة من الخلفاء الراشدين قتلوا لاختلاف السياسة ، فكيف بعد هذا نستغرب من اشمئزاز بعض النـاقمين على الامويين ، حتى رموهم بما هم منه براء ، وهل ننكر محل الدعاية من تأسيس الدول وقيـام الممالك ، فاشتهار الأمويين بالمعاصي والقبائح والحكم على دولتهم كلهـا حكماً عاماً لا يسلم به العقل السليم ، ولا النقل الصحيح .

ومن الروايات المدخولة قصـة عريب جارية المأمون وعشقها جعفر بن حامد (ص ٤١١) فانها لا يصح وقوع مثلها من سفلة الناس وناهيك بصيانة المأمون واخلاقه الطاهرة وكرامة بيته ، ولأدنى نظر ندرك انها موضوعة كل الوضع ، وكان الاولى تحليلها او نبذها بدون تحليل .

هذا وان الكلام على الاسفار غير المعتمدة لا يصدق على كتب أخرى من تآليف المعاصرين ، كالبستاني في مقدمة الالياذة وميور في كتاب الخلافة ، والمؤازرين في

المجلة الاسلامية ، وكتابات نللينو و براون وامثالها ، ممن كتبوا للعلم على الاغلب وهضموا مادونوا . واذا غلطوا في بعض أحكامهم فلا يكون غلطهم عن قصد ، و يبرؤهم من الملامة اذا عرفنا ان ما كتبوه لم يكن العامل فيه التجارة على اختلاف ألوانها . وقد تطمئن النفس لما كتب هؤلاء في العرب والمسلمين ، أكثر من اطمئنانها الى غيرهم من المعاصرين والغابرين ، ممن مزجوا العلم بالاهواء فارتفعت الثقة من جرو يانهم، وحار البصير في أحكامهم فلا يميزها الا نظر النقزز ، وتسرب الشك الى مصنفاتهم فلم تعد الايدي تتناولها الا بحذر ، لان اهلها أثبتوا في كل عصر انهم من أكثر الاهواء ضراوة على الاسلام والعرب على مافصل ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة .

وليتك أوجزت في اخبار بني أمية ، وفي ايراد بعض القصائد المطولة ، وفي نماذج الشخصيات البارزة في عصر المأمون وتوسعت في مقومات الحضارة في القرن الثاني والثالث من مثل الكلام على مجالس العلم والنقل وبيت الحكمة واثر سهل بن هرون فيها، فان هذا العظيم لم توفه حقه من الوصف ، وهو والجاحظ فرسا رهان ، وكذلك عمرو ابن مسعدة واثره في البلاغة والسياسة ، لا يقل عن احمد بن يوسف الكاتب .

اما وصف ميور للمأمون بانه لا يستطيع مع اعترافه بعدله ان ينزهه من الجنوح في بعض الاحايين الى الجور واستعمال القسوة من غير مبرر ، وانه تصرف في بعض الحوادث تصرف الجبابرة والعتاة من أسلافه ، فنقول فيه نظر . لانا رأينا المأمون عفا حتى عن كثير ممن نزعوا الى نزع خلافته وسلطانه ، وما عرفت عنه القسوة ولا الجور . واذا رويت روايات مدخولة في بعض كتب المحاضرات قد تكون قرينة لتأييد هذه النظرية ولو من بعض الوجوه ، فلا يكون منشؤها الا اولئك الذين حلفوا ان لا يمسكوا الأقلام الا اذا نالوا من سلطان الراشدين وبني أمية ، وبني هاشم معاً لانهم استأثروا بالملك دونهم ، وذهبوا بالفضل في نشر كلمة الاسلام وبث العروبة في الشرق والغرب ، فكان جزاؤهم عند من خالفوهم ان يطعنوا في كل كبير ، ليقولوا لخصومهم اما من تطهرت نفوسهم من كل عيب فهم جماعتنا ليس الا .

واما فيما عزي الى المأمون من الاعمال ، وعده بعضهم قسوة وجوراً ، هو عند كثير غيرهم حلم وعدل . وما كان لرجل في مثل ملك المأمون الضخم ان يدير شؤون

أمته زمناً ولا يهفو هفوة ، وفي الحق ان من العنت ان يقال لمن يعدل مئة الف مرة ، و يحلم مئة الف مرة ، ثم يغلظ مرة واحدة ، انك ياهذا قاس جائر . وليست القسوة والجور في فطرته ولا فيما ثبت من هديه . ونحن في الواقع لم نستثبت الدواعي التي ادت الى امور لم تتفق مع عقليتنا ، ولاعرفنا منزع المنتقد عليه ومرماه فيما انكرناه . فقد قال غستاف لوبون : اذا كان من الصعب على الفرد ان يكتشف الاسباب الحقيقية التي قدرت عليه افعاله الخاصة ، الا يكون من الصعب ايضاً على مؤرخ ان يدرك الاسباب السرية المستورة بضباب الدهر من الوقائع التي يجهل أصحابها انفسهم مباديها .

هذا رأيي الخاص في سفرك النفيس الذي صنعته وجودته ، فخدمت الآداب العربية بما انتجت خدمة نافعة ، بقي علي ان أهمس في أذنك قائلاً ان هذه الهفوات المعدودة في كتابك لاتقدح فيه بل ترفع من شأنه ، وكل عامل يكبر جهادك وعملك ، ولذلك ادعو لك بحسن التوفيق الى اخراج أمثال «عصر المأمون» للناس ، فتنشر بينهم مادة جيدة منتقاة ، تنير العقل ، وتهذب الروح ، وتسلي الفؤاد ، وتذكرنا ماضياً زاهراً نحن متصلون به على كل حال ، ولا نفتأ وأحفاد أحفادنا على اكمال سلسلته .

والرجاء معقود في هذا الباب على الاستكثار من وضع الكتب المنقحة المحررة على أسلوب العصر ، المشبعة بروح التحقيق ، الحالية بالرشاقة وجمال الفن ، لتخطو الامة العربية خطوة واسعة في سبيل المجد والمدنية ، هذا ومني عليك وعلى ارض طيبة أنبتتك الف تحية وسلام . م . ك

كتب ورسائل مختلفة

(١) المجموعة الاقتصادية لغرفة تجارة حلب . السنة الثامنة لسنة ١٩٢٦ طبعت بالمطبعة المارونية بحلب باللغتين العربية والفرنسية .

(٢) مكايد الحب في قصور الملوك تأليف ثورنتن هال وترجمة الاستاذ السيد اسعد خليل داغر عني بنشرها السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر ص ٢٦٧ .

(٣) قصة للدكتور احمد زكي ابو شادي بك اسمها «احسان مأساة مصرية تحينية» طبعت في المطبعة السلفية بمصر في ١٣٨ صفحة .

هدايا كتب

أهدى الينا الاستاذ الشيخ ابراهيم المنذر كتابه الذي سماه (كتاب المنذر) وهو طبعة ثالثة للكتاب المذكور منقحة ومزيدة . وقد طبع في مطبعة الاجتهاد ببيروت سنة ١٩٢٧ وعدد صفحاته ١٦٠ صفحة .

وأهدى ايضاً الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة كتاب (رمل وزبد) للاستاذ جبران خليل جبران ألفه بالانكليزية وترجمه الارشمندريت انطونيوس بشير ثم نشره الشيخ يوسف . وموضوع الكتاب حكمة وفلسفة مفرغتان في القوالب التي اعتاد الاستاذ جبران افراغ حكمه فيها . وصفحاته ٨٦ صفحة .

وأهدي الينا (ديوان ابن سهل الاندلسي) جمعه وشرحه وضبطه السيد احمد حسنين القرني وقد طبع سنة ١٩٢٦ على نفقة المكتبة العربية بشارع درب الجماميز بمصر .

وكذلك أهدي الينا (ديوان بشار بن برد) جمعه وشرحه وذيله بالهوامش والتعاليق السيد احمد حسنين المذكور وهو مطبوع على نفقة (المكتبة العربية) ايضاً .

وكتاب (عظة وذكرى) وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك مدير مستشفى الملك وكبير جراحيه وقد ضمنه خواطر اجتماعية صحية طيبة في ١٣٨ صفحة حسنة الطبع والورق مزينة بالرسوم وقد التزم طبع الكتاب ونشره السيد نجيب متري صاحب مطبعة المعارف بمصر .

(سمير الاطفال) هو عنوان كتيبات صغيرة ألفها الاستاذ السيد محمد الهراوي الشاعر المصري المشهور وأودعها من الشعر الرشيق والصور الجميلة ما يلذ للصغار و يسهل عليهم مبادئ الآداب والأخلاق . وقد أهدي الينا بضعة من تلك الكتيبات فاذا هي غاية في اتقان الطبع والتصوير والتجليد . وقد تولت نشرها (لجنة التأليف والترجمة) بمصر .

الجزء ٤ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق): نيسان سنة ١٩٢٨ م الموافق شوال وذي القعدة سنة ١٣٤٦ هـ

محمد والمرأة (١)

مواضيع الخطابة كثيرة . والحفلات الخطابية ايضاً كثيرة . ولكن الحفلة الممتازة بسيداتها وساداتها ، ينبغي ان تكون خطبتها ممتازة بموضوعها ولطيف اشاراتها .

فمن لي يا سادتي بموضوع ممتاز كامتياز حفلتكم هذه ؟

حقاً ان مراعاة التناسب بين الموضوع والحفلة هو موضع الصعوبة في الامر .

فسّرت يوماً كلمة «النسء» أمام فتاة متعلمة وقلت ان معناها الطرد والابعاد والتأخير . ومنه سميت «المنسأة» — وهي العصا — «منسأة» لان الراعي يطرد بها غنمه .

فاحتدمت الفتاة غيظاً وقالت :

إذن سمى العرب النساء نساء لانهن مبعدات مطرودات ؟ !!

فعجبت من استنتاجها ، وتعوذت بالله من لجاجها ، واجبتها على اعتراضها بما ارضاها في الجملة .

* * *

ولما دعيت الى الخطابة في هذه الحفلة رأيت الفتاة المذكورة يوماً مهتمة بمطالعة كتاب . فسألتها ما هذا الكتاب ؟

قالت الزبيدي .

والزبيدي ايها السادة كتاب ديني اختصر فيه مؤلفه احاديث البخاري كلها .

---

(١) خطاب ألقاه الاستاذ المغربي في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت مساء الاربعاء ١١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ .

فشجعتها على قراءته ، وأثنيت عليها لاختيارها هذا الكتاب للمطالعة ، بدل تلك الكتب التي تولع بها الفتيات عادة .

أكملت الفتاة مطالعة « الزبيدي » ولم تكد تلقيه من يدها حتى التفتت الى من حولها وقالت : « اني لم أجد في جميع الاحاديث التي قرأتها في هذا الكتاب ما يشعر بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتقر المرأة ، بل على العكس رأيته يكرمها و يسوي بينها وبين الرجال في التكاليف والاحكام فمن اين جاءت تهمة شارعنا الاسلامي بانه يحتقر المرأة او يعلم بالحط من كرامتها ؟ !! » .

فلا اكتمكم ايها السادة ان سروري باستنتاجها هذه المرة أنساني اغتمامي باستنتاجها في المرة الاولى . وسررت بالاكثر مذ ظفرت بموضوع الخطاب الذي أرغبه لحفلتكم هذه ، وناديت : وجدته وجدته . كما نادى أرخميدس : وجدتها وجدتها .

نعم وجدت الموضوع أيها السادة لكنني لم أجد الوقت اللازم لتوفيته حقه ، لان جمعية التهذيب — والشكر لها على كل حال — لم تعطني وقتاً للكلام في حفلة ، وانما أعطتني وقتاً للمخابرة في تلفون . فاعذروني اذا أسرعت او اذا اختصرت .

* * *

كان العرب بمقتضى طبيعة بلادهم ، وتركيب امزجتهم يرون في المرأة هناءهم وراحة نفوسهم ، فأحبوها وكادوا يعبدونها . كما انهم بمقتضى طبيعة اجتماعهم ونظام الثارات والسبي المتعارف بينهم ، كانوا يرون في المرأة سبباً لمذلتهم ، ولحوق العار بهم . فتشاءموا بها الى حد ان وأدوها .

فكان العرب بين جاذبين : جاذب من طبيعة اقليمهم وأمزجتهم يجذبهم الى المرأة ، وجاذب من نظام اجتماعهم وحروبهم يبعدهم عنها .

وقد ولد محمد (ص) في جزيرة العرب وأهلها على ماوصفنا من الحالتين : فأقر الحالة الاولى حالة حب المرأة ، وباركها هاتفاً . « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

وقبح الحالة الثانية — حالة التشاؤم بالمرأة فرفع قدرها وأرجعها الى عرش سيادتها ونادى قائلا : المرأة سيدة بيتها . المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها ؟

فالغرض من نبوة محمد إذن ليس توحيد الله فقط بل والتبشير بالمرأة والاحتفال بارجاعها الى عرش سيادتها ·

قال عمر بن الخطاب : (والله كنا في الجاهلية ما نعد النساء شيئاً ، حتى انزل الله فيهن ما أنزل · وقسم لهن ما قسم) ·

***

ومن تتبع سيرة النبي (ص) في أدوار حياته أدرك الاسباب التي جعلت نفسه الشريفة مستعدة لقبول هذا الوحي النسائي · مات ابوه ثم أمه وعمره بضع سنوات فتولت حضانته فتاة حبشية اسمها (بركة) وتكنى (ام ايمن) · وقد عكفت هذه الفتاة على تربيته وخدمته حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره · فكان قرير العين بما كان يراه في حاضنته هذه من العطف والعناية ·

وشعر باول وظيفة من وظائف المرأة في هذا الوجود : المرأة من حيث هي امرأة ، حتى ولو كانت حبشية ومملوكة ، ولم تنتم الى عرق في العرب · اوشرف في النسب ·

ثم شاءت العناية الالآهية ان تنقل محمداً (ص) الى العيش · بقرب أشرف امرأة في قريش · فتزوج (السيدة خديجة بنت خويلد) ·

شيء جديد في حياة محمد : انتقل الى طور آخر من معرفة المرأة واختبار وظائفها · ولم يعد ذلك الشاب التي تخدمه حاضنة متواضعة فيكرمها · بل الشاب الذي تحبه امرأة شريفة ويحبها · هو شاب في الخامسة والعشرين ، وهي كهلة في الاربعين · كأن العناية الالآهية رأت انه ما زال في شبابه محتاجاً الى عطف امرأة ذات سن وتجربة وثروة فيسرت له الاقتران بخديجة ·

مات زوجها الاول فخطبها أشراف قريش فامتنعت وفضلت الاستقلال بنفسها · والعكوف على اعمال تجارتها · وكانت تبحث عن ثقة من الرجال تكل اليه اشغالها · فما لبثت ان اهتدت الى محمد · فلم تره أميناً على مالها فقط ، بل وعلى قلبها ايضاً ، فأودعته ذلك جميعه ·

كل من رأى محمد (ص) وسمع كلامه شعر بانه سيكون له شأن في نهضة العرب · وانقاذهم من جاهليتهم · ولم يكن هذا ليخفى على خديجة · فكانت تعتقد ان خطيبها سيكون من عظماء الرجال ومربي الامم والأجيال ، فزادت ولوعاً به وحرصاً على محبته ·

قال انس : كان النبي (ص) عند عمه ابي طالب . فاستأذنه في ان يتوجه الى خطبته خديجة فأذن له ، وبعث في اثره جارية له تسمى نبعة وقال لها : انظري ما تقول خديجة لابن اخي محمد .

قالت نبعة : فرأيت عجباً : ما هو الا ان سمعت به خديجة فخرجت الى الباب فأخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها . ثم قالت له : بابي وأمي لا أفعل هذا الشيء (الذي نهيتني عنه) ولكنني ارجو ان تكون انت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الاله الذي يبعثك ان يبعثك لي .

قالت نبعة : فأجابت محمد : والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندي ما لا انساه ابداً . وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابداً .

لم يكن محمد ذا حظ من مال ونشب . ولم تكن اسباب رغد العيش متوفرة لديه في ماضي حياته وقد توفرت لديه الآن مذ تزوج بخديجة .

فما هو صانع ؟

أيتخذ من مال زوجته ونعمتها وسيلة الى اللهو والدعة والنعيم ؟

كلا . وانما اتخذ محمد الشاب من مال زوجته وسيلة الى فراغ قلبه من هم العائلة . كما اتخذ من حبها وطاعتها له وسيلة الى التفرغ لعبادة خالقه ، والى القيام بالعمل العظيم الذي يشغل باله .

ها هو محمد قد اعتزل الناس ، والتجأ الى غار في جبل حراء . يناجي ربه ، ويسأله ان يهدي شعبه .

وها هي خديجة امرأته تشجعه وتبث الثقة والصبر والثبات في نفسه .

ها هي تعيّ له الزاد ليتقوت به في اثناء عزلته الطويلة .

ها هي بجدلية محمد في سفح الجبل مشرئبة الى الغار الذي اعتزل فيه زوجها ، وقلبها مفعم بالرجاء والايمان والثقة بالمستقبل . وهكذا ترى النبوة ولدت على يد المرأة « خديجة » بينما لم يشهد ولادتها احد من الرجال لا ابوبكر ولا عمر ، ولم يسمع بذكرها علي ولا معاوية . ثم ماتت خديجة ، فشاء ابو بكر اكبر صحابة محمد (صلى الله عليه وسلم) ان يتشرف بمصاهرته فزوجه ابنته « عائشة » .

لم تكن عائشة زوجة فقط بل وتلميذة ايضاً ٠

وهذا هو الطور الثالث من أطوار محمد مع المرأة : بركة الحبشية تسهر عليه في طفولته ٠ وخديجة الكبرى تحوطه وتشجعه في شبيبته ٠ وعائشة الصديقة تسره وتكون تلميذة له في كهولته ٠

اختبر محمد (ص) المرأة في جميع ادوار حياته وامتزجت عاطفته بعاطفتها ٠ طفلاً وشاباً وكهلاً ٠ وكان لها من التأثير في حياته ما جعله يرفع منزلتها ويعلن حريتها ويسوي بينها وبين الرجال ٠

ومن أعجب المصادفات ان ينعقد مجمع « ماكون » في زمن محمد اي في سنة ٥٨٦ للميلاد ويبحث في هل المرأة انسان ؟ ثم قرر انها انسان لكنها انما خلقت لخدمة الرجل ٠

ولم يكد يصدر قراره هذا في فرنسا حتى نقضه محمد في الحجاز ورفع صوته قائلا : « انما النساء شقائق الرجال » ، بل قال للرجال : ألستم حراً يصنين على دخول الجنة ؟ هذه الجنة التي تحرصون عليها هي « تحت أقدام الامهات » ٠ وكل امرأة أم ، ان لم يكن بالفعل فبالقوة ٠ ولم يقل احد في تكريم المرأة مثل هذا القول الذي قاله محمد ٠ واذا كان قوم يحسبون المرأة شيطاناً فان محمد كان يراها تعويذة من الشيطان ٠

سأل فتى من صحابته وهو « معاذ بن جبل » :

— ألك زوجة يا معاذ ؟

— كلا !

— انت إذن من إخوان الشياطين ٠ (يعني وكان الواجب عليك ان تتعوذ من الشياطين بامرأة تتزوجها) ٠

وقد أراد محمد (ص) بتكريم المرأة ، ورفع شأنها في عيون الرجال على هذه الصورة إفهامهم ان نهضته الجديدة انما تقوم على سواعد الجنسين معاً ، الرجال والنساء ، شأن النهضات العالمية الكبرى ٠ ولما رأى النساء العربيات هذه النهضة التي نهضها بهن محمد اغتبطن بها ، ونشطن الى الازدياد منها ، حتى انهن لما رأين انفسهن مغبونات في بعض حقوقهن عقدن اجتماعاً منهن ، وقررن فيه ان يرفعوا الى النبي (ص) مطالبهن ٠ فرفعنها بواسطة مندوب منهن واسم مندوبهن « اسماء بنت يزيد » الانصارية ٠

جاءت اسماء النبي (ص) وقالت له : « اني رسول من ورائي من جماعة النساء وكلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي » ·

ثم عرضت على النبي مطالب النساء اللواتي ارسلنها فأجابها النبي عليها بما ارضاها وأعلن سروره بحديثها وجرأتها والتفت الى من حوله من الصحابة وقال :

« هل سمعتم مقالة امرأة احسن سؤالاً عن دينها من هذه المرأة ؟ » ·

وكفى بقوله هذا تنشيطاً للمرأة وتنويهاً بقدرها ·

* * *

وكان النبي (ص) يحب ان لا يُستبد على المرأة في امر زواجها ، فهو يعطيها الحق في ان تتزوج من تختاره ، ويطيب لها العيش معه بشرط ان لا يحط هذا الزواج من كرامة عشيرتها · هذه الفتاة (بريرة) كانت مملوكة للسيدة «عائشة» فأعتقتها · وكانت (اي بريرة) متزوجة برجل اسمه (مغيث) فلما ملكت حريتها ملكت حق الاختيار في ان تبقى زوجة لمغيث او لا · ويظهر ان (بريرة) ما كانت في راحة من العيش مع (مغيث) فأعلنت انها لم تعد تريده زوجاً لها · فصعب الامر على مغيث وكان يحبها حباً جماً فاسترضاها فلم ترض · ها هي (بريرة) تمشي في سكك المدينة ، ومغيث المسكين يمشي وراءها ودموعه تنحدر على وجنتيه ، والناس ينظرون اليه · وقد أخذتهم الشفقة عليه ، وبريرة لاترق ولاترحم : ارحميه يا بريرة ، ارثي لحاله ، اعطفي عليه ·

— كلا لا أريده ·

اخبروا النبي (ص) بخبر بريرة ومغيث فدعاها اليه وكلمها بشأنه · فقالت له :

— أتأمرني امراً يا رسول الله ؟

— لا وانما انا اشفع ·

— لا حاجة لي فيه ·

فلم يعارضها النبي ولم يلمها في استعمال حريتها مع انها عتيقة زوجته ، وانما التفت الى عمه العباس وقال له : « ياعباس ألاتعجب من حب مغيث لبريرة ومن بغض بريرة لمغيث » ؟

وكما كان النبي (ص) يعترف للمرأة بحقها في الاستقلال بمصالحها الخاصة كان يرى لها الحق ايضاً في ان تشارك الرجال في خدمة المصالح العامة · واهم تلك المصالح في

ذلك العهد مسألة تأييد الدعوة الاسلامية ومقاومة الذين يعارضونها . فكان للمرأة المساعي الحسنة في هذا السبيل . وقد توفرت طائفة من نساء الصحابة على مرافقة الجيش وخدمة المحاربين :

قالت ام عطية : كنت أصنع للمحاربين طعامهم واحفظ لهم خيامهم وأداوي جرحاهم وأقوم على مرضاهم .

وقالت ام سنان : لما اراد النبي الذهاب الى خيبر جئته فقلت له :

— أأخرج معك في سفرك هذا اخرز السقاء وأداوي المريض والجريح وأحافظ على الرحال

— اخرجي على بركة الله فان لك صواحب سألنني الخروج معي فأذنت لهن . فكوني مع زوجتي أم سلمة .

اما أم كبشة فلما استأذنته في الخروج معه قال لها لا : فقالت له :

— اني أداوي الجريح واقوم على المريض .

— اجلسي لا يتحدث الناس ان محمداً يغزو بامرأة .

فانظروا ايها السادة كيف ان النبي (ص) علل عدم اخذها معه بالخوف أن يشيع بين القبائل ان محمداً لا رجال عنده ولا ابطال . فهو يحارب بربات الحجال . ولم يقل لها اجلسي فليس الخروج مع الجنود من شأنك .

وقال انس : إنني في وقعة أحُد رأيت زوجة النبي عائشة ومعها أمي (ام سليم) مشمرتين اري خلاخيلها وهما تقفزان قفزاً وعلى ظهورهما قرب الماء تفرغانها في أفواه العطاش ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيآن فتفرغانها في افواههم .

وهنا امرأة أخرى هي « رفيدة » الاسلمية ما كانت ترافق الجيش وانما نصبت خيمة في مسجد النبي (ص) وجعلت تداوي فيها الجرحى وتعالج المرضى .

ولما جرح سيد الانصار (سعد بن معاذ) في وقعة الخندق قال لهم النبي (ص) اجعلوه في خيمة رفيدة . هذه وظيفة (رفيدة) في زمن الحرب اما في زمن السلم فكانت تأتي بالعجزة والبائسين الى خيمتها فتخدمهم وتخفف آلامهم . فنعمت الخيمة خيمة « رفيدة » كانت مستشفى عسكرياً وقت الحرب . وملجأ للعجزة ايام السلم .

وجاء رجل من المشركين المحاربين الى السيدة (ام هانئ) واستجار بها فأجارته .

فعارضها بعض الصحابة وأراد ان لا يعتبر جوارها فاغتاظت منه وشكته الى النبي فقال لها « قد اجرنا من اجرت يا ام هاني » . وهذا من ام هاني مداخلة في امور سياسية عسكرية . وقد رأى النبي (ص) ان لها الحق فيما فعلت . ولم يقل لها : انه ليس من شأنك فعليك بالطبخ والزينة وتربية الاولاد فقط .

***

ولكن مع هذا ايتها السيدات كان محمد يرى ان الزينة وادارة المنزل هما اكبر وظائف المرأة . فكما كان يباهي بالمرأة القرشية التي تحفظ مال زوجها وتعكف على تربية اولادها — كان في الوقت نفسه يحبه ان لا تنسى المرأة انوثتها ، ولا تهجر زينتها ، ولا تعطل بحال من الاحوال امومتها ، حتى انه كان يكره ان لا يرى اثر الخضاب في كفي المرأة (وكان الخضاب اجمل زينة للنساء في العصور الماضية) .

قالت ام سنان بايعت النبي على الاسلام فنظر الى يدي وليس فيها اثر للخضاب فقال: « ما على احداكن ان تغير اظفارها وتعصب يدها ولو بسير » فهو يحضها على الخضاب وان يكون في معصمها سوار . ولو سيراً من جلد .

عرف محمد (ص) نفسية المرأة وغرائزها الخاصة بجنسها . فكان يعاملها بمقتضى ما عرفه منها فيكثر من تأنيسها والرفق بها ، والإلانة القول لها . وان كثيراً مما كان يعامل به نساءه نراه اليوم غير لائق ولا مناسب . من ذلك انه كان يخرجهن معه في اسفاره . وكانت احداهن اذا ارادت الركوب بسط لها ركبته لتدوس عليها الى هودجها . واذا كان معها في الفلاة سابقها اشواطاً لاجل الرياضة وادخال المسرة عليها . وادخل الحبشة يوم عيد الى المسجد لترى لعبهم بالحراب كما يلعبون اليوم بالسيف والترس .

وكان للنبي (ص) جار من بلاد فارس فدعا هذا الفارسي النبي الى طعام ولم يدع معه زوجته السيدة عائشة . فلم يقبل النبي الدعوة ما لم تكن معه عائشة . فدعاها .

وكأن النبي يرى ان ترك دعوتها إهانة لها ولذا رفض الدعوة مالم تدع هي ايضاً .

ونعى الرجل عن ضرب زوجته ونبهه الى ان ضربها لا يلائم طبيعة ما بينهما من العلاقة الزوجية : يضربها العصر ثم لا يلبث في العشي ان يتملقها ويلح في استرضائها فما اغناه عن الحالتين .

وما زالت الشرائع الانكليزية الى عهد قريب تجيز للزوج ان يضرب زوجته لكن بعصا لا تزيد ثخانتها على الاصبع ·

وكان النبي (ص) يكرم حاضنته (بركة الحبشية) و يقول للصحابة هذه أمي بعد أمي · وكان يمازحها احياناً ·

طلبت منه جملاً تركبه فوعدها بان يهدي اليهـا ابن الناقة · فصاحت : وما ذا اصنع بابن الناقة هل يطيق ان يحملني ؟ أريد جملاً ·

فضحك الصحابة وقالوا لها ويحك يا بركة وهل الجمل الا ابن الناقة ·

ورأى النبي (ص) في صبيحة يوم من الايام نساء مقبلات من عرس ومعهن صبيانهن فوقف لهن يهتف قائلاً « اللهم انتم من احب الناس الي · اللهم انتم من احب الناس الي » ·

نعم ايهـا السادة هو يحب النساء ! · لانهن يربين الرجال كما ربته بركة في يتمه و يساعدن الرجال في النهضات الكبرى كما ساعدته خديجة في نهضته · و ينشرن الثقافة والعلم عن الرجال كما فعلت عائشة مذ حملت عنه ثقافته وبلغت أمته سنن شريعته ·

تبشير محمد (ص) بالمرأة وتحريره لها من عبوديتها القديمة لم يخف امره على العلماء من كتبة اوربا حتى غير المنصفين منهم ·

فقد قال المستشرق «اندره سرفيه» في كتابه الذي سماه (الاسلام ونفسية المسلمين) مانصه:

يتحرى محمد (ص) الاسباب التي تجعل المرأة من حزبه ولا يتكلم عنهـا الا بكل لطف و يجتهد في ان يحسّن احوالها · وكان النساء والاولاد قبـله لا يرثون · بل الاسوأ من ذلك ان الاقرب نسباً للميت هو الذي كان يرث نساء الميت في جملة مايرث من مال ورقيق · وعندما نهض محمد (ص) اعطى المرأة حق الارث واوجب كل ما كان حسناً في حقها » ·

ثم قال : « ومن اراد التحقق من عناية محمد (ص) بالمرأة فليقرأ خطبته في مكة التي اوصى فيهـا بالنساء · فمحمد لا يجهل ان المرأة اذا كانت اسيرة في النهار فهي سيدة في الليل · وان نفوذها ابداً عظيم ؟ » ·

هذا ما قاله « اندره سرفيه » وهو ، بالرغم من طعنه في محمد لم يتمالك عن التصريح بانه حرر المرأة · بل ان العالم الالماني در يسمان صرح بان اعطاء محمد المرأة

حريتها هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدنيتهم . ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية انحطوا واضمحلت مدنيتهم .

وقول (اندره سرفيه) « ان محمداً لا يجهل ان المرأة اسيرة في النهار » فيه لمز وتشنيع بالاسلام يحق لنا ان نعاتبه عليه :

لا نعلم ما هذه الامور التي جعلت « اندره سرفيه » واضرابه يلهجون بان المرأة المسلمة اسيرة او في حكم الاسير » .

أيريدون بتلك الامور ياترى الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات وتنصيف الارث وتنصيف الشهادة ؟ .

لا يمكننا ان نتكلم على هذه الامور الخمسة او الكليات الخمس بالتطويل وذلك لضيق الوقت من جهة ولان هذه « الكليات » طال فيها الجدل بين المسلمين وغيرهم بحيث اصبح الحديث مملاً . ومع هذا فسأقول فيها كلمات تلفونية .

***

اول هذه الامور (الحجاب) وكلمتي فيه ان البشر من يوم اخذوا هذا التطور الاجتماعي وجد فيهم طبقات ارستوقراطية يرون من مصلحتهم او تميزهم ان يحتجبوا او يقللوا مخالطة غيرهم من الطبقات . وهذا كما يفعل الملوك والملكات بل عظماء الناس ونساؤهم الى يومنا هذا .

ونبوة (محمد صلى الله عليه وسلم) ليست من الارستوقراطية في شيء . فلم يضرب بينه وبين عامة الناس حجاباً . فكانوا يدخلون بيته لتلقي العلم كما يدخل التلاميذ مدرسة اساتذتهم .

لكن بعض هؤلاء التلاميذ كانوا ثقلاء في حديثهم ثقلاء في طول زياراتهم .

فأشار عمر على النبي (ص) بمنع الناس من دخول بيته ، فلم يوافقه النبي احتفاظاً بما نسميه اليوم (ديمقراطية) . وتجنباً للمظاهر الملوكية .

ثم اشتدت ثقالة الثقلاء فنزل الوحي بحجاب نساء النبي (ص) وعدم دخول الناس بيته اللهم الا في احوال خاصة - هذا هو المظهر الوحيد من مظاهر الارستوقراطية الذي اضطر اليه النبي محمد (ص) بسائق الحاجة الماسة .

ثم اخذ المسلمون يقلدون نبيهم عملاً بقاعدة (الناس على دين ملوكهم) فحجبوا نساءهم حتى اصبحت كل امرأة مسلمة ملكة محجبة · وكل بيت لمسلم بلاطاً ملوكياً ·

ولكن ما أسوأ مصير الامة التي ليس فيها رعايا عاملات · وانما كل نسائها ملكات محجبات !

فالحجاب الاسلامي يا سيداتي وسادتي انما هو اثر من آثار ارستوقراطية المرأة وملكيتها في الاسلام · وليس هو اثر من آثار احتقارها او عبوديتها كما يظنه بعض الاقوام ·

* * *

انتهت كلمتي في الحجاب وأنتقل الى الكلمة الثانية في «توريث البنت نصف ارث اخيها»

هذا الحكم الشرعي الاسلامي يجيب عليه الشارع الانكليزي الذي لم يورث البنت بل حصر ثروة الاب في اكبر الابناء · وذلك لان البكر عميد الاسرة ، وحامل لقبها · والمحافظ على تراث مجدها ·

وكذلك شأن الابناء الذكور بالنسبة الى الاسرة في نظر الشارع الاسلامي : فان الابناء لما كانوا هم الذين يخلفون اباهم في أسرته كانوا في حاجة الى المال اكثر من اخواتهم البنات اللواتي يندمجن في أسرة أخرى غير مكلفات فيها النفقة ·

فالمسألة إذن ليست مسألة تفضيل رجل على امرأة وانما هي مسألة اجتماعية اقتصادية ·

على انه قد ظهر اخيراً لمديري المعامل الصناعية ان متوسط قوة المرأة اقل من نصف متوسط قوة الرجل ومن اجل ذلك ضاعفوا أجرته ·

* * *

والامر الثالث من الامور الخمسة « شهادة المرأة نصف شهادة الرجل » وكلمتي في الجواب عليه ان سر الشرع فيه ليس لكون محمد (ص) يعتقد في المرأة الحقارة او انها تكذب في شهادتها وانما هو يرى ان المرأة بعيدة عن معترك الاعمال التي يقوم بها الرجال والتي تكثر فيها الدسائس والمخادعات معما هي عليه من ضعف ثقتها بنفسها وقلة ضبطها وسرعة انخداعها · حتى انهم قد يخدعونها بقولهم لها يا حسناء · فما بالكم بغيرها من كلمات التمليق والثناء ؟ !

هذه هي نفسية المرأة التي تحققها محمد (ص) فرأى ان تتعزز عند تحمل الشهادة بواحدة من بنات جنسها فتذكر كل منهما صاحبتها وتتعاونان على التثبت من الامر

الذي تشهدان فيه . فتنصيف الشهادة إذن هو اثر من آثار اعتقاد السذاجة الملائكية في المرأة لا اعتقاد الحقارة او خراب الذمة فيها .

على ان محمد (صلى الله عليه وسلم) ميز المرأة على الرجل في بعض مواطن الشهادة : الرجل لا تقبل شهادته وحده اما هي فتقبل شهادتها وحدها في الامور الخاصة بالنساء كالنفاس وما شاكل ذلك . وكفى بهذا دلالة على ثقة الشارع بالمرأة واعتقاد سلامة وجدانها .

***

ومن الامور التي يشنع بها العالم المتمدن على محمد (صلى الله عليه وسلم) شريعة الطلاق ، لكن هذه الشناعة عادوا فشاركونا فيها بقياس اوسع .

محمد يعلم اننا مهما تحرينا ان يكون الزوجان متلائمين في اخلاقهما وطباعهما لا بد ان يقع (سوء استعمال) في هذا التحري ، حتى يؤدي تباين الطباع بين الزوجين احياناً كثيرة الى فساد الحب الزوجي وتنغيص الهناء العائلي . فيضطر اذ ذاك الى التفرقة و كثيراً ما كانت هذه التفرقة في مصلحة الزوجة فتتخلص من زوجها الشرير .

ومع هذا فان محمداً يكره الطلاق . ويأمر بالصبر . ففي القرآن : (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

فالوحي المحمدي كابر الرجل في حسه مراعاة للمرأة حتى قال للرجل : انك وان شعرت بكره لامرأتك مايدريك ان يكون في هذا الكره الخير فاصبر عليها إذن .

الى هذا الحد حض محمد (ص) على تجنب الطلاق . لكن اتباعه خالفوا ناموس شريعته فنزل بهم البلاء .

وهذا لا ترجع تبعته عليه . الا ترون ان النواميس الطبيعية نفسها كنواميس الصحة والمرض مثلاً يخالفها الناس فيحل بهم الشقاء . وليس الذنب في ذلك على الاطباء . ولا على العناية الآلهية التي خلقت تلك النواميس . وانما الذنب على الذين خالفوها . قال شيشرون : (من كان غير سعيد فالذنب ذنبه) .

افرط المسلمون في الطلاق فطلقوا من دون قيد ولا شرط وفرط النصارى فلم يطلقوا حتى عند وجود الضرورة . ثم في آخر الامر احس الفريقان بالشقاء . فعاد المسلمون في تركيا الى تضييق دائرة الطلاق . وعاد النصارى في اميركا والمانيا وانكلترا

الى توسيع تلك الدائرة وستكون النتيجة الاعتدال والتوسط ومراعاة الحكمة ٠
وهو ما اراده محمد في تشريع الطلاق ٠

***

وآخر الامور الخمسة التي يعيبون بها المسلمين « تعدد الزوجات » وكاتبي في هذا الموضوع تحتاج الى شيء من الجرأة في التصريح ٠ ولكنني مع هذا سأعمل جهدي في العدول عنه الى الإشارة والتلميح ٠

واقول اولاً ان محمداً (ص) لم يخاطب بشرعه طبقة واحدة من مجموعة البشر كما خاطبها غيره من المشترعين وانما هو كان يخاطب الطبقات كلها والام كلها ٠ وفيهم أمة متوحشة ٠ وأمة نصف متمدنة ٠ وأمة متمدنة ٠

فمحمد (ص) في تعدد الزوجات يقول لكل أمة : خذي من شريعتي المرنة ما يناسب محيطك وحالة اجتماعك ، فاذا قالت طبقة من البشر انا لا أعدد قال لها محمد : تحسنين صنعاً ، لان التعدد في شريعتي مباح لا واجب ٠ لكن هناك طائفة أخرى في إفريقية اوالصين مثلاً تضطرها حالةاجتماعها اوامزجة طباعها الى التعدد ٠

فمحمد اذا دعا هؤلاء الى دينه لا يقسر طباعهم على ما يريد ٠ ولا يكلفهم ترك التعدد ٠ خشية ان يدخل عليهم العنت والمشقة ماداموا في هذا الطور من اطوارهم الاجتماعية ٠ ومن ثم اباح لهم التعدد ولا سيما اذا كان احدالزوجين عقيماً ٠ او كثر عددالنساء بسبب اجتياح الحروب للرجال كما هو واقع اليوم في اوربا او لغير ذلك من الاسباب ٠

بل نعود فنقول : مالنا وللام التي يبيح لها محمد (ص) التعدد بسائق من امزجتها او حالة اجتماعها ٠

هذه الام المتمدنة نفسها ، تعدد بالفعل ٠ وتنكر بالقول ٠ وتسب الذين يعددون ! !

عرف محمد امزجة البشر ٠ ودرس طبيعة رجولتهم درساً عميقاً ، فهو يكافح هذه الطبيعة وجهاً لوجه ويقول لاصحابها :

« ألستم بالفعل لا تصبرون على طعام واحد ؟ ألستم مدفوعين بسائق من طبيعتكم او أمزجتكم او اسباب أخرى الى ان تعرفوا امرأة ثانية غير امرأتكم الشرعية ؟ امحوا هذه الطبيعة من نفوسكم حتى امحوا انا التعدد من شريعتي ٠ وماذا ينفع الانكار

او تجدي المكابرة في هذه المسألة ؟ ان كنا لا نرى أليس لنا آذان تسمع ؟ هؤلاء الرجال الذين يريدون ان يعرفوا نساء غير زوجاتهم الشرعيات لا يقول لهم محمد اعرفوهن بالحرام . واحشروا سلالتكم الى ملاجيء اللقطا والايتام . بل يقول لهم : اذا كنتم ولا بد فاعلين . فاعرفوا المرأة الثانية عن طريق تسامح الدين . اعرفوها عن يد الشيخ والقسيس . ولا تعرفوها عن يد الشيطان او ابليس .

فإباحة الزوجة الثانية في شرع محمد (ص) إذن انما هو سد لحاجة الطبيعة البشرية المتمردة ، التي لا تقاوم في بعض الاشخاص . على ان كل خطر على العائلة نتوقعه من وراء التعدد ينبغي ان نتوقع مثله من وراء اتخاذ الخلائل .

فالعائلة إذن معرضة للخطر في الاوساط غير الاسلامية . كما هي معرضة للخطر في الاوساط الاسلامية .

وقد بلغنا لهذا العهد ان المشترعين في اوربا اخذوا يفكرون في وضع قانون للتعدد العنري يضيق دائرة شره . و ينقذ العائلات من الشقاء الذي يلحقها بسببه .

***

هذا هو ايتها السيدات والسادة ما أردت ان اقوله في موضوع «محمد (ص) والمرأة » .

وقد تحققتم منه ان محمداً (ص) انما جاء للتبشير بالمرأة ومنحها حريتها . وان الطلاق وبقية الامور الخمسة لا تشوه تلك الحرية بحال .

ولكن اذا كان محمد (ص) يريد للمرأة ان تكون حرة بالمعنى الحقوقي . فهو في مقابل ذلك يريد منها ان تكون حرة بالمعنى الاخلاقي .

فالحرة غير الحرة . تجعل الحياة مرة .

اما الحرة الحرة ، فهي التي تكون للعين قرة ، وفي جيد المحافل درة ، وفي جبين وطنها غرة .

المغربي

ابو حيان التوحيدي
– ٢ –

نموذج من كتاب المحاضرات

اقتبس ياقوت في ترجمة ابي سعيد السيرافي « شيخ الدهر وقريع العصر العديم المثل المفقود الشكل » شيخ ابي حيان — المناظرة البديعة التي جرت بين ابي بشر متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي نأخذ بعض فقراتها . قال ابوحيان : ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، بين ابي سعيد السيرافي وابي بشر متى واختصرتها فقال لي : اكتب هذه المناظرة على التمام ، فان شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه ، وبين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ، ينبغي ان يغتنم سماعه ، وتوعى فوائده ، ولا يتهاون بشيء منه . وكان في جملة من حضر ذلك المجلس الذي انعقد سنة عشرين وثلاثمائة : الخالدي وابن الإخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كعب وابو عمر وقدامة بن جعفر والزهري وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان . قال التوحيدي فقال لي الوزير : اين ابو سعيد من ابي علي ، واين علي بن عيسى منهما ، واين ابن المراغي ايضاً من الجماعة . وكذلك المرزباني وابن شاذان وابن الوراق وابن جيويه فكان مني الجواب : ابو سعيد اجمع لشمل العلم ، وانظم لمذاهب العرب ، وادخل في كل باب ، واخرج عن كل طريق ، والزم للجادة الوسطى في الدين والخلق ، واروى للحديث ، واقضى في الاحكام ، وافقه في الفتوى . واحضر بركة على المختلفين واظهر اثراً في المقتبسة .

ومما جاء في هذه المناظرة في اللغات والمترجمة : ان لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في اسمائها وافعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره ... فمن اين يجب ان نثق بشيء

ترجم لك على هذا الوصف بل انت الى ان تعرف اللغة العربية احوج منك الى تعرف المعاني اليونانية على ان المعاني لا تكون يونانيــة ولا هندية كما ان اللغات لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركيــة ... ومن فقرها قال ابو سعيد : فانت (اي متى) اذاً لست تدعونا الى علم المنطق بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لاتعرف لغة يونان ، فكيف صرت تدعونا الى لغة لا تفي بها وقد عفت منذ زمان طويل ، و باد اهلهـا ، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها ، و يتفاهمون اغراضهم بتصرفها ، على انك تنقل من السريانية ، فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان الى لغة أخرى سريانية ، ثم من هذه الى لغة أخرى عربية . قال متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قدحفظت الاغراض ، وادت المعاني ، واخلصت الحقائق . قال ابو سعيد : اذا سلمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت ، وقوّمت وماحرفت ، ووزنت وماجزفت ، وانها ما التاثت ، ولا حافت ولا نقصت ولا زادت ، ولا قدمت ولا اخرت ، ولا اخلت بمعنى الخاص والعـام ، ولا باخص الخاص ولا باعم العام . وان كانـ هذا لا يكون ، وليس في طبائع اللغات ، ولا في مقادير المعاني . فكأنك تقول بعد هذا لا حجة الا عقول يونان ، ولا برهان الا ما وضعوه . ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب عناية بالحكمة ، والبحث عن ظاهر هذا العالم و باطنه وعن كل مايتصل به ، و ينفصل عنه ، وبفضل عنايتهم ظهر ماظهر ، وانتشر ما انتشر ونشأ ما نشأ من انواع العلم واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم . قال ابو سعيد : اخطأت وتعصبت وملت مع الهوى فان العلم مبثوث في العالم . ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الارض ولهذا غلب علم في مكان دون مكان وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة . ومع هذا فانما كانـ يصح قولك وتسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الامم بالعصمة الغالبة والفطرة الظاهرة والبنية المخالفة وانهم لو ارادوا انـ يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وانـ السكينة نزلت عليهم

والحق تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت باصولهم وفروعهم . والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن يظنه بهم وعناد ممن يدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الامم يصيبون في اشياء ويخطئون في اشياء ويصدقون في امور ويكذبون في امور ويحسنون في احوال ويسيئون في احوال ....

قال ابوحيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ صالح باملائه وكان ابو سعيد روى لمعا من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على نفسي كل ماقلت ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الواح كانت معهم ومحابر ايضاً وقد اختل كثير منه . قال علي بن عيسى : وتقوض المجلس واهله يتعجبون من جاش ابي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة . وقال له الوزير ابن الفرات : عين الله عليك ايها الشيخ فقد نديت اكباداً واقررت عيوناً وبيضت وجوهاً وحكت طرازاً لاتبليه الايام ولا يتطرقه الحدثان قال قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن ابي سعيد يومئذ قال مولده سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيب بلهازمه (١) .

نموذج من كتاب الامتاع

نقل القفطي ان السبب في تأليف التوحيدي كتاب الإمتاع والمؤانسة انابا سليمان المنطقي أستاذ التوحيدي في الفلسفة — وكانت داره في دار السلام مقيل اصحاب العلوم القديمة — كان لانقطاعه عن الناس ، ولزومه مجلسه ، يشتهي الاطلاع على اخبار الدولة ، وعلم ما يحدث فيها ، بمكان من يغشاه من الاجلاء ، ينقل اليه بعض اخبارها ، وكان ابو حيان من بعض المتصلين به ، وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الاخبار ومهما علمه من ذلك نقله اليه ، وحاضره به ، ولاجله صنف كتاب الإمتاع والمؤانسة ، نقل له فيه ما كان يدور في مجلس ابي الفضل عبدالله بن العارض الشيرازي عندما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة . قال : وهو كتاب ممتع على التحقيق ، لمن له مشاركة في فنون العلم ، فانه خاض كل بحر ، وغاص كل لجة . قال القفطي : وما احسن

(١) لهازم ج لهزمة وهما عظمان ناتئان في اللحيين تحت الاذنين .

ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض اهل جزيرة صقلية وهو : ابتدأ ابو حيان كتابه صوفياً ، وتوسطه محدثاً ، وختمه سائلاً ملحفاً اه . وفي الكلام الاخير صورة صغيرة مما كان يعاب على اخلاق ابي حيان وقد لا يجد المدافع معذرة يعتذر بها عنه .

واليكم نموذجاً آخر من كتاب الإمتاع قال ابو حيان وقد ذكر طائفة من مشكلي زمانه ثم قال : واما مسكويه ففقير بين اغنياء وغني بين ابيناء ، لانه شاذ وانما اعطيته في هذه الايام صفو الشرح لايساغوجي وقاطيغورياس من تصنيف صديقنا بالري . وقال الوزير ومن هو ؟ قلت : ابو القاسم الكاتب غلام ابي الحسن العامري ، وصحبه معي وهو الآن لائذ بابن الخمار ، وربما شاهد اباسليمان المنطقي ، وليس له فراغ ، لكنه يخبت في هذا الوقت لحسرة التي لحقته بما فاته من قبل فقال : ياعجباً لرجل صحب ابن العميد وابا الفضل ورأى ماعنده وهذا حظه قلت : قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع ابي الطيب الكيميائي الرازي ، مملوك الهمة في طلبه ، والحرص على اصابته ، مفتوناً بكتب ابي زكريا وجابر بن حيان ، ومع هذا كان اليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية ، والعمر قصير والساعات طائرة ، والحركات دائمة ، والفرص بروق تأتلق ، والاوطار في عرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس عن قرابتها تذوب وتحترق ، ولقد قطن العامري الري خمس سنين ، ودرس واملى ، وصنف وروى ، فما اخذ عنه مسكويه كلمة واحدة ، ولاوعى مسألة ، حتى كأنه كان بينه وبينه سد . ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعلقم ، ومضغ لقمة حنظل الندامة في نفسه ، وسمع باذنه قوارع الندامة من اصدقائه ، حين ماينفع ذلك كله ، وبعد هذا فهو زكي حسن ... نقي اللفظ وان بقي عساه يتوسط هذا الحديث ، وما ارى ذلك مع كلف بالكيمياء وانفاق زمانه ، وكد بدنه وقلبه في خدمة السلطان ، واحتراقه في البخل بالدانق والقيراط والكسرة والخرقة ، نعوذ بالله من مدح الجود باللسان ، وايثار الشح بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ، ومفارقته بالعمل .

قلنا وهذا الحكم على ابن مسكويه وهو من الفلاسفة ايضاً فيه من القسوة ما فيه ، بل هذا الحكم على معاصريه ، وان كان اكثره صحيحاً يوغر ولاشك الصدور و يوفر الاحقاد

والطوائل ، والنفوس البشرية قد تتأذى بكشف حقائقها . اما هو فنزعه واحد وهو ما قاله في آخر كتاب اخلاق الوزيرين « ولكن النقص ممن يدعي التمام اشنع ، والحرمان من السعيد المأمول فاقرة ، والجهل من العالم منكر ، والكبيرة ممن يدعي العصمة جائحة ، والبخل ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب » . ومن الانصاف ان تقول ان التوحيدي اجاد كل الاجادة في التعريف بالرجال ووقفنا على نفسياتهم ونزائعهم ، وليس هذا بالامر السهل ، وما كل من كتبوا في العرب نظروا الى هذه المظاهر من الناس .

مثال آخر من كتاب الإمتاع

جماعة اخوان الصفا

سأل الوزير صمصام الدولة بن عضد الدولة اباحيان التوحيدي في حدود سنة ٣٧٢ عن اخوان الصفا بقوله : اني لاازال اسمع من زيد بن رفاعة قولاً يريبني ، ومذهباً لاعهدلي به ، وكناية عما لاأحققه ، واشارة الى مالايتوضح شيء منه ، يذكر الحروف ويذكر النقط ويزعم ان الباء لم تنقط من تحت واحدة الالسبب والتاء لم تنقط من فوق اثنتين الا لعلة والالف لم تُعجم الا لغرض واشباه هذا . واشهد منه في عُرض ذلك دعوى يتعاظم بها وينتفخ بذكرها فما حديثه وما شأنه وما دخلته فقد بلغني ياباحيان انك تغشاه وتجلس اليه وتكثر عنده ولك معه نوادر معجبة . ومن طالت عشرته لانسان صدقت خبرته وامكن اطلاعه على مستكن رأيه وخافي مذهبه . فقلت ايها الوزير : انت الذي تعرفه قبلي قديماً وحديثاً بالاختبار والاستخدام وله منك الإمرة القديمة والنسبة المعروفة فقال : دع هذا وصفه لي فقلت : هناك ذكاء غالب وذهن وقاد ومتسع في قول النظم والنثر مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة وحفظ ايام الناس وسماع المقالات . وتبصر في الآراء والديانات وتصرف في كل فن امابالشدو الموهم واما بالتوسط المفهم واما بالتناهي المفخم . قال : فعلى هذا ما مذهبه قلت : لاينسب الى شيء ولايعرف برهط لجيشانه بكل شيء وغليانه بكل باب ولاختلاف مايبدو من بسطته ببيانه وسطوته بلسانه وقد اقام بالبصرة زمناً طويلاً وصادف بها جماعة لاصناف العلم وانواع الصناعة منهم ابو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي

وابو الحسن علي بن هرون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وغيرهم فصحبهم وخدمهم .
وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا : ان الشريعة قد دُنِّست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة علميها وعمليها وافردوا لها فهرساً وسموها « رسائل اخوان الصفاء » وكتموا فيها اسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة .

قال الوزير : فهل رأيت هذه الرسائل قلت : قد رأيت جملة منها وهي مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات . وحملت عدة منها الى شيخنا ابي سليمان المنطقي السجستاني محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها اياماً وتبحرها طويلاً ثم ردها علي وقال : تعبوا وما اغنوا ونصبوا وما اجدوا وحاموا وما وردوا وغنّوا وما اطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا ففلفلوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ظنوا انه يمكنهم ان يدسوا الفلسفة التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقى الذي هو معرفة النغم والايقاعات والنقرات والاوزان والمنطق الذي هو اعتبار الاقوال بالاضافات والكميات والكيفيات في الشريعة وان يربطوا الشريعة في الفلسفة وهذا مرام دونه حدد (ممتنع باطل) وقد تورد على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا احدّ انياباً واحضر اسباباً واعظم اقداراً وارفع اخطاراً واوسع قوىً واوثق عرىً فلم يتم لهم ما ارادوه ولا بلغوا منه ما املوه وحصلوا على لوثات قبيحة ولطخات فاضحة موحشة وعواقب مخزية فقال له البخاري ابن العباس : ولم ذلك ايها الشيخ فقال : ان الشريعة مأخوذة عن الله عزّ وجلّ بوساطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات وفي اثنائها ما لا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه ولا بد من التسليم المدعو اليه والمنبه عليه وهناك يسقط « لِمَ » ويبطل « كيف »

و يزول «هلا» و يذهب « لو وليت » في الريح الخ (عن تراجم الحكماء) . هذه حقيقة جمعية اخوان الصفا . وصفها التوحيدي اجمل وصف وابلغ في كلامه على زيد بن رفاعة وكان شيخنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري كثيراً ما قال ان زيد بن رفاعة والخليل بن احمد وابا الاسود الدؤلي كانوا من افراد الدنيا وما احلى قول التوحيدي في ابن رفاعة انه تصرف في كل فن اما بالشدو الموهم واما بالتوسط المفهم واما بالتناهي المفحم .

كتاب تقريظ الجاحظ

هذا الكتاب ينقل عنه ياقوت احياناً ونقل عنه الجرجاني في كنايات الادباء كما نقل ايضاً عن كتاب الذخائر او النظائر قال : قرأت بخط ابي حيان التوحيدي في كتابه الذي الفه في تقريظ الجاحظ وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ فقال ومنهم علي بن عيسى الرماني فانه لم ير مثله قط بلا تقية ولا تحاش ولا اشمئزاز ولا استيحاش علماً بالنحو وغزارة في الكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وايضاحاً للمشكل مع تأله وتنزه ودين ويقين وفصاحة وفقاهة وعفافة ونظافة .

ونقل ياقوت ايضاً جملة من هذا الكتاب فقال : ومنهم (اي من الذين قدمهم التوحيدي على الجاحظ وفضلهم) ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة . افتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني فما جاراه فيه احد ولا سبقه الى اتمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله .

وهذا الكتاب من عجائب التوحيدي ايضاً فانه على ما ظهر من هذين النموذجين فيما نرى في وصف السيرافي والرماني انه فضلهما على الجاحظ في هذا الاختصاص وهذا موضع نظر ايضاً

مثال آخر من هذا الكتاب عن طبقات الادباء لياقوت : قال ابو حيان في كتاب تقريظ الجاحظ ومن خطه الذي لا ارتاب فيه نقلت قال : قلت لابي محمد الاندلسي بمنى

عبدالله بن حمود الزبيدي وكان من عدد اصحاب السيرافي وله في هذا الكتاب ذكر . قد اختلف اصحابنا في مجلس ابي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وابي حنيفة صاحب النبات ووقع الرضى بحكمك فما قولك ؟ فقال : انا أحقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما فقال : لا بد من قول . قال : ابو حنيفة اكثر ندارة وابو عثمان اكثر حلاوة ومعاني ابي عثمان لائطة بالنفس سهلة في السمع ولفظ ابي حنيفة اعذب واعرب وادخل في اساليب العرب قال ابو حيان : والذي اقول واعتقده وآخذ به واستهام عليه اني لم اجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم في اخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا الى ان يأذن الله بزوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم . هذا الشيخ الذي انشأنا له هذه الرسالة وبسببه جشمنا هذه الكلفة اعني اباعثمان عمرو بن بحر والثاني ابو حنيفة الدينوري فانه من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب له في كل فن ساق وقدم ورُواء وحكم وهذا كلامه في الانواء يدل على حظ وافر من علم النجوم واسرار الفلك فاما كتابه في النبات فكلامه فيه في عروض كلام ابدى بدوي وعلى طباع افصح عربي . ولقد قيل لي ان له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ما رأيته وانه ما سبق الى ذلك النمط هذا مع ورعه وزهده وجلالة قدره . وقد وقف الموفق عليه وسأله وتحفى به . والثالث ابو زيد احمد بن سهل البلخي فانه لم يتقدم له شبيه في الاعصار الأُول ولا يظن انه يوجد له نظير في مستأنف الدهر ومن تصفح كلامه في كتاب اقسام العلوم وفي كتاب اخلاق الامم وفي كتاب نظم القرآن وفي كتاب اختيار السيرة وفي رسائله الى اخوانه وجوابه عما يسأل عنه و يبده به علم انه بحر البحور وانه عالم العلماء وما روي في الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه وان القول فيه لكثير ولو تناصرت الينا اخبارهما لكنا نحب ان نفرد لكل واحد منهما تقريظاً مقصوراً عليه وكتاباً منسوباً اليه كما فعلت بابي عثمان اه .

مثال من مثالب الوزيرين

قال ابو حيان : حدثنا ابو بكر الصيمري قال : حدثنا ابن سمكة قال : حدثنا ابن محارب قال : سمعت احمد بن الطيب يقول ان صديقاً لابن ثوابة الكاتب ابي العباس

يكنى اباعبيدة قال له ذات يوم : انك بحمدالله ومَنّه ذو أدب وفصاحة وبراعة فلو اكملت فضائلك بان تضيف اليها معرفة البرهان القياسي وعلم الاشكال الهندسية الدالة على حقائق الاشياء وقرأت اقليدس وتدبرته . فقال له ابن ثوابة : وما كان اقليدس ومن هو قال : رجل من علماء الروم يسمى بهذا الاسم وضع كتاباً فيه اشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الاشياء المعلومة والمغيبة يشحذ الذهن ويدقق الفهم ويلطف المعرفة ويصفي الحاسة ويثبت الروية ومنه افتتح الخط وعرفت مقادير حروف المعجم قال له ابوالعباس بن ثوابة : وكيف ذلك قال : لا تعلم كيف هو حتى تشاهد الاشكال وتعاين البرهان فقال : فافعل ما بدالك . فأتاه برجل يقال له قويري مشهور ولم يعد اليه بعد ذلك . قال احمد بن الطيب : فاستظرفت ذلك وعجبت منه فكتبت الى ابن ثوابة رقعة نسختها . بسم الله الرحمن الرحيم اتصل بي جعلت فداك ان رجلاً من اخوانك اشار عليك بتكميل فضائلك وتقوبتها بشيء من معرفة القياس البرهاني وطمأنينتك اليه وانك أصغيت الى قوله وأذنت له فاحضرك رجلاً كان غاية في سوء الادب معدناً من معادن الكفر واماماً من أئمة الشرك لاستغرارك واستغوائك يخادعك عن عقلك الرصين وينازلك في ثقافة فهمك المبين فأبى الله العزيز الا جميل عوائده الحسنة قِبلك ومننه السوابق لديك وفضله الدائم عندك بان تأتي على قواعد برهانه من ذرونه وتحط عوالي اركانه من اقصى معاقد أسه فأحببت استعلامي ذلك على كنهه من جهتك ليكون شكري لك على ما كان منك حسب لومي لصاحبك على ما كان منه ولأتلافي الفارط في ذلك بتدبير المشيئة ان شاء الله تعالى .

قال فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختهـا : بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت رقعتك أعزك الله وفهمت فحواها وتدبرت متضمنهـا والخبر كما اتصل بك والامر كما بلغك وقد لخصته وبينته حتى كأنك معنا وشاهدنا واول ما اقول الحمدلله مولى النعم والمتوحد بالقسم اليه يرد علم الساعة واليه المصير وانا اسأل ايزاع الشكر على ذلك وعلى ما منحنا من ودك واتمامه بيننا بمنه .

وهنا ذكر ما وقع له واظهر تأففه من علم الهندسة ولعن الوسيط له الى معلمها على صورة مضحكة تخرج بنا ان اقتبسناها عن الغرض الذي قصدنا . وقد عقب عليها ياقوت

بعد ان نقلها برمتها في ترجمة احمد بن محمد بن ثوابة بقوله : لاشك ان اكثر ما في هذه الرسالة مفتعل مزوّر وماظن برجل مثل ابن ثوابة وهو بمكانة من العلم بحيث تلقى اليه مقاليد الخلافة فيخاطب عنها بلسانه القاصي والداني و يرتضيه العقلاء والوزراء بحيث لا يرون له نظيراً في زمانه في براعة لسانه تولى كتابة الانشاء السنين الكثيرة ان يكون منه هذا كله · ولكن عسى ان يكون منه ما كان من ابن عباد وهو الذي ساق ابوحيان خبر ابن ثوابة لاجله وهو ان قال كان ابن عباد يسب اصحاب الهندسة و يقول جاءني بعض هؤلاء الحمقى ورغبني في الهندسة فابتدأ فأثبت خمسة وعشرين وخط خطاً ووضع شكلاً وطول وزعم انه يعمل برهاناً على ذلك فقلت له : كنت اعرف ان هذا خمسة وعشرون ضرورة وقد شككت الآن فأنا مجتهد حتى اعلم بالاستدلال وهذا هو الخسار · قال ياقوت ومثل هذا لا يبعد ان يقول مثله من لم يتدرب بهذه الصناعة فاما ما تقدم من حديث ابن ثوابة فهو غاية في التخلف والرجل كان اجل من ذلك وانما أتي اما من جهة احمد بن الطيب لانه كان فيلسوفاً وكان ابن ثوابة منحرفاً كما ذكرنا فأخذ يسخر منه ليضحك المعتضد فان احمد بن الطيب كان من جلساء المعتضد واما ان يكون ابوحيان جرى على عادته في وضع ما اكثر من وضعه من مثل ذلك والله اعلم · وعندنا ان التوجيه الاول اوجه اي حمل هذا الكتاب على اختراع احمد بن الطيب للاضحاك والمزوح والتوحيدي اورد الرسالتين على علاتهما كأن لسان حاله لم آمر بها ولم تسؤني ·

مثال من كتابه الصداقة والصديق

قال في مقدمة هذا الكتاب « اللهم خذ بايدينا فقد عثرنا واستر علينا فقد اعورنا وارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب وتنقى الجيوب حتى نعيش في هذه الدار مصطلحين على خير مؤثرين للتقوى عاملين شرائط الدين آخذين باطراف المروءة آنفين من ملابسة مايقدح في ذات البين متزودين للعاقبة التي لابد من الخوض اليها ولا محيد عن الاطلاع عليها انك تؤتي من تشاء ما تشاء ·

« سُمع مني في وقت بمدينة السلام كلام في الصداقة والعشرة والمؤاخاة والألفة

وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمؤاساة والجود والتكرم مما اقدار نفع رسمه بين الناس وعفى اثره عند العام والخاص وسئلت إثباته ففعلت ووصلت ذلك بجملة مما قال اهل الفضل والحكمة وأصحاب الديانة والمروءة ليكون ذلك كله رسالة تامة يمكن ان يستفاد منها وينتفع بها في المعاش والمعاد . وسمعت الخوارزمي ابابكر محمد بن العباس الشاعر البليغ يقول : اللهم نفّق سوق الوفاء فقد كسدت ، وأصلح قلوب الناس فقد فسدت ، ولا تمتني حتى يبور الجهل ، كما بار العقل ، ويموت النقص كما مات الفهم . وأقول : اللهم اسمع واستجب ، فقد برح الخفاء ، وغلب الجفاء ، وطال الانتظار ، ووقع اليأس ، ومرض الامل ، واشفى الرجاء ، والفرج معدوم ، وأظن ان الداء في هذا الباب قديم ، والبلوى فيه مشهورة ، والتجبيج منه معتاد .

« فأول ذلك اني قلت لابي سليمان محمد بن طاهر السجستاني إني ارى بينك وبين ابن سيار القاضي ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومؤاتاة خُلُقية . فمن اين هذا وكيف هو ؟ فقال : يابني اختلطت ثقتي به بثقته بي ، فاستفدنا طمأنينة وسكوناً لا يرثّان على الدهر ، ولا يحوّلان بالقهر ، ومع ذلك فبيننا بالطالع ، ومواقع الكواكب ، مشاكلة عجيبة ، ومظاهرة غريبة ، حتى انا نلتقي كثيراً في الارادات والاختيارات ، والشهوات والطلبات ، وربما تزاورنا فيحدثني باشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهة بامور حدثت لي في ذلك الاوان ، حتى كأنها قسائم بيني وبينه ، او كأني هو فيها او هو انا ؛ وربما حدثته برؤيا فيحدثني باختها ، فنراها في ذلك الوقت اوقبله بقليل او بعده بقليل . قال : ورأيته قد ملكه التعجب من هذا وشبهه ، فحدثته بما انتقاسمه من قوى الفلك ، وان سهامنا واحدة ، وأنصابنا منها متساوية ، او قريبة من التساوي ، فعجب وازداد بصيرة في إخلاص الصداقة ، وتوكيد العلاقة . فقلت لابي سليمان كيف يصح هذا ، وانت مطالبك في الفلسفة ، وصورك مأخوذة من الحكمة ، وقُتَيْبَتُك (١) مجموعة من الحقائق ، وخوضك في الغوامض والدقائق ، وذاك رجل في عداد القضاة ، وجلة الحكام ، واصحاب القلانس ، ومخاصة (؟) الظاهر

(١) القُتيبة تصغير القتبة وهي الامعاء .

الذي عليه الجمهور ، ومأخذه مما عليه السواد الاعظم · فقال : هذا هو الذي انفردنا عنه ، بعد ان ازدوجنا عليه ، والاصل ابداً مخالف للفرع ، لاخلاف الضد للضد ، ولكن خلاف الشكل للشكل ، وكان مشتريه خالياً من قوة زحل ، فبرز في حلية القضاة ، وكان المشتري لي مقتبساً من زحل ، فظهرت بما ترى ، فجمعتنا المشاكلة على العلم ، وفرقنا الاختلاف بالفن ·

قلت : هذا والله ظريف ، ومما يزيد في طرافته انك من سجستان وهو من الصيمرة فقال : الامكنة في الفلك أشد تضاماً من الخاتم في إصبعك ، وليس لها هناك هذا البعد الذي تجده بالمسافة الارضية ، من بلد الى بلد ، بفراسخ تقطع ، وجبال تعلى ، وبحار تخرق ، فقلت : هل تجد عليه في شيء او يجد عليك في شيء فقال : وجدي به في الاول ، قد حجبني عن موجدتي عليه في الثاني ، على انه يكفني مني فيما خالف هواي بالسحة الضئيلة ، واكفني انا ايضاً منه في مثل ذلك بالاشارة القليلة · وربما تعاتبنا على حال تعرض على طريق الكناية عن غيرنا ، كأننا نتحدث عن قوم آخرين ، ويكون لنا في ذاك مقنع ، واليه مفزع · وقلما نجتمع الا ويحدثني عني باسرار ما سافرت عن ضميري الى شفتي ، ولا ندت عن صدري الى لفظي ، وذاك للصفاء الذي نتساهمه ، والوفاء الذي نتقاسمه ، والباطن الذي نتفق عليه ، والظاهر الذي نرجع اليه ، والاصل الذي رسوخنا فيه ، والفرع الذي تشبثنا به ، والله ما يسرني بصداقته حمر النعم ، ولا أجد بها بحياتي ما اجد بحياتي لي واذا كنت اعشق الحياة لاني بها أحيا كذلك أعشق كل ما وصل الحياة بالحياة وجنى لي ثمرتها وجلب الي روحها وخلط بي طيبها وحلاوتها ·

وكان ابو سليمان يحدثني عن ابن سيار بعجائب واما انا فما عرفته الا قاضياً جليلاً صاحب جد وتفخيم وتوفير وتعظيم وكان مع ذلك بسيط اللسان شريف اللفظ واسع التصرف لطيف المعاني بعيد المرامي يذهب مذهب ابي حنيفة ·

تعريف للصداقة وضروب للاصدقاء

« ثم قال ابو سليمان : الصداقة التي تدور بين الرغبة والرهبة شديدة الاستحالة وصاحبها من صاحبه في غرور والزلة فيها غير مأمونة وكسرها غير مجبور · قال :

فاما الملوك فقد جلوا عن الصداقة ولذلك لا تصح لهم أحكامها ولا توفي عهودها وانما أمورهم جارية على القدرة والقهر والهوى والشائق والاستعلاء والاستخفاف واما خدمهم واولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم . ونهاية المشاكلة لهم لانتشابهم بهم (انتشب فيه اعتلق) وانتسابهم اليهم وولوع طورهم بما يصدر عنهم و يردعليهم . واما التناء واصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير . واما التجار فكسب الدوانيق سد بينهم وبين كل مروءة وحاجز لهم عن كل مايتعلق بالفتوة . واما أصحاب الدين والورع فعلى قلتهم ربما خلصت لهم الصداقة لبنائهم إياها على التقوى وتأسيسها على أحكام الحرج وطلب سلامة العقبى . واما الكتاب واهل العلم فانهم اذا خلوا من التنافس والتحاسد والتماري والتماحك فربما صحت لهم الصداقة وظهر منهم الوفاء وذلك قليل وهذا القليل من الاصل القليل . واما أصحاب المذاب والتطفيف[1] فانها رجرجة[2] بين الناس . لا محاسن لهم فتذكر ولا مساعي فتنشر ولذلك قيل لهم همج ورعاع وأوباش وأوتاش[3] ولفيف[4] وزعانف ودامة[5] وسقاط وانذال وغوغاء لانهم من دقة الهم وخساسة النفوس ولؤم الطباع على حال لا يجوز ان يكونوا في حومة المذكورين وعصابة المشهورين . فلهذه الامور الحائلة عن مقارها الزائغة الى غير جهاتها علل واسباب لو نفّس الزمان قليلاً لكنا ننشط لشرحها وذكر ما قد اتى النسيان عليه وعفى اثره الاهمال وشغل عنه طلب القوت ومن اين يظفر بالغذاء من كان عاجزاً عن الحاجة و بالعشاء من كان قاصراً عن الكفاية وكيف يحتال في حصول طمرين للستر لا للتجمل وكيف يهرب من الشر المقبل وكيف يهرول وراء الخير المدبر وكيف يستعان بمن لا يعين ويشتكي

---

(١) التطفيف نقص يخون به صاحبه في كيل او وزن والمطففون الذين ينقصون المكيال والميزان والمذاب جمع مذبة بكسر الميم مايذب به الذباب وهي هنة تسوى من هلب الفرس و يقال أذنابها مذابها وهو مجاز . (٢) الرجرجة بقية ماء مختلط بطين في أسفل الحوض و يطلق على الحمقى والمهازيل . (٣) الوتش القليل من كل شيء ورذال الناس ولعلها الأوقاش وهم الأوباش . (٤) اللفيف من يأكل مع اللصوص و يحرس ثيابهم ولا يسرق معهم . (٥) جمع دائص وهو اللص او من يتبع الولاة .

الى غير رحيم ولكن حال الجريض دون القريض[١] ·

ومن العجب والبديع انّا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والاسف والحسرة والغيظ والكمد والومد وكأني بغيرك اذا قرأها تقبضت نفسه عنهـا وامر نقده عليهـا وانكر عليّ التطويل والتهويل بها · وانما اشرت بهذا الى غيرك لانك تبسط من العذر مالايجود به سواك وذاك لعلمك بحالي واطلاعك على دخلتي واستمراري على هذا الانفاض والعوز اللذين قد نقضا قوتي ونكثا مرتي وأفسدا حياتي وقرناني بالأسى وحجباني عن الأسى لاني فقدت كل مؤنس وصاحب ومرفق مشفق والله لربما صليت في الجامع فلا ارى الى جنبي من يصلي معي فان اتفق فبقال اوعصار او نداف اوقصاب ومن اذا وقف الى جانبي أسدرني[٢] بصُنانه وأسكرني بنتنه · فقد أمسيت غريب الحال غريب اللفظ غريب النحلة غريب الخُلُق مستأنساً بالوحشة قانعاً بالوحدة معتاداً للصمت ملازماً للحيرة محتملاً للاذى يائساً من جميع من ترى متوقعاً لما لا بد من حلوله فشمس العمر على شفا وماء الحياة الى نضوب ونجم العيش الى افول وظل التلبث الى قلوص اه» ·

سبب تأليف الصداقة والصديق ومرمى التوحيدي في صنعة الرسائل

وقال التوحيدي بعد ذكر هذه المقدمة ان سبب انشائه هذه الرسالة في الصداقة والصديق انه ذكر « شيئاً منهـا لزيد بن رفاعة ابي الخير فنماه الى ابن سعدان الوزير ابي عبدالله سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله اعباء الدولة وتدبيره امر الوزارة حين كانت الاشغال خفيفة والاحوال على أذلالها[٣] جارية » فأشار عليه ابن سعدان

(١) الجريض الغصة من الجرض وهو الريق والقريض الشعر واصل المثل ان رجلاً كان له ابن نبغ في الشعر فنهاه ابوه عن ذلك فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الهلاك فأذن له ابوه في قول الشعر فقال هذا القول · (٢) أسدرني حيرني ولم نجد هذا الفعل في الكتب التي بين ايدينا · (٣) في المثل : أجرِ الامور على أذلالها اي على وجوهها التي تصلح وتسهل وتتيسر ويقال جار به على أذلاله اي على وجهه وواحد الأذلال ذل بالكسر ·

ان يدونه فجمع هذه الرسالة وابطأ عن تحريرها فلما مرّ على ذلك بعض سنين عثر على المسودة وبيضها ·

وقد قال في مكان آخر : « قد اتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق وما يتصل بالوفاق والخلاف والهجر والصلة والعتب والرضا والمذق والاخلاص والرياء والنفاق والحيلة والخداع والاستقامة والالتواء والاستكانة والاحتجاج والاعتذار · ولو امكن لكان تأليف ذلك كله أتم مما هو عليه واجرى الى الغاية في ضم الشيء الى شكله وحبسه في قالبه فكان رونقه أبين ورفيقه أحسن ولكن العذر قد تقدم · ولو أردنا ايضاً ان نجمع ماقاله كل ناظم في شعره وكل ناثر من لفظه لكان ذلك عسراً بل متعذراً فان أنفاس الناس في هذا الباب طويلة وما من احد الا وله في هذا الفن حصة لانه لا يخلو احد من جار او معامل او حميم او صاحب او رفيق او سكن او حبيب او صديق او أليف او قريب او بعيد او ولي او خليط كما لا يخلو ايضاً من عدو او كاشح اومداج اومكاشف اوحاسد اوشامت او منافق او مؤذٍ او منابذ او معاند او مزل او مضل او مغل · وقد قال الاوائل الانسان مدني بالطبع وبيان هذا انه لا بد له من الاعانة والاستعانة لانه لا يكمل وحده لجميع مصالحه ولا يستقل بجميع حوائجه وهذا ظاهر واذا كان مدنياً بالطبع كما قيل فبالواجب مايمرض في أضعاف ذلك من الاخذ والعطاء والمجاورة والمحاورة والمخالطة والمعاشرة مايكون سبباً لنظام الحال او يكون سبباً لانتشار الامر ولا محالة ان هذه وأشباهها مفضية بالناس الى جملة ما نعته هؤلاء الذين روينا نظمهم ونثرهم وكتبنا جورهم وانصافهم وذلك اعلى فنون ما قالوه ونظروه وعيون ماذكروه ونشروه ونروي في هذا الموضع بقية أبيات وان عن شيء حكيناه ونغلق الرسالة فانها اذاطالت أبغضت واذا أبغضت هجرت اه ·

وهذا النموذج الضئيل الذي أوردناه من الصداقة والصديق كافٍ في الحكم على أسلوبها والروح الذي ينزع اليه في تأليفها · وملاحظة التوحيدي على ائتلاف المتضادين في العلم والتمثيل بصداقة أستاذه ابي سليمان المنطقي وصديقه ابن سيار القاضي ووصف ابي سليمان وصفاً دقيقاً للصلات التي عقدت بين قلبيهما ثم ابداءه في وصف طبقات الاصدقاء كل ذلك من جميل الوصف والى اليوم ما اختل هذا التقسيم وان رأيت

الوفاء والصداقة في النادر الشاذ . ومن أبدع الصفحات وصف غُربته في أمته غربة الفكر والاجتماع والنحلة والخُلُق والعادة . ولا بدع فهو من جيد الوصف في نفسية اهل عصره ومنزلة العالم بين جمهور الفاغة والغوغاء . ومن أجمل الاعذار اعتذاره عن طول هذه الرسالة علماً منه ان مكانة الكتاب بمادته لا بسمته ولكن اذا قضت الحال بالتطويل اضطر المؤلف الى اطلاق عنان بيانه .

مثال من مجالسهم

في كتاب الصداقة والصديق قوله : رأيت ابن سعدان ينشد يوماً وقد انكر شيئاً من بعض الندماء .

عدو راح في ثوب الصديق   شريك في الصبوح وفي الغبوق
له وجهان ظاهره ابن عم   وباطنه ابن زانية عتيق
يسرك ظاهراً ويسوء سراً   كذاك تكون ابناء الطريق

وانا أسمي لك ندماءه ، وأروي كلاماً له وصفهم به . منهم ابو علي عيسى بن زرعة النصراني المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، وابن الحجاج الشاعر ، وابو الوفاء المهندس ، وابن بكر ، ومسكويه ، وابو القاسم الاهوازي ، وابو سعد بهرام بن ازدشير . وكان أوزنهم عنده ، وألصقهم بقلبه ، وابن شاهويه . هؤلاء اهل المجلس سوى الطارئين من اهل الدولة لا فائدة في ذكرهم . قال زيد بن رفاعة وكان قريباً له من جهة الخوف له(؟) : رأيت الوزير اليوم يصف ندماءه بكلام يصلح ان يكتب على الاحداق ، و يعرض على اهل الآفاق ، ليستفيده الصغير والكبير . قال : اصحابي طرائق قدد ، كما قال عبد الحميد الكاتب : الناس أخياف مختلفون ، وأصناف متباينون ، فمنهم علق مضنة لا يباع ، ومنهم غُل مظنة لا يُبتاع . وكما قال الآخر :

الناس أخياف وشتى في الشيم   وكلهم يجمعهم بيت الأدم

فأما ابن زرعة فكبره بالحكمة ، وخيلاؤه بالثروة قد قدحا في حاق[1] عقله ، وهو لا يحس بذلك القدح ، فليس لنا منه اذا جالسنا الا النفخ والتعظم والتهويل

(١) وسط عقله .

بارسطاطاليس وأفلاطون وسقراط وبقراط وفلان وفلان ، ومجالس الشراب تجافي عن هؤلاء ، وهؤلاء يجلون عن مجالس الشراب ، يانائم ياغافل ياساهي ، واين انت من هؤلاء الحكماء القدماء أسيرتك سيرتهم ، أحالك حالهم ، انما تدعي عقائدهم باللسان ، وتنتحل اسماءهم باللفظ فاذا جاءت الحقيقة كنت على الشط تلعب بالرمل ولولا انه يكدر هزل جدنا بجد هزله لكان محمولاً مقبولاً ولكنه يأبى الا ماألفه وأفاد المرانـ عليه .

واما ابن عبيد فكلفه بالخطابة والبلاغة والرسائل والفصاحة قد طرحه في عمق الج لا مطمع في انتقاذه منه ولا طريق الى صرفه عنه هذا مع حركات غير متناسبة وشمائل غير دمثة ومناظرة مخلوطة بذلة اهل الذمة ودالة اصحاب الحجة .

واما ابن الحجاج فقد جمع بين حد القاضي ابي عمر في جلسته وحديثه وقيامه وتخطئته مع حياء كأنه مستعار من الثانية الشريفة وبين سخف شعره الذي لايجوز ان يكون لراو به مروءة به فكيف لقائله فنحن اذا نظرنا اليه تخيلنا صورة سخف شوهاء في صورة عقل حسناء ولا تخلص هذه من هذه ولا جرم استماعنا به قاصر عن مرادنا منه ودنوه منا ناب عن مراده له . اما الوفاء فهو والله ما يقعد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة المطربة والمفاكهة اللذيذة والمواتاة الشهية الا ان لفظه خراساني واشارته ناقصة هذا مع ماستفاده بمقامه الطويل ببغداد والبغدادي اذا «تخرسن» كان أحلى وأظرف من الخراساني اذا « تبغدد » . وان شئت فضع الاعتبار على من أردت فانك تجد هذا القول حقاً وهذه الدعوى مسموعة .

واما مسكويه فانه يسترد بدمامة خلقه ما يتكلفه من تهذيب خُلقه واكره له المشاغبة في كل مايجري لايجد في نفسه من المكانة والقرار مايعلم معه انمضاءه في فن هو فيه طويل الذيل مديد السيل لا يأذن له في تعاطي فن آخر هو فيه قصير الباع بليد الطباع وصاحب هذا الرأي ممكور به مصاب بجيد رأيه وقد أفسده . قال المهلبي قال ابن العميد وفعل ابن العميد : وما ذكره لهذين الا استطالة على الحاضرين والتشيع بذكر الرجال واضع من قدر الرجال .

واما ابن بكر فهو تميمة المجلس ولا بد للـدار وان كانت قوراء من مخرج وهو

بجهله مع خفة روحه وقبح وجهه أدخل في العين وألصق بالقلب من غيره مع علمه وثقل روحه وحسن ظاهره .

واما الأهوازي ابو القاسم فلا حلاوة ولا مرارة ولا حموضة ولا ملوحة وانما هو كالبصل في القدر وكالإصبع الزائد في اليد على انا نرعى فيه حقاً قديماً ونرحمه الآن رحمة حديثة .

واما سيدي ابو سعد فوالله اني لأجد به وجداً اتهم فيه نفسي وما وجدت ألم سهر معه قط واني ارى حديثه آنق من المُنى اذا أدركت ومن الدنيا اذا ملكت . وإنّ تمازجنا بالعقل والروح والرأي والتدبير والنظر والارادة والاختيار والعادة لبزيد على حال توأمين تراكضا في رحم وتراضعا من ثدي وتنوغيا في مهد وما أخوفني ان يؤتى من جهتي او أوتى من جهته وان عاقبته موصولة بعاقبتي لاني مأمنه وهو مأمني وما اكثر ما يؤتى الانسان من مأمنه والله المستعان .

واما ابن شاهويه فشيخ ليس لنا فيه فائدة الا ما يلقي الينا من تجاربه ومشاهداته ولولا زيادته التي تصنع بها من نفسه وبعض من خطراته لكان هدّك (نِعْمَ) من رجل ولكن من لك بالمهذب ألم يقل الاول : اي الرجال المهذب .

قال زيد بن رفاعة : قلت ايها الوزير ان طلوعك في خبايا ضمائرهم وعلمك بخفايا سرائرهم يطالبانك بالافراج عنهم وقلة الاكتراث بهم قال : لا نفعل والله مالهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير وانهم لاعيان اهل الفضل وسادة ذوي العقل واذا خلا العراق منهم فرقن[1] على الحكمة المروية والادب المتهادَى أتظن ان جميع ندماء المهلبي يفون بواحد من هؤلاء او تقدر ان جميع اصحاب ابن العميد يشبهون أقل من فيهم . قال : قلت هذا ابن عباد بالري وهو من يعرف ويسمع . قال : ويحك وهل عند ابن عباد الا اصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون وهو فيما بينهم يصيح ويقول قال شيخانا ابو علي وابو هاشم دعنا من حديثه وغثاثته وشعبذته فما احب ان أزيد في وصفه على ما أشرت اليه والله لو تصدى انسان متوسط في العلم والادب

(١) البترقين مواضع في الحُسبانات لئلا يتوهم انها بيضت كي لا يقع فيها حساب .

والحنكة والانصاف لذكر شأنه وسيرته ، ووصف حاله وطريقته ، لحكى كل غريبة ، واتى بكل أعجوبة . الرجل محدود ، وفي زمرة اهل الفضل معدود .

قال : رويت هذا الخبر على ما اتفق وكنت أطلب له مكاناً منذ زمان فلم اجد الا هذه الرسالة الآتية على حديث الصداقة والصديق اه » .

عرفنا بهذا الضرب من التدوين طبقة راقية من العلماء في عصر التوحيدي وما يغمزهم به الغامزون ، وأنى يغتابهم المغتابون ، ولو كتب لنا الاطلاع على جميع ما كتبه ابو حيان في كتبه : المحاضرات والامتاع والبصائر وماتخلل المجالس التي روى أخبارها مما شهده بنفسه اونقله اليه معاصروه الثقات — لجاءت السلسلة تامة من كل وجه في الحكم على اهل القرن الرابع في بغداد ولتبدل الحكم عليهم وناقضت أحكامه أحكام بعض من نقلوا تراجمهم كأنها حكم مسمط لا ينقض .

« للبحث صلة »

محمد كرد علي

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٧ =

من المعلوم ان الشعر ليس هو ألفاظ مجموعة ، تُركّب على أوزان موضوعة وقواف مصنوعة ، ولكنه صناعة كصناعة الاوتار والالحان ، لا تنال حظها في الآذان ، ما لم تستكمل شروطها من حسن التدرج والتنقل في الابراج بحيث لا يقع بينها تنافر او تناكر ، وان يكون النقر على الأوتار ، او النفخ في المزمار ، تسبيًا اي موقعًا ومقطعًا توقيعًا وتقطيعًا يناسبان المقام ، فليست موسيقى الحرب وتحريك الشجاعة في نفوس الجند ، كموسيقى الصفو والهناء بين أحباب قد عكفوا على الراح ، وتبادلوا عتيقها بالطاسات والأقداح ، في روضة قد فُتحت أزهارها ، وترقرق ماء سواقيها وأنهارها ، كما ان حسن الصوت وحده لا يستلذّه السمع ، ما لم يصحبه احسان الصناعة في التلحين ، وهذا لا يتجمع شروط الاجادة ما لم يستكمل حسن اللفظ وفصاحة الالقاء واختيار الشعر العالي الذي يناسب مقام الغناء كما هو معلوم ، وبعد ذلك فاذا اجتمع هذا كله لمغنٍ ، فخلط النهاوند بالسيكاه والعراق بالدوكاه والحجاز بالنوى والعجم بالرصد والصبا ، لاستنكرت الآذان غناءه ولو سمي ابراهيم او اسحق النديم .

فاذا كان هذا هو الشأن في فن الموسيقى او الغناء وركنهما حسن الصوت ، فما القول في الشعر وركنه الاول الخيال ؟

ومما تقدم ومما سيأتي ، يتضح لك ان الخلط في الالعوبة الآلهية هو عيب من الخش عيوبها ولا يعدّه حسنة الا من قصر باعه في فن الشعر ، وقل بصره في فن النقد .

واذا تقرر ان الخيال أعظم أركان الشعر ، وان أعذب الخيال ما اجتمع فيه الحسن والجمال ، اذ كان فيهما سرور النفس وملاذها ، او تسلّيها وعزاؤها ، فأي سرور لما

في ذكر الوحوش والاحناش ووصف أشكالها القبيحة وشراسة افتراسها ونهشها الاجساد البشرية على ضروب لم تمرّ في بال عاقل ؟ واي تسلية او عزاء في وصف النيران والسموم ولواذع الجليد ونتن الرياح الموج وتصوير أناس قطع نصف جسمهم طولاً وبانت أمعاؤهم وقلوبهم وأكبادهم ، تسيل دماؤهم وصواهم وقد كسيت أجسادهم ثياباً من القروح يكشطونها باظافر نارية ليلاً نهاراً ؟ الخ الخ .

لعمري أن هذا الباب من أبواب الشعر لم يخطر في مخيلة شاعر عربي ، ولا أحسبه يدخل في أبواب الشعر الاعجمية ، وحسبنا برهاناً على ذلك ان لأليادة المنسوبة الى هوميروس وهو المعدود باجماعهم شيخ شعراء الدنيا لم تُعَدّ في الطبقة الاولى من الشعر عندهم ، الا لما اشتملت عليه من وصف الوقائع الحربية وآلاتها ، ومآثر السلف واخبارهم في سلمهم وحروبهم ، وما يتداخل ذلك من مصارع الغرام ، واكرام الضيف الى مثلها من الحالات التي تكاد تُلمس في وصفها حقيقة أحوالهم الفطرية .

وقل مثل ذلك في شعر فيرجيل وكله شعور لطيف واحساس متناهٍ في الرقة قد بلغ غاية التمام من الاحسان ، حتى لتكاد تشربه الاذان ولا تملّ من النظر اليه الأعيان .

فاذا عُلم هذا نفرع عنه ان التبويب شرط اساسي من شروط التأليف والانشاء لا في النثر فقط بل في الشعر ايضاً كما أشرنا الى ذلك في منهل الوراد[1] ولذلك عدوا ملحمة هوميروس في رأس الشعر عندهم لانها اشتملت على عموم حادثة تاريخية سرد فيها كل مايتعلق بتلك الحادثة وهي في الشعر من باب الشعر القصصي ، تنتقل فيها من واقعة الى واقعة ومن بلد الى بلد فتشهد الحوادث مصورة باللفظ وليس فيها للشاعر غير الرواية اي سبك الجمل واختيار الالفاظ وإجادة النظم وانسجامه اي خلوّه من التعقيد ، وتصوير المعاني في قوالب من اللفظ بحيث تتمثل أشخاص القصة للعيان وتحلّ أرواحها في ذلك البيان ، وتسيغ النظم في ذهن القارئ او السامع سوغ الماء الزلال في فم الظمآن .

(١) منهل الوراد في علم الانتقاد (كتاب) .

وقل مثل ذلك في شعر فيرجيل فانه لا يتباعد عن موضوعه الا بمقدار ما يلجئه التشبيه او الوصف ، بحيث لا يتيه ذهن المطالع في صحاري الاشارات والالغاز ، او يغرق في بحار من قواعد العلوم المختلفة والمسائل المتباينة كتسمية آله النصارى بجوبيتر آله اليونانيين ، فيضل الغرض الاصلي وهو موضوع القصة .

ومن العيوب التي عدّها نقادو الافرنج على الشعر العربي ، ان الشاعر الجاهلي هو بطل روايته ، فلا يكاد يخرج عن نفسه ، وهو في ذلك على نقيض مما ذكرناه عن حسنات الياذة هوميروس ، ولعلهم في ذلك على هدى ، فما بالهم تغاضوا عن عدّ هذا العيب الواضح في العوبة دانتي عليه ؟ فانه جعل نفسه بطل روايته الطويلة المملة واكثر فيها من مدح ذاته والمفاخرة بنظمها وهو مما عبناه نحن ايضاً على شاعرنا المتنبي وقد كان يفاخر مزاحميه عند سيف الدولة ملك حلب من شعراء عصره ولعل له عذراً في ذلك انه كان يحرص على تلك المنزلة الرفيعة وعلى ما كان يناله من صلات الملك المتناهية في الكرم ، ولم يكن دانتي في مثل تلك الحال عند مباهاته في غير موضع من الالعوبة .

وقال المتنبي مفاخراً :

ما نال اهل الجاهلية كلُّهم شعري ولا سمعت بسحري بابلُ

وهو في شعره هذا ينطق بلغتهم ، وقد جاء بالرشيق من اللفظ والسهل الممتنع في الغزل والنسيب والمدح والوصف والقصة والحكمة والفخر بما لم يأت بمثله شاعر قبله ، اما دانتي فقد جاء بالالعوبة الالهية التي فاخر بها وعدها معجزة المعجزات ، وهي اول ما ينعى عليها انها لم تكن باللغة اللاتينية الفصحى لغة من تقدمه بل كانت يومئذ لغةً عامية لغة الاغاني وفيها من الكشفات ما نحن في نقده وتعداده ، وما يفرض على الناقد المنصف ان لا يغفي عليه ، ولسنا نرى وجهاً لتسامح الشراح والنقادين في تعييبه بما يعاب عليه سواه .

ومن عيوب الانشاء الفاضحة تكرار الالفاظ والمعاني ، وقد أجمع على ذلك علماء الفصاحة والبيان في اللغات الاعجمية كعلماء اللغة العربية وتشددوا في ذلك على الشعراء فوق تشددهم على الكتاب لما هو مطلوب في صناعة الشعر من البلاغة والجزالة ،

ولاستقلال بيت الشعر بالمعنى ، وان تجاوزه فالى بيتين والعرب بمحاسن الشعر أبصر الامم بلا مدافع ٠

فالتكرار في ألعوبة دانتي مما يلي بالسأم وهو غير قاصر على الالفاظ بل المعنى هو هو في كل أغنية من الاربع والثلاثين أغنية في جهنم ومثل ذلك في المطهر والسماء لا يختلف الا بوصف السرداب اوالدرج اوالقوس المحنية اوالمضلعة او الوحش الناري الغريب او الشيطان ذي الرؤوس او الافواه المتعددة او اسم رجل مجهول من جيرانه او بعض معارفه وكم من ذلك ؟ او حادثة مكانية تافهة ، او قال لي ابي ، وقلت لابي وابي لي ، وانا لابي الى غير ذلك من الحقير المبرم المضجر ٠

ومن عيوبها الواضحة انها لم تتجرد عن السفليات ، ولم يظهر لنا صاحبها في مظهر من الاخلاص ، وانما هي مشبعة بالانانية ، فالخائن فيها من لا يرى رأي دانتي او من خالف مذهبه ، وعدو الوطن من قومه من لم يكن من حزبه ، وعدو الدين من لم يقل بقوله السياسي ولوكان مطراناً بل البابا نفسه ، وساقطو المروءة اولئك الذين لم يعاونوه على نيل مطامعه ، بل يتجاوز الى الطعن على أمة باجمعها وشتمها لان ملكها لم يسعف مطلب اميره او حزبه ، كما شتم الامة الفرنسية في غير موضع من ألعوبته ، وهو لا يأبى إغراء ملك غريب على اكتساح بلاده وإنزال أشد العقوبات باهل وطنه ٠

ومن عيوبها الاثيمة ذهاب صاحبها الى أبعد ما يتصوره الفكر الانساني من الحقد والضغينة وحب الانتقام ، فانه لم يكتف باغراء امبراطور المانيا على اكتساح بلاده وصب البلاء على اهل وطنه ، بل تتبعهم في جهنم ، ولم يرو غليله احتراقهم بتلك النيران وما كانوا يقاسونه من نهش الافاعي وضرب المقامع النارية على ما وصفها مما ترتعد الفرائص من ذكره ، بل كان يتلذذ بمشاهدتهم (او تصور مشاهدتهم) في تلك العذابات ، ويقول لأبالستهم زيدوهم حرقاً وتعذيباً ، بل يخاطبهم قائلاً ذوقوا لذائذ هذه الجحيم فانكم فيها خالدون ٠

ومن أشد عمى تعصبه انه يقذف في جحيمه بكل من يمر في باله او تحت رأس قلمه من مخالفيه في الرأي او في الدين كما ذكرنا ، حتى انه يقذف بنبي دعا الوثنيين

وهدام الى عبادة الله دانتي نفسه ، وليست دعواه بالنبوءة دون دعاوي سواه من الانبياء .

بقي القول ان دانتي أراد ان يحول رسالة الغفران من رسالة دعاء كما فهمها من ظاهر لفظها العربي او من ترجمتها اللاتينية الى افكوهة شعرية اوأُلعوبة تمثيلية ولذلك دعاها بالالعوبة .

غير ان تسميتها بالالعوبة (Comedia) لا يعني انه وضعها كما وضع بعده شكسبير وموليار وراسين وغيرهم العوباتهم للتشخيص في دور التمثيل والملاعب لان مراده منها ينافي هذا الغرض كل المنافاة لاسباب :

منها انها مما لا يمكن تمثيلها في ليلة واحدة بل ولا ليلتين وهذه الطريقة اي التشخيص المتتابع على عدة ليال او على ليلتين لتتميم حادثة التشخيص ليست مألوفة عند الفرنجة وان كانت اليوم مألوفة عند اليابان .

ومنها ان كل ما صوّره في جحيمه ومطهره — وهو الجزء الاعظم من الالعوبة — مصوّر في الظلمات المدلهمات والرياح المنتنة وذلك مما يستحيل مشاهدته او تصويره بغير اللفظ ولا يمكن احتمال شمه في مكان محدود .

ومنها وهو الاهم ان دانتي لم يكن ليرضى بتمثيل الفردوس وأرواح القديسين والقديسات والملائكة ، بل الله ذاته ، على مسرح في ملعب ، وقد ذكرنا فرط تحمسه الديني غير مرة فيما تقدم .

« للكلام صلة »

عضو المجمع العلمي

قسطاكي الحمصي

الاستاذ الاب لويس شيخو

التاعت الآداب العربية لفقد احد كبار خدمتها ، والواقفين حياتهم على نصرتها ، صديقنا وعضو مجمعنا العلمي العربي الاستاذ المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي ، منشئ مجلة المشرق الغراء في بيروت ، وصاحب التآليف الكثيرة . ولد في الخامس من شهر شباط سنة ١٨٥٩ في ماردين من الجزيرة ، وجاء الشام يافعاً فاتصل بالآباء اليسوعيين ، ودرس في مدرستهم في غزير من جبل لبنان ، فدرس العلوم الدينية والمدنية والآداب العربية والفرنسية ، وتذوق غيرها من الا … ت الميتة والحية ، ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية ، متجرداً من متاعب الحياة ومشـ … ت والأسرة ، عازفاً عن بهارج الدنيا ، مأخوذاً بما اخذ النفس به من خدمة الدين ر … علم . ولم يلبث ان ظهرت أمارات أدبه وثمرات تربيته فعدّ مفخرة لمن انضم الى جملتهم وساعدوه فتنقل في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا وغيرها من مراكز العلم في اوربا . فتهيأ له درس طريقة الغربيين في البحث والتأليف ، واطلع على ما في خزائنها من كتب العرب واستنسخ أمهاتها النادرة لحساب كلية بيروت اليسوعية . وحضر في اوقات مختلفة بعض المؤتمرات التي عقدها علماء المشرقيات في بلاد الغرب ، وساح كثيراً في أقطار الشرق .

انصرف الاستاذ لاول امره الى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف ، ونشر خلال ذلك عدة كتب مدرسية ودينية أهمها مجاني الادب في عشرة أجزاء ، استخرجها من كتب العرب وشرحها شروحاً لغوية أدبية وقد أصبحت معتمدة في المدارس الطائفية والتبشيرية في الشام وغير الشام ، ونشر مقالات علم الادب وكتاباً في الانشاء والعروض والخطابة . وأحيا بالطبع كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني وفقه اللغة للثعالبي بحذف الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة فلاحظ عليه العارفون ولا سيما علماء المشرقيات هذا العمل فاضطر الى الرجوع عن هذه الطريقة في الكتب التي أحياها بعدُ من أسفار السلف .

وأهم ما نشر من كتب المتقدمين والمتأخرين كتاب الهمز وكتاب المطر للانصاري ،

وكتاب الكتاب لابن درستويه ، وتهذيب الألفاظ ومختصره لابن السكيت ، وحماسة البحتري ، وطبقات الامم لصاعد ، وديوان الخنساء ، وديوان ابي العتاهية ، وديوان الخرنق اخت طرفة ، وديوان السموءل ، وديوان المتلمس ، ورواية جديدة من كليلة ودمنة ، وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى ، وتاريخ شاكر بن الراهب القبطي ، وتاريخ سعيد بن بطريق وملحقه لسعيد بن يحيى الانطاكي ، وتاريخ محبوب المنبجي ، وفضائل الكلاب لابن المرزبان ، وآصف نامه ، ومقالة في الضوء لارسطو ، والآلات المنغمة لمورستس ، والآلات المزمرة لبني موسى ، والمكحلة لابي محمد الصقلي ، وشواعر العرب ومجموعة اربع رسائل لفلاسفة اليونان وغيرهم . يضاف الى ذلك عدة رسائل في الفلسفة والدين مما خلفه القدماء نشرها بالاشتراك مع بعض أفاضل الآباء من اهل رسالته . وقد خدم بهذه الكتب الآداب العربية أجل خدمة وزاد بها مجاميعنا المطبوعة وأحسن بما علق عليها من الفوائد وخدمها به من الشروح والحواشي .

ومما ألفه مباشرة « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » و « معرض الخطوط » و « شعراء النصرانية في الجاهلية » و « شعراء النصرانية بعد الاسلام » ورسائله وكتبه في تزييف الماسونية والحملة على رجالها وكتابه في المدارس العلمانية اللادينية وتاريخ الرهبانية اليسوعية وتاريخ الطائفة المارونية في القرنين السادس عشر والسابع عشر وبيروت وآثارها وتاريخها وغير ذلك من رسائله ومقالاته الدينية والأدبية في مجلة المشرق عدا خطبه الدينية ومواعظه الروحية . وقد كتب معظم مقالات مجلته مدة خمس وعشرين سنة ونشر فيها اولاً أمهات تآليفه ثم استخرجها منها وراعى في كتبه نظام رهبانيته فجاءت كتاباته الا قليلاً أشبه بكتب الدعايات المذهبية ، منها بكتب علمية مشتركة ، وهو معذور في مشربه لاعتقاده بان عمله هذا قربى الى ربه ، وما خالف قط طريقته الدينية الى مايسمونه الطريقة العلمانية ، ولذلك تستنشق ريح دينه في كل ما كتب ونشر . ولو خلت بعض أسفاره وبخاصة شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده ، والآداب العربية في القرن التاسع عشر وبعده ، من هذه النزعة لكانت في الغاية من جودة التأليف ، لكثرة مادته وحسن تنسيقه .

لم يرزق الفقيد ذوقاً عالياً في الأدب العربي ، وظلت كتابته الى أخريات ايامه

كما كانت لاول عهده نمطاً واحداً لا تتناسب مع مقدرته على التأليف ووقوفه على أدب العرب والافرنج وعلوم العصر · اي ان الانشاء العربي لم يسلس له قياده على ما كان يجب · وغريب ممن عاش بين كتب الفصحاء من العرب ان يظل بعد درس ستين سنة في الانشاء عند حد نظريانه ، على كثرة ما قرأ وكتب ، وان تبقى ملكته الاولى في الاداء تتناوشه أحياناً ، ولا بتطال الا الى الاخذ من الينبوع الذي استقى منه في مدرسته الاولى ، ولعلّ كثرة دراسته للغة الفرنسية وغيرها من لغات الاجانب أدخل الضعف على ملكته العربية · وهكذا يقال في ذوقه في الشعر فقد نشر في مجلته قصائد لادعياء القريض ، كان الاولى ان تطوى على غرّها ، والف كتاب «اطرب الشعر وأطرب النثر» مجموعاً من أدب من حاول تخليد ذكرهم ، على حين تراهم فيما يخطون أحط مما ينظم او يكتب اليوم تلاميذ المدارس في مصر والشام · وما ندري ان كان يقصد من ذلك التنويه بمن نوه بهم فقط او انه مقتنع بان شعرهم ونثرهم حقيقة أطرب الشعر والنثر ، يجب تخليده وتأبيده في بطون الصحف ، حرصاً على بلاغته وفصاحته ·

وقضت عليه الصنعة او البيئة على ما يظهر ان يغمط حق العرب في مدنيتهم وكان على الاغلب ينظر اليها من الوجه الذي لا يستحسن ، ولذا يعد شعوبياً وشديد الشعوبية بافكاره وتصريحاته ، لا صلة بينه وبين العرب الا بما نشره من آثار علمهم وحذق من آداب لسانهم · وآخر أثر له من هذا القبيل انه ذكر جملة من ادباء المسلمين — وهو مولع في التفريق بين المسلمين والمسيحيين — في الربع الاول من القرن العشرين لم يتجاوز في عدهم العشرات في الامة العربية مع ان من وضعوا المصنفات والتآليف ولهم مكانة في الشعر والادب لعهدنا هذا لا يقلون عن ثلاثمائة رجل اعتذر بجهله اسماءهم مع ان من اشتهرت بين قراء العربية مصنفاتهم وفيها الممتع لا يصعب السؤال عنهم و يستغرب ان لا يطلع مثله على أعمالهم ·

و بالنظر الى إكثار مترجمنا من التأليف والنشر قد يضطر في الاحايين الى العجلة فيدوّن ما يعرض له بادئ الرأي فيجيء خداجاً · ولو كان المفروض عليه عمله أقل مما كان ، وكان له من الوقت ما تنضج به موضوعاته ، لعدت كتبه كلها سلسلة جميلة

من البحث والدرس شاهدة على الايام بفضله وجده · ومع هـذا قلّ من يساميه في المتأخرين بكثرة التواليف وتنوع الموضوعات التي عالجها فعدّ في المؤلفين من المكثرين · لاجرم انه مثال الجد العامل ليله ونهاره على نشر العلم والادب على طريقة خاصة لا يعتقد في غيرها الخير ، ولا يحفل اذا وافقت الغرض الذي نذر له نفسه أخطأ ام اصاب · وندر مثله في المعاصرين من مؤلفي العرب الذين جمعوا الى العلوم الدنيوية علوم الدين ومزج الطريقتين وخدمها كلتيهما بحسب رأيه واجتهاده ، ونظر الى ما عداهما شزراً لم يعره عند الحاجة الا نظر التقزز والكراهيـة لا نظر عطف وفضل ثقة · وصرف شطراً من حياته وهو واقف بالمرصاد لا تأخذه هوادة في رد الشبه التي ترد على النصرانية ولا سيما مذهب الروم الملكيين ، ونقد ما يرى انه يمس روحه وجوهره ، وتدوين كل نافع وتافه من آثار لبنان وسكانه من الموارنة والكاثوليك فقط ·

كان الاب شيخو مثال الراهب المتبتل المتمسك بدينـه الداعي اليه ، الذاب عن حياضه ، مثالاً واي مثال في جده ودؤوبه ، جمع من مخطوطات الشام والعراق والعجم والهند مجموعة من الكتب العربية والسريانية والفارسية والتركية ، واخذ بالتصوير الشمسي عن نوادر الكتب المحفوظة في خزائن الغرب ، مئات من المجلدات جعلها في خزانة كلية القديس يوسف في بيروت ودوّن لخزانتهـا الشرقية فهارس ، ووصف الكتب العربية وصف عالم عارف بالعربيـة والفرنسية ، وساعدته على إظهار فضله رهبانيتـه المنظمة القوية ، ومطبعتها المتقنة التي طبعت له كل ما أراد ، فجاءت جريدة كتبـه وما أحياه من تراث الأقدمين وافرة العدد ، دالة على فضل علم ووفرة حزم وعزم ·

والحق نقول انه صاحب القدح المعلى بين رجال رهبانيته من ابناء العرب ، اخذ بايدي تلاميذه وقرائه في السبيل التي اعتقد فيها الخلاص فأشربهم حب الدين وعلّمهم من علوم الدنيا · وقد اشتهر بتآليفه بين قراء العربية في الشرق والغرب ، ومن الناس من يفتنون كتبه لجمال طبعها وتنسيقها ، وسرعة الوصول الى الاخذ منها ، لانه حذا حذو المستعربين من الغربيين في طريقتهم يوم نشر التآليف القديمة والحديثة ·

وبعد الفقيد في الدرجة الاولى بين طبقات الرجال الذين اثروا في الافكار ونشلوا طائفتهم من مخالب الجهالة ، واعلوا في البلاد كلمتها ، ولذلك عظمت الرزية به على

جامعته وجماعته وجمعيته خاصة والادب عامة · هذا الى ما كان عليه من لطف ووداعة وحرص على افادة قاصديه والمستنيرين برأيه في معضلاتهم · رحمه الله ، وعامله بعفوه ورضاه

محمد كرد علي

آراء وافكار

تعاليق رحلة العطار

من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة رحلة صغيرة يُؤخذ من بعض ما فيها انها لرجل دمشقي شد رحاله من بيت المقدس الى القسطنطينية عاصمة المملكة العثمانية اذ ذاك في ٢ صفر سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م فهبط مدينة الرملة ثم ثغر يافا ومنه أقلع بسفينة شراعية الى عكا ثم استأنف السفر بطريق البر الى صيدا ومنها أقلع الى ميناء طرابلس الشام وسافر منها مجتازاً بجبلة وغيرها من الشواطئ بسفينة كانت تقل اثقال كرجي محمد باشا والي صيدا واتباعه حين وجهت له الدولة العلية منصب ولاية قونية وكان امرهم ان يخرجوا من محل اسمه قراطاش[1] وان يتوجهوا منه الى آذنة و ينتظروه بها فكان معهم في الحل والترحال الى ان وافوا آذنة ومنها سافر بصحبة قافلة امين الصرة الذي كان يرافق ركب الحج الشامي في سنة ١١٧٨ هـ ١٧٦٤ م الى العاصمة بطريق البر حتى وصل اليها بعد ان اجتاز بمدينة قونية وغيرها وكان وصوله الى القسطنطينية في غرة شهر ربيع الاول سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م ·

« التعريف بصاحب الرحلة »

يظهر من هذه الرحلة التي بخط كاتبها والتي لم تكتب بقصد الافادة انها من نوع

(١) في قاموس الاعلام لشمس الدين سامي الالباني جزء ٥ صفحة ٣٦٣٤ ماتعريبه : قراطاش رأس في ساحل ولاية آذنة غربي مدخل خليج اسكندرون بين جدولي نهر جيحان عند مصبه في البحر والمظنون انه كان قبلاً جزيرة فاتصلت باليابسة بما جرفه اليها مجرى النهر من الأتربة والتجارة ·

المفكرات التي تدوّن باختصار دون بحث واستقصاء ولم نعلم اسم كاتبها الا اننا استدللنا ببيت من الشعر له قال فيه انه الشامي العطار وعلمنا من حديثه انه كان في دمشق يحترف التجارة وانه جاء بيت المقدس مرة بعد أخرى لهذا الغرض . وفهمنا من تعليق له في بعض صحف الرحلة انه حفيد او سبط السيد الشيخ محمد العطار المتوفى في شعبان سنة ١١٧٦ هـ ١٧٦٢ م ولكننا لم نعدم وسيلة للتعرف اليه مما كتبه بنفسه . فقد ذكر لنا في أواخر رحلته اسم الشيخ عبدالوهاب خادم الشيخ عبدالغني النابلسي الذي كان يقيم في مدرسة چورلبلي علي باشا[1] وقد ترجم السيد محمدخليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م للشيخ عبد الوهاب هذا وقال ان ابناء دمشق كانوا يجتمعون عنده على مذاكرة ومداعبة وجاء في سياق ذلك على ذكر الفاضل الاديب السيد محمد العطار الدمشقي بمناسبة لغز كتبه هذا وارسله الى الشيخ ابراهيم الحلبي[2] فأجابه عبد الوهاب بقصيدة جاء فيها :

(ولا عجب اذ أنت في الفضل سيدٌ لجدّك ذي التحقيق في الشرق والغرب)
(أتيت بلاد الروم ضيفاً وطارقاً من الشام من ارض مقدسة الترب)

وقد نقلنا عبارة الكاتب الذي لا نشك بعد هذا في انه محمد العطار في آخر هذا البحث لملاقته في الموضوع .

ولم يذكر السيد محمد العطار جدّ الكاتب بين تراجم المرادي بل ان الذي ترجم

---

(١) علي باشا الچورلبلي من الوزراء الذين ارتقوا مسند الصدارة في القرن الثاني عشر وبعد احرازها صاهر السلطان مصطفى فتزوج من ابنته سنة ١١١٨ هـ ١٧٠٦ م وبعد ان ظل فيها اربع سنين يدير امور الدولة على أحسن ما يكون وشى به بعض من لاخلاق لهم فأقيل وأمر بالخروج الى جزيرة مدللي «متلين» من جزائر البحر المتوسط وقُتل عند قدومه اليها وله في القسطنطينية عدة جوامع ومدارس ومعاهد ودور كتب وغيرها من الخيرات والمبرات الخالدة وترجمته في قاموس الاعلام جزء ٣ صفحة ١٨٨٦ .

(٢) ترجمته في سلك الدرر «ج ١ ص ٣٧» وفيها انه توفي سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م .

له وذكره في كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر هو الشيخ محمد بن عبد ابن عبد الله بن عسكر القاري الاصل الدمشقي الشهير بالعطار المتوفى سنة ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م [١] ·

وقد قصد الكاتب الى عاصمة الملك ليرفع عقيرته بالشكوى على قاضي بيت المقدس الذي لم ينصفه على شريكه النابلسي الذي لم يذكر اسمه ايضاً بل مالأه عليه ولم يصل بنا في رحلته الى ما تم معه لانه وقف فيها في العاصمة او ان بعض اوراقها سقطت فسقطت معها اخباره ·

والذي اهمنا من امر الرحلة هو بعض ما فيها من التعاليق التاريخية التي قد تفيد معرفتها فنقلناها فيما يلي :

(١) انتقل الى رحمة الله تعالى السيد الشيخ محمد العطار جد الفقير في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ [٢] ·

(٢) في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٨ [٣] حضر عندي من اخبرني ان من البدع التي حدثت في هذه الايام انه صار على كل مولود ذكر يولد خمسين فضة وعلى البنت خمسين وانه صار على الجاموس على كل رأس عشرة قروش في السنة وعلى البقر خمسة قروش تؤخذ في كل سنة ·

(٣) تاريخ وفاة علامة زمانه وزاهدهم الملا الياس · ومات الياس التقي الزاهد وفي ثبت شيخنا المنيني ان وفاته كانت بعد صلاة عصر الاربعاء لاربع عشرة ليلة بقين من شعبان سنة ١١٣٨ [٤] ·

(٤) وفاة شيخنا بل شيخ الدنيا سيدي عبد الغني في اواخر شعبان سنة ١١٤٣ هـ

---

(١) سلك الدرر جزء ٤ صفحة ٦١ · (٢) سنة ١١٧٦ هـ يقابلها سنة ١٧٦٣ م ·

(٣) سنة ١٢٠٨ هـ يقابلها سنة ١٧٩٤ م · (٤) لعله الياس بن ابراهيم بن داود بن خضر الكردي نزيل دمشق الذي ترجم له المرادي في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر « ج ١ ص ٢٧٢ » وقال انه توفي ليلة الثلاثاء في ١٦ شعبان سنة ١١٣٨ هـ ١٧٢٦ م وقد قارب المئة او جاوزها ·

عن ثلاث وتسعين سنة قدس سره ولشيخنا ومحبنا عبد الرحمن الشهير بالبهلول التركاني وكان حضرة الشيخ سماه قيّم الأبد قصيدة طويلة في رثاء الشيخ ارّخ فيها وفاته بتاريخين في بيت وهو :

(قد أصبنا بشمس هدى التجلّي أوحد القوم قطب هذا الزمان[1])

(٥) توفي الشيخ عبد الرحمن المجلد سنة ١١٤٤ عن اكثر من مئة سنة ودفن بمرج الدحداح[2] .

(٦) الشيخ محمد الخليلي دخل دمشق عام ١١٢٩ ومات في بيت المقدس ودفن لصيق داره في المدرسة القايتبكية من خارجها وهي لصيق الحرم سنة ١١٤٨[3]

(١) ترجم للشيخ عبد الغني النابلسي في سلك الدرر « ج ٣ ص ٣٠ » وذكر بان وفاته كانت عصر يوم الأحد في ٢٤ شعبان سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م . اما عبدالرحمن البهلول ولم نجد في نسبته التركاني بل قيل الخلاوي فقد توفي سنة ١١٦٣ هـ ١٧٥٠ م على ما ذكره المرادي في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣١٠ » وقال ان له قصيدة في مدح الشيخ عبد الغني مؤلفة من تسعة وثمانين بيتاً احتوى كل بيت منها على تاريخين وذلك سنة ١١٣٦ هـ ١٧٢٣ م . (٢) ترجم له في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣٢٧ » وذكرت وفاته ليلة الجمعة ٢٤ جمادي الآخرة سنة ١١٤٠ هـ ١٧٢٨ م وبين التاريخين فرق كبير قدره اربع سنوات فلعلها سقطت من السلك اثناء النسخ او الطبع . (٣) ترجم له المرادي « ج ٤ ص ٩٥ » وقال ان وفاته كانت سنة ١١٤٧ هـ ١٧٣٤ م ودفن في المدرسة البلدية قلنا وهذه المدرسة كان أنشأها نائب السلطنة بالمملكة الحلبية منكلي بغا وهي اليوم دار لآل الخليلي وفيها مكتبتهم وتقع شمالي المدرسة الاشرفية التي بناها السلطان الملك الاشرف قايتباي التي يكتبها بعضهم وقليل ماهم قايتبك او قايد بك وقد رأيت ان صاحب التعاليق كتبها القائتبكية . اما مكتبة آل الخليلي ففيها الكتب الخطية النادرة وقد كان احد رجالاتهم بنى لها غرفة خاصة بجوار قبة الصخرة قبل اربعين عاماً لينقلها اليها و يقفها على طلاب العلم ففاجأته المنية قبل اتمام العمل فبقيت المكتبة مكانها نتأكلها الرطوبة وتقرضها الارضة كأكثر خزائن الكتب الخاصة في هذا الشرق التعس .

« وعام ١١٢٩ هـ يقابله ١٧١٦ م و١١٤٨ هـ يقابله ١٧٣٥ م » .

(٧) وفاة سيدي عبد الله بن سالم البصري شيخ شيوخنا بمكة عام ١١٣٤ [١] « يقابله عام ١٧٢١ م » .

(٨) وفاة شيخ شيوخنا احمد النخلي قدس سره بمكة سنة ١١٣٠ عن نحو تسعين سنة وهو احمد بن محمد بن احمد بن علي [٢] « وسنة ١١٣٠ هـ يقابلها سنة ١٧١٧ م » .

(٩) وفاة شيخنا صاحب المواهب الجزيلة سيدي محمد بن احمد بن سعيد عقيلة بمكة سنة ١١٥٠ [٣] « يقابلها سنة ١٧٣٧ م » .

وجاء في اصل الرحلة — وهو ما اشرنا اليه في اول الكلام لاثبات ان الرحلة لمحمد العطار الدمشقي — وصف لزلزال القسطنطينية الذي حدث في ١٣ ذي الحجة « لعله في سنة ١١٧٩ المذكورة » في الساعة العاشرة والدقيقة عشرين بعد طلوع الشمس ويقول عنه انه كان عظيماً ومخوفاً وشديداً « قال وكنت تلك الليلة عند اخينا الشيخ محمد جار الله زاده في خان تجاه خان الوالدة فخرجنا جميعاً من الغرفة وخرج الناس من اماكنهم يستغيثون الى ان سكنت فتوجهت انا واياه ومعنا الشيخ خليل الضرير الترياقي فلما صرنا في السوق رأينا الهدم والخراب شيئاً يعسر معه الذهاب فتذكرنا اخينا الشيخ عبد الوهاب في مدرسة علي باشا [٤] فسرنا اليه واذنا للشيخ خليل بالرجوع فلما وصلنا المدرسة رأينا قد هدم اكثرها وسقط من أبنيتها على أناس فماتوا بها فدخلنا الى الشيخ عبد الوهاب فرأيناه في الغرفة ملقى وقد كان خرج ليفر فسقط عليه بعض الهدم فكسر رجله وهو في حالة شديدة فحملناه لرجل وحمل رجل آخر متاعه واخذناه الى غرفة الشيخ خليل الترياقي ثم صرنا ننظر ما حصل من

(١) لم يترجم المرادي له في سلك الدرر بل ذكره في ترجمة عيد التموسي « ج٣ ص ٢٧٣ » وفي ترجمة ابراهيم بن مصطفى الحلبي « ج١ ص٣٨ » ولم يعين تاريخ وفاته

(٢) ترجم له المرادي وقال انه توفي اوائل السنة المذكورة « ج١ ص ١٧١ » .

(٣) ترجم له المرادي في سلك الدرر « ج ٤ ص ٣٠ » .

(٤) هي مدرسة چورليلي علي باشا التي مر ذكرها .

الهدم فوجدناه كثيراً لا يمكن حصره وحاصله ان اكثر ابنية اسلامبول التي بنيت من الحجر سقطت مع سقوط أبنية قليلة من الخشب واما المنارات فقد سقطت الا القليل منها ثم صارت الزلزلة تتكرر ساعة بعد أخرى ويوماً بعد يوم ولكن امرها يتلطف حتى صارت في كل عشرة ايام مرة وربما لا تدرك فأمن الناس وجلسوا في اماكنهم الى نهار الثلاثاء ٢٨ صفر في الساعة الخامسة فحصلت زلزلة أخرى بمقدار الاولى زماناً ولكنها أخف حركة فسقط كذلك بها أبنية كثيرة وسقط اكثر ما كان بني من هدم الاولى وصار بها هلاك كثير ثم بعد ايام يسيرة وردت الأخبار من جهات ارض الروم بهدم وخسف كثير حتى سمعنا ان في بعض الأماكن ارتجت الارض وخسفت باهلها وخرج محلها ماء اسود منتن وصارت الزلزلة تتكرر كثيراً في كل يوم وليلة حتى انه كان ليلة الاثنين اثنا عشر شهر ربيع الاول وكان من عادة آل عثمان ان يصنعوا مولداً للنبي صلى الله عليه وسلم في جامع السلطان احمد فشاع ان في نهار الاثنين يحصل زلزلة عظيمة فأخروا المولد الى نهار الثلاثاء وعملوه في جامع الوالدة برأي شيخ الاسلام ولم يحصل بحمد الله نهار الاثنين شيء ثم في ساعة اجتماعهم نهار الثلاثاء في الجامع حصل حركة خفيفة لم يدركها اكثر الناس » .

وممن اجتمع بهم وذكرهم في رحلته الحاج عبد اللطيف نقيب الاشراف (١) وبدرالدين بن جماعة مفتي الديار القدسية ورئيس خطبائها وامام الصخرة (٢) واحمد ابن احمد الموقت (٣) والشيخ محمد التافلاتي (٤) في بيت المقدس والشيخ محيي الدين

(١) هو عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد القادر الحنفي القدسي وترجمته في سلك الدرر « ج٣ ص ١٣٢ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

(٢) هو بدرالدين بن محمد بن بدرالدين بن جماعة الكناني الحنفي القدسي وترجمته في السلك « ج٢ ص ٢ » وتوفي سنة ١١٨٧ هـ ١٧٧٣ م . (٣) جاء في ترجمة والده احمد في السلك « ج ١ ص ١٧٥ » ان ابنه هذا كان من اعيان القدس وتوفي سنة ١١٨٦ هـ . (٤) هو محمد بن محمد الطيب المالكي الحنفي التافلاتي المغربي مفتي القدس وترجمته في السلك « ج٤ ص ١٠٢ » وتوفي سنة ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م .

الخيري مفتي الرملة (١) والحاج مصطفى النجار من أجواد التجار بيافا (٢) والشيخ ضاهر العمر الزيداني شيخ عكا (٣) والشيخ صادق المفتي بعكا (٤) والشيخ عبدالمحسن السعدي الدمشقي في صيدا (٥) والسيد عبدالقادر نقيب الاشراف في طرابلس الشام (٦) وحسين افندي مفتي آذنة (٧) والسيد عبداللطيف (٨) وبدر علي اغا (٩) والسيد حسين القواس الدمشقي (١٠) والشيخ عبد الوهاب خادم الشيخ عبد الغني النابلسي بمدرسة الشورلي

(١و٢) لم يترجم لهما المرادي ولعل وفاتهما تأخرت عن القرن الثاني عشر ·

(٣) ترجم له المرادي في السلك وسماه عمر بن صالح الملقب بالظاهر ج٣ ص١٨٤ وقال بوفاته سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م وفي هذه التسمية خطأ فان اسمه ضاهر بن عمر الزيداني وان كان اكثر المؤرخين على انه ظاهر بن عمر وكذلك ذكر في حجة شرعية صادرة من محكمة عكا بتاريخ ١٣ جمادى الاولى سنة ١١٧٣ هـ ١٧٦٠ م وبذيلها « وشهدا الشيخ ظاهر بن عمر » · ولكن الرجل نفسه كان يوقع على كتبه بخط يده «ضاهر عمر » وفي دير الكرمل بحيفا كتاب منه أرسله الى رئيسه بتاريخ ٥ ربيع اول سنة ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م وقع عليه كذلك · وفي مجموعة منسوبة الى ميخائيل الصباغ المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٦ م — وهو حفيد ابراهيم الصباغ طبيب الضاهر ومستشاره الذي اورده مورد الملاك — موجودة في خزانة كتب آسقفية الروم الكاثوليك في عكا ذكر اسمه الضاهر اما صالح الذي اعتبره المرادي والد الضاهر فهو احد اولاده ·

(٤) لعله صادق بن مصطفى بن عبدالمحسن بن احمد بن محمد بن بطيش الحنفي العكي مفتي عكا المترجم له في السلك ج٢ ص١٩٢ وفيها انه توفي سنة ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م ·

(٥و٦و٧) لم يترجم المرادي في السلك لهؤلاء الثلاثة ولعل وفاتهم تأخرت عن القرن الثاني عشر وكذلك لم نجد ترجمة حسين افندي مفتي آذنة في قاموس الاعلام ·

(٨) لعله السيد عبد اللطيف بن فتح الله المعروف بالكيلاني الحنفي الحلبي نزيل القسطنطينية واحد المدرسين بها الذي ترجم له المرادي في السلك ج ٣ ص ١٣٢ توفي ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م ·

(٩و١٠) لم يترجم لهما في السلك ·

علي باشا [11] والشيخ محمد جار الله [12] والشيخ خليل الترياقي الضرير [13] في القسطنطينية .

عضو المجمع العلمي العربي

عبد الله مخلص

---

(١١) ترجم المرادي في السلك ج٣ ص١٤٤ للشيخ عبد الوهاب بن مصطفى بن ابراهيم بن محمد الحنفي الدمشقي المشتهر بتلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي وذكر انه كان مقيماً في مدرسة علي باشا المعروف بالجورلي وفي الهامش جورليلي وهو الصواب وقال عنه انه توفي سنة ١١٨٩هـ ١٧٧٥ م .

(١٢) لعله السيد محمد بن عبد الرحيم ابي اللطف المقدسي الذي ترجم له المرادي في السلك ج ٤ ص ٥٢ وص ٥٨ وفي الترجمتين لم يذكر تاريخ وفاته لانه لم يتحققه وابناء ابي اللطف ينتسبون الى جار الله ايضاً وهو لقبهم المعروف اليوم « راجع ما كتبناه عن ابي اللطف وابنائه في مجلة الزهراء بالقاهرة « م ٢ ص ٥٤٨ » .

(١٣) ليس له ترجمة .

مطبوعات حديثة

تقويم العالم الاسلامي

« تأليف السيد لويز ماسنيون طبع في باريز طبعة ثانية سنة ١٩٢٥ »
« في نحو ٤٠٠ صفحة »

Annuaire du Monde Musulman, par M. L. Massignon. Sconde édition (1925) Paris Editions Ernest Leroux, 28, rue Bonaparte.

توسع المؤلف في هذه الطبعة الثانية من كتابه السنوي وزاد كلامه على بلاد الاسلام — احصاءاتها وتاريخها واجتماعياتها واقتصادياتها — تحقيقاً وإمتاعاً. وتعرض لكل بلدفيه ولوحقنة من المسلمين وعرض لاحوالهم ومنازعهم وكل مايفيد القارئ باللغة الفرنسية ورأى ان عدد المسلمين ربما تجاوز في الوقت الحاضر المائتين والاربعين مليوناً . ونحن لانزال على رأينا في ان في هذا العدد نظراً ، لان المؤلف يستند فقط على الاحصاءات الرسمية والاحصاءات على الاكثر يفوتها العدد الحقيقي . وهذه مصر وهي في الغاية من النظام كانت في احصائها الاخير اربعة عشر مليوناً ونحو ربع مليون مع ان جميع من ذاكرناهم في ذلك قالوا انه دون الحقيقة لان البدو هناك يتشاءمون من الاحصاء وربما لم يسجل نصفهم وهم يبلغون نحو مليون ونصف وكذلك الفلاحون لا بد ان يكتم كل رب عائلة ولداً او ولدين من ابنائه وعلى هذا فتكون مصر اليوم على التحقيق نحو ستة عشر مليون نسمة مع ان المؤلف لم يسجل لها سوى احد عشر مليوناً .

وفي هذه الطبعة فصل جميل ذكر فيه المؤلف جريدة باسماء مراكز الدروس الغربية والتهذيبية الخاصة بالشعوب الاسلامية مشفوعة باسماء المشاهير من المشتغلين بها ، فكان عددها في اوربا واميركا اكثر من عددها في مهد الاسلام آسيا وافريقية وعدد المراكز التي تقام فيها أسواق الدروس الاسلامية ٢٠ في الهند و٢٣ في المانيا و١٧ في انكلترا و٨ في فرنسا عدا المستعمرات و٨ في الولايات المتحدة الى آخر ما ذكره وعدد المراكز كلها ١٥٥ مركزاً في القارات الخمس فلمؤلف الكتاب الشكر على عنايته . م . ك

في المرآة

(مختار المرايا التي نشرت في « السياسة الاسبوعية » وطائفة من القطع)
(الادبية الاخرى جرى بها قلم محرر المرآة)
الطبعة الاولى في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ص ١٩٥
سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م

صدَّر المؤلف كتابه هذا ببيت من الشعر لشاعر النيل حافظ ابراهيم وهو قوله :

تريك المرايا الخَلْقَ فيهن ماثلا وهذي تريك الخلق والنفس والطبعا

وقد حوى هذا الكتاب جماع ما في هذا السفر الممتع من المزايا ، وهو في تصوير ٢٩ رجلاً وامرأة من ارباب الشخصيات الكبرى في مصر ترجم لهم باسلوب جديد مزج فيه الجد بالهزل فأبدع ماشاء الابداع ، وأعطاه البيان العربي قياده ، فتنقل في قرائه بين السهل الممتع والصعب الممتنع ، باسلوب طريف قلَّ من يستطيع من كتاب العصر ان يدانيه فيه ، صوَّر مترجميه اولاً صورة هزلية بالريشة ، ثم صورهم بقلمه فوصف خَلقهم وخُلقهم ، وعلمهم وعملهم ، وأبرزهم في خلوتهم وجلوتهم ، كأنك تراهم بعينك وتسمع كلامهم باذنك ، بلسان كأنه لسان كتاب العهد العباسي الاول معجوناً بروح العصر ومعرفة خفايا مصر . والكتاب جدير بكل اديب ان يقرأه بامعان فهو تحف أدب وأخلاق من الطراز الاول . م . ك

رحلة الاندلس

« تأليف السيد محمد لبيب البتنوني طبع في مطبعة الكشكول سنة ١٩٢٧ »
« بمصر ص ١٦٧ »

مؤلف هذا السفر من المولعين بالسياحة من المصر يين دوَّن بعض رحلاته ومنها رحلته البديعة الى الحجاز . وآخر رحلاته هذه الرحلة الاندلسية ذكر فيها وصف أمهات مدن الاندلس اليوم وشيئاً من تاريخها مشفوعاً بالعظة التاريخية التي تستخرج منها مزيناً برسوم آثارها الجميلة وقد اقتبس اشياء ممن رحلوا الى الاندلس قبله من

المعاصرين ، ومنها ما عزاه اليهم ومنهـا ما سكت عن نسبته لاصحابه ولعله لا يفوته ذلك في الطبعات التالية فان بركة العلم اسناده ونثني على همة الرحالة الاديب المفنن ·

م · ك

مجموعة خطب

« محمد طلعت حرب بك »

طبعت في مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٢٧ ص ٢٥٦

صاحب هذه الخطب من اكبر علماء الاقتصاد والمالية في وادي النيل وهو صاحب الفكرة الاولى في انشاء مصرف مصر الذي بلغ في سبع سنين منزلة سامية بين المصارف وحفظ لمصر جزءاً من ثروتها · وهذه المجموعة هي مما ألقاه المؤلف في العهد الاخير في تعليم المصر بين قيمة الاعمال المالية ، تفنن فيها ما شاء علمه واختصاصه · والكتاب مزين بصور جميع من أسسوا بنك مصر من رجال المال والاعمال ومحلى بغير ذلك من الصور · م · ك

تاريخ اليمن

« المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، تأليف الشيخ »

« عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني ، طبع في المطبعة السلفية بمصر »

« سنة ١٣٤٦ ص ٤٠٠ »

طبع مؤلف هذا الكتاب عدة أسفار منها مجالات ألفها ، ومنها كتب لبعضهم نشرها ، وآخر مؤلفاته هذا السفر ، تكلم فيه عن اليمن وأئمتها ونقودها وصنائعها ورجالها ومعادنها وتجارتها وما الى ذلك من أحوالها الاخيرة وسياستها ، واتبع كل ذلك بفهرس المواد ثم بفهرس أسماء المواضع والبلدان وأسماء الصحابة والتابعين ورجال هذا القرن · وقد استفدنا منه ان الامام يحيى ايده الله بنى سنة ١٣٤٤ مكتبة عظمى بالجامع الكبير بصنعاء وجمع لها من الكتب النفيسة من كل فن وجمع خزائن كتب

الوقف القديمة التي في صنعاء . وكنا نود لو يعرى هذا الكتاب النافع من القصائد المطولة التي ليست من جيد الشعر ولا تفيد التاريخ ، وان يقلل المؤلف من ذكر الكرامات مثل كرامات الامام يحيى بن حمزة من اهل القرن السابع (ص ٣٦) وقوله انه منذ دفن في ذمار فقدت منها الحيات والهوام وان التراب الذي فوق قبره اذا وضع في محل لم يبق فيه حية ولا ثعبان الخ . فمثل هذه الامور تضعف الثقة بالكتاب. وللمؤلف الشكر على نشطته في خدمة الآداب . م . ك

تاريخ مساجد بغداد وآثارها

« تأليف السيد محمود شكري الالوسي وتهذيب الشيخ محمد بهجة الاثري ، »
« طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣٤٦ بنفقة امين عالي بك العباسي »
« وزير الاوقاف ص ١٥٧ »

وهذا ايضاً من الكتب التي أخرجها للناس الاستاذ الاثري الذي عودنا منذ سنين ان يؤلف ويهذب كل نافع من كتب العلم والأدب ويبحث بحث المحقق الجيد . والكتاب كما عرف من اسمه في وصف المساجد رتبه مهذبه ترتيباً مقبولاً لان المؤلف العلامة الألوسي كان لا يتكلف في املاآته وتآليفه ، وقد علق تلميذه مهذب الكتاب تعاليق جميلة أبانت عن مقدرة في فهم تاريخ أمته واخلاص في تحديثها بحقائقه . وقد شفعه بفهارس للاعلام على عادته في معظم ما نشره ، فالشكر له على خدمه الخالصة للآداب والعلم . م . ك

منتخبات التواريخ لدمشق (؟)

« للسيد محمد اديب آل تقي الدين الحصني — الجزء الاول طبع في المطبعة »
« الحديثة بدمشق عام ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م ص ٤٠٠ »

دعا جامع هذا الكتاب كتابه في الصفحة الاولى « منتخبات التواريخ لدمشق » وفي المقدمة « غاية المرام في منتخبات تواريخ دمشق الشام » فلم يدر القارئ على اي

التسميتين يعتمد . والاولى ان يقال في الاول « منتخبات تواريخ دمشق » فيصح التركيب ويناسب الكتاب . كانت موضوعات هذا الجزء في اختصار الكتب والطباعة ومبدإ بناء دمشق وسكانها ودخولها في حوزة العرب وما تعاقب عليها الى ساعة طبع الكتاب واستطرد جامعه استطرادات تخرج عن التاريخ وذكر الأبدال والأبطال ! وكنا نود لو عزا صاحب الكتاب كل قول الى قائله ليكون سفره ادنى الى الثقة وأبعث على الطمأنينة . م . ك

خلاصة احصاآت

« وزارة المعارف العامة »

أهدت الينا وزارة معارف الدولة السورية كراسة تتضمن خلاصة الاحصاآت المتعلقة بمدارسها و بسائر المدارس السورية لسنة ١٩٢٦–١٩٢٧ م الدرسية . وقد أدرنا طرفنا في جنبات تلك الاحصاآت فتبين لنا منها ان عدد الطلاب والطالبات المقيدين في المدارس الاميرية عام ١٩٢٦ – ١٩٢٧ المدرسي بلغ ٢٣١١٧ وهو يفوق عددهم في عام ١٩٢٥ – ١٩٢٦ الذي لم يتجاوز ٢١٧١٥ ويرجع السبب في ذلك الى زيادة عدد الاناث وشدة اقبالهن على الدرس في كل انحاء البلاد . وكان عدد الطالبات المسلمات عام ١٩٢٥ – ١٩٢٦ : ٣١١١ فبلغ في عام ١٩٢٦ – ١٩٢٧ ٤٧٦٢ فتكون الزيادة ١٦٥١ طالبة وعلى ذلك القياس في سائر الطوائف غير المسلمة التي يتألف منها سواد الامة . وكان مجموع مدارس الذكور الاميرية عام ١٩٢٥ – ١٩٢٦ : ٢٤٤ مدرسة ومجموع مدارس الاناث ٦١ مدرسة فأصبح في عام ١٩٢٦ – ١٩٢٧ ٢٥٠ مدرسة للذكور و ٥٩ للاناث فتكون مدارس الذكور قد زادت ستاً ومدارس الاناث نقصت مدرستين وكان هذا النقص من نصيب لواء دمشق كما ان الزيادة في مدارس الذكور نتجت عن تأسيس خمس مدارس للحضانة في ولاية حلب .

وبلغ عدد المدارس الاهلية في المملكة عام ١٩٢٦ – ١٩٢٧ من حضانة بتدائية وتجهيزية ١٣٥ مدرسة منها ١٠٢ للذكور و ٣٣ للاناث وبلغ مجموع طلابها

المقيدين ٣٩٢٩ طالباً من الذكور و٦٤٥٣ من الاناث · وبلغ مجموع معلمي المدارس الابتدائية العامة والخاصة في السنة المذكورة ٩٨٣ معلماً و٤٠٦ معلمات · وكان مجموع طلاب وطالبات الصفوف الثانوية في مدارس التجهيز والمعلمين والمعلمات ١١٣٠ طالباً وطالبة كما كان مجموع هيأة التعليم في المدارس المذكورة ٦٢ معلماً ومعلمة ·

وبلغ طلاب فرعي الجامعة السورية (الحقوق والطب) في السنة المذكورة ٢٩٩ طالباً و١٢ طالبة منهم ١٨٦ في معهد الحقوق والباقي في شعب الطب المختلفة · ونال شهادة الجامعة في العام المذكور ٥٢ طالباً منهم ٣٤ من الحقوق والباقون من شعب الطب المختلفة · واوفدت وزارة المعارف الى فرنسا عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ المدرسي ثمانية طلاب للاختصاص في الفنون المختلفة · وأرسلت ايضاً طالبين الى بيروت للدخول في دار الهندسة · هذا عدا الطلاب الذين كانوا أرسلوا الى فرنسا في العام الماضي والذي قبله للتخصص في الآداب والفنون ·

المغربي

الروائع

اسم سلسلة من الأبحاث الأدبية يصدر تباعاً بشكل مجلة لطيفة الحجم حسنة الشكل لصاحبها (فؤاد افرام البستاني) أستاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف في بيروت وطريقته في هذه السلسلة الأدبية انه يعمد الى أديب مشهور في العرب فيذكر موجزاً من ترجمته وشخصيته الأدبية ثم يخص بالذكر أشهر مصنفاته وآثاره المطبوعة فيحللها ويعلق عليها عند اللزوم · مثال ذلك : امير المؤمنين علي بن ابي طالب وكتابه نهج البلاغة · والمتنبي وديوان أشعاره · وابن بطوطة وكتاب رحلته وهكذا · ويظهر للتصفح لهذه الاجزاء ان المؤلف يرمي من وراء تأليفه الى غرض شريف الا وهو افادة الناشئة العربية الذين يصعب عليهم تناول هذه المباحث الأدبية من معادنها فهو يتناولها لهم ثم يناولهم إياها بحيث تعقلها فهومهم وتهضمها عقولهم ويكون لها الأثر البين في تربيتهم الادبية وما يكتبونه من المقالات والمحاضرات العلمية والتاريخية ·

ه

كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية

وضعه الدكتور طه حسين بالافرنسية في ختام درسه في جامعة السربون في باريس ليستحق إجازة الدكتوره فحازها سنة ١٩١٧ ، ونقله الى العربية المحامي محمد عبد الله عنان سنة ١٩٢٥ ، وفيها طبع بمطبعة الاعتماد بمصر في مئة وخمس وستين صفحة ، وقد أضيف اليه ترجمة رسالة (فون وسندُنك) عن الالمانية المسماة : (ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربي في القرن الرابع عشر) للمترجم ايضاً ، وهي رسالة قيمة في بضع عشرة صفحة ٠

للفيلسوف ابن خلدون وللاستاذ طه حسين من الشهرة ما يغني كلاً منهما عن التعريف ، وهذا الكتاب موضوعه تحليل ونقد لفلسفة ابن خلدون ؛ فهو إذن فلسفة فلسفة ، لذلك يكون المتوسع في الكلام عليه قد زاد السلسلة حلقة أخرى فجاء بفلسفة فلسفة الفلسفة ، وهذا يتجاوز شأن مجلتنا فيما تكتبه عما يهدى اليها من الكتب ، فنحن ندع ذلك الى ارباب هذا الشأن من مؤيدي مذهب ابن خلدون او نقادي مؤلفات الدكتور طه حسين الذين نثق بانه لا يفوتهم ، ونكتفي هنا بالألماع الى ان في هذا الكتاب انظاراً جديرة بالاعتناء ، ومباحث دقيقة لم يطرقها احد ممن تكلم عن ابن خلدون ، وهي مما اقتضاه مذهب الدكتور المعروف في الشكوك ، حتى ان في رسالة (وسندُنك) المارة الذكر ما يخالف نظر الدكتور ٠

وعلى كل للمؤلف الفضل في فتح هذا الباب ليلجه المحصون فيوفوا ابن خلدون حقه من تحليل ونقد هو بهما جدير لما له من الشأن الخطير ٠

عضو المجمع العلمي العربي

مسعود الكواكبي

كتاب الزراعة الجافة

« ترجمه ووضعه نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل يقع في ٢٦٨ صفحة »
« من القطع المتوسط »

الأرض اليابسة هي التي لا يمكن اسقاؤها والتي يهطل عليها في السنة مطر لا يزيد ارتفاعه على ٥٠٠ ميلمتر ولا ينقص عن ٢٥٠ ميلمتراً لانه اذا نقص عن ذلك المقدار تعذر استغلالها اقتصادياً بلا ري . وزراعة الارض اليابسة فن يبحث عن خزن أمطار السنة في الارض ، والاحتفاظ بهذه الأمطار ، ومنع انطلاق الماء من التراب على شكل بخار بقدر الإمكان ، ومص النبات المزروع للماء المختزن في جوف التراب وانفضاجه اي اخراج الماء نتحاً او عرقاً ، ثم انتقاء النباتات الصالحة للارض اليابسة وبيان طرائق زرعها الى غير ذلك من أبحاث زراعية وملحوظات مختصة بالبعل من الأرض التي لا ترويها أمطار كافية .

أشهر من ألفوا في هذه الأبحاث أستاذ اميركي يدعى (ودسو) وهو مدير مدرسة زراعية في احدى الولايات المتحدة الاميركيـــة . وقد تُرجم كتابه بالفرنسية ولدي نسخة من طبعة الترجمة الثانية طبعت سنة ١٩١٢ . وقد كنت لخصتها وأضفت اليها ملحوظاتي في بلاد الشام ودرّستها قبل تسع سنين في مدرسة الغوطة الزراعية ثم ذكرت موجزاً في هذا الفن في « كتاب الزراعة العملية الحديثة » المطبوع سنة ١٩٢٢ .

وما كان يجول في خلدي ان يقوم الاستاذ السيد نجيب نصار في سنة ١٩٢٧ وهو غير اخصائي بالزراعة فيترجم كتاب ودسو او بعضـه لانه يستحيل على من لم يتعلم الفنون الزراعية وما يتعلق بها من العلوم ان يبرز لنا ترجمة مفيدة لكتاب كهذا ، والدليل على ذلك انني كنت أفتح بعض صفحاته بدون تعيين فأكاد ارى في كل منها أغلاطاً فنية اولغوية مثاله انه لم يفرق البرسيم (Trifolium Alexandrinum) من الفصفصة (Medicago sativa) (صفحة ١٦١) وانه جعل غاز الكربون مركباً من مواد نباتية وحيوانية ... (صفحة ٢٧) . وقد سمى نباتات الفصيلة القطانية (قرنية ، بقلية) خضراً (صفحة ١٦٣) فهل الحمص والعدس والكرسنة من الخضراوات

او البقول ۰۰۰ ؟ ولم يهتد الى الاسماء التي اصطلح عليها أساتذة الزراعة في ترجمة كثير من الآلات فسمي المحراث ذا القلب « محراثاً أعقف » والمحراث ذا الصفائح « محراثاً ذا دوائر » والمملسة او الملاسة « مدحلة » ومعزق الخيل « محركاً » الخ . وتكلم على سنابل الشعير فسمي سفاها « شوارب ولحى ۰۰۰ » كما سمى عصافتها «غلفا» (صفحة ١٦٠) .

وقال في الصفحة (١٥) انه لا يوجد في البلاد العربية ومنها بلاد الشام مقاييس للمطر الا في بعض المدن وانه لا يمكنه تعيين مقادير المطر في تلك البلاد عن علم حقيقي الخ ۰۰ ولو كان الاستاذ ممن يتتبعون هذه الامور لعلم انني أرصد الأحداث الجوية بدمشق منذ عشر سنين متتابعة وان لدينا في حكومة سورية منذ خمس سنين مقاييس للمطر في أهم الأقاليم الزراعية كحوران وسهل حمص وجبل الشومرية وسلمية وشاطىء الفرات وجبل الأحص الخ عدا ان لليسوعيين مرصداً شهيراً في البقاع وآخر في بيروت ناهيك بمرصد الاميركيين وان لليهود مقاييس للأمطار في اهم قراهم في فلسطين .

ولم أعلم لما ذا سمى كتابه « الزراعة الجافة » مع علمه بان الزراعة حرفة وان الحرفة لا تكون جافة او رطبة . وقد ترجم الفرنسيون لفظ (Dry - Farming) بقولهم (Culture des terres sèches) اي زراعة الارض اليابسة وهكذا كنت ترجمته . ولو اطلع على ما كنت كتبته وكتبه غيري في هذا الصدد لرأى ان اجدادنا العرب القدماء كانوا عليمين بكثير من قواعد هذا الفن كما يتضح من جمل كثيرة في كتاب ابن العوام الاشبيلي . وبعد فللاستاذ السيد نجيب نصار فضلاً كبيراً ولكن في غير الفنون الزراعية فحبذا لو وقف كل امرىء في التأليف عند حد اختصاصه .

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

كتاب البقول

« لمؤلفه الامير مصطفى الشهابي »

ما برح زميلنا الامير مصطفى الشهابي يخدم زراعة البلاد العربية عامة والشامية خاصة باهدائها طريف الأبحاث التي تمس الحاجة اليها وليس عندنا ما يملأ فراغها . ففي سنة ١٩٢٢ أخرج (كتاب الزراعة العملية الحديثة) وفي سنة ١٩٢٣ رسالة (مسك الدفاتر الزراعية) وفي سنة ١٩٢٤ (كتاب الأشجار والانجم المثمرة) واليوم (كتاب البقول) الذي يبحث في زرع الخضر في أقاليم بلاد الشام ونظائرها . هذا عدا مقالاته الزراعيــة في (المقتطف) والزراعية اللغوية في (مجلة المجمع العلمي العربي) .

يذهب بعض من ليس لهم إلمام ببسائط الفنون الزراعية الى ان الكتب الزراعية الصادرة في مصر تفي بحاجتنا وتغنينا عن معاناة التأليف والنشر . وقد فاتهم ان لكل قطر أقاليم وأتربة وحاجات اقتصادية تختلف عما في غيره ولامندوحة عن تنويع العمل الزراعي وتسييره حسب هذا الاختلاف . فالكتب الزراعية المصرية تحصر مباحثهــا بما يناسب إقليم وادي النيل وحاجاته وهي تبعد كل البعد عما يمكن إتيانه في بلادالشام ذات الأقاليم والأتربة المتنوعة . ولذا لا يمكن للزراعين الشاميين ان يشفوا بالكتب المصرية غليلهم .

فصاحب (كتاب البقول) قد سد في مؤلفه هذا حاجة المشتغلين بزراعة الخضر في بلادنا فاستحق بذلك شكرهم كما شكره من قبل المشتغلون بالزراعة الواسعة ثم المرتزقون بتربية الأشجار وتصدير الثمار .

يقع (كتاب البقول) في ٢١٣ صفحة ويحتوي على ٤٦ شكلاً . ويتناول البحث في قسمه الاول (تعريف وتقسيم البقول وأشكال بساتين البقول واحداثها والآلات والادوات اللازمة لها والأتربة والأسمدة والمصلحات والاسقاء وكيفية تكاثر البقول) ، وفي قسمه الثاني خمسين بقلاً من البقول الثمرية كالباذنجان والباندورى والبامية والفليفلة والخيار ...الخ والبقول الخضراء كالكراث والخرشوف

والسلق والاسباناخ والملفوف والقنبيط ... الخ والبقول المسقولية كالبطاطا والقلقاس والكرنب والشوندر والجزر واللفت ... الخ .

وهو يذكر في بحث كل بقل اصله وتحليته واصنافه الشامية والافرنجية وتقليمه وتربته وزمن زرعه وطريقة الزرع وتعهده ومحصوله واستعماله . والكتاب مبوب تبويباً جيداً ، متقن الطبع ، حسن الرسوم والأشكال ، صحيح العبارة ، يدل على ما عانى واضعه من الجهد في تأليفه . فقد استعان بأهم الكتب الفرنسية الباحثة في زرع الخضر ودوّن فيه اختباراته الشخصية . وانتقى من معاجم اللغة أصح الكلمات العربية لاسماء البقول المعروفة وتحرى منشأها فما وجده قديماً معروفاً لدى أسلافنا ذكره وعني بضبط الحركات في تلفظها وكتابتها فقال مثلاً : ان (اللوبياء) كانت تسمى التامر والدَّجْر والدُّجر و (الكزبرة) الكسبرة والتقرة وان (النعنع) يلفظ بضم النون الاولى والثانية وهو ايضاً النعناع بفتحها ، وان الباذنجان له بضعة اسماء عربية منها الأنب والحيصل والمغد والوغد . ونقل عن كتاب « شفاء الغليل » للخفاجي ان الملوخيا لم تكن معروفة قبلاً وانها حدثت بعد سنة ٣٦٠ من الهجرة وانها ذكرت للمعز بالقاهرة فأكلها واستلذها فسميت ملوكية فحرفتها العامة وقالت ملوخيا ... وسمى ما يسميه الفرنسيون (Légumes tubéreux) بقولاً مسقولية تبعاً للطبيب العالم امين المعلوف الذي استعار كلمة المسقول وهو الكمء للساق الجذري اوالعرق الذي يسمى (Tuber) وجمع مؤلف (كتاب البقول) تحت عنوان (البقول المسقولية) البطاطا والقلقاس والشوندر والجزر والكرنب والفجل واللفت والبصل والثوم .

ومما أعجبني استعماله كلمة (الخلال) لما يسميه الفرنسيون (Culture intercalaire) فقال في (الصفحة ٦٩) : « ان من أصناف الخضرة ما يقحم بين نبتات أصناف أخرى كما يقحم فلاحو كفرسوسة (من قرى دمشق) صغار نبتات الملفوف بين نبتات التبغ الكبار » .

غير ان الكتاب مع غزارة مادته وجودة مباحثه لم يخل من بعض نواقص رأيت ان ألفت نظر المؤلف الفاضل اليها . فقد سها عن بحث (الاعمال التي تجري في البساتين) كالحرث وأنواعه لاسيما عملية «النقب» التي لها مكانتها الكبرى في البساتين وكالعزق والتمليس (الحدل) وإبادة الأعشاب وتخطيط المساكب . ولا يكفي ان يقال

انه من ذكرها في كتاب الزراعة العملية الحديثة . لان هذه الأعمال تختلف في البساتين عما هي عليه في الحقول اختلافاً بيناً يدعو المصنفين في زراعة الخضر الى بيانها وشرح طرائق القيام بها . وكنت أتمنى لو أضاف على أبحاث الكتاب نبذة عن (تجارة البقول في بلاد الشام) ليطلع القراء — ولو تقريباً — على أنواع ومقادير البقول التي تصدر من هذه البلاد الى الاقطار المجاورة وما يرد اليها وعلى الطرائق التي يجب اتباعها لتزييد هذه التجارة وتوفير واردها .

وقد جاء في (صفحة ٩) ان الأسرة في سلمية وحماة تستغل نحو ثلاثة هكتارات وفي بساتين المرج (مرج الغوطة) خمسة هكتارات او اكثر . وصحيحه ان فدان البساتين في سلمية وحماة ذو مساحة قدرها ثلاثة هكتارات تقسم بين أسرتين فيصيب الواحدة هكتار ونصف فقط . اما اهل (المرج) فلا نظن انهم يشتغلون بزراعة الخضر واحداث البساتين وهم لتوالي الحميات والوبالة عليهم ينوئون تحت اعباء المحاصيل الشتوية فما بالك بالخضر التي تحتاج الى تعهد وعناء وفيرين . وجاء في (صفحة ١٤) ان الاوربيين يغرسون حول البساتين لاتقاء الارياح صفوفاً من اشجار السرو والصنوبر اوالاوكاليبتوس . فاستعمال السرو لاجل الغاية التي ذكرها صحيح . اما استعمال الصنوبر والاوكاليبتوس فلم يسمع به . لان انواع الصنوبر كثيرة ليس منها ما تمتلئ سيقانه من تحت الى فوق باغصان مشتبكة تحجز الرياح كالسرو . والمعروف عن الاوكاليبتوس انه من اشد الاشجار شرهاً لجذب الرطوبة وتجفيف الاراضي المستنقعة فهو إذن مضر جداً ببساتين الخضر المحتاجة الى الرطوبة والري اكثر من جميع النباتات . وجاء في (ص٥٧) عند البحث عن طريقة (البذر نثراً باليد) ان البستاني (يمد يده الى الوراء وينثرها على شكل قوس دائرة ...) وعندي ان هذا الوصف ينطبق على بذر الحبوب كالحنطة والشعير في الحقول الواسعة لا على بزور الخضرة وجلها ذات حجم صغير ووزن خفيف ففي نثر بذور الخضرة لا يحتاج البستاني الى مد يده الى الوراء ولا الى تأليف قوس دائرة بل تراه منحنياً بعض الانحناء لا يبعد يده عن صدره الا قليلاً وهو ينثر رويداً رويداً على النثر من بين الإبهام والشاهدة على مساحة لا تتجاوز المتر او المترين في كل نثرة . وجاء في (ص٢٠٤) ان الأعشاب تقتلع من بين النبتات الحاصلة من زرع بزور البصل بالمنكاش بواسطة نساء يستأجرن لهذا الغرض .

وصحيحه ان هذه النبات المعروفة في الديار الجوية باسم (الصمدة) تخرج متآصرة جداً كشعر الفرشاة لا يمكن للمنكاش ان ينفذ بينها ويعمل عمله . وإذن لا تنقى الاعشاب الا باليد . وجاء في (ص١٩٣) ان نبات الشوندر تقتلع عندما يصير طولها نحو متر . وصحيحه ٠،٢٠ متر وهي هفوة مطبعية .

هذا والكتاب متبرع بالفوائد الجليلة و يعد من خير ما وضع في هذا الفن لخريجي المدارس الزراعية وطلابها وللمشتغلين بزراعة الخضر وإحداث البساتين . مما يحملنا على تقدير العمل الجيد الذي قام به مؤلفه الفاضل و يدفعنا الى تهنئته ببروز هذه الحلقة من سلسلته الزراعية التي يخرجها الى عالم العربية بهذه الحلة القشيبة .

المهندس الزراعي

وصفي زكريا

كتب ورسائل مختلفة

(١) « مرقاة الترجمة » للصفوف العالية في اللغتين الفرنسية والعربية تأليف الأب يوسف علوان اللعازري (الجزآن الثالث والرابع) طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ ص ١٦٧ .

(٢) مرقاة الترجمة ايضاً للاب يوسف علوان اللعازري (الجزآن الثالث والرابع) كتاب المعلم طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ ص ١٩٢ .

(٣) التقرير السنوي عن سير المعارف بالعراق لسنة ١٩٢٦—١٩٢٧ طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ٣٦ .

(٤) « الروضة الطبية » لعبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع عني بتصحيحها القس بولس سباط طبعت بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٧ ص ٧٣ .

(٥) « الندى المتان على منظومة روضة الاحسان في بيان مكيّ ومدني القرآن » لمؤلفه الشيخ محمد سعيد حسن السعيد اللاذقي طبع في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٢٦ م ١٣٤٤ هـ ص ١٠٤ .

(٦) تقويم جامعة ادنبورغ عن سنة ١٩٢٧—١٩٢٨ طبع في ادنبورغ سنة ١٩٢٧
Edinburgh University Calendar 1927 - 1928

(٧) الفتيات قصة للسيد انور فوق العادة طبعت في مطبعة فتى العرب بدمشق (١٦ص) .

(٨) روضة الناظر وجُنة المناظر في اصول الفقه الحنبلي لموفق الدين ابي محمد عبد بن احمد بن قدامة المقدسي الدمشقي ، معها شرحها « نزهة الخاطر العاطر » للشيخ عبد القادر بدران الدومي الدمشقي امر بطبعه جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٢ بالمطبعة السلفية الجزء الاول ص ٤٢٤ والجزء الثاني في ٤٨٠ ص .

(٩) نصوص عربية في اللغة العامية في وادي الشحرور نشرها بالفرنسية والعربية في المجلة الآسياوية الفرنسية المنسنيور ميخائيل فغالي من اساتذة جامعة بوردو .

(١٠) جريدة مطبوعات مكتبة ومطبعة المعارف بمصر لسنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ طبعت بمطبعة المعارف .

(١١) بيان اعمال جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية التي تأسست سنة ١٢٩٦ هـ لعامها الثامن والاربعين طبع بمطبعة المصباح في بيروت ص ٥٤ .

(١٢) رسالة في اسماء الريح لابن خالويه النحوي نشرها السيد كراتشقوفسكي في لينينغراد .

(١٣) لماذا انا مسيحي « تأليف الدكتور فرانك كراين » عربه بتصرف قليل الارشمندريت انطونيوس بشير وعني بنشره السيد يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العجالة بمصر ص ٣٤٦ .

(١٤) نزهة الطرف في قراءة الكف تأليف السيد حنا اسعد فهمي تطلب من مكتبة العرب بمصر ص ٦٩ .

الجزء ٥ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايار سنة ١٩٢٨ م الموافق وذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٤٦ هـ

حياة الالفاظ(١)

اذا طرحتك النوى مطارحها ، فكتب لك ان تزور باريز استطعت ان تذوق حلاوة الدنيا ، وتشعر بنضارة الحياة ، ومن محاسن باريز الفتيات العاملات اللواتي ينصرفن في الصباح الى العمل ، انصراف النحل الى اجتناء الزهر ، ثم يفرغن من عملهن ، فيلهون ولا لهو العنادل على ملتف الاغصان ، أطلق الفرنسيون على هذه الفتيات اسم (Midinettes) فالاسم مشتق من كلمة (Midi) ومعناها الظهيرة ، لانهن يفلتن في الظهيرة كما تفلت الطير من الانماص ، فيخرجن من المخازن والمعامل ، فيسرحن كما يسرح سرب المها ، فاذا سمعت احاديثهن على الطريق فكأنك قد سمعت دويّ النحل ، فتراهن ذاهبات من الاوبرا الى ساحة الفاندوم ، ومن المادلين الى الشان — اليزه ، وترى الشوارع والمطاعم والمقاهي والملاهي مكتظة بهن ، فاذا رأيتهن رأيت الألوان على مختلفها ، وعرفت كيف تكون الابتسامات على الثغور ، وكيف تكون التخيلات في الخواطر ، شعر قصير ، وشباب ناعم ، وقامة رشيقة ، وخلقة فتانة ، فهن نضارة باريز وغضارتها ، ولولاهن لما كان لباريز رونق وبهجة فكلمة (Midinette) العذبة ترد بطبيعتها على شق القلم وطرف اللسان ، أدمجها كبار الكتّاب في رواياتهم ، فتأصلت في اللغة الا انها عرضت يوم الخميس الماضي على قاعة باريز الفتانة ، اي على

(١) محاضرة الاستاذ السيد شفيق جبري القاها في ردهة المجمع العلمي في ١٧ شباط سنة ١٩٢٨ .

الاكادمية الفرنسية وليدة رِيشوليو ، وكان لها امل ان تحني الاكادمية بها لعذوبتها ونعومة صباها ، ولكن الاكادمية لم تمهد لها سبيلاً في معجمها فقطبت في وجهها واطرحتها .

هذه خلاصة ما قرأته في مقال وقع عليه النظر في جريدة الطان في ٢٩ آذار المنصرم وقد أسف صاحب المقال الاسف كله على اطراح هذه الكلمة ، مبيناً انه ليس من شأن الاكادمية قلب الألفاظ المصطلح عليها واحتقارها وانما مهمتها المحافظة على المصطلحات الكثيرة الدلالة وقد أضاف الكاتب الى كلامه ان من الواجب الاقتداء بمالرب ومولبير في المسامحة والاستئناس بالمصطلحات المستفيضة في طبقات الشعب ثم ختم مقاله بما يلي :

« اللغة التي لا يزيد غناها قليلاً في كل يوم تفتقر وتنضب ، وقد كان كتابنا في عصر التجدد لايجهلون ذلك فكانوا يفتشون عن أسلوب فيه حياة وخفة وله طعم ولون ويقتبسون استعاراتهم عن مصطلحات الصيادين ، وعن كلام امراء البحر وتعابير اصحاب المطابع ، فكانوا يجدون انه من الضروري ان ينشأ على الجذع اللغوي القديم طعم على شرط ان يكون هذا الطعم سهلاً ، دالاً على شيء قد أبدعه الاصطلاح ، فلمَ لا نحذو نحوهم » .

مالنا ولفتيات باريز ، فالمقصد من هذه المقدمة الموجزة كلمة الكاتب التي أشرت اليها وهذه هي « اللغة التي لا يزيد غناها قليلاً في كل يوم تفتقر وتنضب » .

* * *

هل يتيسر لي قبل ان أخوض في موضوع من اجل الموضوعات اللغوية ، هل يتيسر لي قبل ان أبين كيف تغنى اللغة وكيف تفتقر ، ان أذكر شيئاً من نشوء اللغة واصلها وماهو مذهب المحافظين على أوضاعها ، والمجددين لأساليبها وماهي علل المحافظة والتجديد واي سبيل ينبغي لنا ان نسلكه في عاملين يتنازعان اللغة . عامل المحافظة وعامل التجديد ، اذا تهيأ لي ان أذكر شيئاً من ذلك كله في محاضرتي هذه استطعت في محاضرة أخرى ان أوضح على قدر الامكان كيف تولد الألفاظ ، وكيف تحيا ، وكيف تموت .

يقول عنترة في معلقته :

(هل غادر الشعراء من متردم)

و يقول امرؤ القيس :

(عوجا على الطلل القديم لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حزام)

و يقول زهير :

(ما ارانا نقول الا معارا او معادا من قولنا مكرورا)

فالذي يستنبط من كلام عنترة وامرئ القيس وزهير انه جاء قبلهم شعراء جالوا في الشعر كل مجال ، وحلّقوا في سمائه كل محلّق ، وقد انقطعت عنا اخبار الذين أورثوا عنترة وامرأ القيس وزهيراً وأمثالهم نتائج الخواطر وثمرات القرائح ، وانطوت آثارهم فلا نعرف عنهم شيئاً ، فلغة العرب متقادمة العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف ، فلا ريب في انها قد سبقتها أحقاب مديدة انتقلت فيها اللغة من طور الى طور وتدرجت الى الكمال حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، فالعصور التي انتقلت اللغة في خلالها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الأسرار وهذه ثلمة في تاريخ ادب العرب لاننا لا نعرف كيف تدرجت اللغة العربية تدرجها الطبيعي ، ولا بد في الاحاطة بذلك من الرجوع الى اللغات السامية والتنقيب عن الكتابات القديمة ، على ان لغة العرب لم تنته الينا بحذافيرها فان الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير وكثير من الكلام ذهب بذهاب اهله ، قال ابن فارس : « ذهب علماؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الأقل ولو جاءنا جميع ماقالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير » .

فالذين يظنون ان لغة العرب قد تكاملت فجأة يخالفون في ظنهم اصول العلم الحديث قال رنان (Renan) :

« من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب اظهار سره انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة بادئ بدء غير معروفة ، فبدت فجأة غاية في الكمال سلسلة غنية واي غني ، كاملة حتى انها من ذلك العهد الى يومنا هذا لم تعدّل اقل تعديل ذي

شأن ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لاول امرها تامة ولا أدري اذا وقع مثل ذلك للغة من لغات الارض دون ان تدخل في أطوار مختلفة .

تقول رنان هذا مخالف لقواعد العلم ، لا شيءَ يكمل فجأة على وجه الارض ، مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات ، فكما ان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش فتموت ، فكذلك اللغات فانها أشبه شيءٍ بهذه المخلوقات .

ما هو اصل اللغة ، وهل هي توقيف ووحي او اصطلاح وتواطؤ ، وما هو رأي العلماء في ذلك ؟ .

قال الاستاذ (دارمستتر — Darmestteter) في كتابه « حياة الألفاظ الذي سأشير اليه في هذه المحاضرة :

« ما هو اصل اللغة ، لم تخرج هذه المسألة الدقيقة عن حد الفرض ، فالعلماء لا يزالون يحدسون فيها ويخمنون ، فقولهم فيها من باب حدس الظن ، فالعلم لا يزال في هذا الموضوع فطيراً ، حتى انك لاتجد في اللغات التي انتقلت الينا آثارها القديمة ، (اللغات المصرية والسامية والهندية — الاوربية) الا صيغاً حديثة وراءها ماض مديد ، جرت فيه تطورات شتى لا يصل تحقيق المحققين مها أمعنوا فيها الا الى مصادر مشتقة من مصادر اولية ضاعت آثارها ، فاللغة البشرية وحدها لا تمهد سبيلاً الى معرفة اصلها فلا بد من تجاوز أفقها حتى نصل الى معرفة الاصل وربما أدت المقابلة بين لغة البشر ولغة الانواع الحيوانية الى نتائج حديثة في مبحث لا يزال من مباحث ما وراء الطبيعة » .

وقال ابو الحسين احمد بن فارس في فقه اللغة وكان من اهل السنة : ان لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله تعالى : « وعلّم آدم الاسماء كلها » وقد ذهب هذا المذهب الكاتب الفيلسوف الفرنسي بونالد (Bonald) فهو يرى ان الرجل عجز عن انشاء لغة له فأوحى الله اليه لغة تامة كاملة وايد مذهبه بهذه الحجج :

(١) لا يستطيع الرجل ان يفكر من دون الكلام .

(٢) اللغات القديمة هي اكمل اللغات .

(٣) اللغات كلها مشتقة من لغة اولية .

بيد ان هذه الآراء قد نقضها العلم الحديث .

وقال ابن جني في الخصائص وهو من المعتزلة :

ان أكثر اهل النظر على ان اصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح ، وذلك بان يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا الى الإبانة عن الاشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً اذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز عن غيره ، وهذا هو رأي الفيلسوف اليوناني ديموقريطس (Démocrite) فهو يقول بان اصل اللغة انما هو اصطلاح وتواطؤ فقد اخترع اللغة رجل ماهر ثم تواطأ الناس بعده على قبولها ، ولكن هذا المذهب لا أنصار له اليوم .

اما علماء التحوّل فانهم يرون ان اللغة انما هي نتيجة تطور القوى الحيوانية .

وقد نسب كل من الفيلسوف ريد (Reid) والفيلسوف جوفروا (Jouffroy) اللفظ الى غريزة خاصة .

والمستشرق الانكليزي مولر (Müller) يقول بان البشرية كان لها في الاصل قوة تمكنها من انشاء المصادر ، ثم اضمحلت هذه القوة على الايام .

ويرى رنان (Renan) ان من طبيعة الرجل الكلام كما ان من طبيعته التفكير .

يعتقد معظم علماء النفس في هذا العصر ان الكلام انما هو نتيجة عمل بطيء تكامل على التدريج ، وهم يجعلون للغة اصلاً طبيعياً ، والظاهر ان تقدم علماء اللغات يؤيد هذا المذهب فقد كانت اللغات القديمة على مايقولون غير كاملة ثم تكاملت شيئاً فشيئاً بنمو قوى الرجل الطبيعية ، وفي استطاعتنا ان نقول ان الرجل قد وهبت له الطبيعة عضواً مرناً ، واذناً دقيقة ، وعقلاً قادراً على التجريد والتعميم ، فاستطاع ان يخترع اللغة ، بدأ قبل كل شيء باللغة الطبيعية ثم استعمل حكاية الاصوات وأدوات التعجب والتأوه ثم تمكن بفضل التجريد والتعميم من استعمال الاشارات ، وقد أشار السيوطي الى شيء من هذا المذهب اشارة خفية فقال :

« وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات كدوي

الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، وتزيب الظبي . ونحو ذلك ثم ولّدت اللغات عن ذلك فيما بعد » .

وقد بين أكيا المرامي في تعليقه في اصول الفقه الحكمة الداعية الى وضع اللغة فقال : ان الانسان لما لم يكن مكتفياً بنفسه في معاشه ومقيات معاشه لم يكن له بد من ان يسترفد المعاون من غيره ولهذا اتخذ الناس المدن ليجتمعوا ويتعاونوا ، وقيل : ان الانسان هو المتمدن بالطبع والتوحش دأب السباع ولهذا المعنى توزعت الصناعات وانقسمت الحرف على الخلق ، فكل واحد قصر وقته على حرفة يشتغل بها ، لان كل واحد من الخلق لا يمكنه ان يقوم بجملة مقاصده ، فحينئذ لا يخلو من ان تكون حاجته حاضرة عنده ، او غائبة بعيدة عنه ، فان كانت حاضرة بين يديه أمكنه الاشارة اليها . وان كانت غائبة فلا بد له من ان يدل على محل حاجاته ، وعلى مقصوده وغرضه ، فوضعوا الكلام دلالة ووجدوا اللسان أسرع الاعضاء حركةً وقبولاً للترداد ، وهذا الكلام انما هو حرف وصوت .

هذا اليسير من آراء العلماء في اصل اللغة ولعل البحث عن لغة الطفل أهون امراً ، يألم الطفل وهو يعلم انه اذا صاح وصرخ حمله اهله وعطفوا عليه فيصيح ويصرخ ليحملوه فهذا مبدأ اللغة ، ثم يشعر بحاجته الى الافصاح عما يشعر به ، فيلجأ قبل كل شيء الى اللغة الطبيعية . الاشارات والاصوات ، فاذا أراد الدلالة على الحاجات الحاضرة أشار اليها ، واذا أراد الابانة عن الحاجات الغائبة قلد أصواتها . وهذه هي حكاية الصوت ثم يردد أداة التعجب التي يفصح بها عن هائجة من هوائجه ، اومائجة من موائجه ، وعلى هذا يشتق الكلام شيئاً فشيئاً من الصوت غير الملفوظ ثم يدرك الطفل ان بين الحاجات مناسبات شتى في تلاصقها وتشابهها فيطبق الألفاظ المخترعة على حاجات حديثة ، وأضف الى هذا كله التعليم . فعلى هذا الوجه تنشأ لغة الأطفال .

اما وقد بينت على سبيل الايجاز أصل اللغات وأشرت الى اليسير من آراء العلماء في نشوء اللغة . فلنبحث عن مذهب المحافظين والمجددين في اللغة ، وما هي عوامل المحافظة والتجديد .

اقتنيت من زمن قريب كتاباً اسمه (حياة الالفاظ) وضعه دارمستتر

(Darmesteter) استاذ الادب الفرنسي في القرون الوسطى ، ومدرّس تاريخ اللغة الفرنسية في معهد الآداب في باريز ، يشتمل هذا المؤلف الجليل على خمسة دروس قررها (Darmesteter) في السوربون في أواخر سنة ١٨٨٥ بحث فيها عن خصائص الحياة التي تحملها أذهاننا الالفاظ في الافصاح عن المعاني ، فهو مبحث فلسفي عن الطرائق المنطقية والعلل الروحية واللغوية التي ينطوي عليها تطور المعاني ، الا ان الكاتب لم يتعرض في كتابه الا للغة الفرنسية دون غيرها من اللغات ، وكان مقصده تحريك العقول للتطلع وترغيب قومه في التعمق في درس لغتهم وتتبع نموها ، والاحاطة بعبقريتها ، لقد قرأت هذا المؤلف فأبقى في نفسي اثراً بليغاً ، فأحببت ان انقل شيئاً من هذا الاثر الى غيري مجتزئاً بالاجمال دون التفصيل ، ومكتفياً بالايجاز من غير تطويل .

* * *

اتى على العلماء حين من الدهر كانوا في خلاله يدرسون اللغة اليونانية واللغة اللاتينية باعتبارهما لغتين ميتتين ، فكانوا يتعلمونهما حتى تنفذ مداركهم الى الآيات البينات التي تشتمل عليها هاتان اللغتان ، كانوا يتعلمونهما حتى يتأملوا هذه الآيات ويتدربوا على فن الكتابة الصعب بتقليدهم صوراً من الانشاء منقطعة النظير فكانوا يمعنون في اظهار أسرار المخطوطات ويبحثون في مبانيها النادرة حتى يتكامل فهمهم للغة النسخ الاصلية .

ولما اكتشف (السانسكريت) نشأ علم اللغات فتفرغ العلماء لدرس اللغات درساً مجرداً ، وأصبح تاريخ اللغات غاية يسعى اليها المنقبون فلم يعد اللغوي يقتصر على درس لغات شيشرون ، وفيرجيل ، وسوفوكل ، وديموستين الجميلة فانه جاوز هذه اللغات الى درس اللغة اللاتينية القديمة واللاتينية في عهد الانقراض واللهجات الايطالية المشوّهة ، و يونانية هوميروس ، واليونانية البيزانطية ، واللغات العامية المنتشرة في بلاد اليونان ، فأصبح العلماء يهتمون بدرس اللغات على مختلفها من أرقاها الى أدناها فيطلقون عليها ويمعنون في دراستها ، وهم الآن يتتبعون التحقيق حتى يضعوا فهرساً كاملاً يشتمل على كل اللغات التي يتكلم بها البشر اليوم في جميع الارض ، و يعنون بتحديد

اصولها وتبيين نموها وايضاح الصيغ التي تعاقبت على الفاظها ومفرداتها وصرفها ونحوها ويجدّون على قدر الامكان في ان يكتشفوا من وراء تاريخها تاريخ الحضارات .

لا تزال اللغات تنتقل من طور الى طور وتندرج من أفق الى أفق على تعاقب السنين ، واذا استعرضتها في اي عصر من عصورها وجدتها يتنازعها حزبان من أبنائها : حزب يحاول ابقاءها على حالتها ، وحزب يذهب بها مذهباً جديداً .

فالطائفة التي تحرص على ابقاء اللغة في حالة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل تحتج بحجج شتى ، منها تعلقها بمذاهب حضارتها وحرصها على تقاليدها ، واعتناؤها بتلفظ اولادها ورغبتها الغريزية في ان يكون لها لغة مصطفاة ثم اذا تعمقت في الأسباب التي من أجلها يحافظ المحافظون على لغتهم وجدت لكتب الدين تأثيراً عظيماً كالتوراة والقرآن ، واذا جاوزت هذا الأفق الى أفق أعلى تجلت لك شدة استمساك المحافظين بلغتهم بسبب الكتب الأدبية التي أولعوا بها لجمالها وحسنها فهذه هي أعظم الاسباب التي تدفع المحافظين الى التمسك بمحافظتهم ، فهم يريدون صفاء اللغة وقد تجمع هذه الاسباب كلّها واحدة وهي « ثقافة الفكر » .

والحزب الآخر اي الحزب الذي يذهب باللغة مذهباً جديداً فانه يتوسل الى ذلك بثلاث وسائل : اما بقلب اللفظ واما بقلب الصرف والنحو واما بقلب المفردات .

(١) الخروج على وحدة اللغة بطريق التلفظ .

تغيير التلفظ منشؤه الطفل ، فالطفل بسبب اعضائه الصوتية الدقيقة يفسد الكلمات التي لا يسهل عليه لفظها ، وفي الاغلب فان اهله واساتذته يصلحون خلل لفظه وفي بعض الأحايين فهو الذي يتولى اصلاح هذا الخطأ ولكنه في الاكثر اذا كبر هذا الطفل وترعرع فانه يحتفظ بمعايب اللفظ التي وقع فيها في حداثة سنه فيبلغ سن الرجولية ولفظه مشوّه ، فيمتد هذا الفساد من الولد الى الأسرة المعاصرين او القرية او المقاطعة فيتمكن هذا الفساد في اللغة ويعم امره فيحدث حينئذ حادثان : اما ان يمتد تغيير اللفظ الى البيئة التي نشأ فيها فيمتد الى القرية والى جماعة من الناس تربطهم روابط الحياة وفي هذه الحال فان الفساد اللفظي تدرج عليه الجماعة من دون شعور والناس الذين نسوا اللفظ الاول يستعملون اللفظ الثاني المشوه ، واما ان لا يعم امر

التغيير اللفظي الا في قسم من الجماعة و يرفضه القسم الآخر فيحدث حينئذ اختلاف اللهجات وقد حدث هذا الاختلاف في لغات العرب . قال الفراء « كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية ، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ ، من ذلك الكشكشة وهي في ربيعة ومضر والكسكسة والعنعنة وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم ، ومن ذلك الفحفحة في لغة هذيل ، والوكم في لغة ربيعة ، والوهم في لغة كلب ، والعجعجة في لغة قضاعة ، والاستنطا في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس ، والوتم في لغة اليمن ، والشنشنة ايضاً . ومن العرب من يجعل الكاف جيماً كالجعبة يريد (الكعبة) ومن ذلك الخزم ، وذكر الثعالبي في فقه اللغة « من ذلك الخلخانية تعرض في لغة أعراب الشحر وعمان والطمطمانية تعرض في لغة حمير » الى غير ذلك من مختلف لغات العرب ولهجاتها ومن أراد الاستزادة فليرجع الى المزهر .

قلنا ان الخروج على اللغة يكون بالتلفظ ويكون ايضاً بتغيير النحو والصرف وهذا السبب هو أبلغ اثراً لانه يتناول لب اللغة اي النحو والصرف ، وانك لتشاهد في هذا الحادث قوة جديدة بسيكولوجية تنازعها قوة أخرى فيسيولوجية اي قوة التشويه الصوتي وهذا التنازع يوضح لك ان في كل لغة خاصيتين طبيعية ومعنوية فان اللغة باعتبارها أصواتاً تتعلق بالعالم الطبيعي ، و باعتبارها الفاظاً مفصحة عن الفكر تتعلق بالعالم المعنوي .

انك لتصادف مثلاً في اللغة صيغة من الصيغ النحوية او كلمات أواخرها متشابهة واحدة فتأتي بالقياس فتطبق هذه الصيغة على سلسلة من الكلمات فتنزع عن هذه صيغها وأواخرها الخاصة وتفرغها كلها في قالب واحد فتحدث صيغة واحدة بدلاً من صيغ مختلفة فمرة يحصر القياس في نمط واحد الصيغ الكثيرة فيوحد بهذا العمل قواعد النحو والصرف فالصيغة النحوية التي تكون لطائفة كبيرة من الكلمات المتشابهة يعم امرها و يطلق سلطانها فتذهب بالشذوذ وتقضي عليها .

ومرة يخلق القياس صيغاً جديدة فتستخدم اللغة القياس لاظهار صيغ حديثة فاذا كان مدار الامر على إنشاء صيغة حديثة في النحو والتركيب فان اللغة تسلب كلمة

او كلمات خصائص لا توجد الا في هذه الكلمة او الكلمات وتطبقها على مجموع من الكلمات من طبيعة واحدة وأضف الى هذه العوامل كلها عامل الدخيل . فان الامة تكتسب كل يوم اموراً وأفكاراً حديثةً وانماطاً في الفهم والحس جديدة ، فلا بد من ايجاد اسماء جديدة لمسميات جديدة وهذه الاسماء تؤدي في الأغلب الى انقراض كلمات قديمة لان الافكار الحديثة والألفاظ الدالة عليها تعفي على آثار الالفاظ القديمة .

فاذا عمل حزب من الحزبين على حدة وأعرض عن الحزب الآخر فماذا يحدث ؟ اذا انحصرت اللغة في مركز واحد بطلت حركتها وهلكت ولا ريب في ان الشعوب التي ليس لحضارتها تبدبل تستطيع ان تحفظ لغتها على وجه الدهر من دون ان يمس هذه اللغة شيء فاذا كان الفكر ثابتاً لا يتغير فاللفظ الذي يدل على هذا الفكر يثبت ولا يتغير ، ولكن اذا بلغ الحرص على التقاليد مبلغاً يمنع اللغة عن تتبع مذاهب الافكار والمعاني واستحكم التناقض بين أفكار الامة وبين القوالب التي تفرغ فيها هذه الافكار ، نفدت مادة اللغة فكلّت وهلكت واليك مثلاً شهيراً في اللغة اللاتينية المدرسية اي لغة الكتّاب الرومانيين والطبقات العالية فان هذه اللغة امتنعت عن تتبع اللغة العامية في نموّها وتشددت في المحافظة على أسلوب مقدس وفي آخر الامبراطورية هلكت هذه اللغة وتركت المجال للّغة العامية الحية القوية التي انبعثت من آفاقها لغات شتى ولهجات مختلفة مستعدة للاستيلاء على الميراث الذي خلفته اللغة الفصحى .

واذا عمل الحزب الذي يذهب باللغة مذهباً جديداً على حدة دون الاستعانة بمذهب المحافظين فان اللغة تقذف مقاذف مختلفة فتتحول سريعاً فرة تتعاقب عليها عدة بطون فتصل الى حالة مختلفة كثيراً عن الحالة السالفة حتى تكاد تكون لغة جديدة وأحياناً تتشعب الى طائفة من اللغات وهذه اللغات تتشعب ايضاً الى ما لا حدّ له ، فقد قيل ان في جملة اللغات المتوحشة بطناً من الناس يشهد لغات تولد ثم تموت لتولد على شكل آخر الا ان هذا التغير المستمر قد جاوز الحد حتى أصبح مخالفاً لغرض اللغة وغايتها وأضاع على اللغة قسماً من فائدتها ومنفعتها طالما انك سمعت ان في بعض لغات المتوحشين التي ألمعت عليها لا يفهم الشيوخ معاني كلام الأحداث فان في هذا الامر شيئاً غير طبيعي يشبه في علم اللغات عجائب المخلوقات في علم التاريخ الطبيعي . ثم ما هو السبب

الاول في هذا التطور الذي لا نهاية له ان هو الا جهل المتوحشين الذين يتكلمون بهذه اللغات وضعف عقولهم لان اللغة تتأيد بالحضارة ٠

يقولون الآثار الادبية تفسد خصائص اللغات الطبيعية ، ولكنك اذا قبلت هذه الآراء فاتك ان تقدم الحضارة التي تنشأ عنها آداب اللغة وأساليبها الفنية انما هو حركة طبيعية لها أسباب مثل أسباب سائر مظاهر أعمال البشر كالفن والدين والاخلاق والمعاهد الاجتماعية والسياسية الخ ٠٠٠٠

يقولون ان العوامل التي تعمل في نمو لغات المتوحشين ولهجاتهم هي أبسط فيسهل تعيينها ، ولكن العوامل التي تعمل العمل نفسه في اللغات الأدبية وان كانت مركبة فانها طبيعية ايضاً ومتى كان تركيب الحوادث علة لحط من العلم الذي ينظر في هذه الحوادث فقد استعار علماء بعض الشعوب العصرية طائفة من الكلمات اللاتينية واليونانية وأدمجوها في اللغة من دون تغيير فولدوا بذلك في لب مفردات اللغة الطبيعية مفردات حديثة ولكن هذه الاستعارة كانت مطابقة لعلل طبيعية يحددها التاريخ وقد أدى تمازج مفردات العلماء ومفردات العامة الى حوادث جديدة يظهر فيها على وجود مستحدثة نشاط اللغة الذي لا يفتر فاذا كانت اللغة آلة يستعملها الناس ليفضي بعضهم الى بعض بخوالجه ولواعجه فكلما انبسط أفق الفكر بسبب الحضارة وامتدت أفياؤه استفادت اللغة في التعبير عن المعاني الجديدة وازداد شرفها وعظمتها ٠

اي سبيل ينبغي لنا ان نسلكه في المحافظة والتجديد ، أفنبالغ في المحافظة مبالغة ليس فيها شيء من الروية والحكمة على حين تجد الحضارة في كل يوم تخرج من أفق ضيق الى أفق أوسع و ينبسط العلم انبساطاً يستلزم استحداث مصطلحات لا عهد للغة بها وابتكار أساليب فنية تستوعب مخترعات الحضارة والعلم ام نسير في التجديد سيراً تصبح فيه اللغة كريشة في مهب الريح فتستفيض فيها الفوضى فلا يعرف لها اصل يرجع اليه ، لا ريب في ان وقوف اللغة عند حد لا تتجاوزه يفضي بها الى انقطاع مادتها ونضوب معينها وان الذهاب بها كل مذهب في التبديل والتغيير يقضي عليها على ان لغة العرب لم تجمد في عصر من عصورها اللهم الا في عصر تقلص فيه ظل العرب عن ديارهم ، فقد كانت اللغة تنتقل من حال الى حال ، وتخرج من طور الى طور

في جاهليتها واسلامها وفي أمويتها وعباسيتها ، فكثير مما نراه قديماً في هذا العصر كان حديثاً في عصره ، وكثير مما نجده حديثاً في هذا الزمن يصبح قديماً في غير زمننا سنة التطور في الخلق ، نظرة في تاريخ أدب العرب تطلعك على شيء من هذا التطور ، أفلم يكن امرؤ القيس مؤسس الاساس في زمنه كانوا يقولون : أسيلة الخد حتى قال امرؤ القيس : أسيلة مجرى الدمع ، وكانوا يقولون : طويلة القامة وجيداء وتامة العنق وأشباه هذا حتى قال : بعيدة مهوى القرط وكانوا يقولون في الفرس السابق : يلحق الغزال و يسبق الظلام وأمثال هذا حتى قال بمنجرد قيد الاوابد هيكل ومثل هذا له كثير .

أفلم يأت الاسلام بمصطلحات لا عهد للجاهلية بها ، هل كان في الجاهلية للحج والصلاة والزكاة وأمثال ذلك المعاني التي كانت لها في الاسلام ، أفلم يأخذ كلمات كثيرة عن غير العرب .

أفلم يكن بشار بن برد اول المولدين ، أفلم يكن ابو نواس اول الناس في صرم القياس وذلك انه ترك السيرة الاولى وجعل الجد هزلاً والصعب سهلاً .

نظرة في تاريخ أدب العرب توقفك على مذاهب الألفاظ والمعاني في كل عصر من عصور اللغة فيتحقق عندك ان اللغة لم تقف في يوم من ايامها ، انها سارت في القديم وانها تسير في الحديث سيراً مطابقاً للعلل الطبيعية والاسباب الاجتماعية ، لم تقف اللغة ولا ينبغي لها ان تقف في عصر استفحل فيه العمران وانبسطت مذاهب الحضارة وامتدت أفياء العلم فلا بد من مصطلحات حديثة لمعان حديثة ، فحياة اللغة متوقفة على تتبع روح العصر بقدر مايكون من التمهل ، على ان يكون للغة صلة متينة بماضيها وما يشتمل عليه هذا الماضي من حضارة وتقاليد وآثار فنية وأدبية : لا غلوّ في المحافظة ولا غلو في التجديد ، هذه هي حياة اللغة .

قد مضى القول في اصل اللغة ومذهب المحافظين والمجددين وسأتفرغ في محاضرة ثانية اذا أمكنت مناهز الفرص للكلام عن حياة الألفاظ فأبين كيف تولد هذه الألفاظ وكيف تحيا وكيف تموت اهـ .

ابو حيان التوحيدي

— ٣ —

كتابه ثمرات العلوم

قال ابو حيان في مقدمة هذا الكتاب : « أطال الله بقاءكم وأدام كرامتكم ، وحرس نعمه عليكم ، وحفظ مواهبه لديكم ، ولا أخلاكم من عوائده الجسيمة ، وفوائده الكريمة ، وجعل حظ الغريب السلامة بينكم ، اذا فاتته الغنيمة منكم . وقد كان يقال من لم يغضب لنفسه ناصراً ، لم يغضب لبني جنسه منتصراً ، ومن لم يخف (لعلها يقف) عند العظيمة منتصفاً ، لم يرج عند النوائب مسعفاً ، ومن لم يأنف من القذع في عرضه آبياً ، لم يبت على الخسف الا راضياً ، والغضب وان كان مذموماً عند بعض الخلال ، فانه محمود في بعض الأحوال ، وكما ان استمرار الغضب في جميع الأحوال ، نوع من فساد الأخلاق ، كذلك ايضاً الرضا في جميع الامور ، ضرب من ضروب النفاق . ولا بد من التقلب بين الرضا والغضب ، كما انه لا بد من التردد بين الراحة والتعب .

« وقد كنت أحب لصديقي وجليسي ، ومن يأنس بمكاني ، ان لا يجعل اللجاج مطيته ، والمحَك والمكر طويته ، فان ذلك أحسن له عند الله ، وأزين له عند الناس ، ومن بعد ذلك فاني لم أرد بلادكم من العراق مباهياً لكم ، ولا حضرت مجالسكم طاعناً فيكم ، ولا تأخرت عنكم متطاولاً عليكم ، ولا تتبعت مساويكم شامتاً بكم ، بل وردت مستفيداً ومفيداً ، ومباحثاً ومستزيداً ، فما هذا الذي بلغني عن بعضكم على حسن توفري على صغيركم وكبيركم ، اما انه لو أنصف لعلم اني الى تسمحه ، أحوج مني الى تصفحه ، وهو بمجاملته اسعد مني بمجادلته ، وانا لاحسانه اشكر مني لامتحانه ، وهذا باب باطنه ظاهر ، وشاهده حاضر ، وخفيه جلي ، ولكن ما اصنع والشاعر يقول : « انما للعبد مارزقا » .

« ولعمري ما زال الناس يعتادون التقاذف والتقارف ولكن كانوا يرون التساعف والتناصف ولا يتناسون بينهم التعاون والتوازر والترادف والتناصر

والذي هاجني لهذه الشكوى وأحوجني الى هذه العدوى قول قائل منكم : ليس للمنطق مدخل في الفقه ولا للفلسفة اتصال بالدين ولا للحكمة تأثير في الأحكام وهذا كلام من لو انعم النظر واستقصى الحال لوقف على ما عليه فيه وعرف ماله منه . فكان يستبدل بالخلاف وفاقا وبالمنازعة خلاقا عاب هذا الرجل المنطق وهجن طريقة الأوائل وزرى على الحكمة وفيل رأي الناظر فيها وقبح اختيار الباحث عنها وهذا كله ان لم يكن قلة سوء تحصيل فانه يوشك ان يكون ضيق عطن وحرج صدر ومجازفة في القول وانحرافاً عن الصواب وامناً من الاعتقاب الخ . وربما نيل من عرض صاحبها وأنحى باللائمة عليه من اجلها وهو قلم لا يقصد الا الخير ولا اراد الا الرشاد وقد يؤتى الانسان من حيث لا يعلم ويرى من حيث لا يتقي كما يؤتى من حيث لا يحتسب وينجو وقد اشفى ويدرك وقد غلب الناس» .

وعاد في آخر الرسالة وختمها بقوله يعتذر عن طولها : قد تكرر اعتذاري من طول هذه الرسالة وكان ظني في اولها انها تكون لطيفة خفيفة يسهل انتساخها وقراءتها فماجت بشجون الحديث وروادف من الطيب والخبيث فاقبل حاطك الله هذا العذر الذي قد بدأته واعدته ونشرته وطويته على انك لو علمت في اي وقت ارتفعت هذه الرسالة وعلى اي حال تمت لتعجبت وما كان يقل في عينك منها يكبر في نفسك وما يصغر منها بنقدك يكبر بعقلك اه . . .

وفي الحق ان رسالته في الصداقة والصديق قد حملت من آراء الناس الى عصره كل ما رق وراق من المنظوم والمنثور في موضوعه ولم يقتصر على حكماء الاسلاميين بل تعدى الى ايراد اقوال فلاسفة يونان . وفي الرسالة من رسائل الكتاب في هذا الباب ما هو مفيد على غابر الاحقاب . وقد ذكر ابا سليمان المنطقي وابا سعيد السيرافي غير مرة وروى عنهما ما دل على اعظامه لهما شأنه في مقابساته . ولا مراء في ان رسالة الصداقة والصديق مرآة صادقة تمثلت فيها افكار اربعة قرون في هذا النوع الصغير من الأدب . ولغة حوت مثل هذه الافكار وهذه المعاني هي ولا شك أغنى اللغات بادبها .

وهذه الرسالة على ما رأيناها كتبها بباعث لقوم لم يفهموا مقصده من العلم وتأولوا

كلامه بجبهم بما كتب وأجاد . وجميع كتبه على ما ظهر من النظر في المعروف منها بمادعا الى وضعه دواع حافزة وامور جاش بها صدره فهي معمولة بالمناسبات لا مستعملة ولذلك جاءت عليها هذه الطلاوة التي نحسها ونلمسها .

نموذج من كتاب المقابسات

والمجمع العلمي البغدادي في القرن الرابع

من جملة كتب ابي حيان التي نجت من مخالب العدم وتناقلها الناس الى عصرنا كتاب المقابسات . واسمه صيغة تفاعل من قبسته او اقبسته علماً وخبراً اي ان كلاً اقبس صاحبه علماً وصاحبه اقبسه من علمه . ذكر فيه ابو حيان واكثره من محفوظه بعض ما وقع اليه من مفاوضات علماء مشهورين كانوا في بغداد يختلفون الى مجلس صديقه وأستاذه ابي سليمان المنطقي محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني وعنه اكثر مروياته فيتذاكرون في موضوعات شتى في الفلسفة او ما وراء الطبيعة والادب واكثرها على طريقة السؤال والجواب لرجال جمعت بينهم كلمة العلم والحكمة وهذبت نفوسهم الآداب العالية يتناجون بالافكار الصحيحة والشاذة ولم يفرق بينهم اختلاف نحلهم ومذاهبهم .

والعلم هو الجامعة الكبرى بين البشر وكان فيهم المجوسي والصابئ واليعقوبي والنسطوري والملحد والمعتزلي والشافعي والشيعي أمثال ابي زكريا يحيى بن عدي وابي الفتح البوشجاني وابي محمد المقدسي العروضي وابي بكر القومسي وعيسى بن ثقيف الرومي وابن مقداد وابي القاسم الانطاكي وكان يعرف بالمجتبى وابي محمد الاندلسي النحوي وابي اسحق الصابي والخوارزمي الكاتب ووهب بن يعيش الرقي وابن سوار ومالي المجوسي وابي الحسن محمد بن يوسف العامري وعبيد الكاتب والبديهي وابي اسحق النصيبي وابي علي عيسى بن زرعة المنطقي ومظهر الكاتب وابي الخطاب الكاتب وغيرهم « من كل من هو واحد في شأنه وفرد في صناعته » وكان مذهبهم في الفلسفة على الارجح مذهب ارسطاطاليس شأن معظم فلاسفة الاسلام أمثال ثابت بن قرة وحنين بن اسحق و يعقوب بن اسحق واحمد بن سهل البلخي وابن مسكويه والقمي والسرخسي

والنيسابوري . يطلقون في جلساتهم الخاصة عنان أفكارهم ويخرجون عن القيود الكسبية قاصدين الى هدف واحد وهو معرفة حقائق الاشياء مجردة لا تشوبها المؤثرات شأن علماء العصور الاخيرة من اهل الحضارة الحاضرة . واذا احببت تعريف كتاب المقابسات بمصطلح اهل هذا العصر فقل هو محضر جلسات المجمع العلمي البغدادي في القرن الرابع وكان لا يحضرها الا من يدعى اليها ويوافق من اكثر الوجوه على ما يلقى فيها .

وهذه المجامع مثال ناطق بافصح بيان بان النصرانية لم تكن مضطهدة في العهد العباسي كما زعم بعضهم بل ان الاسلام كان دين الدولة والبلاد لاهلها فكانت بحكم الطبيعة كلمة المسلمين هي العليا وقد ساووا عامة اهل المذاهب بانفسهم الا قليلاً على صورة لم تصل اليها اكثر دول الحضارة الحديثة اليوم . وعلى ذكر هذه المجالس لا بأس بان نقول ان علماء العرب ما برحوا منذ الاعصر المتطاولة يتألفون ويتعاشرون في أندية لهم خاصة تجمعهم جامعة الاعمال العقلية فيتقاربون وان اختلفوا في مظاهرهم وقد لا يخليهم الزمن من موسع عليه من بينهم يفتح صدر مجلسه لهم يستطلع طلع افكارهم ويأنس بهم ويأنسون به ويعطف عليهم ويعطفون عليه . وقد تكون مجالسهم ذات صبغة لها من اهل الدولة من يحميها اوتكون للسمر واللعب واللهو وتعاطي اللذائذ . ومعظم ما تناهى الينا من اخبارها مفيد جد مفيد .

غلطات الترجمة والفرق بين الشريعة والحكمة وكلام في التصوف

سئل ابو سليمان المنطقي لِمَ لم يصفُ التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وأمثلة الألفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة فقال : انا لا نظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية افاضلهم وعرف حقيقة أقوال متقدميهم بل كان في القوم من رأى رأي العامة وحط الى ما حطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين الفاضلين وهذا اذا حل لا يكون قادحاً فيما نصصناه من القول في حقائق التوحيد الذي ظفر به خلصان الحكمة وفرسان الصناعة . على ان الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية

قد اخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق اخلالاً لا يخفى على احد . ولو كانت معاني يونان تهجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع وتصرفها الواسع وافتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل الينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص ولو كنا نفقه عن الاوائل أغراضهم بلغتهم كان ذلك ايضاً نافعاً للغليل وناهجاً للسبيل ومبلغاً الى الحد المطلوب ولكن لا بد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان عليها وخفايا لا يهتدي احد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن الهيولى والضعف الثابت في الطينة الاولى وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذاً للخلق ومعاذاً للعالم .

قال ابوحيان لابي سليمان : ما الفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال : ما هو ظاهر لكل ذي تمييز وعقل وفهم وطريقتهم موسسة على مكايلة اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء اما بشهادة من العقل مدخولة واما بغير شهادة منه البتة والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس او يحكم به العيان او على ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم والتخييل مع الإلف والعادة والمنشإ وسائر الاعراض التي يطول احصاؤها ويشق الاتيان عليها وكل ذلك يتعلق بالمغالطة والتدافع وإسكات الخصم بما اتفق وإتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر لا تليق بالعلم ومع سوء أدب كثير نعم ومع قلة تأله وسوء ديانة وفساد دخلة ورفض الورع بجملته والفلسفة ادام الله توفيقك محدودة بحدود ستة كلها تدلك على انها بحث عن جميع ما في العالم : من ظاهر للعين وباطن للعقل ومركب بينهما ومائل الى حد طرفيهما على ما هو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا إلف تنفر معه جناية التقليد مع أحكام العقل الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل ما ند وانقلب من غير ان يكون اوائل ذلك موجودة حساً وعياناً وكانت محققة عقلاً وبيانا ومع اخلاق الهيئة واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع اشياء كثيرة يطول ذكرها وتعدادها ولا تبلغ اقصى مالها من حقها في شرفها .

ثم قال : وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول : اني لأعجب كثيراً من قول اصحابنا

اذا ضمنا وإياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن ار باب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر وصح وظهر كأن سائر الناس لا يتكلمون او ليسوا اهل كلام لعلهم عند المتكلمين خرس وسكوت · اما يتكلم ياقوم الفقيه والنحوي والطبيب والمهندس والمنطقي والمنجم والطبيعي والالهي والحديثي والصوفي · قال وكان يلهج بهذا وكان يعلم ان القوم قد احدثوا لانفسهم اصولا وجعلوا ما يدعونه محمولاً عليها ومسؤولاً عن عرفها وان كانت المغلطات تجري عليهم ومن جهتهم بقصدهم مرة وبغير قصدهم أخرى ·

قال ابو حيان رويت لابي سليمان كلاماً لبعض المتصوفة فلم يفكه ولم يهش عنده وقال : لو قلت انا في هذه الطريقة شيئاً لقلت : الحواس مهالك والاوهام مسالك والعقول ممالك فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك ومن قوي على المسالك أشرف على المهالك شرفاً يوصله الى المالك · قال ابو الخطاب الكاتب : ايها الشيخ هذا والله أحسن من كل ما سمع منهم فلو زدتنا منه فقال : الحواس مضلة والاوهام مزلة والعقل مذلة · فمن اهتدى في الاول وثبت في الثاني أدرك في الثالث ومن أدرك في الثالث فقد أفلح ومن ضل في الاول وزل في الثاني خاف ومن خاف في الثالث فهو من الهمج · واستزاده مظهر الكاتب البغدادي فاستعفى قال : هذا حديث قوم ابعد منا على بعض المشاكسة ... الى ان قال : فسبحان من له القدرة وهذه الخليقة ومنه لاسرار في هذه الطريقة اه ·

على هذا النحو كانوا يمضون في احاديثهم فقد صرح احدهم بما يراه في التصوف ولم يحط منه ولا من المنصرفين اليه وتناول آخر المتكلمين في غير ما تدليس وتأدب معهم والمتكلم غير مسلم وعلم الكلام خاص بالاسلام لكن العلم مشاع لاهل كل مذهب ولم يحمل كلامه على غير محمله وقال آخر في الفلسفة وامتدح من معاني اليونان وقال لو كتبت بالبيان العربي لكانت غيرها وهذه هي الحرية المطلقة ولولاها ما عاش علم صالح ولا انبعث عقل راجح ولا كانت حضارة هذه الامة مما ترتفع به الرؤوس ويقال فيها على الدهر لا عطر بعد عروس ·

***

كتابه الاشارات الالهية ومخاطبته النفس

قال في مقدمة هذا الكتاب : اللهم انا نسألك ما يسأل ، لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك ، وافعالنا معك ، وسوالف إحساننا قِبَلك ، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض ، وطمعاً في رحمتك الواسعة ، نعم وعن توحيد لا يشوبه إشراك ، ومعرفة لا يخالطها إنكار ، وان كانت اعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة ، نسألك ان لا ترد علينا هذه الثقة بك ، فتشمت بنا من لم يكن له هذه الوسيلة اليك ، يا حافظ الأسرار ، و يا مسبل الأستار ، و يا واهب الأعمار ، و يا منشئ الاخبار ، و ياموالج الليل في النهار ، و يامصاحب الأخيار ، و يا مداري الأشرار ، و يا منقذ الأبرار من النار والعار ، عدْ علينا بصفحك عن زلاتنا ، وانعشنا عند تتابع صرعاتنا ، وحطة حالنا معك في اختلاف سكراتنا وصحواتنا ، وكن لنا وان لم نكن لانفسنا ، لانك اولى بنا ، واذا خفنا منك فاربح خوفنا منك برجائنا فيك ، واذا غلب علينا يأسنا منك فتلقه بالأمل فيك ....

ومن فصوله فيه : أيها المحاور ، والصديق المجاور ، كيف أتكلم والفؤاد هائم في كل واد ، والخاطر خال من كل جاد وهاد ، ام كيف اشكو والسر ظاهر باد ، ام باي شيء أتعلل وكل ما أجده مردد ومعاد ، ام على من أعتمد ، وكل احد اراه فهو لي ضد ومعاد ، انفاسي محترقة بالحسرات ، ودموعي مترقرقة بين النغمات والزفرات ، وكبدي مشتعلة على المناظر والهيئات ، ونقطتي جارية على الرسوم والعادات ، واحلامي عارية من كل ما له حاصل وثبات ، ونفسي رهينة بالسيئات ، مفتونة بالحسنات ، بلسوانح والخطرات ، مغبونة عن الحسنات والصالحات ، الجهات دوني منسدة ، والوجوه أمامي مسودة ، ان قلت قيل هذا زور وبهتان ، وان أشرت قيل هذا غرور وعدوان ، وان سكت قيل هذا سهو ونسيان ، فليت من ابتلاني بما لا طاقة لي به ، رحمني مما لا غنى لي عنه ، او ليت من طردني عن بابه ، اهلني لعتابه ، او ليت من جرعني مر فراقه ، اخطر على بالي حلاوة لقائه ، او ليت من غمسني في بحر البلوى ، طرحني الى ساحل النجوى ، او ليت من حطني عن درجة المخدومين رقاني الى مقامات الخدم ....

وقال من رسالة ايضاً : حرام على قلب استنار بنور الله ، ان يفكر في غير عظمة الله ، حرام على لسان تعوّد ذكر الله ، ان يذكر غير الله ، حرام على نفس طهرت من أدناس الدنيا لله ، ان تدنس بشيء من مخالفة الله ، حرام على عين نظرت الى مملكة الله ، ان تحدق الى غير الله ، حرام على كبد ابتلّت بالثقة بالله ، ان تطمئن الى غير الله ، حرام على من لم ير الخير الا من الله ، ان يجد طمعاً في غير الله ، حرام على من شرف بخدمة الله ان يتضع بخدمة غير الله حرام على من الف فناء الله ان يعرج الى غير الله حرام على من تلذذ بمناجاة الله ان يناجي غير الله حرام على من رتع في فقه الله ان يعبد غير الله ...

وأعجب من هذا ان يرمى من يقول هذا القول في العزة الالهية بالزندقة و يتهم بالمروق كأن كل هذا الاحسان لايكفر سيئة لإنسان وكل هذا التقديس والتوحيد لا ينجي صاحبه من الوعد والوعيد والبشر غريب باطواره في جميع أعصاره .

وساق ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة فصولاً من كلام ابي حيان وعنون لها بقوله « ومن الدعوات الفصيحة المستحسنة » وها كم نموذجاً منها وهي برهان آخر على توحيده وان نفسه كادت تتجرد من المادة والكثافة البشرية وتلحق بالملائكة وتنزل منازل الأبرار . وهذا هو وجه الغرابة في حياة التوحيدي جمع كل صفات العلماء ولم يفته شيء من فضائل النفس والدرس . قال : « اللهم اني ابرأ من الثقة الا بك ، ومن الأمل الا فيك ومن التسليم الا لك ومن التفويض الا اليك ومن التوكل الا عليك ومن الطلب الا منك ومن الرضا الا عنك ومن الذل الا في طاعتك ومن الصبر الا على بلائك واسألك ان تجعل الإخلاص قرين عقيدتي والشكر على نعمك شعاري ودثاري والنظر الى ملكوتك دأبي وديدني والانقياد لك شأني وشغلي والخوف منك امني وايماني واللياذ بذكرك بهجتي وسروري اللهم تابع برك واتصل خيرك وعظم رفدك وتناهى إحسانك وصدق وعدك وبر قسمك وعمت فواضلك وتمت نوافلك ولم تبق حاجة الا وقد قضيتها او تكفلت قضاءها فاختم ذلك كله بالرضا والمغفرة انك اهل ذلك والقادر عليه والمليّ به .

ومنها اللهم اني أسألك جداً مقروناً بالتوفيق وعلماً بريئاً من الجهل وعملاً

عرياً من الرياء وقولاً موشحاً بالصواب وحالاً دائرة مع الحق وفطنة عقل مضروبة في سلامة صدر وراحة جسم راجعة الى روح بال وسكون نفس موصولاً بثبات يقين وصحة حجة بعيدة عن مرض شبهة حتى تكون غايتي في هذه الدنيا موصولة بالأمثل فالأمثل وعاقبتي عندك محمودة بالأفضل فالأفضل من حياة طيبة انت الواعد بها ونعيم دائم انت المبلغ اليه اللهم لاتخيب رجاء هو منوط بك ولا تصفر كفاً هي ممدودة اليك ولا تعذب عيناً فتحتها بنعمتك ولا تذل نفساً هي عزيزة بمعرفتك ولا تسلب عقلاً هو مستضيء بنور هدايتك ولا تخرس لساناً عودته الثناء عليك فكما كنت اولاً بالتفضل فكن آخراً بالاحسان الناصية بيدك والوجه عان لك والخير متوقع منك والمصير على كل حال اليك ألبسني في هذه الحياة البائدة ثوب العصمة وحلني في تلك الدار الباقية بزينة الامن وافطم نفسي عن طلب العاجلة الزائلة وأجرني على العادة الفاضلة ولا تجعلني ممن سها عن باطن مالك عليه بظاهر مالك عنده فالشقي من لم تأخذ بيده ولم تؤمنه من غده والسعيد من آويته الى كنف نعمتك ونقلته حميداً الى منازل رحمتك غير مناقش في الحساب ولا سائق له الى العذاب فانك على ذلك قدير ·

مثال من كتاب البصائر

من أهم ما حواه كتاب البصائر مناظرة ابي بكر الصديق مع علي ومبايعته اياه وقد اقتبس العلماء هذه الرسالة ومنهم من غمز التوحيدي واتهمه بانه هو واضعها مثل ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ومنهم من اكتفى بروايتها مثل محيي الدين بن عربي في المسامرات · وبعيد عن العقل عن ان يضع التوحيدي هذه الرسالة وهي بعيدة عن أسلوب كلامه وان أحب ابن ابي الحديد ان يشبهها به · اما التوحيدي فرواها عن رجل معروف كان يحفظها فقال : سمرنا ليلة عند القاضي ابي حامد احمد بن بشر المروروذي ببغداد بدار ابي حبشان في شارع المازيان فتصرف الحديث بنا كل متصرف وكان ابو حامد معناً مفناً مخلطاً مزيلا[1] غزير الرواية لطيف الدراية له في كل جو

(١) المعن الذي يتصرف في المعاني والمفن الذي يتصرف في كل فن والمزيل

متنفس وفي كل نار مقتبس فجرى حديث السقيفة وشأن الخلافة فركب كل منا مركباً وقال قولاً وعرض بشيء ونزع الى فن فقال ابو حامد : هل فيكم من يحفظ رسالة ابي بكر الصديق الى علي وجواب علي له ومبايعته إياه عقيب تلك المناظرة فقالت الجماعة التي بين يديه : لا والله فقال : هي من درر الحقاق[٢] المصونة ومخبآت الصناديق في الخزائن المحوطة ومنذ حفظتها ما رويتها الا للمهلبي ابي محمد في وزارته وكتبها عني في خلوة بيده وقال : لا اعرف على وجه الارض رسالة أعقل منها ولا أبين وانها لتدل على علم وحكم وفصاحة وفقاهة ودهاء ودين وبعد غور وشدة غوص . فقال له ابو بكر الصيداني : أيها القاضي فلو أتممت المنة علينا بروايتها وسمعناها ورويناها عنك فنحن أوعى لها من المهلبي وأوجب ذماماً عليك الخ .

وبعد ان أورد التوحيدي هذه الرسالة العجيبة قال : روى لنا هذا كله ابو حامد ثم أخرج لنا اصله فقابلنا به فما كان غادر منه الا ما لا بال له فاما ما رواه لنا ابو منصور الكاتب فانه خالف في احرف في حواشي الكتاب كل حرف بازاء نظيره الذي هو مبدل منه وقد كان ابو منصور بلغة العرب أبصر وفي غرائبها انقد وانما قدمت رواية ابي حامد لانه بشأن الشريعة اعلم ولأعاجيبها أحفظ وفيما أشكل منها أفقه . وبالجملة فالدلائل كلها قائلة بان الرسالة ليست من صنع ابي حيان وانها كانت معروفة قبله واذا ابى بعضهم الا ان يقول انها موضوعة كلها فيكون ذلك قبل عصر التوحيدي بكثير وهي على كل حال لا تخلو من اصل ربما زيد عليه بايدي من أحبوا ان يقابلوا القوة بمثلها من اهل السنة وأرادوا نكاية الشيعة في كثير مما صنعوه فزادوا اموراً في هذه الرسالة وقعت بين الصحابة وتمثلوا وقوعها والبسوها ثياب العصر الذي نسبوها اليه .

والرسالة من جملة ما يجب على الأديب ان يستظهره ويعيه لانها حوت من أساليب

بكسر الميم الرجل الكيس اللطيف يقال هو مخلط مزيل كما يقال هو راتق فاتق والمراد به انه كثير المخالطة للناس والمزايلة لهم . (٢) الحقاق جمع حقة وعاء يحبس فيه الطيب والجوهر .

البلاغة كل جميل وفيهـا من الأمثال والحكم وضروب الدهاء والخلابة ما يتعجب منه ولا تزال عليه مسحة من الحلاوة والطلاوة مهما طال بها العهد . ولولا خشية الاملال لأوردتها برمتها وهي في بضع صفحات عارضتها على الاصول التي ظفرت بها مطبوعة كانت او مخطوطة وعلقت عليها حواشي لغوية تنجلي بها معانيها الدقيقة المعجبة .

وهاك جملة قليلة من الرسالة قال ابو بكر الى ابي عبيدة : امض الى علي واخفض له جناحك ، واغضض عنده صوتك ، واعلم انه سلالة ابي طالب ، ومكانه ممن فقدنا بالامس مكانه ، وقل له : البحر مغرقة والبر مفرقة ، والجو أكلف ، والليل أغدف ، والسماء جلواء ، والارض صلعاء ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق عطوف رؤوف ، والباطل نسوف عصوف ، والعجب مقدحة الشر ، والضغن رائد البوار ، والتعريض شجار الفتنة ، والقحة ثقوب العداوة ، وهذا الشيطان متكئ على شماله ، متحيل بيمينه ، نافخ (١) حضنيه لاهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة ، عناداً لله ولرسوله ولدينه ، يوسوس بالفجور ، و يدلي بالغرور ، ويمني اهل الشرور ، و يوحي الى اوليائه زخرف القول بالباطل ، دأباً له منذ كان على عهد ابينا آدم ، وعادة له منذ اهانه الله عز وجل في سالف الدهر ...

ولقد أرشدك من افاء ضالتك ، وصافاك من احيا مودته بعتابك ، واراد لك الخير من آثر البقاء معك ، ما هذا الذي تسول لك نفسك ، و يدوي قلبك ، و يلتوي عليه رأيك ، ويتخاوص دونه طرفك ، و يستشري به ضغنك ، و يتراد معه نفسك ، وتكثر معه صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك ، أعجمة بعد إفصاح ، أتلبيس بعد إيضاح ، أدين غير دين الله ، أخلق غير خلق القرآن ، أهدي غير هدي النبي

(١) الصلعاء لا نبات فيها والجلواء المصحية وأغدف الليل أظلم والأكلف الأغبر والمفرقة من الفرَق وهو الفزع والمغرقة يغرق فيه والعصوف الريح الشديدة والنسوف الطويل الشاق الذي ينسف صاحبه ومن المجاز بيني وبينه عقبة نسوف طويلة الشاقة والشجار كتاب خشبة توضع خلف الباب والضغن العداوة والثقوب ماتشعل به النار من دقاق العيدان ونحوها والنافخ الرافع .

صلى الله عليه وسلم ، أمثلي يمشى له الضراء ويدب له الخمر ، ام مثالك يغص عليه الفضاء ، او يكسف في عينه القمر ، ما هذه القعقعة بالشنان [١] ، وما هذه الوعوعة باللسان ...

والآن قد بلغ الله بك ، وأرهص الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم أقول ماتسمع ، فارتقب زمامك ، وقلص أردانك ، ودع التجسس والتعسس ، لمن لا يظلع لك اذا خطى ، ولا يتزحزح عنك اذا عطى ، فالامر غض ، والنفوس فيها مض ، وانك اديم هـذه الامة فلا تحلم لجاجا ، وسيفهـا العضب فلا تنبُ اعوجاجا ، وماؤها العذب فلا تحل أجاجا ، والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الامر فقال لي : يا ابابكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يرغب فيه ويجاحش عليه ولمن يتضاءل عنه لا لمن يشمخ اليه ولمن يقال هو لك لا لمن يقول هو لي والله لقد شاورني رسول الله (ص) في الصهر فذكر فتياناً من قريش فقلت له اين انت من علي فقال اني لأكره لفاطمة ميعة شبابه وحدة سنه . فقلت : متى كنفته يدك ورعته عينك حفت بها البركة وأسبغت عليها النعمة مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء فقلت ماقلت وانا أرى مكان غيرك وأجد رائحة سواك وكنت لك اذ ذاك خيراً منك الآن لي ولئن كان عرّض بك رسول الله (ص) فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت عن سواك وان يختلج [٢] في نفسك شيء فهلم فالحكم مرضي والصواب مسموع والحق مطاع ...

(١) افاء ارجع وتراد مثل تردد والتخاوص غض البصر مع الاحداق كأنه يقوم سهماً ويدوي به قلبك اي يفسد من داء والصعداء النفس العالي في الغضب والهم والضراء الشجر الملتف في الوادي والخمر الشجر الملتف ايضاً يقال للرجل اذا ختل بصاحبه هو يدب له الضراء ويمشي له الخمر والقعقعة حكاية اصوات السلاح والجلود اليابسة وغيرها والشنان جمع الشن بالكسر وهو الجلد اليابس يحرك للبعير ليفزع وفي المثل ما يقعقع له بالشنان يضرب لمن لا يخدع ولا يروع . (٢) يقال رهصني في الامر

فذلكة في حياة التوحيدي

أظننا بلغنا حاجة النفس في نقل صورة التوحيدي نقلاً ان لم يكن طابق الاصل فهو قريب منه بعد اقتباسنا درراً من كتبه ورسائله واستنتجنا منها ما انطوت عليه نفسه من الخوالج وقلبه من النزوات وما تقلب فيه من البأساء والضراء وكيف لم تقعد به الهمة عن الاختلاف الى العظماء والاخذ عن العلماء فقتل المجتمع خبرة وعرف مكنونات الصدور . وعساكم بما سمعتم من كلامه قد تمثلت لكم سلامة الفكر والابداع فيه وسلاسة الانشاء وتجويده . أرأيتم هذا الايجاد الذي تقف عنده العقول حائرة يكتب صاحبه في العلوم المختلفة فلا تخونه لفظة وتتناسق الجمل في تركيبها تناسق العقد النفيس ويوائم بين ألفاظه ومعانيه اي مؤائمة ويؤثر في قلب السامع فيستميله بما يمليه من مقوله على مسمعه . أرأيتم كيف أضحت اللغة في يد التوحيدي كالعجين يرسمه الرسم الذي يشاء او كالقرطاس في يد المصور الحاذق وعنده جماع الاصباغ يصوره بما تهفو اليه نفسه من صور الارض والسماء .

اللغة في نظر التوحيدي واسطة تعبير وتصوير لا أداة لطافة وظرافة كانت على أسلة لسانه وقلمه غزيرة المائية نضيرة الديباجة وكان بيانه الصافي البراق يسيل مطواعاً لبنانه يتصرف به تصرفاً غريباً ويصرّفه في ضروب الموضوعات العالية .

استعجلني فيه ومن المجاز أرهص الله فلاناً جعله الله معدناً للخير . يقال فلان يعتس الآثار اي يقتصها و يعتس الفجور يتبعه . وقلص اردانك شمر اكمامك . والمض الألم والغض الجديد وظلع عرج وحلِم الاديم والجلد اذا فسد في العمل ووقع فيه دود فتثقب وفي المثل كدابغة وقد حلِم الاديم يضرب لمن يسعى في اصلاح امر بعد ان اوصله الفساد الى حيث لا يرجى اصلاحه . جاحش حامى ودافع يقال جاحش عن خيط رقبته اي نفسه وهو مثل قال الميداني اصله من الجحش الذي هو سحج الجلد يقال اصابه شيء فجحش وجهه اي قشره فجحش شقه الأيمن . ميعة الشباب اوله . والحوجاء الحاجة ومنه ما كان في نفسه حوجاء ولا لوجاء ولا حويجاء ولا لويجاء اي حاجة . واختلج تلجلج .

وكانت اللغة في عصره أصبحت وقد استقرت علومها لغة حضارة باهرة اخذت الزبدة النافعة من الامم القديمة وزادت عليها تجارب قرنين فمرنت الفاظها على التعبير عن كل معنى وصفا رصفها ونسجها فكانت من أجمل صيغ الإفهام والانسجام ولطفت مادتهـا فخرج منهـا الحوشي بقاعدة بقاء الانسب ودرجت بعد ذلك نقية لا شوب فيها ولا تعقيد كأنها خلقت منذ عرفت لغة فلسفة وطبيعة والهيات كما كانت لغة شعر وخطب منذ أقدم عصور الجاهلية ٠

ذاكر التوحيدي في العلوم المختلفة طبقة عالية من أذكياء العلماء وكانوا في العلم جميعاً وفي مذاهبهم شتى فلم يجمد على نقل كلام اهل فن واحد ولا صمت أذنه عن سماع من خالفوه في معتقده فكأن شأنه شأن عالم في عصرنا فتح بحثاً في مجلة وكتاب يؤلفه وانشأ يجمع في كناشة وجزازاته افكار المتضادين ومراميهم في العلم والتفكر وهذا كان على حصة موفورة في كتب التوحيدي على ما رأينا لخص لمعاصريه آراء المتقدمين وخلف لمن بعده صورة صحيحة من آراء من عاشرهم وعاصرهم وتقدمهم في الميلاد فأدركنا بما اسمعناه حقيقة عصره في أساليب التفكير ومبلغه من الحكمة ٠

ويحمد قصد التوحيدي في نقل كل مجلس على حقيقته وان كان بعضهم لم يرقه التعرض لتدوين ما يخالف معتقدهم اما هو فما كان له ان ينقل كل كلام يرتضيه كل انسان لانه لا يحيط باهواء جميع الناس وتعدد الاهواء كتعدد الأنامي وهو مخالف في طريقته طريقـة كثير من المؤلفين فكيف ينطق بلسان من لا يعتقده على صواب فيما يذهب اليه واذا رأى بعض المتحذلقين في كلامه بعض العهدة فيجـابون واي كلام خلا مما يُتعلَّق عليه بشيء ٠ انـ التوحيدي لقي شيوخ العلم والحكمة فحمل عنهم وجوّد وصفهم واجمل طرازهم وكلما نقل شيئاً لا يوافق نحلةً ومذهبـاً قال خصوم فكره انه يصطنع نقله ويزوّر على رواته فيزوّرون له ٠ كان راوية المجالس العالية والرواية كما قيل العلم المستطيل ومخالفوه يسوءهم هذا و ينوءهم حتى مرت احكامهم الجائرة عليه الى من عُرفوا باعتدالهم من المؤرخين فأقروها وتابعوا على العمياء قائليها ٠

خالف التوحيدي في طريقته العلمية مألوف كثير من العلماء فبينـه وبينهم بعد باعد وليس من الانصاف ان يأخذوا على النابغة خروجه عن مألوفهم ٠

الحق ابلج لا يُخيل سبيله والحق يعرفه ذوو الاحلام

لا جرم ان التوحيدي حار في امره مع من وُسموا بالعلم في عصره وهم محافظون متشددون في تقاليدهم ومصطلحاتهم لا يبالون ان يرموا كل من ابدع طريقة وكشف عن حقيقة بالتفسيق والتبديع والتكفير ومن اسهل الاعمال عليهم ان يتقربوا من ذوي السلطان بضرب عنق من لا يدركون مغازيه ومعانيه ممن يذمهم واربي عليهم. ويا لبؤس عالم لم يتخذ له يداً عند صاحب صولة في مثل ذاك المجتمع فان مجرد اتهام بعض المعتقدين له باخلال العقيدة كاف في بترحيل حياته ولا من يرحمه او يتشفع به . اراد المأمون « رضي الله عنه وارضاه » اول المئة الثالثة ان يُخرج الامة من ربقة التقليد الاعمى الى ساحة العقل السليم فرأى ان يسيطر على الدين واللغة والآداب والعلوم بتسامح وتعقل ليس بعدهما غاية ولكن معظم ما بناه تهدم بأفول نجمه ويا للاسف فلم ينشأ بعده للامة خليفة في وزنه وعياره يحمي العقل ودعاته ويفسح للباحثين مجال النقد والنظر .

ومن اعظم المصائب في تاريخ هذه الامة ان اقدار البلاد معلقة ابداً على الرأس الذي يدبر امرها خليفة كان او سلطاناً او اميراً متى زال تزول معه اوضاعه وتراتيبه وقلّ ان بنى الخلف على اساس السلف او سار المتأخر على قدم المتقدم خصوصاً في المسائل الذهنية والمطالب الاجتماعية والمدنية ولذلك كانت حضارتنا في كل عصر وقطر كالارض البقعة نباتها منقطع او كالواحات المتفرقة في المهمه القفر يختلف شكلها باختلاف البقعة التي نشأت فيها وتلبس ثوباً فُصل على عقل صاحب السلطان الاكبر وكثرة بلائه وغنائه . وقلما عهد ان سار الابن بسير ابيه وجده الا على عهد اوائل العباسيين وفي بعض دور الأمويين في الشرق والأمويين في الاندلس وما عدا ذلك فأفراد من اصحاب السلطان زانوا عصورهم بهممهم فأحالوا القفار جناناً وجعلوا من العلم لسلطانهم سلطاناً حتى اذا مضوا لسبيلهم عادت الامة سيرتها الاولى تثبت ان الأمية اعلق بشغاف قلبها لا سيما واكثر الزعماء يعتقدون ان الراحة في ترك العقول جامدة خامدة حتى لا يرتفع عقل عن عقل ولا يمتاز فاضل بعموم المفضل .

فالرجل الذي لم يأبه لما اعترضه من العقبات ومزّق حجب الوهم وحكم سلطان العقل واستعرض كالتوحيدي ما جادت به قرائح اعاظم الملة في القرون الثلاثة قبله وكتب العلوم الحكمية بهذا البيان الرائق حتى لا تلمح فيه اثر الصنعة ولا بشاعة التكلف وتسيغه وتستطيبه على كدورة في شرعته احياناً — فالرجل الذي كان كذلك حاله يعد النابغة المجتهد حقًا وصدقا .

كتب التوحيدي فأكثر من الكتابة وتآليفه جمة كما علمتم ومع هذا فانشاؤه طبقة واحدة لم يتعمل فيما يكتب ولا عُني بالتنميق والتحبير والصقل والتطرية . وكان هدفه ابلاغ العقول ما يجول في الخواطر من أقصر الطرق واسهل المسالك تارة ومن اطولها تارة أخرى . اختص بوصف آراء المفكرين والنظار على وجه لم يؤثر عن غيره حاشا الجاحظ واضع هذه الطريقة في ايراد الحقائق وتمثيل طبقات المجتمع ولا سيما اهل الذكر والفكر تمثيلاً يقربه من كل ذهن فكأنه تلقى باليمين ذاك الاسلوب الذي كاد يموت بموت الجاحظ واتمه بما حدث بعد ابي عثمان من فنون القول وضروب المعارف . ولو كانت روح التوحيدي غير معذبة بالاخفاق والإملاق كروح الجاحظ الشفافة البراقة وسلم مما يكدر صفوه وصفاءه واطمأن بما تطمئن به روح من تهنأ العيش لجاء التوحيدي كالجاحظ حذو القذة بالقذة . بيد ان اضطراب عصره كان منه اضطراب فكره وغفلة العظماء عن تعهده وحمايته ادت الى اشتغال قلبه برزقه وجرايته فكان في ذل الفقر وخوف القهر وقيد الأسر طول العمر . واذا قيل ان الجاحظ كان على دهاء لا ينكر محله فاتقى بجريرته لذعات حساده ومؤلمات مناظريه . وان التوحيدي لم يعرف سياسة العلم ولم يستكمل في حلبة الجهاد العالي تعاطي الاسباب الى الرزق وإحراز خصل السبق فلا ننس ان الجاحظ كان الخلفاء يرعونه و يُحيونه والوزراء يخادنونه ويحبُونه والناس يعجبون به ويمجدونه . والتوحيدي يضطرب في حياته اضطراب الأرشية في الطوي البعيد كلما التفت يمنة جاءت الصدمة يسرة وكلما قال يسراً قالت الايام عسرا عاش في شظف من العيش وعجف من المال وكلب من الزمان فكان الموتور المفلوك الموجع القلب المعذب الفؤاد . وما المرء الا حيث وضعته بيئته ومها أوتي من

عقل سليم لا يخرج عن كونه محصول مسكنه وهوائه ومدرسته واساتيذه واقرانه وعنوان ما تأثر به روحه منذ وعى على نفسه وهو زبدة ما اخذه بالفطرة من دم ابويه واكتنهه من اتصاله باجداد قدماء قد لا يعرف اخبارهم على حين اورثوه من حيث لا يشعر أخلاقهم وأطوارهم ·

محمد كرد علي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ اسعاف النشاشيبي

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

هناك ستة أقسام من الألفاظ :

(القسم الاول) الفاظ عرفها أصحاب المعاجم اللغوية فأودعوها معاجمهم ·

(القسم الثاني) الفاظ شردت عن أصحاب المعاجم وقد وردت في كلام العرب الموثوق بعربيتهم ·

(القسم الثالث) الالفاظ المولدة واللغة لغة والناس ناس ·

(القسم الرابع) الالفاظ المعربة في الازمنة الكريمة ·

(القسم الخامس) الالفاظ العلمية في جميع ضروب العلم التي وضعها الاحتياج العلمي ·

(القسم السادس) الفاظ وضعها علماء اللغة في هذا الزمن واستجيدت واستعملت ·

كل ذلك يجب ان يودع المعجم العربي ويعد عربيا محضاً فالقسم الثاني اخو الاول من امه وابيه والاقسام الباقية هي نسل القسمين ·

وارى ان يشار عند الكلمة في المعجم الى نوعها وان استطيع ان يذكر الاصل القديم لكل كلمة عربية فيقال هذه سنسكريتية وهذه إغريقية وهذه حميرية فهذا والله صنع جيد ·

واما الألفاظ المولدة في العصور السخيفة والألفاظ العامية فنبذها فرض . وفرض ايضاً اليوم نبذ كل تركيب غير عربي يلتبس فيه معنى الكاتب ولا يهتدي الى المقصود القارئ ولكل لسان أسلوب والتسامح في هذا الشأن الآن فيه الهلاك ومبتغانا ان نحيا والتركيب لايدخل معجماً ثم هناك عند العرب وعند سائر الامم لغتان اوأسلوبان في الكتابة لغة علم ولغة أدب والاولى ذريعة والثانية عندي غاية ، فإساءة الى العربية وإساءة الى الفن الا يكون الا أسلوب واحد والا تعد اللغة الا ذريعة . وقد بينت هذا الرأي في مقالتي في ردي على رسول الحرية والفكر في العرب الاستاذ امين الريحاني وفي خطبتي في العربية وشاعرها الاكبر احمد شوقي . فأعظم معجم يكون في هذا الوقت وقد اشتمل على تلك الأقسام الستة وان وجوده اليوم لواجب . وواجب وجوده قبل المعلمة العربية التي ينوي القوم في مصر انشاءها فالمعلمة اللغوية قبل المعلمة العلمية والاولى اكبر عدة للثانية .

وقد ذكرت هذا القول في شأن المعلمتين لرئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر الشيخ احمد امين أستاذ اللغة في الجامعة المصرية ولغيره من الفضلاء في القاهرة فما لاقيت الا الموافق عليه .

عضو المجمع العلمي العربي

اسعاف النشاشيبي

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٨ =

اما تسميته إياها بالالعوبة (Comedia) فهو مأخوذ من الاشتقاق الاصلي اللاتيني لهذا اللفظ ومعناه أغنية او أغان باليونانية ولعلهم اشتقوا من هذا اللفظ ايضاً لفظ (Comique) مضحك او مضحكات وهذا مشتق من الاصل اليوناني (Comus) وهو اسم اله الولائم عند اليونان ٠

ومن هذا الاشتقاق الأصلي يتضح لنا ان غرض دانتي لم يكن نظم ألعوبة للتفكه او التشخيص بل أغنيات يُتَغَنّى بها في البيوت والكنائس ايام الآحاد والاعياد على مثال تغنيهم بزبور داود او نشيد الانشاد وان يجعل اسم ناظمها و يعد في جماعة القديسين لانه عرج قبل موته (في دعواه) على جهنم والمطهر والفردوس وخاطب الله بل حلت فيه روح الله القدوس ٠

ومن أظهر عيوبها بعدها عن المعقولات اي مخالفتها للمنطق ولا ينفي ذلك ماقدمناه من ان اعظم اركان الشعر هو الخيال لاننا اذا جردنا الخيال من المعقول لا يبقى ثمت خيال ولا شيء يسمى بشيء مثال ذلك ان يتخيل الشاعر فيقول : ان جسم محبوبته او الحسناء الموصوفة شفافاً تركّب من عنصر الهواء وحاز من المحاسن اشكالاً تعجز عن وصفها ألسن الشعراء فهذا التخيل لا يخرج عن المعقول بجملته وان خرج ببعضه اذ اول ما يتبادر الى ذهن السامع من هذا الوصف ان جسم هذه الحسناء بضّ لطيف ذو بشرة تحاكي الشمع الشفاف او اللؤلؤ المكنون وان اعطافها قد لانت حتى كادت تكون من الأوهام والظنون وان محاسن قسماتها مما كان شاهده مرةً في بعض الصور او عاين مثله في بعض الدُّمى من العاج او المرمر وان الناظر الى

جملة محاسنها ينادي حاشا لله ما هذا بشر و ينصرف الفكر عن قوله تركّب من عنصر الهواء لانّ السامع او القارئ يستطيع ان يتصور حال سمعه هذا الوصف صورةً وجسماً ويعكس هذا ما في الالعوبة فان كل ما فيها من التخييل بفر من المعقول البشري اذ انه اول ما يصوّر لنا حكايته يصوّرها في ظلمة مدلهمّة ومن اين لنا ان نعاين المنظورات في تلك الظلمات بل انى لنا ان نشاهد الموهومات ؟ كقوله بحيرات ذوات مياه نارية او نيران مائية قاتمة ثم يصف لنا أناساً عرفهم وعرفوه وآخرين ممن سمعنا باسمائهم في التواريخ ولكنه عاينهم ارواحاً لا أجسام لهم وذلك كله في تلك الظلمات الحالكات وانت لم تبصر حياتك كلها روحاً بل انّ الروح التي يقال لك انها فيك لا تُنظر ولا تكيّف ولا تحدّد ولا تعرّف وانما هي لفظ موضوع يردّد ولا يُدرَك ثم انه كان يجول في تلك النيران الجهنمية بلحمه وعظامه وثيابه بل تراه يقف مخاطباً هذا ومحادثاً ذاك كأنه في رائعة النهار في شارع من شوارع بلدته ولا نطيل بهذا فالالعوبة كلها على هذا النحو .

واذا نظرنا الى ما بين المعري ودانتي من التباين في التخيل نجد في تخيل المعري شيئاً من شبه الامكان وآخراً من شبه المعقول واما في تخيل دانتي فاننا لا نستطيع له تصويراً او تخييلاً مع انه يكتب منظوماً ولكننا نشعر انه يموّه اكاذيب يلفقها وغرائب تنظمها قريحته ويصورها قلمه ليظهر براعة اختراع الموهومات .

وان قلت ان كليهما يصف اي يلفق اوهاماً وخيالات قلنا من شروط التصنيف ان لا يكون بعيداً عن المعقول كل البعد اي ممتنع الادراك كقولنا زيد حديد البصر شديد العمى او انه كان يذوب جسمه احتراقاً في الماء البارد او انه كان يفر من برده في اتون النار وهذا او نحوه عين ما ورد في اكثر الالعوبة .

نعم قد جاء في كلام ابي العلاء شيء مما يخالف المعقول كقوله لنشق كل جوزة عن اربع جوار ... وامثال هذا الا انه في ذكره ذلك يردد ما كان شائعاً بين بعض اهل عصره لا انه يعتقده ويقرره كقاعدة علمية او مسألة حسابية بل بالعكس من ذلك فان في معاريض كلامه بل في كل صفحة من رسالته ما يشعر

باستبعاده امكان ما يشير اليه من الغرائب بل في كثير من جمله ما لا يترك لدى القارئ البصير سبيلاً للريب في هزله هذا وممازحته ٠

واين دانتي منه فان اللعنات التي رشق بها خصومه واعداءه حتى بعض الاساقفة والباباوات لم تكن عقيدة من عقائد اهل عصره وان ما عقده في جهنم من الجسور والقناطر وما تنطّس بذكره من الزوايا والمربعات الهندسية بل القصور ذوات الابواب السبعة لم يكن من معتقدات اهل عصره الى كثير جداً من مثله وانه طوّف بجهنم ذلك التطواف وعرّج على الفردوس ذلك التعريج ورأى ما ذكره وفصّله لم يكن الا دعوى منه بل زعمه ان روح الله حلت فيه كل ذلك يصفه لنا وصفاً دقيقاً ويذكره لا كمتهكم او مستبعد امكان ذلك بل كواصف يروي حقائق لا يخامرها مزح او شك ٠

وهب ان بعضها او اكثرها من معتقدات اهل عصره فهو يرويها على علاتها متيقناً كل اليقين منها ويزيدها من عنده كما تقدم البيان تفاصيل واختراعات ٠

وقد سبق لنا بيان شيء مما ذكرناه هنا للدلالة على مخالفته للخيال الشعري وافضنا هنا في ذكر ما تقدم للبرهان على مخالفته للمعقول والمنطق واليك مقابلة تظهر لك البون الشاسع بين لطف تصور الأعمى وذكائه وبعد مداركه وبين خشونة تصور دانتي ونظره المحدود مع مخالفته للمنطق والمعقول ٠

صوّر ابو العلاء جهنم صورة لا تتجاوز معقول القراء فجعل ابن القارح ينظر من علٍ الى أسفل جهنم عند تلاعنه وابليس كما مرّ بك وقول الزبانية لابليس حينما امرهم بجذب ابن القارح — لا سبيل الى ذلك يا اباز وبعة — اي لا نستطيع الصعود الى مقام ابن القارح فانه المقام الاعلى مقام الصالحين في الفردوس وهو جواب مقبول معقول عند من يتصور ان جهنم هي وادٍ متناهٍ في العمق وان الفردوس فوق أرفع ما تراه الابصار من الأفق وهو تصوّر الجمهور ٠

ثم انه لما صوّر لنا ابن القارح يتنادم في الفردوس مع جماعة من الشعراء قال بعد وصفه خمور الجنة وذكره الآنية الذهبية ٠٠٠ وتهش نفوسهم للعب فيقذفون تلك الآنية في أنهار الرحيق ٠٠٠ ثم انه لما ذكر عربدة النابغة والاعشى قال ويثب

نابغة بني جعدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب فيقول (الضمير لابن القارح) أصلح الله به وعلى يديه لا عربدة في الجنان انما يُعرف ذلك في الدار الفانية بين السَّفِلة والهَجاج وانك يا ابا ليلى لمتترّع ·

فاذا نظر الناقد البصير في لطف هذا الوصف يراه لا يخرج في شيء عن المشهور والمفهوم عند عامة الخلق فضلاً عن خاصتهم فانه لم يجعل شراب اهل الفردوس شراباً موهوماً بل خمراً سائلاً ورحيقاً مشموماً وجعله أنهاراً لشغف العرب به وأجراها في الفردوس أمام المتنادمين وذكر الطاسات والاكواز والاباريق وهي مألوفة عندالعرب ولاسيما عند وصف الشراب وصورها من الذهب وذلك لايخرج عن المألوف المعروف عند الامراء والأكابر في الدار العاجلة فلا بدع ان تكون في الفردوس كذلك او أبهى وأغلى ولما ختم الوصف بعربدة النابغة على الشراب كعادته المشهورة في حياته قال فضربه بكوز من ذهب · وكل ذلك معقول يشربه الذهن دون تكلف او اجهاد ·

اما دانتي فانه لما أغار على هذا الوصف وسرق معانيه عمد اول شيء الى التخليط لاخفاء مواضع المسروق ومنابعه واقصاء نظر الناقد عن مشارعه ومطالعه . فصوّر لعبة بين أناس من اهل لومبارديا وتوسكانا على بحيرة نارية وبينهم من يمسك بساعدي احد الشياطين ليوقفه عن جلد رفيقه ثم يهرب من وجه الأبالسة فيلحقونه ثم يعترضهم آخر ليحول بينهم وبين رفيقه الهارب الى آخر هذه القصة الغثيثة · (الاغنية الثانية والعشرون) ·

أيكون في جهنم لعب بين المغضوب عليهم والشياطين ؟ وتكون هناك بحيرة نارية (مظلمة كريهة الرائحة ولا ريب) ويلعب حولها اهل النار او هي تلك الارواح (التي تُرى ولا تُرى) واين اللعب من أناس يحترقون ويعذّبون على النحو الشنيع الفظيع الذي يصفه لنا هو نفسه ؟ وكيف يقوى المعذَّب المحترق الضعيف على قوة الشيطان الرجيم سلطان الجحيم فيمسك بساعديه ؟ وكيف يهرب من وجهه والى اين ؟ ·

ان في الالعوبة كثيراً من امثال هذه الحكاية التافهة مما يخالف المعقول والمفهوم فان قيل انها وضعت شعراً لانها للخاصة من الناس قلنا كيف تكون للخاصة مالا يسلك

في عقول صغار الاولاد فضلاً عن مخالفتها للمنطق من جميع وجوهها وان قيل انها للعامة على ما كان شائعاً بينهم يومئذ قلنا انه لم يشع في عصر من عصور الجهل المظلمة أمثال هذه الخرافات التي أطال وأشبع فيها التفصيل والتدقيق وهي كما علمت من الشعر الذي انحنت لديه رؤوس شعراء الامم الفرنجية لما اشتمل عليه من الفصاحة والتنميق ومثل هذا لا يكون نظمه للعامة على انه اذا تجرد من الفصاحة الشعرية عندهم وبعبارة اجلى اذا حللناه الى كلام وجدناه غير معقول ولا مفهوم وانما هو خلط موسوس او هذيان محموم ٠

وان قيل كيف تجتمع البلاغة الشعرية و براعة الوصف اللتين ملك بهما دانتي ثالث عرش لملوك الشعر عند الامم الافرنجية مع ما اوضحناه هنا من عيوب الاعجوبة نجيب عن ذلك بمثال بل ببرهان يدفع عنا تهمة التعصب لفيلسوفنا العربي بالحط من منزلة دانتي العالية فما علوّ قدره بمنزل اباالعلاء عن مرتبته السامية عند عارفيه ولا شمس المعري كاسفة أنوار دانتي عند أقوامه ومريديه ومعاذ الله ان نقف غير موقف الانصاف في الموازنة والنقد او ان تكون خدمتنا غير الحقيقة ورائدنا غير الاخلاص في القصد ٠ «للبحث صلة» عضو المجمع العلمي

قسطاكي الحمصي

اعضاء المجمع العلمي

حياتي

ابي مفتي بغداد محمد فيضي الزهاوي وهو كردي ينتسب الى امراء السليمانية البابان وهؤلاء ينتمون الى خالد بن الوليد وشهرته بالزهاوي هي لان اباه الملا احمد هاجر الى زهاو وسكنها سنين وتزوج بسيدة زهاوية ولدت له ابي فلما رجع الى السليمانية مع نجله ابي اشتهر ابي بالزهاوي ٠

وأمي السيدة فيروزج من أسرة وجيهة كردية ٠ وقد وُلدتُ في بغداد يوم الاربعاء آخر يوم ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هـ الموافق ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ م ٠

وكنت في صباي أسمى المجنون لحركاتي غير المألوفة وفي شبابي الطائش لخفتي وايغالي في اللهو وفي كهولتي الجريئة لمقاومتي الاستبداد وفي شيخوختي الزنديق لمجاهرتي بآرائي الفلسفية ٠

تعلمت كثيراً من علوم الاولين والآخرين اما الثانية فولعت بها ونشرت لي المجلات والصحف في مصر وبيروت وبغداد مقالات كثيرة وقصائد وطبعت لي ثلاث كتب اثنان منها فلسفيان والثالث في الرد على الوهابية وسبب تأليفي لهذا سياسي ٠ ونشرت لي في المجلات رسائل مختلفة معظمها فلسفي وطبع لي اول ديوان في بيروت باسم « الكلم المنظوم » وهو مغلوط فيه وقد هذبته اخيراً وحذفت منه ما لم أستجده وأدمجت الباقي في ديواني العام وجعلت مجموع ما نظمته اربعة أجزاء أسميت الثلاثة الاولى « ديوان الزهاوي » وأسميت الرابع منها « رباعيات الزهاوي » وهو يحتوي على الف ومائتين من الرباعيات ومجموع ابيات دواويني الاربعة هو احد عشر الف بيت ٠ ولي رسائل

(١) وافانا الاستاذ الزهاوي بترجمته هذه تلبيةً لنداء المجمع الذي طلب من أعضائه تراجمهم باقلامهم فننشر بعضها ٠ وها نحن اولاء ننشر الآن ترجمة الاستاذ المومأ اليه ٠

لم نطبع بعد منها رسالتان في النور والبصر ورسالة في لعب الداما أودعتها الفاً وخمسمائة لعبة - الف منها من مستنبطاتي . وسميتها « اشراك الداما » .

وعُينت في شبابي عضواً لمجلس المعارف في بغداد ثم مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً عربياً للزوراء الرسمية ثم عضواً لمحكمة الاستئناف وسافرت في اوائل كهولتي الى الآستانة فأُبلغ جلالة السلطان عبد الحميد اني ضد حكومته فبثّ عليّ جواسيسه ثم أرسلني بصحبة البعثة الاصلاحية واعطاً عاماً لبلاد اليمن ثم أُرجعت بعد احد عشر شهراً الى الآستانة فأنعم علي جلالته برتبة « بلاد الخمس الموصلة » ووسام مجيدي من الدرجة الثالثة .

واتصلت باحرارها فزاد جلالته عدد الجواسيس عليَّ ثم سجنت وسفرت الى بغداد مخفوراً على ان لا أبرحها وعين لي راتب شهري قدره خمس عشر ليرة واكثر الشعر في ديواني « الكلم المنظوم » هو ما نظمته في بغداد ايام انا مأمور بالاقامة فيها .

ولما أُعلن الدستور عدت الى الآستانة فعينت بعد وصولي بقليل أُستاذاً للفلسفة الاسلامية في الجامعة الملكية وأُستاذاً للآداب العربية في دار الفنون وقد نشرت مجموعة دار الفنون دروسي التي كنت القيها في الجامعة الملكية باسم « حكمت اسلاميه درسلرى » ثم اشتدَّ مرضي الذي كان قد نشب بي أظفاره في شبابي فرجعت الى بغداد معلماً للمجلة في مدرسة الحقوق ونُشر لي بعد برهة في المؤيد مقال دافعت فيه عن المرأة فأثار عليَّ الشعب بايغار اعدائي وأرادوا اهانتي او هلاكي ولم أخرج من بيتي اسبوعاً وسعى احدهم الى ناظم باشا وهو يومئذ والي بغداد ليعزلني عن وظيفتي ففعل ودافع عني كبار الكتاب في مصر وسورية وأعادني جمال باشا « والي بغداد بعد ناظم باشا » الى وظيفتي ثم انتخبت نائباً عن المنتفق ثم عن بغداد فذهبت مراراً الى الآستانة وحضرت جلسات البرلمان العثماني وخطبت فيه مرات كثيرة . ولم أبرح يوم سقوطها في الحرب الكبرى وقدّم عدوّ لي تقريراً الى السلطة المحتلة يحسّن فيه ابعادي عن بغداد مع عدد من وجوهها ولكني نجوت ساعة قبضوا عليَّ باراءتي ايام بطاقة فيها اني مكاتب للقطم اما الباقون فأخذوا أسرى الى بلاد الهند القاصية .

وكنت أُجامل الحكومة المحتلة في خطبي واذكّرها بوعودها مطالباً باستقلال

البلاد فكانت مجاملتي تغضب الأهلين ومطالبتي ترضيهم · وعُينت في اشهر الاحتلال الاولى عضواً لمجلس المعارف ثم رئيساً للجنة تعريب القوانين العثمانية فعربت سبعة عشر قانوناً بين صغير وكبير ·

وحدثت ثورة ١٩٢٠ فلم أشترك فيها لعلمي بوخامة عاقبتها فساء ذلك الاهلين ثم لما استفحل الامر جمع فخامة الحاكم العام السر ولسن مندوبي الشعب الذين انتخبهم في ثورته وجمع معهم نفراً من وجوه بغداد وكنت احدهم وفي ختام المحاورة قمت وصرّحت باشتراكي مع مندوبي الشعب في طلب الاستقلال التام · ولم تنتج المحاورة وفاقاً · ثم قبض على قسم من المندوبين ونفوا وفرّ قسم منهم وبقي قسم مطمئناً في بغداد من غير ان تمسهم يد السيطرة وظن البعض نجاة هؤلاء لان ضلعهم معها ·

وجاء فخامة المندوب السامي السر برسي كوكس فوعد وأوعد وخطبت يوم استقباله فطلبت ان يرأف بالناس وقد أخمد فخامته الثورة بالقوة ووعد الاستقلال ·

وجمع فخامته النواب السابقين عن العراق مع عدد من وجوه العاصمة والف منهم لجنة لسن نظام انتخاب المؤتمر العراقي وكنت عضواً فيها وصححت النظام بقلمي · ثم الف وزارة برئاسة سماحة النقيب وهو الشيخ المحترم يتراوح سنه بين الثمانين والتسعين فما وسعه الا ان يأتمر بما يشار اليه ·

وبعد قدوم جلالة الملك فيصل ببغداد بشهرين ألغيت وظيفتي في العدلية وقطع راتبي وعلمت ان سيقطع كذلك راتبي في المعارف فتركته من نفسي وبقيت بلا راتب بعد ان كنت أتسلم سبع مائة وخمسين ربية في كل شهر · يا لها من نكبة على من ليس له مال او عقار واستدعيت حق التقاعد فطلبت دائرة الرواتب ان أبرز اوراقي الرسمية المبينة لوظائفي السابقة فقدمتها وبعد ايام مضين على فحصها أفهمني ان ما استحقه هومائة وخمسون ربية في الشهر فرفضتها لاني وجدتها دون استحقاقي ·

واخذت جريدة العراق تنشر لي كل يوم في صدرها احد الرباعيات وفي كثير منها نقد لما كان يجري يومئذ ·

وكنت قبل قدوم جلالة الملك والغاء وظائفي قداستدعيت ان يسمح لي بالذهاب الى مصر للتداوي مدة سنة فأقر مجلس الوزراء اعطاء رواتبي تماماً في المدة المذكورة

وصدّق فخامة المندوب السامي قراره بعد ان اشار الى اضافة مئة وخمسين ربية في الشهر لمدة السنة في مقابلة مصروف الطريق ذهاباً واياباً فكان ما تعين اعطائي اياه لمدة سنة تسعمئة ربية في الشهر وقد بلغني سكرتير المجلس ذلك شفهياً وهنأني كثير من اعضائه . ولكن فرحتي لم تدم فانهم لم يبلغوني شيئاً من ذلك رسمياً ثم جاء الملك وألغيت رواتبي كما قدمت . وبعد أشهر من الغاء وظائفي وصلني مغلف من البلاط الملكي يبلغني في داخله رئيس الامناء ان قد صدرت ارادة جلالة الملك بتعييني شاعراً له براتب شهري قدره ستمائة ربية أعطاها من صندوقه الخاص فكتبت اليه اني أرفض هذه الوظيفة فلا أُريد ان اكون مداحاً تلقاء اجرة أُعطاها واني اذا شاهدت ان جلالته يخدم بلادي امدحه على خدماته بدون اجرة وحينئذ يكون لكلامي تأثير اكبر مما اذا مدحته وانا اجير . وأتذكر اني بعد التصريح بالرفض كتبت اليه ما نصه : «ومع ذلك فاني لا ازال ذلك العصفور الذي يغرّد بمآثر جلالته إعجاباً بها لا طمعاً بحبات تلقى اليه» .

وقابلني بعد شهور وجيهان من وجوه البلد يقولان انهما مرسلان من البلاط لمفاوضتك فان جلالة الملك يريد اذا وافقت ان يصدر ارادته هذه المرة بتعيينك شاعراً له ومؤرخاً للعراق معاً براتب شهري قدره ثمانمائة ربية على ان تتسلم هذا الراتب من تاريخ التكليف الاول «وكان قد مضى عليه اكثر من ستة اشهر» فأجبتهما اما المؤرخية فأقبلها واما الشاعرية لجلالته فلا . فقالا لا يريد جلالته فصلهما واصرّا وأوعدني احدهما فلم اخضع .

وصممت الرحيل الى مصر وتهيأت للسفر وعزمت على ان ابيع خربة لي اوارهنها فما تيسر لي ذلك وكنت قد اقتصدت قدراً من الدراهم من راتبي لما كنت ذا راتب يكفيني الوصول الى مصر فراجعت دائرة الپسابورت وحصلت على جواز السفر وصدقته من القنصلية الفرنسية لاني كنت عازماً على الرحيل من طريق سورية أُريد قضاء ايام الصيف الحارّة في لبنان على ان اذهب في الخريف الى مصر التي طالما غنيت باسمها في شعري . غير ان الاضطرابات الاخيرة التي حدثت في سورية (سنة ١٩٢٢) قد سدّت الطريق في وجهي فثبّطت عزمي وما استطعت مضياً وبقيت الصيف كله في

بغداد مؤملاً ان تزول في الخريف فتنفتح الطرق فلما زالت وانفتح الطريق في الخريف قلت قد حان الوقت واذا برجلي قد زلت وانا أتمشى في داري فسقطت على الآجر المرصوف وكُسر عظمان من قدمي اليسرى فلزمت فراشي مدة خمسة اشهر لا استطيع الوقوف عليها .

وقد عادني في مرضي هذا كثير من الاصدقاء والاعداء ، اما الاصدقاء فكانوا متألمين لمرضي يتمنون لي الشفاء العاجل والمشي على الرجل كالاول .

(وقد أحاول ان اسعى فتمنعني رِجل رمتها يد الايام بالشلل)

واما الاعداء فقد كنت أقرأ في عيونهم الفرح لما أصابني ولم يكن مجيئهم اليّ الا ليعلموا درجة الكسر وهل أقوم بعده .

(ان الربيع كثيرة أوراده فاذا انقضى لم يبق من أوراد)

(ان مت يحزن في العراق أحبة حيناً وتفرح في العراق أعادي)

« رباعياتي »

اما رباعياتي التي جعلتها جزءاً رابعاً لديواني العام فعددها ١٢٠٠ رباعي وقد نظمت اكثر من الف منها في سنة ١٩٢٢ ايام نكبتي في شيخوختي ، ايام أشكو الحياة والعوز والأوجاع المبرحة ، ايام حرمت من خير بلادي التي خدمتها بصدق اكثر من ثلث عصر في وقت انا في اشد الحاجة الى ذلك الخير ، ايام خُيِّرت بين العوز والعار فرجحت العوز على العار .

(رب مال هو لو شئـ ت اقتناء تحت لمسي)

(انما تمنعني عن نيله عزة نفسي)

* * *

(قد أرادوا ان يسيل الد مع من عيني فسالا)

(ولقد ينبت في تأ ريخهم دمعي سؤالا)

* * *

زعموا انهم ان أجاعوني ذللت . ولكني صبرت على الضيم . وما شكوت الى احد

ما بي . ولما رأوني اني لا أُطاطئ رأسي أوعزوا الى بعض الجرائد ان تسبني وتحط من كرامتي .

(انما الشعر سيد ليس يغضي على القذى)
(حبذا ذلك الإبا ء من الشعر حبذا)

* * *

(انت يا شعر خالد انا يا شعر هالك)
(انت يا شعر كل ما انا في الكون مالك)

* * *

(انا للشعر في العرا ق أديب مجدّد)
(انا في جنب دجلة عندليب يغرّد)

* * *

وقد كان ما لحقني من الاذى وحرماني من الوظائف من الدواعي لنظم هذه الرباعيات وانك لتسمع فيها شكاتي صارخة وتقرأ دموعي مكتوبة وترى بؤسي وشقائي متمثلين . وما ليلى التي أُغني باسمها في كثير من رباعياتي سوى وطني العزيز الذي احببته فوق كل حب وحاربت من اجله الاستبداد طول تلك السنين .

وقد نظمت كل رباعي مستقلاً بنفسه غير مرتبط بما قبله اوما بعده كما فعل عمر الخيام في رباعياته الفارسية الا بعض القطع تراها في خلالها على وزن واحد وقافية واحدة وهي مع ذلك لم تفقد مزية الاستقلال فهذه استخرجتها من دواويني الثلاثة وألحقتها بها . ثم حسّن لي بعض أصحابي ان اجمع الشيء الى ما يناسبه ففعلت في مدة مرضي وقسمتها الى عشرة اقسام الاول « مشاهد الغرام » والثاني « الواح البؤس والشقاء » والثالث « الشعروالشعراء » والرابع « الهزّ والايقاظ » والخامس «الاخلاق والسجايا» والسادس «السياسة والاجتماع» والسابع «الكون والحياة» والثامن «الوصف والخيال » والتاسع « الشك واليقين » والعاشر « الجدّ والهزل » .

وقد اخذت طرفاً من الدساتير الاجتماعية لجستاف لبون متصرفاً فيه تصرفاً يقربه من النظم وعدد هذا لا يتجاوز الاربعين رباعياً وهو متفرق في الاقسام .

وكررت بعض المضامين في اكثر من رباعي حرصاً مني عليه وزيادة ايقاظ للشعب الذي غنيت له او رغبة مني في صوغه في قالب احسن مما صغته قبلاً وهل يضر بالحسناء اذا غيرت آونة بعد أخرى ثيابها للزينة ، او بالروض اذا أنبت من الزهر قسماً يختلف لونه . ويتشابه عرفه .

وترى في رباعياتي هذه روحي الكئيبة وفلسفتي بارزتين فتفهم منها عني مالا تفهمه من التراجم المطولة وعن بلادي مالا تطلع عليه في تاريخها . و يسرني اني اموت ويموت الذين ضاموني وتبقى هي خالدة على كر العصور تشهد بما لاقيته من ظلم الظالمين في حياتي .

بغداد : جميل صدقي الزهاوي

آراء وافكار

قبعة و CHAPEAU

« ما هي النسبة بينهما »

سألني بعض الفضلاء عن كلمة (قبعة) هل هي عربية وان كلمة (chapeau) الافرنسية اخذت منها . او ان الامر على العكس ؟ وقد أحببت ان أجيب السائل الفاضل بما يلي :

القبّعة بتشديد الباء فسرها علماء اللغة العربية بانها خرقة تخاط على شكل القلنسوة الطويلة يلبسها الصبيان . كذا قالوا في تفسيرها ولم يصرحوا بانها أعجمية الاصل . فدل ذلك على عروبتها . ولا سيما ان وزنها على وزن الكلمات العربية كسكّرة وقبّرة ومما يدل على عروبتها ايضاً مناسبة معناها لمعنى مادة (قبع) التي اشتقت منها : اذ يقال قبع الرجل اذا أدخل رأسه في ثوبه . و (القبيعة) قطعة من فضة يحلّى بها مقبض السيف بحيث يُدخل رأس المقبض اي طرفه الاعلى في تلك القطعة فهي له كالقبعة التي يُدخل فيها رأس لابسها . وفي (التاج) « ان صاحب القُبيع هو لقب الشريف عمر بن احمد الاهدل : لقب به لانه كان يلبس القُبيع دائماً على رأسه والقُبيع

(مصغراً) مثل القلنسوة يُتَّخذ من خوص النخل اه · فلم تبق شبهة في ان مادة (قبع) تلتحم جداً مع معنى (القبَّعة) فالقبَّعة إذن عربية لا شائبة للعجمة فيها ·

ويريد قوم ان يشككوا في كلمة (قبَّعة) ويجعلوها من اصل أعجمي · وأذكر ان من هؤلاء المرحوم صاحب المقتطف فقد رجح انها معربة وانها دخلت الى لغتنا العربية في اثناء الحروب الصليبية · والذي روَّج هذه الدعوى وجود كلمات في اللغة اللاتينية تشبه بحروفها ومعناها حروف كلمة (قبعة) ومعناها ثم قالوا ان كلمة (chapeau) الافرنسية مشتقة من الاصل اللاتيني وان عرب سوريا في العهد الصليبي او عرب اسبانيا في العهد الاندلسي اخذوا كلمة (قبعة) منها اي من كلمة (chapeau) الافرنسية بعد ان أفرغوها في قوالب لغتهم ·

ولكن (قبَّعة) و (قُبيعة) و (قُبيع) وجدت في لغتنا قبل العهدين المذكورين بل ما يدرينا ان الصليبيين والاسبانيين هم الذين أخذوا كلمتهم (chapeau) من كلمة (قبعة) العربية في خلال ذينك العهدين · ويؤيد هذا الاحتمال ما قاله لي بعض فضلاء شباننا المتعلمين نقلاً عن بعض الالمان فقد أثبت له هذا الفاضل الالماني ان كلمة (chapeau) الاوربية مضطربة الاصل مجهولة النسب وان المعول عليه اليوم لدى الباحثين الاوربيين انها من اصل عربي وان الافرنج اخذوها من عرب الاندلس من كلمة (قبعة) ·

ومن راجع (لاروس) وجد شيئاً من هذا الاضطراب والتردد في نسب كلمة (chapeau) فقد قال انها مأخوذة من (chape) و (chape) مأخوذة من كلمة (cappa) اللاتينية ثم فسر (لاروس) معنى الكلمة اللاتينية الاصل بانه ضرب من الملابس التي تلبس من فوق الثياب (manteau) وهو لا يلبس الا في الاحتفالات الدينية ·

فكيف يصح ان تكون (cappa) اللاتينية التي هي لبوس البدن كله عدا الرأس اصلاً لكلمة (chapeau) التي هي لبوس للرأس وحده عدا البدن ؟ ؟ ·

والحاصل ان اخذ كلمة (chapeau) من كلمة (قبعة) العربية اقرب تعقلاً من ان تكون مأخوذة من كلمة (cappa) اللاتينية ·

ومن المستبعد جداً ان تكون (قبعة) العربية مأخوذة من الكلمة اللاتينية لما ذكرنا من أصالتها في العروبة · نعم انها تشبه في حروفها ومعناها بعض الكلمات اللاتينية لكن هذا من قبيل توارد اللغات وتشابه ألفاظها · وله شواهد كثيرة ·

وكان اهل الأمصار الشامية والمصرية قديماً يستعملون كلمة (قبع) بضم فسكون ويطلقونها على نوع من لبوس الرأس ربما كان خاصاً باولاد الامراء والعظماء : فقد ذكر صديقنا احمد تيمور باشا في مقال له نشره في مجلة الزهراء ان (جواداً اللخمي) كان حاذقاً في الخط وصناعة اليد وانه صنع زر قبع لابن الامير تنكز امير دمشق في اوائل القرن الثامن للهجرة · فالقبع هو القبعة التي قام مقامها (الطربوش) وزر القبع هو قطعة زينة توضع في وسطه · والزر هذا هو الذي خلفته الشرابة او الطرة · وما زال بعض اهل بلادنا الى اليوم يسميها (زراً) فيقولون زر الطربوش كما يقولون شرابته وطرته · وعامة بلادنا اليوم حرفوا كلمة (قبعة) و (قبع) الى (قَبُّوعة) · ومن مستحسن ما قرأته لبعض الكتاب المعاصرين ان (التقبيع) وهي اللفظة العامية التي كان يطلقها اهل بلادنا من عهد قريب على حلت شعر الولد الاقرع ثم معالجته بالذرورات وضروب الأدوية وان تسميتهم لهذه المعالجة والمداواة تقبيعاً — مأخوذ من كلمة (القبُّوعة) الخاصة التي كانوا يلزمون الأقرع بلبسها وقت ان كان داء القرع متفشياً بكثرة في بلادنا في القرن الماضي · فالتقبيع في اصل معناه إلباس القبوعة ثم توسعوا به فأطلقوه على المعالجة والمداواة التي يلازمها لبس القَبّوعة عادة ·

ويقول العامة في بعض البلاد العربية إقبع المسمار من الحائط واقبع الحشيش من الارض فهل (إقبع) بهذا المعنى محرفة عن فعل (إقلع) ؟ او ان لها علاقة بتقبيع الاقرع من حيث ان شعره كان يُنتف نتفاً أحياناً كما ينتف ويستخرج المسمار من الحائط والحشيش من الارض ؟ وانما قلنا ان (قبّع) المسمار هو من هذا او ذاك لانه لا يوجد في اللغة العربية (قبّع) بمعنى قلَع الشيء واستخرجه بعنف من محله فقولهم (إقبع المسمار) عاميٌّ محض ·

المغربي

الاوتوموبيل أو السيارة ؟

نشر الاستاذ الدكتور محمد حسين هيكل في (السياسة الاسبوعية) مقالاً جاء فيه كلمة (اوتموبيل) فكتب احد طلاب (الجامعة المصرية) اليه سؤالاً يعاتبه فيه على استعمال هذه الكلمة الأعجمية واهمال الكلمة العربية التي تقوم مقامها في استعمال كتاب هذا العصر وهي سيارة . فأجابه الاستاذ هيكل بما يلي نقلاً عن (السياسة الاسبوعية :

فاما استعمال كلمة (اوتموبيل) بدل كلمة (سيارة) التي درج العرف في الاعوام الاخيرة على وضعها مقابلاً للكلمة الأجنبية فلم يكن اعتباطاً ولا كان مجرد حرص على اللفظ الغربي . ولئن كنت أعلم ان كلمة سيارة قد سارت في أدبنا حتى استعملها امير الشعراء شوقي بك في بعض قصائده فاني ارى هذا الاستعمال يفسد الكلمة و يقضي على صورة معينة منها ترجع الى الماضي وما تزال لها مظاهرها في عصرنا الحاضر : فقد جاء في سورة يوسف قوله تعالى « وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام » والسيارة هنا معناها الركب وهذا المعنى للكلمة ما يزال معروفاً لم تنكره الحياة الحاضرة ولم يندثر بعد . فالذين يعرفون شيئاً عن الحياة الصوفية يعرفون السيارة بمعنى الطائفة تسير وأمامها علمها . فاذا نحن أطلقنا لفظ السيارة على الاتموبيل جنينا على هذا المعنى وتخطيناه الى معنى لا يؤديه لفظ السيارة العربي أداء صحيحاً . على انا لو استعملنا كلمة السيارة للاتوموبيل وكلمة الدراجة للبسكليت مما درج به التعبير في الأعوام الأخيرة فما ذا عسى يكون اللفظ الذي نطلقه على (الموتوسيكل) مثلا ؟ وهلا ترى يا صديقي الطالب انا اذا جنحنا الى اخراج الكلمات العربية عن معانيها المعروفة في المعجم الى معانٍ جديدة اضطررنا لإكراهها على ما لا تطيقه طبيعتها اللغوية فأفسدنا اللغة على حين نرى انا نحاول الاصلاح فيها .

ثم ان لي رأياً أريد ابداءه ليكون موضع المناقشة و بخاصة في هذه الفترة التي تتحرك فيها مسألة المعجم اللغوي . وذلك ان توضع اسماء المكتشفات الغربية في اللغة العربية باسمائها او مع التحوير اللفظي الذي تقتضيه أوزان اللغة . وما أحسبني جئت

في هذا بجديد . وقد اخذ به العرب في لغتهم من قبل . والافرنج يأخذون به اليوم بوجه عام : اذ ترى اللفظ الواحد هو هو في الالمانية والانكليزية والافرنسية والايطالية مع تحوير فيه ليتناسق مع اللغة وانغامها . ويدفعني الى ابداء هذا الرأي سببان فضلاً عن انه الرأي الذي اخذ به العرب في الماضي والذي وجد من الانصار متطرفين تراهم بين الذين ترجموا كتب اليونان في عصر المأمون يأخذون الالفاظ اليونانية كما هي من غير تحوير يسبغ عليها الطابع العربي :- أشعر انا بان للمكتشف او للمخترع من الفضل على الانسانية ما يجعل اهل الامم المختلفة مدينين له بما يقتضيهم ان يضعوا الاسم الذي اختاره لاختراعه او اكتشافه — كما أشعر ان للاخذ بهذا الرأي خلا الاعتراف بالجميل لمن يجب الاعتراف بجميله — مزية التقريب بين وسائل التفاهم الانساني في انحاء العالم كله مما يوجبه ازدياد اتصال الامم بعضها ببعض في العصر الحاضر . هذه يا سيدي هي الاعتبارات التي أدت الى استعمال كلمة (الاتومبيل) وتفضيلها على لفظ (السيارة) ولست ادعي انها جديرة بانعقاد الاجماع عليها لكنني أحسبها تستحق شيئاً من النظر والاعتبار اهـ .

نظرة في « الملاحظات اللغوية »

قرأت في الجزء الثاني من المجلد الثامن مقالاً للكاتب الفاضل السيد سالم خليل رزق عنوانه « ملاحظات لغوية » ذكر فيه ألفاظاً قال انها فاتتني في المقالة الثالثة من سلسلة مقالاتي التي عنوانها « ألفاظ عربية لمعان زراعية » وقد رأيت من الضروري ان أبين لحضرة الكاتب وجه الفائدة من هذه المقالات بل الغاية من كتابتها . وأظن انني اكشف فيما سأقول عما في ضمير العالم الطبيب السيد امين المعلوف لان الكاتب الموما اليه تناوله ايضاً في مقاله .

ليست الغاية مما اكتبه او يكتبه الطبيب امين المعلوف سرد ألفاظ مترادفة لمسميات مألوفة او لمعان مجهورة . واذا كان يفيد اللغة العربية ان يتاح لها افراد عليمون باستخراج هذه المترادفات من كتب اللغة ورسائلها المعروفة فان أعظم ما هي بحاجة اليه

أناس من ابنائها حذقوا العلوم والفنون الحديثة واطلعوا على أسرار لغة العرب ثم راحوا ينتقون أجود الألفاظ العربية للمعاني العلمية او الفنية المذكورة خصوصاً اذا كانت المعاجم العربية الأعجمية او الأعجمية العربية خلواً من هذه الألفاظ مع مايقابلها . ورب كلمة واحدة سواء أكانت اصلية او مشتقة او منحوتة اومعربة اذا أحكم وضعها لمسمى حديث علمي او فني تكون اعظم فائدة من بضع صفحات في مترادفات لاتحيي اللغة العربية باحيائها ولا تموت باماتتها . وان من يتخصص بعلم من علوم القرن العشرين و يقف على المئات والالوف من الألفاظ العلمية التي أضافها الاوربيون الى لغاتهم يبكي لشدة حاجتنا الى امثال هذه الألفاظ بالعربية ويضحك ممن لم يطلعوا على العلوم الحديثة بلغات الافرنج و يظنون ان الاقتصار على معرفة كتب اللغة العربية وسرد الألفاظ وما يرادفها هو شيء يذكر في سبيل إحياء هذه اللغة . نحن اذا أجللنا اللغويين المذكورين فلكونهم حفظة ثروتنا القديمة — وهم لهذا جديرون بالإجلال — اماالذين يمكنهم ان يحيوا هذه اللغة ويقربوها من مصاف اللغات الاوربية الحية فلا بد لكل منهم ان يجمع بين أمور ثلاثة وهي الاختصاص بعلم او بفن والتغلغل بسرائر اللغة العربية وإتقان لغة واحدة على الأقل من لغات اوربا الفنية بالعلوم والفنون . واذا فقد شرط واحد من هذه الشروط الثلاثة فقدت معه معظم الفوائد التي ترجى ممن يود إصلاح لغة الضاد والعمل في إحيائها باضافة الألفاظ اللازمة للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة .

أعود بعد هذه المقدمة الى ما ذكره الكاتب الفاضل خليل رزق في مقالته فأقول انني (مع الطبيب معلوف) وضعنا كلمات عربية لمعان زراعية او نباتية وانتقينا لكل معنى اصلح لفظة عربية في رأينا . وكثير مما وضعناه لا يوجد في المعاجم الأعجمية العربية المعروفة . فاذا كان السيد خليل رزق يريد ان يكون انتقاده مفيداً فعليه اولاً بان يتعلم التعريف العلمي المضبوط لكل معنى من المعاني المذكورة ثانياً ان يذكر ان اللفظة الفلانية هي أصلح من التي وضعناها للمعنى الفلاني . مثاله انني استعملت لفظة الأُطُط والسلاجم للدواجن (ومنها الخيل) التي سماها الفرنسيون (Longilignes) فمعنى ذلك ان هاتين اللفظتين هما أصلح من غيرهما للدلالة على هذا المعنى وليس معناه

انه فاتني وجود ألفاظ أخرى عربية للخيل الطوال · ولو كان الكاتب يعرف تعريف اللفظة الفرنسية المذكورة علمياً لرأى ان لفظتي المطط والسلاجم ترجحان من كل وجه على الألفاظ التي ذكرها كالفروق والمشذب والشفاصبة والهزلول والأشق والأمق لأسباب يطول شرحها · وقد أصاب في لفظة واحدة وهي السلاهب لكونها مألوفة ·

ثم لو كانت الغاية مما اكتب ذكر مترادفات لا طائل تحتها لذكرت بضع لفظات تفيد الطول في الخيل مما يراه الانسان في كثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة ولقلت ان لفظة العمشوش (عرموش) يرادفها الشفروق ايضاً مما فات حضرة المنتقد ، لكن الوقت أثمن من ان يضيع في أبحاث كهذه ·

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

مختارات ابن الشجري

قرأت ما كتبتموه عن كتابي « مختارات ابن الشجري » في مجلة المجمع العلمي · غير اني ألاحظ بعض ملاحظات بسيطة على ما كتبتموه : ذلك هي انكم ذكرتم في رأس الكلمة هبةالله الشجري وهو هبة الله بن الشجري · وص٤٠ وهوص١٤٠ باعتبار ان الكتاب ثلاثة اقسام في مجلد واحد كناية عن١٨ ملزمة ·وذكرتم انه طبع عن نسخة مخطوطة في دار الكتب والواقع انها نسخة ابن الشجري نفسه بخطه · ومطبعة الاتحاد وهي مطبعة الاعتماد ·

القاهرة : محمود حسن الزناتي

مطبوعات حديثة

ادب وتاريخ

« تأليف الاستاذ محمد صبري بك أستاذ التاريخ الحديث بدار العلوم »
« بمصر الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٧ »
« ص ٣٤٠ »

اشتهر مؤلف هذا الكتاب بكتابيه (تاريخ مصر الحديث) من محمد علي الى اليوم وكتاب (القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية ونابوليون) وكتابه هذا قسمه الى قسمين : قسم الأدب وهو بحث في شعر شاعري مصر الكبيرين المرحومين محمود سامي باشا واسماعيل صبري باشا . وقسم التاريخ تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر . وغير ذلك من المقالات . وقد جود في كلامه على الشعر العصري ومارزق الشاعران العظيمان من قريحة ونبوغ وتجديد في الشعر . ومقالات المؤلف كلها جيدة فيها روح جديد اقتبسه من أدب الافرنج وطبقه على أدب العرب . وعلى الجملة فان الكتاب من أجمل الأبحاث الطريفة يستحق ثناء الآداب على ابي عذره . م . ك

الجمل

« للزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ صححه وشرح أبياته الاستاذ الشيخ محمد بن »
« ابي شنب وطبعته كلية الادب في الجزائر سنة ١٩٢٧ بمطبعة جول »
« كربونل ص ٤٠٢ »

يظهر الحين بعد الآخر اثر جديد او قديم للعلامة ابن ابي شنب عضو مجمعنا العلمي وأستاذ الآداب في جامعة الجزائر ولا يفتأ يكتب ويؤلف وينشر باللغتين العربية والفرنسية على أرقى أسلوب عرف للغرب في عهدنا . وهذا الكتاب آخر ما عني بنشره من آثار السلف وهو كتاب في النحو والتصريف والاملاء ، كمعظم ما كتبه أئمة هذا الشأن من المتقدمين فيه السلامة والوضوح وجمال البيان ، بحيث يفهمه المبتدئ اذا

قرآه . وحبذا لو وقع الاعتماد على مثل هذه المصنفات للأقدمين في تدريس قواعد لغتنا ، فانها لا تزعج ذهن الطالب وتقتصر له المسافات . وأحسن الطابع بطبعه في قطع صغير يحمل في الجيب ، وأجاد الناشر بتعليقاته اللغوية والتاريخية وفهارسه الجميلة .

م . ك

حوليات مصر السياسية

« تأليف الاستاذ احمد شفيق باشا ، الجزء الاول ص ٨٧٢ محلى برسوم »

« ومصورات طبع بمطبعة شفيق باشا بمصر سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦ »

مؤلف هذا الكتاب من الذين استعدوا للعلوم السياسية وعانوها زمناً طويلاً بالعلم والعمل وقد كتب مذكراته وهو واقف كل الوقوف على حالة السياسة والقائمين بها في مصر فجاءت كتاباته في هذه المفكرات مما يصح الاعتماد عليه. وقد جرى في تدوينها على اصول غربي يدوّن فيه الحوادث الجديدة التي لا تعنى بها غير الجرائد لتكون للمؤرخ مرجعاً ، وقد افتتح كتابه بنبذة تاريخية في استيلاء محمد علي الكبير على مصر وما تعاقب على القطر من الحوادث في ايام أخلافه الى يومنا هذا وأهم ما عني فيه حوادث سنة ١٩٢٤ وهو عهد انعقاد مجلس النواب المصري الاول ولا شك ان حوليات الاستاذ المؤلف ستكون مرجعاً لمن يكتب تاريخ مصر الحديث فانه كله مادة لا يكاد يعثر عليها الا في متفرق الصحف ناهيك برأي المؤلف الذي يركن اليه عسى ان تتم له أمنيته وأمنية التاريخ من إصدار مجلد في كل سنة على هذا الطراز البديع الذي سيخلد اسمه بحق في صفحات العاملين على نشر الحقائق التاريخية في هذا العصر .

م . ك

اصول الفلسفه

« تأليف الاستاذ امين بك واصف الطبعة الاولى وما بعدها بمطبعة »
« المعارف بمصر الجزء الاول والثاني والثالث والرابع »

هذا موجز في علوم الفلسفة الخمسة نشر منها المؤلف علم النفس وعلم الجمال وعلم المنطق وعلم الأدب وبقي عليه علم ما وراء الطبيعة · وقد كتب المؤلف كتابه بسلامة وحسن تنسيق دلا على علو كعبه في الفلسفة وجمعه بين القديم والحديث فان كانت اكثر مصادره عصرية فما غفل ايضاً عن الرجوع الى ممارضة أبحاثه بما قاله القدماء · وقد شفع المؤلف الجزء الرابع وهو في الأخلاق بمعجم في مصطلحات علوم الفلسفة التي وردت في كتابه · حوى مصطلحات الافرنج بالفرنسية او بالانكليزية او بكلتيهما معاً مع وضع الاصطلاح العربي لكل لفظة ، وشرحه شرحاً خفيفاً يبين المقصود منه فجاء هذا المعجم الصغير في ٤٦ صفحة وشهادة ناطقة بعناء المؤلف في نقل مصطلحات علم زهد المتأخرون منا فيه بعد ان كان من أجدادنا أعاظم المشتغلين به · وانا نلفت نظر قرائنا لاقتناء هذا الكتاب ومدارسته فهو يغنيهم عن المطولات في هذا الفن الجليل · ويا حبذا لو جرّد صديقنا المؤلف وهو من النابهين من رجال العلم والعمل في مصر هذا المعجم الصغير وأضاف اليه كل المصطلحات الفلسفية وطبعه على حدة ليكون معجماً جامعاً للمصطلحات الفلسفية فمثله من يضطلع بهذا الشأن · ونحن هنا لا يسعنا الا ان ندعو له بدوام التوفيق لاخراج ما ينفع الناس من ثمرات علمه الناضج وبحثه المستفيض ·

م · ك

تذكرة ابن حمدون

« نشرتها مكتبة الخانجي بمصر طبعة اولى سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٧ »
« في مطبعة النهضة ص ١١٨ »

ابن حمدون بهاء الدين محمد بن ابي سعد البغدادي المتوفى سنة ٥٦٢ كان أديباً كاتباً معدوداً في عصره ، كتب تذكرة اشتهرت في عصره وبعده جملها في

خمسين باباً ، وهذه الرسالة هي الباب الثاني او القسم الثاني من تذكرته فهي اذاً نموذج من هذا الكتاب النفيس ، وهذا الجزء في الآداب والسياسة الدنيوية ورسوم الملوك والرعية قسمها الى ستة اقسام وضمنها حكماً قديمة وحديثة وأشعاراً جيدة تناسب المقام فهو كتاب أدب جميل لست تعثر فيه على ما لم يسطر في دواوين الأدب المطبوعة بل هو منسق مجموع بعضه الى بعضه وحبذا لو عُني الأدباء الجمال الخانجي طابعو هذه الرسائل بالضبط اكثر من عنايتهم هذه . وان يكملوا طبع ما تفرق من هذه الرسائل مما هو محفوظ في دار الكتب المصرية وخزانة الفاضل نور الدين بك مصطفى ولو كان فيه نقص .

م . ك

ابو العلاء وما اليه

« تأليف الاستاذ السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي الاثري أستاذ »
« جامعة علي كره في الهند وطبع على نفقة دار المصنفين في اعظم كره ، »
« واشرف على طبعة الاستاذ السيد محب الدين الخطيب وطبع في المطبعة »
« السلفية ص ٣١٩ وألحق به رسالة الملائكة للمعري في ٣٠ ص ونبذة »
« في فائت شعر المعري في ١٥ ص . القاهرة سنة ١٣٤٤ »

هذا كتاب ممتع حافل بكل ما له صلة بتاريخ ابي العلاء المعري وحياته وكتبه ونثره ونظمه وعظمته جمع فيه العلامة مؤلفه أسلوب الرواية والدراية على ارقى الاصول الغربية الحديثة . وحقق مسائل فاتت غيره او كان فيها على رأي آخر ممن كتب على ابي العلاء مثل الاستاذين مرجليوث والدكتور طه حسين وقد صور ابا العلاء فأحسن صورته ، وجمع من المواد لهذه الصورة ما جاء تاماً في الجملة الآن ودل في ذلك على براعة فائقة في معرفة اللغة العربية . وليس في كتابه البديع مايلاحظ عليه غير مالاحظه الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وهو قوله في تقريظ الكتاب : اما لغة الكتاب فنقية محكمة ولا آخذ عليه فيها الا انه يساوي ابا العلاء في أسلوبه وسجعه . وفي سجع ابي العلاء بعض الصنعة والتعمل ولو ان المؤلف أطلق قلمه من ذلك القيد لكان اجمل

به . من ذلك قوله في صفحة ٦٥ « ولا يحاشي من ذلك ولا يتحرج وهو ممن على أقران خالو به تحرج » وفي صفحة ٩٩ « وهي من غرر المراثي وحسناتها ، ودرر التآبين لا خرزاتها » وعلى كل فان الاستاذ المؤلف من خير من حقق وابعد في التحقيق ، جمع بين طريقة المحدثين والاقدمين ، وهو من خير من يسكون القلم العربي من الغرباء عن العربية ويجودون كتابتها كابنائها العريقين فيها اكثر الله أمثال هذا المؤلف بالعربية من المحققين المبدعين . م . ك

علم الاخلاق الى نيقوماخوس
« تأليف اريسطوطاليس »
ترجمه عن اليونانية الى الفرنسية (بارتلي سانتهلير) ونقله الى العربية احمد لطفي السيد جزؤان طبعا بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٩٢٤)

مؤلف هذا الكتاب هو الفيلسوف اريسطوطاليس بن نيقوماخوس تلميذ افلاطون ومعلم الاسكندر . وقد نقله من اليونانية الى الفرنسية (بارتلي سانتهلير) وترجمه عن الفرنسية (احمد لطفي السيد) بعبارة بليغة مطابقة للاصل ، قل ان يتأتى لغيره الاتيان بمثلها . وقد صدّر الكتاب بمقدمة ضمها الى مقدمة المترجم الاول ، فجاء في مجلدين من القطع الكبير . والكتاب حسن الطبع جيد الورق لا يمل القارئ من مطالعته . ولم يهمل المعرب نقل تعليقات المترجم الفرنسي فجاءت متممة لمانيه . فالكتاب يحتوي إذن على قسمين : كتاب اريسطو وتعليقات بارتلي سانتهلير عليه هذا فضلاً عن المقدمة الطويلة التي صدّر بها المترجم الفرنسي كتاب الأخلاق ففند فيها آراء فيلسوف (اسطاجيرا) بعد ذكر مذهب أفلاطون وقابل بينه وبين الرواقيين و (كانت) ففضل فلسفة الأكاديميا على فلسفة المشائين .

ليت المعرب كان يعرف اليونانية فينقل الينا كتاب الأخلاق عن اللغة التي كتب فيها ، فكان يغنينا بذلك عن مقدمة (بارتلي سانتهلير) وترجمته للفرنسية ، فان آراء هذا الفيلسوف ليست عمدة في عالم الفلسفة اليوم ، أضف الى ذلك ان في

ترجمته شيئاً من الابهام الذي يشوش الفكر ، فاذا نقل ذلك من لغة الى لغة كان باعثاً الى الابتعاد عن الأصل . وقد أسف المعرب في تصديره لعدم معرفته اللغة اليونانية وبين ان الأخذ عن اليونانية « ادعى الى الضبط في النقل ، وادنى الى الوقوف على مرامي اريسطو » ونحن نكتفي هنا بترديد ذلك معه شاكرين للأمة الفرنسية توسطها بيننا وبين اللغة اليونانية .

واللغة العربية اليوم اكثر اللغات حاجة الى الآثار الفلسفية ، فانك لا تجد فيها كتاباً جامعاً للفلسفة الحديثة كلها . ولعل السبب في ذلك عدم اهتمام البلاد العربية بهذه العلوم في المدارس الثانوية . وقد يكون السبب ايضاً حداثة النهضة العلمية في بلادنا ، وهذا ما يجعل للآثار المترجمة في هذا الدور قيمة خاصة .

واذا تذكرنا ان النهضة الاوربية في أواخر القرن الخامس عشر ، وفي القرن السادس عشر عمدت الى درس الفلسفة اليونانية لتقتبس منها حرية التفكير ، علمنا قيمة تعريب كتب آريسطو وغيره من اساطين الحكمة . وقد عرف العرب كتب آريسطو في الأخلاق ولكنهم لم يعتنوا بها اعتنائهم بكتبه الاخرى . فقد ذكر ابن النديم في جملة كتب آريسطو كتابه في الأخلاق ، نسخ من خط يحيى بن عدي وفسره فرفوريوس . وهو نقل اسحق بن حنين في اثنتي عشرة مقالة . (الفهرست ، المقالة السابعة ، ص ٢٥٢) وقد وضع الكندي ايضاً رسالة في الأخلاق وفسر الفارابي قطعة من كتاب الأخلاق لآريسطو ، على ان هذه الكتب العربية القديمة المترجمة عن اليونانية كانت مبهمة كثيرة التعقيد ، لا يتوصل القارئ فيها الى استنباط المعاني المقصودة الا بعد قراءتها مرات عديدة . فقد حكي عن الفارابي انه قرأ كتاب النفس لآريسطو مائتي مرة ، وكذلك ابن سينا فقد قال : « قرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس عليّ غرض واضعه حتى أعدت قراءته اربعين مرة ، وصار لي محفوظاً وانا مع ذلك لا افهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي ، وقلت هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . واذ انا في يوم من الايام ، حضرت وقت العصر في الوراقين وبيد دلال مجلد ينادي عليه ، فعرضه عليّ فرددته رد متبرم معتقد ان لا فائدة في هذا العلم ، فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعكه بثلاثة

دراهم ، وصاحبه محتاج الى ثمنه . فاشتريته فاذا هو كتاب (ابي نصر الفارابي) في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة . ورجعت الى بيتي ، وأسرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب ، بسبب انه كان لي محفوظاً على ظهر القلب ، وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء ، شكراً لله تعالى[1] »

فاذا صح ما رواه ابن سينا وما نقل عن الفارابي فان السبب في عدم اطلاع فلاسفة العرب على أغراض آرسطو بسهولة ليس غموض مقاصده فقط بل سوء الترجمة ايضاً . انظر مثلاً الى كتاب قاطيغورياس (Catégories) الذي ترجمه اسحق بن حنين ، تجد في فهم معانيه حاجة الى قراءته مرات عديدة . وقد يكون تعدد قراءة الفارابي لكتاب النفس منبعثاً عن شدة إعجابه به . ومن قابل بين هذه الترجمة الحديثة التي أتحفنا بها الاستاذ احمد لطفي السيد وبين لغة المترجمين القدماء شكر للمترجم الحديث اعتناءه ومتانة أسلوبه .

اما مقدمة المعرب فهي طافحة بالآراء الثاقبة والنظريات الصادقة ، فقد ذكر فيها حياة آرسطو وحلاها بنبذة عن تاريخ الفلسفة العربية واسباب انقراضها . و ياليته بين اثر الغزالي في هذا الانقراض ، لان حجة الاسلام قضى على الفلسفة في الشرق بكتابه تهافت الفلاسفة ، فانتقلت الى المغرب وانحطت بعد نكبة ابن رشد ، فأصبحت بعد ذلك منسية من العرب انفسهم ، حتى صار الغربيون اليوم يعرفون الفلسفة العربية اكثر مما نعرفه نحن . ولكنهم لا يدرسون هذه الفلسفة ليكتشفوا فيها بعض المبادئ التي يبنون عليها فلسفتهم الحديثة بل يقرأونها كما يقرأ التاريخ القديم منبعثين اليها بحب الاطلاع فقط .

قال المعرب : « اذا شئنا ان تكون لنا فلسفة مصرية تأتلف ومعلوماتنا ، وجب علينا ان نجدد الفلسفة العربية التي فقدت أعيانها ولم تبق الا آثارها ، او بطريقة أقرب ان ندرس فلسفة آرسطوطاليس ، فان الفلسفة العربية في مجموعها هي فلسفة آرسطوطاليس[2] »

---

(١) نقلاً عن ابن ابي أصيبعة وابن خلكان . (٢) علم الاخلاق الى نيقوماخوس ص ١٤٠ .

لاجرم ان البلاد العربية محتاجة الى فلسفة تسير عليها في هذا العصر • ولا خلاف في ان هذه الفلسفة يجب ان تكون مبنية على حاجاتنا وميولنا ، لان الحاضر كما قال (لايبنيتز) مثقل بالماضي وممتلئ من المستقبل • على اننا نظن ان المنفعة من تجديد الفلسفة العربية القديمة تاريخية محضة ، وان تأسيس فلسفة عربية حديثة يجب ان لا يكتفي بآثار هذه الفلسفة القديمة ، بل يجب ان يأخذ من أفكار فلاسفة العصر الحاضر كديكارت ولوك ولايبنيتز وسبينوزا وهوم وكانت وسبنسر ما يستطيع توفيقه مع شرائط المحيط • ولسنا نظن حضرة الناقل مخالفاً لنا في ذلك • ولكننا نظن ان الفلسفة العربية بمجموعها ليست فلسفة آرسطو فقط • فقد بينا في كتابنا في ما وراء الطبيعة عند ابن سينا ما لأفلاطون من الأثر في فلسفة العرب وبين (غوتيه) في كتابه على فلسفة ابن رشد ان التوفيق بين مبادئ آرسطو والعقائد الاسلامية كان هم فلاسفة العرب جميعهم من ابن سينا الى ابن رشد • يظهر ذلك في نظرية العقل الفعال وفي نظرية الفيض التي اخذها العرب عن فلاسفة الاسكندرية ، يظهر ذلك ايضاً في كتاب ابن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) حيث بين ان الغرض من كتابه هو الفحص « على جهة النظر الشرعي ، هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح ، ام محظور ، ام مأمور به » • ان فلسفة ابن سينا ممتلئة من التصوف وكتاب حي بن يقظان الذي وضعه ابن طفيل يشهد بذلك • وهنالك طائفة من الفلاسفة مثل علماء الكلام ، كانت على ضد رأي آرسطو لانها كانت تقول بنظرية الاجزاء الفردية التي لا تتجزأ ، فاذا أدخلنا هؤلاء في مجموع فلاسفة العرب ، كانت فلسفة العرب أعم من فلسفة آرسطو • وكل ما ينبغي ان يقال في ذلك هو ان فلسفة آرسطو جزء من فلسفة العرب لا غير •

وقد اجتنب المعرب في ترجمته الاشارة الى اصول الاصطلاحات التي استعملها ، فلو فعل ذلك لأضاف الى كتاب آرسطوطاليس معجماً في الاصطلاحات الفلسفية التي نحن في حاجة اليها اليوم •

***

اما كتاب الأخلاق فهو في عشرة كتب فحص فيها آرسطو نظرية الخير والسعادة ،

ونظرية الفضيلة ، وحلل الفضائل المختلفة ، واتى على ذكر نظرية العدل ، ونظرية الفضائل العقلية ، ونظرية عدم الاعتدال واللذة ، ونظرية الصداقة ، وآرسطو في مذهبه الأخلاقي أقرب الى الحقيقة من معلمه ، لانه لا يبتعد عن العالم المحسوس . وقد كان سقراط قبل أفلاطون يقرر ان الفضيلة علم ، وانه لا فرق بين العلم والعمل ، لان العلم بالخير يدعو الى الرغبة فيه ، ولا تستطيع الارادة ان تعاكس العقل فيما يراه نافعاً ، واذا كان الخير هو النافع فغاية علم الأخلاق هي السعادة .

على ان آرسطو لا يخالف سقراط في ان الفضيلة علم ، ولكنه « لا يطلب التحقيق والضبط في كل نوع من الموضوعات الا بمقدار ما تقتضيه نفس طبيعة الشيء الذي يعالج » (ك ١ ، ب ١ ، ف ١٧) . وقد قسم آرسطو العقل الى قسمين : العقل النظري والعقل العملي ، فاذا صح انه يمكن الوصول الى الضبط التام في مواضيع العقل النظري فانه « لا ينبغي ان يحتم الضبط في كل مؤلفات العقل بقدر سواء » (ك ١ ، ب ١ ، ف ١٤) « وبالنسبة للاشياء غير المعينة يجب ان يبقى القانون مثلها غير معين » (ك ٥ ، ب ١٠ ، ف ٧) . ومن قابل هذا الرأي برأي اوغوست كومت وجد فكرة فيلسوف اسطاجير غير بعيدة عن فكرة الفيلسوف الوضعي في تصانيف العلوم ، فان الشيء الذي يبعد العلوم الاجتماعية عن الضبط التام هو كثرة تعقدها وتركبها . وفي كلام اوغوست كومت دليل على ما نقوله ، فانه وضع آرسطو في جملة الذين اخذ عنهم فقال في (دروس الفلسفة الوضعية جزؤ ٤ ص ٢٤٠) : « لكن أرى مع ذلك من الواجب عليَّ ان أنوه بادئ بدء باسم آرسطوطاليس العظيم ، فان « سياسته » الخالدة هي ، بلا شك احدى النتائج الباهرة للزمن القديم » . وقد اخذ اوغوست كومت عن مونتسكيو وكوندورسه وسن سيمون ، على انه كان شديد الإعجاب « بالتحليل المحكم الذي فند به آرسطو الأحلام التي قامت بافلاطون ومقلديه فيما يتعلق بشيوعية الأموال » فآرسطو إذن من أقرب فلاسفة العهد القديم الى الوضعية لانه كان ميالاً الى المشاهدة اكثر من معلمه افلاطون ، فقرر ان الانسان موجود اجتماعي وقد جعلته الطبيعة ليعيش مع امثاله (ك ٩ ، ب ٩ ، ف ٣) وقال : « ان المبدأ الحق في كل شيء انما هو الواقع » (ك ١ ، ب ٢ ، ف ٩) . وان علم الأخلاق يتبع علم

السياسة — العلم العملي الأعلى ، الذي يستخدم جميع العلوم الاخرى (ك ١ ، ب ١ ، ف ٩ ، ١٠) . فالسياسة بالنسبة الى آرسطو تتكلم على الخير الحقيقي الذي هو صيانة المملكة وسعادتها ، ولا غرو فان حياة الدولة اكبر شأناً من حياة الشخص ، وإسعاد أمة أجمل من إسعاد فرد واحد ، أضف الى ذلك ان موضوع السياسة أسمى وأعلى من موضوع الأخلاق ، لان السياسة علم كلي به تمام فلسفة الاشياء الانسانية ، وقد انتقد المترجم الافرنسي هذا الرأي وقال ان أفلاطون في كتاب الجمهورية هو الذي دعا آرسطو الى هذا الخطأ ، لانه قال ان درس العدل في الممالك أسهل منه في الأفراد ، فانخدع آرسطو بظاهر رأي أستاذه وخفي عليه مقصده . على ان آرسطو لم يجعل حياة الامة اكبر مكانة من حياة الفرد الا لأن شروط الحياة الاجتماعية اليونانية كانت تقضي بذلك . فقد كان الفرد فيها تابعاً للدولة ولم تكن له قيمة شخصية ، فافلاطون يتعزّى بسعادة الدولة عند بؤس الافراد ، وآرسطو يجعل سعادة الامة اعظم من سعادة الشخص . وبديهي ان تقدم علم السياسة على علم الأخلاق ناشئ عن تعلق الحوادث الأخلاقية بالحوادث الاجتماعية ، لان البيئة تكيف الشخص وتؤثر فيه ، يدلك على ذلك اختلاف الحقائق الأخلاقية بحسب الزمان والمكان . وقد بين لنا دوركهايم وليفي بريل واصحابهما ان لعلم الاجتماع اثراً في علم الاخلاق لا يقل شأنه عن اثر علم الاخلاق فيه ، لان العلة تؤثر في المعلول ، والمعلول يؤثر في العلة .

يقول آرسطو في بداية الكتاب الاول ان جميع افعالنا ومقاصدنا تدل على ان غرضنا الاسمى في الوجود هو شيء من الخير نرغب في بلوغه . والخير في كل فعل هو الغاية التي يبتغيها الفاعل ، والخير الاعلى هو الكامل والتام والنهائي الذي لا يطلب الا لذاته ، وهو اسمى من تلك الخيرات المطلوبة لاجل خير آخر . ثم ان غاية الانسان الأخيرة هي السعادة ، وهي بلا معارض اكبر الخيرات ، الخير الأعلى ، لانها شيء نهائي كامل ، مكتف بنفسه . ولذلك فان السعادة هي « احسن ما يكون ، واجمل ما يكون ، والذّ ما يكون » .

لقد زعم بعض الناس ان اللذّة هي الخير (ك ١٠ ، ب ١ ، ف ٢) وقال آخرون ايضاً انها الخير الأعلى . ولكن كل ماتثبته أدلتهم هو ان اللذّة شيء من الخير . ولقد

أجاد أفلاطون حين قال : « ان عيشة اللذة مرغوب فيها مع الحكمة اكثر منها بدون الحكمة ، ولكن اذا كان هذا المزيج من الحكمة ومن اللذة هو احسن من اللذة نتج منه ان اللذة وحدها ليست هي الخير الحق » . اللذة تتم الفعل وتنضم اليه « كما ان زهرة الشباب تنضم الى السن السعيدة التي تنعشها » (ك ١٠ ، ب ٤ ، ف ٤) والحياة كلها ضرب من الفعل ، فاذا كان الانسان يحب الحياة فهو بالنتيجة يحب اللذة غير ان اللذة لا تقوم الفعل بل تنضم اليه .

على ان الخير او الكمال يختلف في كل شيء بالنسبة الى الفضيلة الخاصة به ، ولذلك فان خير الانسان الخاص او سعادته هو في فاعلية النفس المطابقة للفضيلة : « زد على ذلك ان هذه الشروط يجب ان تحقق طول حياة تامة باسرها ، لان خطافة واحدة لا تدل على الربيع ، لا هي ولا يوم صحو واحد ، فلا يمكن ان يقال : ان يوم سعادة واحد ، بل ولا بعض زمن من السعادة يكفي لجعل الانسان سعيداً محظوظاً » (ك ١ ، ب ٤ ، ف ١٦) .

وقد اعاد آرسطو في الكتاب العاشر ذكر نظرية اللذة والسعادة الحقة ، وبين مكانتهما في الحياة والتربية ، وفند النظريات السابقة على طبيعة اللذة وأضاف الى ذلك قوله ان اللذة في الفعل وان لكل فعل لذة خاصة به . ولكن لماذا لا تكون اللذة مستمرة ؟ ذلك لان جميع الملكات الانسانية عاجزة عن الفعل بالاستمرار (ك ١٠ ، ب ٤ ، ف ٥) . ولو سألت آرسطو لماذا تنقلب اللذة الى الألم بعد استمرار الفعل لقال لك ان اللذة تتراخى وتنتهي بانتهاء الفعل ، لان الفعل شيء والافراط في الفعل شيء آخر . فاللذة هي كما قال هاميلتون وغروت وسبنسر في الفعل المعتدل .

والانسان وحده بين جميع المخلوقات هو الذي يمكن ان يكون سعيداً ، لانه هو وحده جدير بالفضيلة « فلا تستطيع ان تقول سعيداً على حصان وعلى ثور ولا على حيوان آخر اياً كان ، لانه ولا واحد منها جدير بهذه الفاعلية الشريفة التي تخص بها الانسان » (ك ١ ، ب ٧ ، ف ٩) واذا كانت السعادة هي في الفعل المطابق للفضيلة فانه من الضروري ان تكون في الفعل المطابق للفضيلة العليا اي في فعل التفكر والتأمل . واللذات التي تجلبها الفلسفة عظيمة في طهارتها ، وهذا هو السبب في ان

العلم سعادة اكثر من طلب العلم . والاستقلال الذي تقتضيه السعادة يوجد في الحياة العقلية ، والحكيم هو اكثر الناس استقلالاً واشدهم اكتفاءً بنفسه . والتفكر والتأمل خاص بالانسان والنطق هو الفصل الذي تتقوم به ذاته . وكذلك فان حياة الفهم هي ، كما يقول آرسطو « اسعد حياة يمكن المرء ان يحياها » (ك ١٠ ، ب ٧ ، ف ٩) ومع ذلك فان المثل الأعلى والخير والغاية والفضيلة هي اشياء متقاربة متماثلة ، والسعادة هي مبدأ الفعل وغايته لانها تتولد من الكمال وتتحد مع الفضيلة . ولكن هل يستطيع الانسان الفاضل ان يكون سعيداً اذا كان فاقداً للخيرات الخارجية ؟ ان السعيد هو ذلك الذي « يتمتع او سيتمتع » بجميع الخيرات التي نعلمها . فالحكمة لا تغني عن لذة الصداقة ومحبة العائلة والقوة والثروة ، لان هذه الامور زينة الحياة الدنيا وهي متممة للفضيلة في تحقيق السعادة .

ان نظرية الفضيلة تشغل في الأخلاق الكتاب الثاني والثالث والرابع وهي النظرية التي تبنى عليها السعادة . وقد قسم آرسطو الفضائل في الكتاب الثاني الى فضائل عقلية وفضائل أخلاقية ، وبين ان الفضائل الأخلاقية لا تحصل فينا بالطبع وان الحال فيها كالحال في الفنون الأخرى اذ لا نصبح فضلاء الا بالاكتساب والعادة . والفضيلة اكثر استقلالاً من السعادة ، لان السعادة لا تستطيع ان تستغني عن الخيرات الخارجية (ك ١ ، ب ٦ ، ف ١٤) مع ان الفضيلة هي عادة مبدؤها الارادة وهي واسطة للوصول الى السعادة . ان الفضائل ليست بمعنى الكلمة انفعالات ولا خواص بل هي عادات وملكات . وقد عرّفها آرسطو بقوله انها نوع وسط بين الإفراط والتفريط ، والحال فيها كالحال بالنسبة الى صحة البدن ، فان الافراط والتفريط في التمرينات البدنية كلاهما يودي بالقوة . وكذلك فان العفة والشجاعة تعدمان على السواء اما بالافراط واما بالتفريط ولا تبقيان الا بالتوسط (ك ٢ ، ب ٢ ، ف ٧) . ومن هذه الجهة يكون الشر لانهائياً كما قال الفيثاغوريون ، وتكون الفضيلة محصورة في هذا الحد الوسط . وعلى ذلك لا يمكن حسن السلوك الا بطريقة واحدة . فالشر سهل والخير صعب « لانه في الواقع من السهل ان تخطئ الغرض ، ومن الصعب ان تصيبه » (ك ٣ ، ب ٦ ، ف ١٤) . ينتج من ذلك ان الفضائل بالنسبة الى آرسطو

خاضعة للظروف الخارجية ، لان الرجل لا يكون سخياً وجواداً الا اذا كان عنده من المال ما يستطيع انفاقه ، ولا يكون عادلاً الا اذا قابل الخير بالخير . على ان هذا النوع الوسط ليس واحداً بالنسبة الى جميع الناس فستة أرطال من الغذاء قليلة جداً بالنسبة الى (ميلون) وكثيرة بالنسبة الى رجل مبتدئ في لعب الجباز . ولذلك فان اعتدال المرأة غير اعتدال الرجل والواجبات تختلف بالنسبة الى الجميع (السياسة : ١ ، ٥) . فمن الأفعال والانفعالات ما هو رذيلة بالذات ، لا سبيل فيه الى حسن الفعل ، وليس يوجد فيه وسط ولا إفراط ولا تفريط ، والانسان دائماً مجرم بارتكابها .

ولسنا نستطيع في هذا المقام ان نذكر جميع الفضائل التي يعددها آرسطو ولكن نقول بالنسبة الى القاعدة السابقة ان الشجاعة وسط بين التهور والجبن ، والاعتدال وسط بين الفجور والخمود ، والسخاء وسط بين الإسراف والبخل ، والأريحية وسط بين الوقاحة والضعة ، والبشاشة وسط بين السخرية والسلاطة .

وبديهي ان الفضائل لا تنمو الا في وسط اجتماعي — لان الانسان اجتماعي بالذات ، فلا يمكن تحقيق الفضائل العالية والتامة الا بالاضافة الى الغير . ولقد أجاد آرسطو في وصف العدل اذ قال : « فما شروق الشمس ولا غروبها احق منه بالاعجاب » (ك ٥ ، ب ١ ، ف ٥) . وتمثل بقول الشاعر (تيوغنيس) « ان كل فضيلة توجد في طي العدل » . فالعدل هو خير الأغيار ، والسلطان محك الانسان . وقد قال ابن سينا في كتاب الشفاء (مقا ١٠ فصل ٥) « ان رؤوس هذه الفضائل عفة وحكمة وشجاعة ومجموعها العدالة وهي خارجة عن الفضيلة النظرية ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد » . فالعدل التوزيعي اوالسياسي يشتبه بالمساواة كتقسيم الثروة بالاستحقاق بين الأشخاص ، والعدل القانوني والمعوض هو ايضاً نوع من المساواة ، كالحال في الجرائم فان القاضي يعامل الاشخاص كأنهم على أتم ما يكون من المساواة . على ان العدل التوزيعي يمكن تمثيله بنسبة هندسية مع ان العدل القانوني لا يمكن تمثيله الا بنسبة تعددية .

ومن الفضائل الاجتماعية العالية التي حللها آرسطو في الكتاب الثامن فضيلة

الصداقة ، فاذا كان العدل هو الذي يربط الممالك فالصداقة هي الباعثة الى وفاق الاهالي . وقد تمتد الصداقة فتشمل كل الناس فتسمى عند ذلك انسانية وتصبح أعم من العدل ، لان الناس مهما عدلوا فانهم لا غنى لهم عن الصداقة ، ومتى أحب الناس بعضهم بعضاً لم تعد حاجة الى العدل (ك٨ ، ب ١ ، ف ٤) . وقد وحد آرسطو في هذه النظرية بين السياسة والأخلاق وبين الاجتماع والفضيلة على ان الصداقة تنحصر في ان الانسان يجب ان يُحِب اكثر من ان يكون محبوباً . وقد تدعو هذه الحال الى الشعور باللذة ، الا ان الصداقة تبنى على الفضيلة لا على اللذة والمنفعة . والصديق المخلص هو الذي يريد باخلاص خير صديقه لاجل هذا الصديق نفسه ، لا يبتغي من وراء ذلك غاية فيذهب فضله . اما الصداقة المبنية على المنفعة فانها سريعة الزوال معرضة في الغالب الى الشكاوي والملامات . والصداقة ضرورية للانسان في السعادة والشقاء معاً . قال آرسطو : « من السخف جعل الرجل السعيد منفرداً بمعزل عن سائر الناس . من ذا الذي يريد ان يملك جميع خيرات الدنيا على شريطة ان لا يستعملها فيها الا لنفسه وحده ؟ الانسان موجود اجتماعي وقد جعلته الطبيعة ليعيش مع أمثاله ، وهذا القانون ينطبق ايضاً على الانسان السعيد » (ك ٩ ، ب ٩ ، ف ٢) .

ان موضوع الحياة العملية هو شيء من الخير خاص بالانسان . مع ان الحياة الفكرية هي التي تجلب لنا السعادة وتجردنا من طبائعنا الحسية . ولا قيمة للفضائل الاخلاقية الا اذا نسبت الى الفضائل العقلية ، لان النفس التي تخضع للعقل دائماً تتصل بالآلهة . والحكيم كما ذكرنا مكتفٍ بنفسه والسعادة العالية هي في تعاطي الحكمة والعلم . قال آرسطو : « لا ينبغي تصديق اولئك الذين ينصحون للانسان ان لا يفكر الا في اشياء انسانية ، وينصحون للكائن الفاني ان لا يفكر الا في اشياء فانية مثله ، والحق عن ذلك بعيد بل يلزم الانسان ان يخلد نفسه بقدر ما يمكن » (ك ١٠ ، ب ٧ ، ف ٨) وكأني به قد تذكر هنا تعاليم أستاذه افلاطون ، فقرر بانه يجب على الانسان ان يحيا بحسب اصله الشريف ولكن خلود النفس الذي ينوه به لا يدل على اعتقاده الصريح ببقاء النفس بعد الجسد ، بل هو يعتقد بان النفس صورة الجسد ، وان الخلود شيء

غير شخصي . والآلهة هي اسعد الكائنات واوفاها حظاً واذا كانت السعادة الكاملة هي في التأمل المحض فان فعل الآلهة هو إذن فعل تأملي . وبقدر ما يكون التأمل عميقاً تكون السعادة عظيمة .

هذا بعض ما استطعنا تحليله من كتاب الأخلاق الى نيقوماخوس ، فتارة تجد آرسطو يقول فيه ان الرجل الفاضل هو مقياس الفضيلة ، وتارة تجده يقول ان الفضيلة في التأمل وفي الاتصال بالارباب . على انه لا يوجد تناقض في هذا الرأي لان للعقل اثراً في جميع الفضائل . ونظرية آرسطو في الأخلاق مرتبطة بما ذكره في كتاب النفس عندما تكلم على العقل الفاعل والعقل المنفعل ، وبين كيفية اتحاد الروح بالجسد . نعم انه يوجد في كل انسان اله وحيوان ولكن الحيوان يتبع الاله ويهتدي بنوره . فاللذة بالمحسوسات هي الشعور بالملائم واللذة بالمعقولات هي الشعور بالكمال . وعلى ذلك فان آرسطو قد جعل الخير الأعلى في السعادة . وقد اتبعه في ذلك ديكارت ومالبرانش ولايبنيتز وسبينوزا الذين قرروا ايضاً ان الخير الأعلى والسعادة شيء واحد .

غير ان خطأ آرسطو في ذلك هو عدم تجرده في كثير من المواضيع عن الاعتبارات « المتافيزيكية » كالقوة والفعل والمادة والصورة وغير ذلك هذا فضلاً عن ان طريقته في الأخلاق لا تزال غير موضوعية . ومن قرأ هذا الكتاب فانه سيكون شديد الإعجاب بالتحليل المحكم الذي بين فيه آرسطو انواع الفضائل العملية . وسيكون ايضاً شديد الإعجاب بالمعرب . فان الإعجاب بالشيء يكون بقدر المشقة اللازمة لانجازه .

دكتور في الفلسفة والاجتماع من جامعة السوربون

جميل صليبا

كتب ورسائل مختلفة

(١) التقرير السنوي للجمعية التاريخية الاميركية عن سنة ١٩٢٢ الجزء الاول طبع في واشنطون سنة ١٩٢٦ .

Annual report of the Américain Historical Association for the year 1922 Washington

(٢) اخبار مجلس النواب في فرنسا عن سنة ١٩٢٦ ص ١٠٣٩ طبع في مطبعة الصحف الرسمية بباريز سنة ١٩٢٧ .

Annales de la Chambre des députés 13 me Législature. Session extraordinaire de 1926. Paris

(٣) رواية احوال الاستبداد تأليف الكونت الكسي تولستوي الرومي وتعريب الاستاذ خليل بيدس عني بنشرها السيد انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر سنة ١٩٢٧ ص ٤٣١ .

(٤) رواية عشاق فينسيا تأليف الروائي ميشيل زيفاكو وتعريب الاستاذ طانيوس عبده عني بنشرها السيد الياس انطون الياس بمصر وتدخل في مجلدين يقعان في ٥٨٣ صفحة .

(٥) علم الاقتصاد — الجزء الثاني — في الانتاج لجامعه الاستاذ عبد القادر بك العظم طبع في مطبعة البطريركية الارثوذكسية في دمشق سنة ١٩٢٦ ص ١٦٣ .

(٦) فهرس المطبعة السلفية ومكتبتها لصاحبيهما السيدين محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان بالقاهرة ص ٢٠٨ طبع بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٦ .

(٧) الأدب الطبي وادب الطبيب وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك طبع بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٧ ص ١٩٦ .

(٨) «ماتراه العيون» للمرحوم محمد بك تيمور الطبعة الثانية نشرها شقيقه الاستاذ محمود بك تيمور مصدرة بحياة المؤلف ص ١٥٥ .

الجزء ٦ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٢٨م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٦ ومحرم سنة ١٣٤٧هـ

بحث في بعض اصطلاحات

« النبات والحيوان »

جاءني بعد نشر مقالتي الماضية كتاب من الدكتور داود بك الجلبي فيه بعض ما خطر له في شأن الألفاظ التي ذكرتها فرأيت ان انشر شيئاً من كتابه واعقّبه بما لا يخرج عن بحثنا قال :

« ان الاتيان بكلمة تصلح لان تكون مقابل كلمة انبريون قد شغل فكري كثيراً قبل الآن كما دفعكم في مقالتكم الى الكتابة عنه وعن الفيتس سطوراً كثيرة . اما كون مقابل فيتس هو الجنين فما لا يتردد فيه احد واما اطلاق كلمة جنين على الفيتس والانبريون معاً فليس مستحسناً لان علماء الطبيعة لم يفرقوا بينهما عبثاً ولان تشكلات مهمة في الاعضاء تفرق بينهما فاكتفاء مؤلفي كتاب الطب الشرعي المصري بكلمة جنين للاثنين لا يعد حجة على الاستغناء عن كلمة للانبريون بل هو دليل على العجز عن الاتيان بكلمة صالحة . واري ان جميع الكلمات المقترحة او المستعملة حتى الآن غير صالحة للاسباب الآتية :

« العلقة » نحتاج اليها لاداء معنى الدم الجامد ولا يمكن استعمالها في النبات . « والمضغة » لا تفيد الا معنى قطعة اللحم ولا يمكن استعمالها لانبريون النبات . « والفوف » هو القتيل او القطمير وهو غلاف النواة وقد صرحت به جميع كتب اللغة بصورة واضحة ولم يقل انه انبريون النبات سوى الجوهري وحده ولا يمكن تسمية انبريون الحيوان به « والرَشَم والرُشم » شيء آخر « والذُمَرة » جنين الحيوان لا غير .

فهذه الكلمات لا تخلو من نقيصة او نقائص من كل جهة والمطلوب لفظة تفيد معنى الانبريون في الحيوان والنبات معاً او يمكن ان تستعمل بهذا المعنى · واظنني عثرت على كلمة صالحة لهذا الغرض وهي الملقوح او الملقوحة جمعهما ملاقيح كما يتضح من مراجعة مادة لقح في التاج ، وان الانبريون في النبات والحيوان لا يحصل طبعاً الا بالالقاح فكلاهما ملقوح · نعم ان الملقوح في كتب اللغة هو الجنين لا اكثر ولا اقل ، ولكن اذا قلنا الملقوح الا نكون قد اخذنا معنى وقوع الالقاح حديثاً · ولم يمكن للغويين القدماء ان يفرقوا بين الانبريون والجنين ولو امكنهم لعبروا عن الاول بالملقوح وتركوا الثاني للفيتس · ومما يزيد في استحسان كلمة ملقوح كونها هي والانبريون اليونانية تفيد المعنى عينه لان الانبريون كما قلتم مشتقة من فعل معناه لَقِحَتْ او عَلِقَتْ واني لا ارى احسن من هذه الكلمة ولا اتوقع الاتيان باحسن منها ونسمي الانبريولوجية اذ ذاك بعلم الملاقيح او ان شئتم بعلم الملقوحات » ·

قلت ولا اصلح من الملقوح او الملقوحة بمعنى الانبريون وعلم الملقوحات لعلم الأجنة وقد كنت أجهل ورود الملقوح بمعنى الجنين فاللفظة مستحسنة جداً لسدّ هذا النقص وأظن سائر الاطباء يوافقون عليها ويعممون استعمالها · اما الفوف فقد ذكرها غير الجوهري بهذا المعنى اي معنى ملقوح النبات ووردت بهذا المعنى في القاموس وفي المحكم ولعله نقلاً عن الجوهري ·

وقال «ان خَضُور ترجح نوعاً ما على خَضُوب وخَضير وغَضير للكلوروفل »

قلت قد يكون ذكرها الشيخ ابراهيم والاب انستاس فيما ذكراه فاني اعتمدت على ذاكرتي في نقل هذه الالفاظ وقلت اني لا اذكر عددي المشرق والضياء اللذين ورد فيهما ذكرها ·

وقال كُمَّة التي ذكرتموها سماها الترك قَلَنسوة وأرجح كُمَّة · وقال جُذير ترجح تَدَشّ فهذه غير مأنوسة والجذير تطابق المعنى الافرنجي تماماً » ·

وقال « ساق الشجر اما جِذل لذوات الفلقتين او جِذع لذوات الفلقة الواحدة » ·

قلت انه مصيب بعض الاصابة في هذا فالساق عامة لجميع النبات (Stem . tige) ويطلق على ساق ذوات الفلقة الواحدة وذوات الفلقتين وذوات

الفلقات المتعددة على السواء ما الجذل فهو ما كان خشبياً (Trunk. Tronc) سواء كان لذوات الفلقة الواحدة كالنخل او الفلقتين كالمشمش او الفلقات المتعددة كالصنوبر . فالقمح مثلاً من ذوات الفلقة الواحدة وله ساق ولكننا لا نقدر ان نسميها جذعاً بل قصبة او قلماً او يراعة والخس والرجلة مثلاً من ذوات الفلقتين فلا نقدر ان نسمي ساقها جذلاً بل نسميها ساقاً فقط . وقد فاتني ذكر الجذل وانما ذكرت الجذع بهذا المعنى وعلى كلٍ فان علماء النبات لم يفرقوا بين اسماء الساق بالنظر الى عدد الفلقات بل فرقوا في اسمائها بالنظر الى بنائها .

وقال لم تذكروا اليقطين وهو كل نبات مفترش على الارض كالقرع والبطيخ والحنظل واحسن كلمة هنا هي السُطّاح ولم تذكروها . قلت لم اذكر اليقطين لانه شاع استعماله لنبات خاص هو القرع وقد ذكرت المفترش واخواتها اما السُطاح فعدم ذكرها سهو مني .

وقال « الرزوم » هو الساق الممتدة تحت الارض في اعلاه غصون واوراق تظهر فوق التراب وفي أسفله جذور تغوص في الارض ولا أعلم له اسماً عربياً ولكن يقتضي تفريقه علمياً عن العرق او الجذر فلا يمكن تسميته بالعرق وان خلطه الاقدمون بالعرق وقد سمته الترك الساق تحت التراب واني استحسن هذه التسمية .

قلت للافرنج معين لا ينضب وهم يستمدون منه الفاظهم العلمية كلما شاؤوا فيستعيرون اللفظة من اليونانية او اللاتينية او ينحتون من لفظتين او اكثر كلمة واحدة فالجذر باللاتينية هو رادكس و باليونانية رزوم فاستعملوا رادكس وما اشتق منها للتعبير عن الجذر وما اشتق منه واستعاروا الرزوم للساق التي تكون تحت الارض اما نحن فليس لنا هذا المورد ولكن لنا موارد أخرى منها لغات العرب والاشتقاق والاستعارة وربما النحت ايضاً وعندنا اللغة السريانية وهي اخت العربية والقبطية وهي على ما اجمع عليه المحققون شبيهة جداً بالعربية وعندنا الفارسية وهي جارتنا وقد اخذ العرب كثيراً من هذه اللغات فما ضرنا لو حذونا حذوهم وتخيَّرنا من اللغات العربية ولا سيما الغريب والمهجور منها الفاظاً علمية تصلح لما نريد التعبير عنه ولذلك اخترت للرزوم العرق والأرومة والجِذمار والجُذمور وربما كان الجذمور أصلحها . اما العرق فكما يقول الزميل فان القدماء خلطوه بالجذر

وهو فضلاً عن ذلك شائع بمعانٍ أخرى . اما الساق تحت التراب فليست مستحسنة لانها ثلاثة الفاظ وهي غير عربية التركيب واذا عربناها يكون معناها شيئاً آخر غير الذي تريده .

وقال ما قولكم في دَرَن عوضاً عن عسقل التي ذكرتموها وقد كثر استعمالها وان كانت لغةً غلطاً . قلت فكرت كثيراً في هذه المسألة ولكنني لا اظن لفظة درن تصلح لهذا المعنى فهي بلغة العامة العقدة الصغيرة وقد استعملها الاطباء لهذا المرض المعروف وشاعت بهذا المعنى . اما استعمالها للبطاطس والقلقاس فلا استحسنه لان البطاطس والقلقاس اكبر من الدرن كثيراً ولان الدرن في اللغة هو الوسخ وعند الاطباء هو الداء المعروف فما ضرنا لو استعرنا لفظة العسقل او العسقول لهذا المعنى كما استعار الافرنج اللفظة اللاتينية التي هي بمعنى عسقل للمعنى عينه ولاسيما لان العسقل لفظة غريبة واني اذكر ان اهل زحلة بلبنان يسمون البطاطس بالقلقاس لانهم لما رأوا البطاطس وكانوا يجهلونه استعاروا له لفظة القلقاس وكانوا يعرفونه .

وقال ألا يمكن استعمال بَجَلة عوضاً عن جَنْبة كما فعل الترك واستعمال عشب عوضاً عن بقل وترك كلمة بقل لما يسمى (Légume) او (Herbe potagère). أقول يمكن استعمال البجلة وانما الجنبة أصلح لانها تؤدي المعنى المطلوب كل التأدية اما البجلة ومثلها الجُدْادة فهي الشجرة الصغيرة مثل الشجيرة اي يحتمل ان يكون معناها الصغيرة في السن . اما الجنبة فلا تحتمل الا المعنى الذي يريده النباتيون ثم ان البَجَل او البَجَلة عند البياطرة داءٌ معروف في الخيل وقد ذكره صاحب كامل الصناعتين وهو الحَلَق المسمى دورين (Durine) عند الافرنج واستعارها بعض العامة في الشام لمرض في الناس شبيه به . اما العشب فانه يمكن استعماله عوض البقل لكنني فضلت البقل لانه أصلح لهذا المعنى ولان العشب هو الكلأ او الرَّطب منه كما ان الحشيش هو اليابس منه اما البقل فلا خلاف فيه ولا هو مقيد بالرطوبة او الجفاف وقد أجمع اللغويون على ان النبات اما شجر او جنبة او بقل . واذا اردنا البقول التي تؤكل قلنا البقل والخُضْرة كما تقول العامة وهي فصيحة بهذا المعنى .

وقال قلتم ان الخشب الحقيقي الصلب هو الجلب والجلبة ولم ار هذه الكلمة بهذا المعنى في كتب اللغة ·

قلت اخذت ذلك عن المخصص في السفر الحادي عشر الصفحة ٩٠ قال « اذا ما عسا العِضاه وصارت خضرته مظلمة سمي الجلبة كذلك اذا غلظت قصبته فصارت عوداً وغلظ شوكها يقال جلبة من سَمُرَة ويسمى العرفج والقتاد جلبة ايضاً انتهى · ومن معاني الجلب في اللغة الرحل وخشبة فيه يعبّر عنها بالحطب وسواد الليل · والجلبة السنة الشديدة وشدة الزمان والحجارة المتراكمة لم يبق فيها طريق · لذلك استنتجت ان الجلب او الجلبة يمكن استعارتها لهذا النوع من الخشب · وهو قول فيه تعسف ظاهر ولكنني لم اعثر على لفظة غيرها ·

وقال قُلب النخلة وجُمّارها وكَثَرها القسم الرخو في اعلاها وليس طبقة بين خشبها وقشرها · قلت هذا صحيح وقد ذكرت لك فما ضرنا لو استعرنا لفظة من هذه الالفاظ للكنبيون ولا سيما القُلب بضم اوله فانها كالكنبيون لفظاً ومعنىً · وقد مر ان الكنبيون من فعل معناه حوّل او بدّل ومنه الكمبيو او الحوالة عند التجار · وقد فاتني ان اقول قلّب وقلّب وتقلّب فاذا حذفنا الزيادة في كنبيون ورددناها الى اصلها صارت كنب او قنب ولا يخفى ان النون واللام تتبادلان فاذا ابدلنا اللام من النون بقي قلب · وهذا كثير في اللغات ولا أريد بذلك ان كنبيون هي من قلب بالعربية او بالعكس ولكن اصلها واحد كما ان الشِعْرى بالعربية وسيريوس باليونانية وهو نجم معروف اصلها من مادة سعر او شعر وكله يدل على الحرارة كما يتضح من مراجعة هاتين المادتين وما اشتق منها · وليس لليونان ما يقابل العين فقالوا في شعرى شيرى ثم جعلوا الشين المعجمة سيناً مهملة لان ليس في لغتهم ما يقابل المعجمة فصارت سيري فأضافوا اليها حروف الاعراب عندهم فصارت سيريوس ولا بد ان اسمها عند قدماء المصر بين شبيه بهذا · اما تسميتها بذلك فلانها تطلع في ايام الباحور المعروفة عند الافرنج بايام الشعرى واليها أشار المتنبي في قوله «وشُزّب احمت الشعرى شكائمها» ومثلها إيا وهو احد الثالوث عند البابليين ويقابلها عند العرب إيا وإياء وإياة اي ضوء الشمس (عن الاب انستاس) وعند اليونان أيوس او آوس اي الفجر وربة الفجر

وقد نحت منهـا الجولوجيون ايوقين او ايوسين اي الحديث او الحِدثاني والكيماويون ايوسين ومعناها الصبغ الشَفَقي او الوردي · ومثل ذلك زفس وديانة وداي ومعناه يوم بالانكليزية وكلها من مادة ضياء (عن الاب انستاس) ومثل ذلك ادونيس اي تموز ومعناها في الاصل السيد او الرب من مادة دان يدين ومنه ادوناي عندالعبرانيين ومعناها ربي ولما كانت هذه اللفظة متعلقة ببحثنا فلا بأس بذكر شيء عنهـا · فقد زعموا ان تموز قتله خنزير وربما كان ذلك عند مغارة أفقة بلبنـان فاحمر نهر ابراهيم من دمه او في الحيرة في العراق فنبت من دمه الشَّقيق النُعماني او دم النَّعمان لذلك نسبوا الشقيق اليه وليس لان الملك النعمان كان يحميه · والنعمان عند العرب هو تموز وفي اللغة اسم من أسماء الدم ولقب كل من ملك الحيرة · ثم ان الشقيق باليونانية هو انيموني ومثله بالفرنسية والانكليزية وهي من النعمان هذا ولا أظنها من أنيموس اي الريح باليونانية · اما حكاية الغريين كما رواها العرب فهي أقدم كثيراً من النعمان ونديميه ويوم البؤس هو ذكرى اليوم الذي قتل فيـه النعمان اي الاله تموز لا الملك النعمان ويوم النعيم هو ذكرى يوم بعثه او إحيائه او انتقاله الى جنات النعيم · ولما كان ملوك الحيرة على الوثنية فانهم كانوا يقيمون عيداً في هذين اليومين وكان الملك النعمان وهو منهم يقيم يوماً للبؤس ويوماً للنعيم فدعاه حنظلة او نصراني آخر الى النصرانيـة فتنصر وهدم الغريين · هذه حقيقة رواية الغريين على ما أظن ·

* * *

ونعود الآن الى متابعة البحث في اصطلاحات النبات فأقول : وفي النبات الورق وهو معروف · والورقة ثلاثة أجزاء الغمد اوالقاعدة ، والعلاقة اوالمعلاق ، والصفيحة وهو الجزء العريض المنبسط · ويقال للعلاقة الرُجَيلة اي الرجل الصغيرة وهي ترجمة اسمها اللاتيني والذُنَيب والزند والعنق والعرجون والشمراخ والشمروخ وأظن أصلحها العلاقة جمعها علائق والمِعلاق جمعها معاليق وقد استعملها اللغويون كثيراً بهذا المعنى لذلك فضلتها على الألفاظ الاخرى · ويقال للصفيحة من الورقة الشفرة والنصل وقال اللغويون الحاشية وأصلحها بهذا المعنى الصفيحة على ما أظن · واذا كانت الورقة لا علاقة لها سميت لاطئة ولاصقة ومقعدة وأصلحهـا اللاطئة وأظن اول من

استعملها بهذا المعنى الشيخ ابراهيم اليازجي واذا كانت ذات علاقة قيل لها طَرُوح وهي من النخل الطويلة العراجين ولا بأس باستعارتها للورق والزهر والثمر · وقد يكون للورقة أُذَنه او زَنَمه او زَمعه على كل من جانبيها وأصلحها الاولى وهاك بعض هذه الأسماء بالانكليزية وما أظنه أصلح تعبير لها بالعربية :

علاقة ومعلاق	Petiole
لاطِيّ	Sessile
طَرُوح	Petiolate
أذَنة	Stipule
صفيحة	Lamina

وقد تكون الورقة ملتفة على الساق او مثقوبة ويقال مخروبة وذلك اذا كانت الساق تنفذها · او متحدة ويقال ملتحمة اذا كان حول الساق ورقتان التحمت حواشيهما · وقد تكون قنفاء اذا كان معلاقها ملتصقاً بالساق وهي على ما أظن من أوضاع المرحوم التجاري بك استعارها من الاذن القنفاء · وفي القمح ونحوه لسان او أُسَيْن في قاعدة شرنافه فاذا كانت الورقة كذلك سميت لَسِنة ·

وقد يكون انتظام الاوراق لولبيًا او دُوّاريًا او متعاقبًا او متقابلاً او حلقيًا او متقاطعًا ·

وفي الورق العروق او الاعصاب او الاوردة والاولى أصلحها في هذا المقام ويقال للعرق الناشز في وسط الورقة العَيْر والضِلع · وما يأتي ترجمة بعض هذه الالفاظ :

ملتفة على الساق	Amplexicaul
مثقوبة او مخروبة	Perpoliate
متحدة او ملتحمة	Connate
قنفاء	Decurrent
درقية	Peltate
لَسِنة · ذات لسان	Ligulate
انتظام الاوراق	Phyllotaxis

لولبي	Spiral
دُوَاري	Cyclic
متعاقب	Alternate
متقابل	Opposite
حَلَقي	Verticillate
متقاطع	Decussate
ذو عَيْرٍ واحد . ذو ضلع واحدة	Unicostate
كثير الاعيار . كثير الضلوع	Multicostate

والورقة اما ضيقة صلبة تستدق من قاعدتها الى قمتها كورق الشربين او الارز فيقال لها مخرزية . او طويلة دقيقة حديدة الرأس كورق الصنوبر فيقال لها ابرية . او ضيقة كورق القمح فيقال لها خطية . او تكون هَدَبة او فَتْلة او عَبَلة كورق الاثل والطرفاء (المخصص ١٠ : ٢١٣) وهذه لا أعرف لها اسماً خاصاً بلغة الافرنج او مستطيلة مستدقة الطرفين كالحربة فيقال لها سِنانية او حربية وأفضّل الاولى . وقد تكون اهليلجية او مستطيلة او بيضية ولا يقال لها بيضوية او بيضاوية لانها منسوبة الى البيضة او تكون بيضية عكساً ، او مستديرة ، او قلبية ، اوقلبية عكساً ، او كلوية كالكلية ، او مِلْعَقية و يقال ملعقية ، اواسفينية وهذه يونانية ولامناص من استعمالها فان وتدية لا تصلح لهذا المعنى ، اوسهمية ، اوطبرزينية وربما يصلح تسمية هذه بالصُبَاحية والطبرزين هو الفأس ذات الحدين يستعمل في الحرب والصُباحي هو الرمح العريض قال ابن سيده لا أدري ما أصلها . وكان عند الافرنج في العصور الوسطى جند يسمونهم هلبرديه وهم حملة مزاريق قصيرة عريضة ذات حدين كالحِدَأة وهي الفأس ذات الحدين وكانوا يسمونها هلبرد ومعناها في الاصل فأس الخوذة اي الفأس الفالقة للخوذة فنسبوا هذا الشكل من الورق اليها وأظنها الطبرزين او شبيهة به وكان بمصر في زمن المماليك غلمان يحملون الطبر يسمونهم الطبردارية ، ولعلهم الهلبردية عند الافرنج . ثم ان الصُباحي اي الرمح العريض محتمل انه من سباهي وهي فارسية الاصل والسباهية من فرسان الترك قديماً . واني لم أعثر على لفظة أخرى يصلح استعمالها غير

هاتين اللفظتين وربما كانت لفظة طبرزينية أصلحها · وقد قالوا رمحيـة ومزراقيـة وكلاهما على ما أظن لا يصلح لهذا المعنى ·

وهاك بعض هذه الاسماء وترجمتها :

مخرزية	Subulate
ابرية	Acicular
خطية او ضيقة	Linear
سنانية	Lanceolate
اهليلجية	Oval
مستطيلة	Oblong
بيضية	Ovate
بيضية منعكسة	Obovate
ملوقية	Spathulate
اسفينية	Cuneate
سهمية	Sagittate
طبرزينية	Hastate

وقد تكون الحاشية صحيحة و يقال تامة او كاملة وأظن الاولى أصلح في هـذا المقام · وقد تكون مفرّضة او محزّزة او مؤشّرة وجميع هذه الألفاظ متشابهة المعنى والنباتيون يريدون بالمفرّضة ما كان في تحزيزها استدارة وربما قيل مشرّفة اي فيها شُرَف كشُرَفات القصر المعروفة في مصر بالشراريف واحدها شُرّافة · و يريد النباتيون بالمحزّزة ما كان تحزيزها مستقيماً وربما قيل مسنّنة على ان هـذه لم ترد في اللغة بهذا المعنى في ما أعلم · وهم يريدون بالمؤشّرة ما كان في تحزيزها مَيَل كاسنان المنشار او كأشَر الجرادة وهو الشوك في ساقها وربما سميت المؤشرة بالمشاربة اوالمنشاربة · وللنباتيين ثلاثة الفاظ مختلفة لتأدية هذه المعاني فينبغي تفريقها بالعربية · وقالوا المشرشرة في المعاني الثلاثة وأظن المشرشرة أصلح لمعنى آخر سيجيء ·

وقد تكون الورقة متجعّدة كورق المندباء و يقال ايضاً متكرّشة وجعداء وقد

يكون في حاشيتها فروض مختلفة العمق كما في القرصعنة وناب الاسد فيقال لها متلوّية او متمعّجة . وهاك ترجمة هذه الألفاظ :

صحيحه	Entire
مفرّضه . مشرّفه	Crenate
محزّزة	Dantate
مؤشرة	Serrate
متجعّدة . جعداء . متكرّشه	Crisped
متلوّيه . متمعّجه	Sinuate

وللورقة ذُبابها و يقال طرفهـا ورأسها وقمتهـا فاذا استدق الذباب سمي محدّداً وحاداً وحديداً واذا كانت حدته قليلة سمي مؤنّفا . وقد يكون مقطوعاً بالعرض كالقلم فيسمي مقطوطاً وقد يكون رُهابياً وذلك اذا كان كالرُهابة اي طرف القص وربما قيل رَهَبي نسبةً الى الرَهَب وهو السهم الدقيق . واذا كانت في وسط الذباب انخفاض مستدير سمي مُقوراً او مُقَوَّراً فاذا كان هذا الانخفاض حاداً سمي مُفَوَّقاً اي مثل فُوق السهم وقد قالوا في هذا مقوّراً ولكن أظن المقوّر هو ماقبله فان التقوير يقتضي الاستدارة وهذا قطعة حاد مثل فُوق السهم .

وقد يكون في حاشية الورقة شقوق أعمق من التفريض او التحزيز فاذا لم تبلغ الشقوق نصف المسافة الى العَيْر سميت الورقة مخرّمة واذا بلغتها سميت مشرّمة واذا بلغت العَيْر او كادت سميت مفلّقة وقد تكون في هذه الأحوال ريشية مخرّمة اومشرّمة او مفلّقة او كفّية مخرّمة الخ .

واذا كانت الورقة ذات العَيْر الواحد مشققة والجزء الاعلى منها مستديراً سميت رَبابية او شَلْيافية وهي فارسيه او أورِيّة وهي يونانية على ان المنجمين ذكروا الاثنين وسموا بها النسر الواقع .

واذا كانت مشققة والاجزاء السفلى منها أصغر من أعلاها كورق القرصعنة وناب الاسد سميت فأرية نسبةً الى فأرة النجارين اي الرندج وان شئنا قلنا نسبةً الى الفأر المعروف فالنجارون سموا هذه الآلة فأرة تشبيهاً لها بهذا الحيوان ولكنهـا عند النباتيين نسبة

الى فأرة النجارين اي الرندج · واذا كانت الورقة مشرّمة شروماً متفاوتة العمق فهي مشرشرة · واذا كانت مثل رجل الطائر سميت بُرْثُنِيَة وهاك ترجمة بعضها :

Acute	محدَّد
Acuminate	مؤنَّف
Truncate	مقطوط
Mucronate	رُهابي او رَهْبي
Retuse	مقوَّر
Emarginate	مفوَّق
Bifid, Trifid	ثنائية التخريم ثلاثية التخريم
Bipartite, Tri -	ثنائية التشريم ثلاثية التشريم
Lyrate	ربابيّه · شلبانيه · أُوْريه
Runcinate	فأريه
Lacineate	مشرشره
Pedate	برثنيه

و يقال للأوراق رقّية او جلدية اذا كانت جافّة كالرَّق وأفضل الاولى في هذا المقام ، اورطبة و يقال مائية ورزّانة وأفضلها الثالثة ، اوشحمية اي ثخينة ربانة · او منتثرة اذا سقطت باكراً ، او مُعْتزِلة اذا سقطت في الشتاء ، او دائمة اذا كانت لا تسقط في الشتاء · فاذا كان الشجر معبلاً قيل له عُزْوَة وأعروات وخالع ودائم الخضرة وهاك ترجمة هذه الألفاظ :

Corcations	رقيّه
Succulate	رزّانه
Ileshy	شحميه
Caducons	منتثره
Deciduons	مُعْتزِلة

دائمه — Persistent

ودائم الخضرة وعُروة وأعروات وخالع — Evergreen

عضو المجمع العلمي العربي

امين المعلوف

الاصطياف في ربوع الشام (١)

توطئة

أيها السادة: لقد تطورت مسألة الاصطياف في الصيف المنصرم تطوراً غريباً في بلادنا السورية وخصوصاً في جبل لبنان وتألفت لجنة خصوصية عضدتها المفوضية السامية للدولة المنتدبة وشدت أزرها ، دأبت في العام الماضي دأباً جدياً واهتمت اهتماماً كلياً في امر توسيع منطقة الاصطياف في لبنان وسورية وجلب نظر العالم اليه ، كما انها اجتهدت اجتهاداً محموداً في تمهيد السبل لاستجلاب المصطافين المصريين والعراقيين الى ربوع بلادنا الطيبة المناخ ، وسعت ولا تزال تسعى السعي المشكور لدى الحكومات السورية من اجل تحسين الطرق وتأمين السلام ووضع الانظمة الملائمة ولدى الاهلين من اجل تشويقهم الى بناء المنازل والفنادق والملاهي والمقاهي وكل ماله علاقة براحة هؤلاء الزوار المفيدين وحملهم على حسن معاملة المصطافين الغرباء والقناعة منهم بالاجور العادلة والارباح المشروعة ، حتى يحسنوا الظن بهم ويعيدوا الكرة الى ربوعهم ويحملوا عنهم من جميل الاحدوثة ما يشجع سواهم على المجيء معهم في المواسم الآتية . وفي ذلك ما به كما تعلمون من وسائل الربح ووسائط الرزق التي تغدق على اصحاب المصايف الفوائد الجزيلة وتحرك دولاب الاقتصاديات في عموم البلاد .

(١) المحاضرة التي ألقاها عضو المجمع العلمي العربي السيد عبد الله رعد في ردهة المجمع بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ .

ولقد استفاد اخواننا اللبنانيون في موسم الصيف المنقضي من موارد الاصطياف فائدة تذكر عوضوا بهـا أضعاف الأضعاف عن محل جبلهم وقلة مزروعاتهم وضعف تجارتهم وصناعاتهم ، ولقد قدر الذين أموا لبنان من المصريين للاصطياف في ربوعه في هذا العام بخمس وعشرين الف نسمة ، وقدر المال الذي انفقوه في هذا السبيل على اقل تقديره فاذا به يبلغ مليوناً ونصف المليون من الدنانير وهو مبلغ والحق يقال لا يستهان به .

لم ينفرد لبنان ايها السادة بهذا المورد الجديد في الارتزاق بل كان لدمشق وار باضها وضواحيها نصيب يذكر وان صغر بالنسبة لوفرة حظ لبنان ، فقد أمها الكثيرون من المصطافين العراقيين وبعض المصريين ولعل الغيرة تأخذ المتمولين من سكان دمشق وضواحيها فيفيقوا من غفلتهم التقليدية ويهتموا بامر هذا المورد الجديد من الرزق ، بعد ان نضبت موارد كثيرة كانت غزيرة من ذي قبل فيجتهدوا كما اجتهد جيرانهم اللبنانيون ولكل امرىء من دهره ما سعى . كما ان لنا املاً وطيداً بحكومتنا الرشيدة ان تنظر الى هذا الامر بما يستحقه من الاعتبار وان نرنا من همتها في تمهيد الطرق وتحسين المواصلات وتوطيد الامن وترويج المصالح ما رآه اخواننا اللبنـانيون من همة حكومتهم فبلادنا كلها مصايف ومقاصف طبيعية خلابة ، مناخها طيب واديها صاف وهواؤها عليل وماؤها سلسبيل ، يكاد لبنان مع ما فيه من مناظر فتانة وهواء بليل ان لا يجاريها فيها اذا هي نالت ما ناله من التحسين العملي لانها تفوقه بغزارة مياهها وكثرة بساتينها ووفرة خيراتها .

هذه ايها السادة نقطة جزيلة الأهمية ليس فقط من الوجهة الاقتصادية بل ومن الوجهة الصحية ايضاً كما سأبين لكم ذلك في لب المحاضرة . واذا ما نالت البلاد هذه الامنية كانت الفائدة للاهالي والحكومة على السواء لكل منها حظه فيها كما لا يجهلون .

تلك هي الاعتبارات الاقتصادية في الاصطياف ، زد عليها ما رأيته من اهتمام الحكومة ابان مرور البعثة الطبية المصرية في ربوعنا وزيارتها بعض مصايفنا الكائنة في إقليمي الزبداني والقلمون ، وما نشرته الجرائد البيروتية عن تقارير هذه البعثة الطبية ، حدت بي اليوم ان أحدثكم ايها السادة في هذه المحاضرة ببعض الشذرات

عن الاصطياف وتاريخ المصايف عند الامم الغابرة · وقد خصصت فيها البحث عن اقليم الزبداني وتاريخه ووصف أشهر أمكنة الاصطياف فيه ، راجياً من اخواني ان يتمموا هذا الموضوع في مصايف الاقاليم الاخرى كالقلمون ووادي العجم وسواهما من ملحقات دمشق ·

(الاصطياف) = الاصطياف لغةً الإقامة في فصل الصيف · وقد عم اليوم استعمال هذه الكلمة في الاصطلاح من اجل الدلالة على اقامة موقتة في القرى المرتفعة إبان فصل القيظ من اجل الراحة والتمتع بالهواء العليل والرجوع الى الطبيعة ، وفيه ضرب من الرياضة الجسمية والعقلية ، وإراحة الاعصاب من ضوضاء المدن ومربكاتها والبعد عن كثرة انفاس الناس وغبار طرقات المدن ، وكلاهما مملوء بانواع الجراثيم المرضية ، وعن الهواء المشبع بالغازات المضرة الناتجة عن دخان المعامل والمطابخ والمواقد وسيارات النقل وغير ذلك · وقد أصبحت كلمة الاصطياف في اصطلاح المدنية الحديثة وضعاً عربياً يدل تمام الدلالة على ما يعنيه الافرنج بكلمة (Villégiature) ·

الاصطياف ايها السادة عادة لم تأتنا بها المدنية الحديثة بل هي عريقة في القدم فتاريخ المصايف — اي تصور الاصطياف — عند الرومان والفرس والعرب وسواهم من الامم العظيمة الدائرة جلي واضح وفيه مؤلفات كثيرة · وقد كان المصيف يدعى عند الرومان (Villa) وهو لا يزال يدعى به عند الافرنج الى يومنا هذا · وقد زادوا عليها اليوم كلمة (palace) وهي تفيد نفس المعنى الا ان الكلمة اللاتينية الاولى (أعني villa) لا تزال الاعم والافصح عندهم · وكان المصيف في عهدهم (اي الرومان) يقسم الى نوعين اولهما مصيف الارباض (villa urbana) وهي القصور التي كانت تشاد في أطراف المدن وفي ارباضها ، معرضة للهواء النقي ولأشعة الشمس · وثانيهما مصيف المرتفعات او الصرود — اي الجرود (villa suburbana) وهي المصايف التي كانت تبنى بعيداً عن المدن اي في القرى والجبال حيث المناخ الطيب البليل والهواء الناشف العليل والماء البارد السلسبيل ·

ومن مصايف الرومان ماظلت شهرته التاريخية الى اليوم اذكر لكم بعضها كمصيف

ادريانوس الذي كان مبنياً قرب مدينة (Tivoli) وهو انموذج المصايف الفخمة ، ذات الأبنية الضخمة ، والجنات الواسعة ، والابراج الشاهقة ، والبوابات الفنية ، والحمامات الجميلة ، وأمكنة الألعاب الرياضية ، ومسارح قتال الوحوش البرية ، ومضامير عدو الخيل المطهمة ؛ وشتى أنواع الترف ، والزهو في النقوش والرسوم والفسيفساء والدمى ، الى غير ذلك مما يرويه التاريخ عن وصف هذا المصيف القيصري من المحاسن والعظمة . ومنها مصيف سيبيون الافريقي الذي ابقى التاريخ ذكره كنموذج للمصايف المحصنة ذات الأبنية التي تشبه القلاع محاطة بالخنادق والاسوار المنيعة ، وفيها الحمامات المظلمة والدهاليز الضيقة ، كأنما أنشئت للدفاع والحصار لا للأفراح والانشراح . وبين هذا وذاك من الطرفين المتباينين يذكر التاريخ نماذج متوسطة من المصايف البسيطة البناء ومعظمها لطيف الهندسة معرض للنسيم الناعم ولأشعة الشمس ، يرتاح البصر منها الى مناظر خلابة كالجبال وأحراجها ، والسهول و بساتينها والاودية ورياضها ، والسفوح وكرومها ، والانهار وجداولها ، والبحار وأمواجها . فمن هذه مصيف شيشرون الذي كان في بلد (Tusculum) والمصيف الذي اكتشفت آثاره على ابواب مدينة (Pompéi) التي كانت مدفونة برمتها تحت الارض . والمصيف الذي لا تزال بقاياه أطلالاً قائمة في مدينة روما العظمى على حافة نهر الـ (Tibre) في حدائق (Farnèsines) ومنها اخيراً مصايف جهات توسكانا (في ايطاليا) التي وصفها المؤرخ (Pline le yeune) في كتابه وصفاً وافياً ، واني اكتفي بهذا القليل عن ايراد ذكر الكثير الذي يطول شرحه وهو شهير في تاريخ مصايف الرومان .

وقد اخذت العرب ايضاً عن الفرس والرومان عادة الاصطياف في المصايف واتبعوها في جميع أدوار ممالكهم مقلدين بذلك أكاسرة العجم وبذخهم وقياصرة الرومان وترفهم . قال في ذلك ابو دلف الشاعر العربي :

واني امرؤ كسروي الفعال أصيف الجبال واشتو العراق

وقال الاستاذ العلاّمة محمد افندي كرد علي رئيس مجمعنا العلمي في مخطوط له عن تاريخ الشام لم يفرغ بعد في قالب الطبع : « لما دخل العرب مصر والشام والعراق

ورأوا نعيمها وخيراتها عزّ عليهم ان تأخذ منهم وتزيل صفات الخشونة ونشأة البادية اخذوا يعمدون في الشتاء والصيف الى اماكن معينة ينزلونها . وهكذا كان شأن بني أمية فان اكثرهم استأثر بقرى معينة في غوطة دمشق ومنهم من نزل البلقاء وآخرون نزلوا بارض تدمر وغيرهم صعدوا الى الجبال بحيث كانوا يختلفون الى المدن لقضاء مصالحهم ثم يفزعون الى خلواتهم في مصايفهم ومشاتيهم حتى لا تنزع المدن من نفوسهم قوة الاجسام ويبعدوا بهم وبذراريهم عن رطوبات المدن المشبوعة بانوف الناس . ولو استقرينا تاريخ الشام لرأينا لكل خليفة وامير من امراء الدول العربية وخصوصاً الدولة الأموية مصيفاً ومشتى . ومن أشهر مصايف الأمويين قصر الرصافة على الفرات وقصر الموقر في البلقاء اه » .

ولقد عمّ ايها السادة الاصطياف في عصرنا طبقات الناس بعد ان كان محصوراً فيما سلف في الامراء والاكابر والمثرين . ذلك لما رأوا فيه من تجديد القوى وانتجاع العافية . قال العالم الفرنسوي ريغو (Rigault) « ان عادة الاصطياف أضحت متأصلة فينا » . اما امكنة الاصطياف في عهدنا فكثيرة أشهرها بلاد سويسرا وايطاليا في اوربا وبلاد الشام وخصوصاً جبل لبنان في الشرق .

ومن أهم شروط مكان الاصطياف الصحية ان يكون مرتفعاً عن سطح البحر بحيث يكون فيه الهواء خفيفاً جافاً بارداً . وان يكون بعيداً عن المستنقعات الفيلية والبطائح الوبيلة . وان يكون ماؤه طيباً لذيذ الطعم سهل الهضم . وان يتمتع النظر فيه بمناظر الطبيعة البهية . تزاد على ذلك شرائط اقتصادية لا بد منها واولها ان تتوفر فيه اسباب المعيشة وتسهل اليه طرق التنقل .

ولقد استوفت امكنة كثيرة من اراضي دولة دمشق شروط الاصطياف المطلوبة فهي بذلك مصايف فتانة طيبة المناخ ، جيدة المياه ، عليلة النسيم ، جميلة المناظر ، كثيرة الخيرات ، سهلة الطرقات ، قليلة الامراض . أذكر منها اولاً دمشقنا نفسها بما اليها من جميل المقاصف والمصايف الكائنة حواليها وفي ارباضها وأخص بالذكر منها مصايف المزة والربوة ودمر والهامة وقدسيا والجديدة والقابون . ولقد امّ دمشق في هذا العام الكثيرون من بغداد ومدن العراق قصد الاصطياف فطابت فيهما نفوسهم

وانشرحت صدورهم وصمموا على العودة الينـا بعد الاياب . ثم أذكر إقليم الزبداني بقراه ودساكره التامة الشروط كبلودان وبقين ومضايا وعين حور ويحفوفا ومرغايا وعين الفيجة وغيرها ، وإقليم وادي العجم بقراه الجبليـة القائمة على سفح حرمون كعرنة وبيت ساير وسحيتا وبيت جن وحينة ودربل (التي ينسب اليها الزبيب الدربلي الطائر الشهرة) وعين الشعرة وكفرحور وقلعة جندل . وجهات القلمون بقراها معربا والمعرة وصيدنايا وتلفيتا ومنين والتل وحلبون ومعلولا وعين التينـة وبيرود والنبك وعسال الورد . فكل هذه القرى مصايف حسنة وصحية يصطاف فيهـا الدمشقيون منذ زمن بعيد العهد . على اني ادع التفصيل عن هذه المصايف الاخيرة مكتفياً بذكرها لابسط الكلام على لب المحاضرة وزبدتها أعني بذلك الاصطياف في ربوع إقليم الزبداني وهو الاشهر اليوم عند حضراتكم فأقول :

« إقليم الزبداني » = ويدعى بلسـان الإدارة قضاء الزبداني وهذا التعريف تقسيم تركي بقي لنا في جملة ما بقي من تراث الاتراك . قلت تركياً وان تكن كلمة القضاء عربية محضة الا انها في غير وضعها . فالاتراك كانوا يسمون قضاءً كل إقليم او جزء إقليم يرأس ادارة الحكومة فيه قائمقام ، ولعل السبب في ذلك وجود قاضي ومحكمة شرعيـة فيـه . فإقليم الزبداني إذن من هذا النوع قائمية مقام مرتبطة اداريا بمركز دمشق وفيه قاض ومحكمة شرعية ومحاكم نظامية ابتدائية . وهذا الإقليم قائم في غرب دمشق يشقه خط سكة حديد « شام — حماة وتمديداتها » من شرقه الى غربه كما يشقه نهر بردى من قرب كورة الزبداني الى حدود دمشق .

« تاريخه » = أهمل المؤرخون العرب الجزء القـديم من هذا الإقليم ولم يدونوا عنه في كتبهم الا ما كان من بعد الفتح الاسلامي ، اعدا ابن القلانسي الذي نوه بالقليل عما سبق ذلك العهد فقال عن وادي بردى انـ (اسمه القديم ابيلينة وكانت مملكة بحسب تعريف الاقدمين واقعة شمالي جيدور وغربي دمشق وقاعدتها ابلة وهي اليوم سوق وادي بردى) . وقال في موضع آخر عن الزبداني انه (في سنة ٥٢٠ هجرية أقطع ظهير الدين اتابك صـاحب دمشق مقاطعة الزبداني واعمالها لفخر الملك بن عمار صاحب طرابلس) .

ولم يقل مشاهير مؤرخي الشام كابن عساكر وشيخ الربوة عن الزبداني في مؤلفاتهم الا انها مدينة حسنة كثيرة الخيرات وانها لا سور لها ٠

اما ياقوت المؤرخ العربي الذي يُعوّل عليه كثيراً في تاريخ الشام وجغرافيته فاليكم ما جاء في كتابه « معجم البلدان » عن الزبداني قال : « الزبداني كورة معروفة بين دمشق وبعلبك منها يخرج نهر دمشق واليها ينسب العدل الزبداني الذي كان يسترسل بين صلاح الدين الايوبي والفرنج فلم يكن محموداً في طريقه » وقد نقل البستاني هذه العبارة عن ياقوت الى قاموسه المشهور بدائرة المعارف العربية وذلك في المجلد التاسع بعد ان عرّف الزبداني تعريفاً قليلاً لا يروي غليلاً ٠

ولقد حُملت عبارة ياقوت (واليها ينسب العدل الزبداني الذي كان يسترسل بين صلاح الدين الايوبي والافرنج) على غير محملها عند بعض المحدّثين فقالوا ان صلاح الدين بن ايوب الذي اشتهر بعدله بين رعيته الاعراب والدخيلين الاغراب حتى لقب بالملك العادل عقد مع امراء الصليبيين في الزبداني ميثاق صلح تجلت فيه آيات العدل بابهى حللها ٠ وما تلك الا حكاية ملفقة لا تقوم على أساس تاريخي ٠ فالعدل الذي قاله ياقوت انه ينسب الى الزبداني انما كان رجلاً من اهل هذه الكورة اسمه العدل دخل في خدمة صلاح الدين فكان يبعثه رسولاً الى الافرنج فلم يحسن وظيفته او ربما خان مولاه بدليل قول ياقوت (فلم يكن محموداً في طريقه) وبدليل ابيات لفتيان الشاغوري الدمشقي وهو من شعراء القرن السابع للهجرة يهجو بها العدل الزبداني قال :

بالعدل تزدان الملوك وما ... شان ابن ايوب سوى العدل
هو دلو دولته بلا سبب ... فمتى ارى ذا الدلو في جبل

اما اذا استقرينا التواريخ الغربية وخصوصاً تواريخ الرومان فاننا نجد الكثير من الاخبار عن ماضي هذا الاقليم ٠ يكفي ان نتصفح المعاجم المطولة فنقرأ في دائرة معارف لاروس ما ترجمته بالحرف الواحد « ابيلا اوآبل مدينة قديمة في سورية المجوفة تبعد عن دمشق عشرة كيلومترات منها الى الغرب موقعها في اسفل جبل سنير[1] وهي

(١) هو جبل الانتي‌لبنان او جبل الشيخ و يدعى ايضاً لبنان الشرقي ٠

اليوم قرية تدعى سوق وادي بردى كانت هذه المدينة قاعدة مملكة صغيرة يرأسها ليسانيوس وقد دعا الرومان هذه المملكة ابيلينية • وكانت ابيلا أخرى في فلسطين تدعى اليوم آبل » • ونقرأ في دائرة المعارف الافرنسية الكبرى ما تعريبه حرفيا : « ابيلا او آبل مدينة في سورية المجوفة بين دمشق ومدينة الشمس [1] كانت تحت ملك لرؤساء الارباع (Tétrarques) أصحاب امارة ابيلينية ومن هؤلاء ليسانيوس وكان يلحق بامارته في ذلك العهد شمال لبنان حتى طرابلس وجنوب فلسطين حتى البثنية وتراكونية ثم آلت من بعد وفاة ليسانيوس الى ابنه هيرودس اغريبا ولا تزال آثار آبل قرب النبي هابيل وقد كانت ابيلا أخرى غير هذه في فلسطين وتدعى اليوم آبل» •

نستخلص من هذه النصوص :

اولاً — ان آبل هذه اي سوق وادي بردى اليوم احدى قرى إقليم الزبداني ، كانت مدينة عامرة في عهد اليونان السلوقيين ثم صارت امارة من بعدهم في عهد الرومان فدعوها ابيلينية • يؤيد ذلك كتابات في سوق وادي بردي ونقود كثيرة متفرقة في متاحف العاديات في اوربا •

ثانياً — ان ليسانيوس كان ملك ربع عليها ثم آلت من بعده الى ابنه هيرودس اغريبا ثم الى غيره بالتسلسل • فمن هو ليسانيوس هذا الذي اتت على ذكره دائرتا المعارف الافرنسيتان اللتان ذكرناهما وزادت احداهما — وهي دائرة المعارف الكبرى — انه مذكور في انجيل لوقا ؟

الجواب في نص انجيل لوقا • الفصل الثالث الآية الاولى

« في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية وهيرودس انتيباس رئيس ربع على الجليل وفلبس رئيس ربع على ايطورية [2] وبلاد تراكونيتيس [3] وارشلاوس رئيس ربع على السامرة واليهودية وليسانيوس رئيس ربع على ابيلينية » •

---

(١) اي بعلبك • (٢) ايطورية هي اليوم إقليم جيدور في حوران •

(٣) تراكونيتيس هي اليوم إقليم آخر من حوران يسمى اللجا •

ولدى الامعان بهذا النص خطرت لي خطرات أستميح السامعين الكرام عرضها وان تكن معارضة خارجة عن موضوع المحاضرة :

قيل ايها السادة ان التاريخ يعيد نفسه وهي حقيقة أيدتها الحوادث في كل زمان ومكان وحوادث زماننا ومكاننا تؤيدها اليوم ايضاً . فلنقارن بلادنا في هذا الزمان الحاضر بما كانت عليه في زمن الرومان نجد ان التاريخ قد أعاد نفسه : فقد كانت في ذلك العهد تحت سيطرة الرومان وها هي في هذا العهد تحت انتداب حفيداتهم الدول الاوربية المسيطرة علينا . كانت في عهد طيباريوس قيصر كما روى الانجيل الكريم دويلات متعددة يحكمها امراء وحكام وها قد صارت كذلك في عهدنا . كانت يوم ذاك الحكومة وطنية في كل مقاطعة وها هي كذلك اليوم . كان اكثر الامراء والحكام روماني المحتد او المولد ولكنهم كانوا يرأسون الحكومات بصفة وطنية وها ان حكام اكثر مقاطعاتنا اوربيون كحكام المقاطعات الفلسطينية تحت الانتداب الانكليزي وحكام لبنان الكبير ومقاطعتي جبل العلويين وجبل الدروز تحت الانتداب الافرنسي وهؤلاء نظير أسلافهم الرومانيين يرأسون هذه الحكومات الوطنية كحكام وطنيين .

كان لتلك الحكومات الوطنية في عهد الرومان مراجع عالية رومانية مندوبة من لدن القيصر الروماني وكانوا يسمونهم ولاة وكانت سلطتهم فوق سلطة الملوك والامراء في الحكومات الوطنية ومن هؤلاء بيلاطس البنطي والي اليهودية الذي يذكره لوقا الانجيلي بعد ذكر اسم القيصر وقبل ذكر اسماء الامراء أصحاب المقاطعات وفي ذلك دلالة على تسلسل الحكم والسلطة ، ولحكوماتنا اليوم مثل ذلك مراجع سامية تمثل رؤساء السلطات المنتدبة وملوكها وتعمل بالوكالة عنهم ولهم نواب ومندوبون ودواوين ورؤساء مصالح وهم المفوضون السامون أصحاب السلطات العليا . فانظروا إذن ايها السادة الى هذه الغرابة ! كيف ان سورية اليوم عادت بادارتها الحكومية الى النظام الذي يروي التاريخ انها كانت تسير عليه منذ الفي سنة ! .

وبعد هذا الخروج عن ملاك الموضوع فلنعودن اليه :

أوردنا نص الآية الانجيلية التي عرفتنا اسماء الامراء الاربعة الذين في عهد القيصر طيباريوس والوالي بيلاطس البنطي مفوضه السامي كانوا رؤساء ارباع على

دويلات المقاطعة الرومانيــة التي كانت تسمى اذ ذاك مملكة اليهودية ووجدنا في جملتهم اسم ليسانيوس الذي كان صاحب امارة ابيلينية وكانت عاصمتة سوق وادي بردى ·

دعي هؤلاء الامراء الاربعة رؤساء او ملوك ارباع لان هيرودس الكبير ابام ملك اليهودية كان له اربعة اولاد وهم الذين ذكرهم الانجيل فقسمت مملكته عليهم أرباعاً بعد وفاته ، فكان كل منهم ملك ربع او رئيس ربع حسب ترجمة الكلمة من النص اليوناني الاصلي « تيتر ارخون » « ومنهـا اشتقت كلمة (Tétrarque) الفرنسوية » يحكم في حصته من ميراث ابيه ·

إذن فمملكة آبل التي نحن في صددها هي ربع مملكة هيرودس الكبير صارت من بعد وفاته الى ليسانيوس احد اولاده الاربعة ·

ولكن في اية سنة أسست الرومان إقليم الزبداني امارةً وأقامت عليها ليسانيوس ابن هيرودس ملك ربع ، وكان هذا اول عامل عليها كما ورد في دائرة المعارف الفرنسية ؟ يقول لوقا الانجيلي ان ذلك حدث في السنة الخامسة عشرة للملك طيباريوس قيصر ·

في ذلك الزمان ايها السادة لم يكن للتاريخ مبدأ معلوم مثل ما هو في زماننا هذا بل كانت للامم تواريخ مختلفة ومتعددة مبدأ كل عقد منها يوم جلوس احد ملوكهم على العرش ومنتهاه يوم موت ذلك العاهل ، لذلك افاد لوقا الانجيلي بقوله « في السنة الخامسة عشرة للملك طيباريوس قيصر » على اننا لا نُعدم وسيلة نستنتج منها ما نصبو اليه من معرفة الزمان بواسطة مقابلة التواريخ القديمة بعضها ببعض مستندين الى رواية صحيحة تكون لنا بمثابة اساس لهذه المقارنات · فاذا طرقنا باب هذه الطريقة في القضية التاريخية التي نحن في صددها وجدنا عوامل ثلاثة : اولها ان لسانيوس واخوته هم اولاد هيرودس ، والثاني انهم كانوا في عهد طيباريوس قيصر ، والثالث انهم لما قُسم عليهم ميراث ابيهم ارباعاً وولتهم دولة الرومان هـذه الايالات الاربع كانت السنة الخامسة عشرة للملك القيصر طيباريوس ، إذن جرى هذا الحادث التاريخي في عهد المسيح اي منذ عشرين قرناً قبل يوم الناس هذا · واننا نستند في

هذا الاستنتاج على رواية صحيحة ، وأصح ما يمكن التعويل عليه هي الكتب المنزلة ، فقد ورد صريحاً في انجيل متى ، الفصل الثاني الآية الاولى هذا النص « ولد المسيح في بيت لحم اليهودية في ايام هيرودس الملك » ·

فالنتيجة التاريخية إذن ان اقليم الزبداني هو نفس مملكة ابيلينة التي أسسها الرومان في عهد المسيح اي منذ عشرين قرناً · وان اول ملك قام عليها ليسانيوس بن هيرودس ثم صارت الى خلفائه من بعده · وان قاعدة تلك المملكة كانت مدينة آبل التي هي اليوم قرية سوق وادي بردى التي تعرفونها جميعكم ·

اما آبل الاخرى التي قالت دائرتا المعارف الافرنسيتان انها غير آبل هذه وانها في فلسطين فانما هي احدى المدن العشر التي كانت يطلق عليها اسم « ذيكابوليس » وبالافرنسية (la Décapole) وهي التي غلب الظن فيها انها تنسب الى هابيل بن آدم ابي البشر الذي قتله اخوه قايين حسب ضبط التوراة العبرانية الكريمة اوقابيل حسب ضبط القرآن العربي الكريم ·

وقد خلط بعض المؤرخين في هذه النسبة بين آبل قاعدة ابيلينة — اي سوق وادي بردى في اقليم الزبداني — وآبل فلسطين — احدى المدن العشر — بلدهابيل لوحدة الاسم ، ولكنه وهم لا دليل عليه الا قرب الصيغة بين كلمتي آبل وهابيل · وزادوا على ذلك ان نوحاً عليه السلام سكن هذه البلاد وقد اصطنع الخمر · وهو اول مصطنع لها من كرمة اراضي الزبداني ، ثم سكر واتى وهو سكران على مايستنكره الحياء البشري كما روى عنه الكتاب · واستنتجوا من هذه الاوهام ان اقليم الزبداني هو جنة عدن التي برأ الله سبحانه فيها آدم الانسان الاول ، وان الثمرة التي طعمت بها الحية حواء هي تفاحة من تفاح الزبداني المشهور ·

وعلى هذا الوهم ايضاً استند الكاتب الافرنسي المشهور موريس بارس فدوّن في كتابه الذي عنوانه (تحقيق عن بلاد الشرق) عبارة يشم منهما رائحة الاستخفاف اذ قال : « ····· وشاهدت على مقربة من دمشق وتحت غسق الليل مزاراً يؤيد المكان الذي دفن فيه هابيل الذي قتله اخوه قايين · فيا لها من بلاد تمتّ بنسبها الى تاريخ اول جريمة في العالم ! فليهنأ اهلوها بهذا الاصل والحسب ! ····· »

اجل لقد وهم الكاتب الأديب وليس الذنب ذنبه بل هو خطأ اوقعه به وهمُ مطوفيه . وانا لنرد هذه الفرية ونذكر الواهمين في التاريخ ان ذلك الدم الذي قال الكتاب الكريم عنه انه صرخ الى الله يطلب الانتقام انما لطخ ارض فلسطين ، وان كورة آبل الفلسطينية احدى المدن العشر هي مكان تلك اللطخة التي يوصمون بها ارضنا .

ومن رأي البحاثة المدقق الاستاذ عيسى افندي المعلوف احد اعضاء مجمعنا العلمي في كتابه المخطوط (تاريخ سورية المجوفة) ان اسم ابيلا منسوب الى الاله « بيل » احد معبودات الاشوريين والبابليين الذي كان له هيكل باسمه على القمة المرتفعة فوق سوق وادي بردى ، حوّل كنيسة في زمن الملكة هيلانة ثم حُوّل مزاراً في زمن الاسلام باسم قبر النبي هابيل لقرب الصيغة ، وهذا هو الاثر الذي تشير اليه دائرة المعارف الافرنسية كما سبق القول . وتوجد ايضاً أخربة أخرى في تلك الضواحي تؤيد هذا الرأي وتدل دلالة واضحة على اصل هذا الاسم وهي المعروفة اليوم بخربة بتبيل وهذه الكلمة مخوتة من (بيت بيل) اي هيكل الاله بيل .

ولقد ميز فيما بعد الرومانيون بين آبل الزبداني — اي سوق وادي بردى — وآبل فلسطين احد المدن العشر بان عرّفوا الاولى باضافة تنسب اليها فقالوا (آبل السيق) . والسيق كلمة يونانية معناها المنسك لانه كان بقربها دير للرهبان شهير يعرف باليونانية بدير قونن — اي الدير القانوني — ومن حوله مغاور كانت مناسك للرهبان الزهاد . ولايزال اسم دير قونن الى عهدنا تسمى به اليوم قرية دير قانون بين سوق وادي بردى وعين الفيجة ، وعلى مقربة منها ايضاً قرية دير مقرّن وهي تحريف دير مكرون الذي كان ايضاً في تلك البقعة على اسم مكرون احد النساك ، ولعله كان ديراً او مدرسة للطلاب المبتدئين تابعاً لسيق قونن .

واسم آبل السيق مذكور بهذا التعريف الاضافي في مخطوط يوناني قديم محفوظ عند غبطة السيد غريغوريوس بطريرك الروم الارثوذكس فيه ذكرالكرامي الاسقفية التي كانت يومئذ تابعة للكرسي البطريركي الانطاكي وفي جملتها ذكر كرسي أسقفية آبل السيق التي أوردت المجامع الاقليمية اسماء اساقفتها في القرنين الخامس والسادس .

وقد حرفت كلمة السيق فقيل بعد ذلك آبل السوق ، ثم أهملت كلمة آبل القديمة فدعيت البلدة باسم (السوق) فقط اما لهذا التحريف او لانهسا كانت سوقاً لحاصلات وادي بردى الغربية · ولما سقطت اهمية هذه الكورة وتحولت الى كورة أخرى من الاقليم وهي كورة الزبداني دعيت السوق سوق وادي بردى تعريفاً لها وتمييزاً ·

اما الزبداني التي هي اليوم قاعدة الاقليم ومركز حكومة قائمية المقام فيظهر ان اسمها قديم العهد ايضاً اخذه اليونان والرومان عن الاسم العبراني (زَبدا) اي مكان الخصب ، فتوهم المسيحيون في عهد الرومان انها منسوبة الى (زبدى) ابي الانجيلي يوحنا فدعوها وقتاً ما (بوانّو بوليس) اي مدينة يوحنا · وقد وجدت في بعض المجامع الاقليمية تواقيع أساقفة الزبداني في القرن السابع بتعريف (اساقفة يوانو بوليس) وذلك بعد انتقال الكرسي الاسقفي من آبل السيق الى الزبداني في اوائل ذلك القرن ، اي بعد خمول آبل وترقي يوانوبوليس · ثم عادت في عهد العرب الى اسمها القديم زبدا فنسبوا الاقليم اليها فقالوا (الاقليم الزبداني) كما نسبه الرومان من قبلهم الى آبل فقالوا (ابيلينية) وبه دعيت البلدة نفسها من باب تسمية الجزء باسم الكل كقولكم (مصر) في القاهرة عاصمة مصر و (الشام) في دمشق عاصمة الشام ·

ولرصيفنا الاستاذ المعلوف رأي آخر في الزبداني — بتسكين الباء كما يلفظها البعض — انه نسبة الى زبدا قائد زينب ملكة تدمر ، وقد وجد هذا الاسم منقوشاً مع تعريف لقبه (قائد زينب ملكة تدمر) على حجر اقتلع من اخربة قرب الزبداني ونقل الى التحفة الدمشقية التابعة للمجمع العلمي ، وربما كان ذلك المكان مخفراً عسكرياً لحفظ الطرق فنسب اسمه الى ذلك القائد رئيس المخفر فقيل زبداني بتسكين الباء ·

ولاصل الزبداني تعليل عربي ايضاً وهو انه نسبة الى الزبادنة او الزبديين وهم قوم كانوا غير خاضعين للرومان · هذا تعليل صحيح ، ولكن لا بالزبداني وكانت في زمن الرومان مقر معسكر ، بل باصل اسم قرية (كفر زبد) المعروفة اليوم في منعطف الجبل بارض البقاع · فان كلمة كفر آرامية ومعناها بلد وهي كثيرة الى اليوم في اسماء البلاد مثل كفر عاصر ، وكفر العواميد ، وكفر شيما ، وكفر بطنا ، وكفر الزيت الخ فيكون اسم هذه القرية (بلد زبد) التي ينسب اليها الزبديون اوالزبادنة ·

وان لتعليل اسم بلودان اخيراً وهي قرية أخرى من اقليم الزبدان وجهان اوردهما الاستاذ المعلوف في مخطوطه (تاريخ سورية المجوفة) الاول ان يكون اصلها كلمتين هما (بل‌دان) من الآرامية اي محل الاله بل لهيكل كان هناك ايضاً ، فصارت بعد النحت بلودان · والثاني ان تكون منحوتة من كلمتين غيرهما آراميتين ايضاً وهما (بيت لودان) ولودان جمع لود وهم شعب من سلالة لود بن سام اخ آرام كان قبله وأدغم فيه فنتوسي ، وهو الذي تدعوه الآثار المصرية (ر يتان) ومنه اسم (بريتان) اي بيت ر يتان باللغة المصرية القديمة قرية في سورية المجوفة ملكها المصريون ولا تزال نعرف بهذا الاسم قرب بعلبك ، وهي التي رددت الجرائد اسمها في المدة الاخيرة بمناسبة حوادث ملحم قاسم ورجاله ·

« وصف اقليم الزبداني وقراه » = اقليم الزبداني ، ويقال له ايضاً الغوطة الغربية ، جنة من جنان الشام بل هي على رأي البعض كما سبق القول ، بقايا جنة الفردوس الارضي لما فيه من الينابيع المتدفقة بالمياه العذبة الرائقة ، والبساتين الملأى بالاشجار المثمرة ، تحيط بها أسوار من اشجار الحور الباسقة والجوز ذات الظل الوارف والأثمار الشهية ، تتخللها الرياض بزهورها العبقرية ، وثمارها العطرية ، والحقول والسهول السندسية ، ويخترقها نهر بردى الجميل فتتلألأ مياهه الزرقاء في بقاع هي من اطيب بقاع الدنيا تربة وهواء · فصولها الاربعة منتظمة ولها في كل موسم من السنة حسن يتناسب مع الفصل ، حتى شتاؤها جميل وقد اخذ جماله بقلب شاعر القرن السابع للهجرة فتيان الشاغوري الدمشقي الذي أوردنا له ابياتاً قبيل هذا وكان يختلف كثيراً الى وادي الزبداني ، فقال في وصفه شتاء ابياتاً ثلاثة بديعة النظم والتورية والوصف تذكرها التواريخ العربية كلما انت على ذكر الزبداني قال :

قد اجمد الخمر كانون بكل قدح   واخمد الجمر في الكانون حين قدح
يا جنة الزبداني انت مسفرة   بكل وجه اذ وجه الزمان كلح
فالثلج قطن عليك السحب تندفه   والجو يحلجه والقوس قوس قزح

اذا صعدت الى اعلى ذروة في جبل بلودان تشاهد قسماً من الغوطة الشرقية والمرج كما تشاهد بلاد بعلبك والبقاع ، ومن جهة أخرى تشرف على جبال حرمون

الجميلة المكللة بالثلوج المعروفة عند المحدثين بجبل الشيخ وعند القدماء بجبل الثلج وهي قطعة من سلسلة انتي‌لبنان المسمى عند العرب بجبل سنير · ومناظر بلودان ومضايا وبقين وهما القريتان المجاورتان لبلودان من أجمل مناظر سورية الوسطى لانها مشرفة على نبع بردى ووادي الزبداني البهيج الذي امتاز منذ القدم بتفاحه وأثماره المتنوعة وبطيخه · ولقد كان هذا الوادي منذ امد بعيد مماينتابه الناس للاصطياف لجودة مائه وصحة هوائه واعتلال نسيمه وانتظام موسمه ، و بالنظر الى توسطه بين البلاد ، بين لبنان وما تشعب من لبنان وبين دمشق عاصمة الشام القديمة وثغرها الباسم بيروت ، كان لوادي الزبداني موقع ممتاز · ثم ان الهواء هنا غير مشبع بالرطوبات كما في بعض الانحاء الساحلية بل هو بليل عليل ناعم نافع في الاجسام ·

وتمتاز بلاد هذا الاقليم بخيراتها الكثيرة حتى ان المصطاف فيها اذا كان صاحب عيلة ينفق فيها مع الراحة نصف ما يقتضي له في المصايف الاخرى المعروفة وهذا امتياز له وقعه في الامور الاقتصادية · وكذلك العيون التي تنبجس من جبال الزبداني ان هي الا عصارة ثلوجها الكثيرة ولها موقعها من الصحة كعين حور وعين النسور وعين حل جرابك وعين حزير وعين بقين وعين الجرجانية وعين عطيب وغيرها من العيون الجميلة ، ما يمكن ان يتألف من كل عين منها منتزه من اجمل منتزهات العالم لا يقل عن منتزهات الغرب المشهورة ·

واذا اردنا ان ندرس بعض مواد الغذاء فيها نجد اللحم بالغا غايته من الجودة بالنظر الى حسن المراعي في جبالها ، وهناك الالبان والاجبان التي قل مثيلها في معظم اصقاع الشام ، خاصية تميز بها هذا الجبل وما اليه من السهول · فقد اثر هذا الهواء الجيد في الانسان تأثيره في الحيوان والنبات ·

ومعلوم ان المصايف يجب ان تكون الى السكون اقرب منها الى الحركة · فاذا قلنا ان ابن القاهرة مثلاً يصطاف في مدينة تشبه حركتها حركة المدن الكبرى ووسائل الراحة فيها كوسائل الراحة في المدن كانت الفائدة من مصيفه اقل ولا شك من مكان فيه سكون ودعة واخذ بالنفس الى السذاجة والطمأنينة ، فجبال الزبداني فيها شروط الراحة ورجوع الى الطبيعة والرجوع الى الطبيعة فيه نوع من الرياضة

الجسمية والعقلية لا يمكن تأثيره . فابن المدن الكبرى محتاج إذن في مصيفه ان ينزل القرى و يرجع ولو اياماً قليلة في السنة الى امه الطبيعة يناغيها ، وان يريح اعصابه من ضوضاء المدن و يبتعد عن اضطرابات المدنية المرتبسة ومشاكلها . وكلما قلت في بلد انفاس الناس كانت الى الصحة اقرب . ولا شك ان الاقبال اذا زاد على هذا الوادي وكثر مصطافوه انه يعمر بعد سنتين او ثلاث عمراناً يناسب المتمدنين ولا يبعد كثيراً عن المصايف الطبيعية .

« قرى الاصطياف في الزبداني » = اما قرى الزبداني التي تصلح للمصايف وقد مهدت اليها الطرقات بحيث أصبحت السيارات تسير تواً اليها فهي :

الزبداني — كورة الاقليم على مسافة ٤٨ كيلومتراً من دمشق ، علوها ١٣٠٦ أمتار عن سطح البحر ، يقطنها اكثر من ٢٥٠٠ نفس ، تمر عليها قطر السكة الحديدية ولها بها محطة جميلة مهمة وبقربها دوائر الحكومة ، فيها ينابيع عديدة و يكثر فيها التفاح والسفرجل وبقية الاثمار والبقول ولها شهرة خاصة بتفاحها السكارجي المعروف بتفاح الزبداني او بالتفاح الزبداني او بالتفاح الجناني وهو تفاح ذو رائحة زكية يباع منه في أسواق دمشق و يحمل الى جميع جهات سورية والى مصر ايضاً ، ينادي عليه الباعة بدمشق « بخّر الشورة » — والشورة في كلام العامة هي المنديل — وتضعه النساء في خزائن الثياب وصناديقها فتفوح من الثوب عند لبسه رائحة تنعش الفؤاد . وقد جاء في مأثور الامثال الشامية « من زار الزبداني فاحت منه رائحة التفاح » تروي اراضيها مياه النهر المسمى بنهر الزبداني وهي تنبع من قرية عين حور و ينضم اليها في طريقها ينابيع الفراسكين والدلّة وشمركا والنابوع وعين البق ، ثم تتوزع مياه هذا النهر بصورة منتظمة و باوقات معينة على الاراضي والحقول والبساتين والرياض بحيث لا يبقى منه شيء في الصيف يشكل مستنقعاً يفسد الهواء . من اجل ذلك كانت غزارة المياه وانتظام سيرها وضبط قنواتها في الري باعثاً على جعل الاراضي خصبة والفواكه والبقول جميلة المنظر ، كما ان برودة الماء ونوع التربة وخاصية المناخ جعلتها شهية الطعم لذيذة المأكل .

وعلى مقربة من الزبداني نبع نهر بردى بسفح الجبل الغربي ، يبعث في القلب

اضطراباً داخلياً اذ يشاهد الناظر اليه هوة عميقة يخرج منها الماء بكل سكون وهدوء وبجوانب هذه اللجة ينابيع صغيرة تسيل دمعاً رائقاً بحيث لا يسمع لهـذا النهر خرير ولا ضجة كما هو المعتاد في اكثر العيون والينابيع الكبيرة . ثم يسير هذا الماء سيراً بطيئاً وهو ينساب كالأفعى ذات اليمين وذات الشمال بين سهول الزبداني حتى التكية وهي رأس الوادي وبها معمل الكهرباء لانارة دمشق وجر حافلاتها وتحريك آلات مصانعها ، ومن هناك تبدأ الشلالات العديدة وتنكسر مياه النهر على الصخور فتزيد بذلك خفة ونقاء الى ان تلتقي بمياه نبع عين الفيجة العجيب فيختلط الماآن ويسيران نهراً مزبداً عرماً الى دمشق وغوطتهـا . هذا هو « ابانة » العبرانيين و « خريزو رواس » اليونان والرومان الذي يروي الارضين فتنبت الخيرات التي تقـدر مواردها بالملايين من الدنانير الوضاحة .

« بلودان » = بيت القصيد وأهم مصايف إقليم الزبداني وأبردها هواء وأعذبهـا ماء وأنقاها مناخاً . انتخبتهـا قيادة جيش الشرق الفرنسوي مصيفاً يتنـاوبه الضباط والجنود ايام فصل القيظ فيبلأون من سقامهم ويجددون قواهم ويستردون عافيتهم ، وما انتخبت القيادة هذا المصيف من بين المصايف الكثيرة الا بعـد درس طويل وفني من جميع وجوهه . بلودان مبنية بسفح الجبل الشرقي تحاذي الزبداني موقعاً وتبعد عنهـا مقدار ثلاثة كيلومترات . ارتفاعها عن سطح البحر ١٤٠٠ متر ، ذات مناظر خلابة . يقطنها اكثر من ٦٠٠ نفس . وفيها عيون ماء عذبة باردة أهمها عين (حل جرابك) وعين (حزير) .

« بقين » = محرفة عن بوقين اي ملوء الفم مرتين . وقد سميت بهذا الاسم اشتهاراً بجودة الماء النابع فيهـا . بقين قرية واقعة بالجنوب الشرقي من الزبداني على بعد ستة كيلومترات منها وأمامها موقف اختياري لقطار السكة الحديدية من اجل نزول المصطافين وركوبهم . ارتفاعها عن سطح البحر ١٣٥٠ متراً ويقطنها من السكان ٢٥٠ نسمة كلهم متمتعون بصحة نضرة .

« مضايا » = واقعة حذاء بقين وبجنوبهـا على مسافة كيلو مترين منها هذه القرية ذات مشاهد فتانة يسرح فيهـا خيال الشاعر مياهها غزيرة تنبع ضمن حدود

الابنية وهي عين الحديد وعين الجديدة وعين امين مما يزيد ارباب الذوق رغبة في الاصطياف بها ·

« كفر عامر » = قرية خربة اليوم قيل انها كانت من عهد ليس بالبعيد مركزاً لحكومة الزبداني وهي على سفح الجبل بقربة من كورة الزبداني ذات مناظر بديعة ومياه عذبة هدمت على اثر نزاع قام بين السكان وعسى ان تصير في المستقبل مطمح أنظار المصطافين فتبنى فيها الفنادق والبيوت ويعود اليها عزها السابق ·

« عين حور » = سميت كذلك اما نسبة لاشجار الحور الكثيرة فيها او الى من كان يؤمها لكونها مصيفاً جميلاً من ذوات الاعين الحور لتكتسب من جمال الطبيعة · وعين حور قرية بشمال الزبداني على بعد سبعة كيلو مترات منها · ينبع فيها ماء عذب يجري منها الى الزبداني كما سبق القول ·

« سرغايا » = قرية واقعة بشمال الزبداني وعين حور علوها عن سطح البحر ١٣٧٢ متراً وقطنها ٧٥٠ نفساً فيها محطة لقطار السكة الحديدية و بها نبعان رائقان هما عين سرده وعين الموقد ذات هواء نقي جبلي مناظرها من جهة الشمال جبلية ومن الجهة الجنوبية فسحة من الرياض السندسية كأنما هي قطعة فردوس ·

« عين الفيجة » = قرية اشتهرت بجودة النبع السائل منها شهداً ذكياً وقد أخذ منها قسم بانابيب فولاذية لإرواء مدينة دمشق وعلى اثر ذلك زال كثير من الاوبئة والامراض السارية التي كانت تداهم السكان بسبب شرب ماء بردى بعد ان يكون قد تلوث بانواع الأقذار في طريقه الى دمشق ، والناظر الى رأس ذلك النبع الفخم في فصل الربيع يراه والماء الغزير يتدفق منه بضجة وخرير ثم يجري بلون سماوي رائق على تلك الأحجار الفضية الغائصة في أسفله كالدرر فيلذ له سماع تلك النغمات الطبيعية يساوقها تغريد الطيور من فوقها وتحيط بها الأشجار الخضراء منتصبة القامات ورافة الظلال تغذيه بذاتها لتقيه حر الغزالة فيحسب نفسه في دار الخلد او في جنة النعيم لذلك ترى سكان تلك القرية ذوي وجوه نضرة ودم قوي لا ينقصهم سوى منابع علم تروي منهم الافكار فتثمر آراء نضرة تشبه نضارة جنتهم الارضية ·

« الخاتمة » = هذا ايها السادة برض من عد وساقية من بحر استقلت اليه

انظار اخواني الادباء ليتموا محاضرتي هذه بمحاضرات منهم يصفون لنا بلاد دولة دمشق إقليماً بعد إقليم فكلها ملأى بالتواريخ المهمة والمقاصف الجميلة والمياه العذبة والمناخ النقي الذي يجعلها في مصف المصايف الحسنة ٠

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٩ =

ودونك برهان البلاغة الشعرية مع فقدان سواها قال الشاعر :

(وجاوزوا ارسناس معتصمين به   قبل الجروس الى ذا اليوم تضطرم)
(دهمٌ فوارسها رُكّابُ أبطنها   ومهريته في وجهه عَلمُ)
(يناج رأيك في وقت على عجل   قد أفسدَ القول حتى أحمدَ الصمم)
(عبرتَ تقدمهم فيه وفي بلدٍ   ان الكرام باسخاهم يداً خُتموا)

او كقوله :

(والماء بين عجاجتين مخلّص   تحت الحسان مرابض الغزلانِ)
(بحرٌ تعوّد ان يذمّ لاهله   تتفرقان به وتلتقيانِ)
(وحشاه عادية بغير قوائم   من دهره وطوارق الحدثانِ)
(تأتي بما سبت الخيول كأنها   عُقمُ البطونِ حوالكَ الالوانِ)

فهذا الشعر هو من أعلى طبقات الشعر ، والوصف فيه معجز المباراة ، غيرانه تنقصه حلقات الاتصال لتأتلف مبانيه ، وتظهر لنا معانيه ، ولكننا اذا حللناه الى نثر بدا لنا خلط موسوسٍ او هذيان محموم٠

وعندنا ان دانتي عند نظمه الألعوبة كان قد اعتراه الوسواس او الصرع لما توالى عليه من مصائب الدهر ، وأولها خذلان حزبه ، ثم ضيعة مطامعه ، ثم خيبة آماله ، ثم نفيه من بلدته والحكم عليه اخيراً بالقتل ، فخرج من وطنه طريداً شريداً لا يملك فلساً كما تقدم اجمال ذلك معنا في ترجمته ٠

ولا عجب بعد هذا اذا بلي بداء الصرع او الوسواس ولا سيما اذا كان في طبعه استعداد لذلك ٠

واذا صح زعمنا هذا ولا نراه الا صحيحاً ، زال الاشكال في وقوع الخلط الكثير الذي رأيناه في الالعوبة عند الجمل الكثيرة التي لا يستخرج لها معنى ، ثم اللعنات التي صبها على الأساقفة والباباوات وإقرارهم في جهنم ، مع صلابته في دينه ، ثم استدعائه ملكاً غريباً لا كتساح بلاده مع شدة وطنيته ، ثم في مايرويه عن مشهوداته في جهنم والمطهر والفردوس ، روايةً صادرةً عن يقين تام برؤية ذلك كله رأي العين وأخيراً تصريحه بان روح الله حلت فيه ٠ على ان الظلمات التي يردد ذكرها كثيراً ليست عندنا الا نتيجة طبيعية للسوداء التي كانت تصاحبه ٠

وما دانتي باول موسوس نظم فعجّب سامعيه ، فالروايات عن موسوسي الشعراء عند العرب كثيرة وأشهرهم الموسوس الذي يقول :

(حجبوها عن الرياح لاني قلت يا ريحُ بلغيها السلاما)
(لورضوا بالحجاب هان ولكن منعوها لكيدهم ان تناما)

ثم الملقب بالمجنون مجنون ليلى ، وممن يقال انه بلي بالصرع او الوسواس الشيخ عمر الفارضي وقالوا دخل عليه بعض أصحابه فرأوه يدور حول بركة الجامع ويقول :

(ستّي متّي من حقّا إي والله حقّاً حقا)

ويصفق بيديه ، وفي بعض ابيات تائيته الكبرى من الخلط مايرجّح هذه الرواية ٠

ولا نطيل في تعداد الموسوسين او المصابين بالصرع من الشعراء والكتاب والعلماء فهم عند جميع الامم وحسبك ان باسكال وهو احد افراد الدنيا ذكاءً وعلماً ، قد اعتراه الوسواس كما أثبت ذلك غير واحد من مترجميه ، بل زعم بعض المحققين من الناقدين

ان بعض الانبياء كان مصاباً بالصرع او بالوسواس و يسمى الموسوسون بالفرنسوية (Les Hallucinés) ·

ومن أعجب العجب بل مما يحار له الناقد اذ يرى أكثر الذين قلّبوا الطرف في الالعوبة الالهية من الشرّاح العلماء والنقّاد الالباء أجمعوا على انها آية الآيات فيما تضمنته من الفصاحة والفنون ، وانها معجزة لم يدرك شأوها من جاء بعده من الشعراء ·

نعم أشار بعض الشراح من الناقدين الى ان دانتي لم يكن من المبتدعين بل من المقلدين ، غير ان الجماهير وفيهم اكثر شراحه وناقديه من جميع الامم كانوا ينظرون الى الالعوبة الالهية بعيون أكلّها الرضى عن نقد العيوب ، او ان رهبتهم مما ذكره في جحيمه ملكت عليهم أنفاسهم فلم تجر أقلامهم بغير الاطراء والاعجاب ، وجل اولئك ممن كانوا ينظرون اليها بطرف الخشوع كأنها من الكتب السماوية لفرط تحمسهم الديني وهو كما تعلم قد يعمي و يصم ، حتى انهم اذا مروا بجملة تنافي تعليم الكنيسة نفسها ، قالوا ان فيها لنظراً ، كأنهم يرددون ان من الكلام لحكمة ·

ولعل ذلك يرجع الى أسباب : منها شدة تعصبهم الديني ، ومنها التيار الجرّاف تيار الرأي العميّ ، وقد مرّ قبل هذا في ترجمة دانتي ما كان من ظهور دعاة له بعد موته بمدة طويلة و كيف انه كلما طالت المدة على زمن وفاته ، زادها الراوون خرافات سموها معجزات (عجائب) ألصقوها به وزادت في عدد أشياعه ، وجلهم من جهلاء العامة وما اكثرهم في كل مصر وفي كل عصر ولاسيما في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ·

ومنها ان الالعوبة وهي أغنيات كانت باللغة العامية يومئذ كما علمت ، واين من هؤلاء لغة ڤيرجيل وهم لا يفقهون منها لفظاً · ومنها انها تبتدئ في جهنم والتفصيل عن سراديبها ومغاورها ، وسلاليمها وكهوفها ، واعوجاجاتها ودياميسها ، وأباليسها وظلماتها ، ونيرانها القائمة ووحوشها الغريبة وعذاباتها التي لم تخطر على قلب عاقل الى تهويل بالوصف يتزل الهلع والرهبة على أعظم القلوب شجاعة ، و ينشر الغم والكآبة على أوضح الوجوه بشراً ، يوم كانت سيوف محاكم التفتيش مجردة فوق الاعناق في هاتيك الاقطار ، ورسل تلك المحاكم الظالمة البربرية تجوس خلال الديار ، لاستراق لفظ

يشف عن راحة او هناء ، ومسارقة شفة تبتسم عن رجاء ، وو يل يومئذ للمتهمين ، اذ لا طهور لهم من تلك الأوزار ، في شرع تلك المحاكم بغير الزيت والنار .

فهل يعقل ان يغنى في مثل تلك البلاد الشقية بغير هذه الاغاني ؟ ولا سيما ان الحكام فيها لم يكن يروق لهم سماع سواها ، وهم وعمالهم المسيطرون يومئذ على أعمال الناس وحركاتهم ، والناشرون فوق الرؤوس سحب التهويل والكآبة والارهاب ، فلا بدع في انتشار الالعوبة انتشاراً يضمن لها هذا الاثر الخالد بين قوم كانوا لا يرون الحياة في هذه الدنيا سوى النوح وقرع الصدور ، لنيل الغفران او للنجاة من أئمة ظلامة تناهوا في الفحشاء والشرور .

ومنها ان هوى الجمهور مع المظلوم في كل حين ، او مع من ادعى المظلمة وان كان هو البادئ ، فهم ينظرون اليه في حال شقائه وذله و يسددون سهام قدحهم نحو خصمه ، وقد مر بك ما نزل بدانتي من البلاء ، فلا بدع ان يكون ذلك من اعظم البواعث على الشفقة عليه وبعد شهرته ، وهذا في التاريخ ولا سيما تاريخ الآداب أكثر من ان نقيم عليه الدليل ، وحسبك ما ذكره اكثر نقادي و يكتور هوجو ، من ان نفيه بامر الامبراطور نابوليون الثالث ، كان من أجل الاسباب في زيادة شهرته ، وادعاء مريديه له بالزعامة الشعرية في عصره ، بل غلو بعضهم الى أبعد من ذلك .

ونعود الآن الى ذكر الرأي العمي (1) فهو يجرف الرأي القصري ، كما تجرف الامواج عند اشتدادها كل ما أمامها ، وقد وقع في التاريخ وغيره من العلوم أغلاط لجماعة من كبار العلماء كان منشأها تيار الرأي العمي . فمنهم من تنبه الى غلطه فأصلحه بعد حين ، اي بعد السكوت . ومنهم من سجل عليه غلطه اذ عاجلته قبل التنبه عليه المنون . وتفصيل ما يعرض لامثال هؤلاء من عقلاء الناس حتى تراهم عند تلاطم التيار ينقادون للرأي العمي بغير انتقاد ، فيضيع الحازم حزمه والحليم رزانته ، مما تكلم فيه كثير من الفلاسفة ولا سيما فلاسفة علم النفس ، وليس هذا محل الافاضة فيه فنقتصر على الاشارة اليه ، للبرهان على ما كان من تهافت كثير من العلماء والناقدين

---

(1) الرأي العمي نسبة الى العامة والقصري نسبة الى الخاصة .

في رفع دانتي الى المنزلة التي احلّه فيها العامة ، وكان من حقهم او من حق النقد عليهم ان يكونوا اكثر تثبتاً ، واوفر انتقاداً ٠

ومن أظهر الاسباب في شيوع الالعوبة الالهية ، ورفع صاحبها الى العرش الثالث لملوك الشعر عند جميع الامم الفرنجية ، هو موت اللغة اللاتينية وانتشار اللغة العامية بين سائر طبقات الامة الطليانية ، فلما بدأت هذه تنتبه من رقادها ، وتتحرر من قيود الاستبداد ، وتنظر الى نفسها جماعات جماعات ، وتتوثب الى الاتحاد ، شأن الامم في أوائل انتباهها بجمعها لغة واحدة ، نظرت الى قديمها في العلوم والآداب فلم تجد لها شاعراً غير دانتي طبع بطابع اللغة الطليانية كثيراً من أحداثها ؛ بل جعل تلك اللغة العامية ذات قواعد مكّنته من نظم تلك القصيدة الطويلة الشاملة (الالعوبة) ٠ فكان في عيون الامة الطليانية يومئذ محيي آثارها ومؤسس لغتها وركن فخارها ، وطالعت ما انتابه من الويلات وما عاناه في سبيل الرجوع الى وطنه ، فانصرفت الانظار عن جملة ما في الالعوبة من العيوب ، ونظرت اليه نظر المحب الى المحبوب ، فقالت مع شاعرنا ومن اين للوجه المليح ذنوب ٠

وآخر القول اذا كان انشاء المرء مرآة عقله ، واختيار اللبيب دليل ذوقه ، فلا ريب انها مرآة قلبه وصورة عواطفه ومتجلى أخلاقه وآدابه ، واذا رمنا ان نستشف من انتقاد رسالة الغفران والالعوبة الالهية ، مدى عقلي صاحبيهما ، ومتجلى عواطفهما وأخلاقهما ، لنفي هذه الموازنة حقها من الانصاف ، نرى البون شاسعاً بينهما فان رجاحة عقل المعري واضحة على كل صفحة من صفحات الرسالة ، ولما كانت رسالة ابن القارح في ثقيل الشرع والتزام حدوده ليست من معتقده ، وكان تقريظها حتماً عليه ، اذ انتقاد الشعر وكتب الادب وتقريظها عادة قديمة في الامم نرى حديثها في تواريخ اليونان والرومان ، واما عندنا نحن العرب فيصعد ذلك على ما وصل الينا ، الى حكاية حوليات زهير والمعلقات ، ثم الى مساجلات ابي نواس وصريع الغواني وابن الجهم ، ثم بعدهم الى بشار بن برد وابي العتاهية وجماعتهما ، ثم الرواية عن قول ابي تمام للبحتري عندما قرأ عليه شعره ، نعيتَ اليَّ نفسي يا فتى ، ومثل ذلك اليوم عند الفرنسيين وغيرهم من الفرنجة ، فانه قلّ ان يوجد بين أدبائهم بل علمائهم ، من

يؤلف كتاباً دون ان يطلع عليه احد أصدقائه من العلماء ، وأكثر تلك الكتب تطبع مصدرة بمقدمة ممن طالع ذلك التأليف هي في تقريظ الكتاب .

قلنا ولما كان تقريظ رسالة ابن القارح حتماً على ابي العلاء ، صوّره حلماً رآه كأنه يقول لابن القارح ولطالبي رسالته ، ان جزاء من يلتزم هذه الحدود كما قال صاحبي ، هو هذا الحلم الذهبي ، ثم لم يشأ ان يجعل هذا التقريظ كله مزاحاً او مداعبة وهو الفيلسوف الزاهد المتقشف ، فملأه فوائد وتحقيقات شعرية كانت هي محور آداب القوم في عصره ، وبعض اشارات وتلميحات علمية كقوله : « وبيني وبينه مسيرة الوف أعوام للشمس التي عرفت سرعة سيرها في العاجلة » والاشارة بها الى القياس بسرعة النور في علم الهيأة .

وكقوله : « ويفترق اهل ذلك المجلس بعد ان أقاموا فيه كعمر الدنيا أضعافاً كثيرة » فهل من وصف لطول ذلك الوقت وسرعة مروره بالمقايسة مع لفظ «الابدية» أبدع من هذا الوصف .

وكقوله : « وهل يعرف البشر من علم النظيم الا كما تعرف البقر من علم الهيأة ومساحة الارض » الى غير ذلك من اللطائف .

اما ركن رسالة الغفران ، فهو الرحمة والحلم والحنان ، وهي عواطف صاحبها وأخلاقه التي هي كلها تسامح وعقل وفلسفة فانه لما أتى تناظر حمله على ذلك الفردوس الموعود . فكأنه بل طحن بحكمته تلك الاقفال والقيود ، وفتح ابوابه وفتح رحابه ، ووسع فيه الاماكن لجميع البشر بل للحيوان ايضاً ، اما لفعل خير ولو طفيف ، او للفظة صدق ، فلم يدع جاحداً مشهوراً الا أنزله بذلك النعيم ، ولا وثنياً الا سلسل في حلقه ذلك التسنيم ، وسقاهم كلهم ذلك الشراب الطهور القديم ، ومتعهم كلهم بالحور والقصور والشباب المقيم ، ولسان حاله يقول : ما ضرّ ربك ان يسكن مخلوقاته كلها هذه الجنات ، وهل تسعكم وحدكم وتضيق عنهم هذه السموات ، يا ضيقي العطن وناشري الإحن ومعلي أفانين العداوات ، ثم غمزهم غمزة فألقى الاخطل وبشار بن برد في النار لعينيهم والاول نصراني والثاني مسلم كما تعلم . ليحكم في ذلك العقلاء وبضدها تتميز الاشياء .

على اننا ما خطر ببالنا مرةً ابو العلاء الا حرنا في امره ، ذلك انه على ما أوضحنا اول هذه الموازنة كان من الفلاسفة الزنادقة الذين يهزأون بالبعث ، الا انه ملأ شعره مواعظ بالزهد في الدنيا والبعد عن مسراتها واجتناب سائر لذاتها حتى الخمر والنساء ونادى بقصر العمر وما يعقبه من الفناء وهذا كله عين ما يقول به اهل الاديان كقوله وهو اقصى ما يقول به المتقشفون منهم ·

(ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحق لسكان البسيطة ان يبكوا)
(تحطمنا الايام حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يعادله سبك)

وكقوله :

(رويدك قد غررتَ وأنت غرٌّ بصاحب حيلة يعظ النساء)
(يحرم فيكم الصهباء صبحاً ويشربها على عمد مساء)
(يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء)
(اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة اساء)

وغير ذلك من أمثاله كثير جداً وفي مراجعة لزومياته غنىً عن الاضافة فيه ·

وكنا كما قلنا في حيرة الى هذه الساعة من امر ابي العلاء لما نراه من التناقض بين مذهبه ومقاله فهو شديد على النساء في الحجاب ووجوب الاستقرار بالبيوت مع علمه بانهن في طبيعتهن البشرية لا يختلفن عن الرجال بل عن سائر الحيوان ، من النزاع الى الشمس والهواء ، والاستمتاع بكل ما في الكون مما تجيش اليه النفس وتستلذه الحواس الخمس ·

وهو شديد عليهن في ترك التبرج مع انه يحسب عند بعض علماء الطبائع من أخلاق الانثى حتى في بعض الحيوان ومع انه لم ير امرأة قط (سوى أمه في طفولته) ولم يتزوج ولم يعرف أنثى لقوله وهو القائل الصادق : ·

(هذا جناه ابي عليَّ وما جنيت على احد)

وهو شديد على شارب الخمرة مع انها قديمة جداً وقد أحبها البشر في كل عصر بل عبدها كثير من الامم كاليونان والفينيقيين وغيرهم ونحتوا آلهةً لعبادتها وتفننوا في تصويرها والعرب قبل الاسلام وبعده ممن اوغلوا في ذكر لذتها ومنافعها وتصوير

شتى محاسنها ، ولم يحرمها من الاديان سوى دين الاسلام وفيلسوفنا كما علمت ليس من الاسلام في شيء .

وهو شديد على اهل اللهو وسائر اللذات الجسدية يأمرهم بقهر الجسد ومحاربة أميال الجسم الطبيعية ويتهددهم بقصر العمر و ينذرهم بالفناء مع انه القائل :

(تعبٌ كلها الحياة فما أعـ ـجب الا من راغب في ازدياد)

وان كل حيّ مصيره كمصير النبات ، فما ضرهم — ان كان كما يزعم — انتهاب هذه اللذات ، والتمتع بما أباحته لهم الطبيعة من المسرات ؟ وما الذي يجب ان يتوقاه المرء اذا هو لم يعتد على احد من المخلوقات ؟

نقول ان في نواهي ابي العلاء وتشدده برهاناً لمع الساعة أمامنا وحل لغزاً طالما امتنع علينا حله ، وذلك ما أوردناه آنفاً من جرف الرأي العمي كل ما أمامه ، واستدراج أعقل الناس اليه من حيث لا يشعر ، حتى ليضيع الحازم حزمه والبصير رشده ، وتختلف نتيجة المنطقي عن مقدمته ، وهو التناقض الذي أشرنا اليه كما رأيت .

فان عصر ابي العلاء كان عصر تشدد في الدين لما انتاب الدولة العباسية العظيمة من خسارتها كل ما كان بيدها الا اسم الخلافة والدين ، وانت تعلم ان المرء حريص على ما بيده من ملك او سلطان او جاه او مال حتى اذا ما فقد شيئاً منها تمسك بسواه واذا أصيب بفقدان جميعها نظر الى ما حوله وفتش عما يستطيع امتلاكه والتباهي به ولو كان ذلك الملك شيئاً معنوياً كالدين فيقبض عليه بكلتا يديه حاسباً انه القوة التي بها يغلب الاعداء و يسترد المسلوب و يستعيد المجد والملك او انه هو يغني عن كل ذلك وهذا ما أصاب غير أمة من الامم كالبيزنطيين في آخر دولتهم .

فلا بدع والامر على ما ذكرنا ان يكون الرأي العمي لعهد ابي العلاء محصوراً في الزهد والتقشف والصلاة والحجاب والنهي عن الخمر واللهو وسائر اللذات وان يجرف تيار هذا الرأي حصافة فيلسوفنا فتناقض نصائحه صريح مذهبه وتخالف نتيجته عن مقدمته في بعض أقواله .

وفي الختام فلننظر في مرآة دانتي وفي الالعوبة الالهية ، اما من حيث العقل وإصابة الرأي ، فيصعب جداً على الناقد المنصف ان يرى لها في هذه المرآة شكلاً

و خيالاً فاختلط فيها أضاع الاصابة وغشى على العقل بستر كثيف حتى ظهر فيها رجل أوهام وخرافات كان حفظ في صغره شتى كتب التاريخ والعلوم ثم أصيب في كبره بحمى شديدة غادرته يردد في هذيانه اكثر ما حفظه متداخلاً بعضه في بعض حتى ظهر بهذا الخلط العجيب فنحن لا نرى عن رأينا تبديلاً فيما بدا لنا من وسواسه ٠

اما أمياله وعواطفه فقد بدت لنا غريبةً عن مواطن اللطف بعيدةً عن العفو والرحمة ، لا تعرف للتسامح معنىً ، ولا تقيم للحنان والاعتذار وزناً ، او هو سواد انسان لكنه قُدّ من حجر ، ومع انه كان زوجاً واباً فلم نسمع منه حرفاً باسم زوجته او اولاده بل لم نسمع منه شكوى فراق او صوت اشتياق او عبارة يشعر منها بانه يفكر لحظةً بهم ونرى حب المجد والاثرة ظاهراً في كثير من أسطرها الى الغاية القصوى ٠

اما أخلاقه فعبوس وكآبة وحقد وشراسة وحب انتقام وقصر نظر لا يعرف من الحلم ورحابة الصدر الا اسميهما وعنده ان كل مخلوق عاقل على الارض منذ وجدت حتى آخر الدهر يجب ان يزج في نيران جهنم السوداء او انه محكوم عليه بها ان لم يؤمن بكل ما يؤمن به دانتي لا عفو ولا سماح ولا شفاعة ولا رأفة ولا غفران وانت ترى مابين المعري ودانتي من البون الشاسع في العقل والاخلاق ٠ وان رسالة الغفران التي تنطوي على أقصى مزايا التسامح والرحمة والحلم بتحويلها عن موضوعها السامي باتت في فم دانتي رسالة لعنات وانتقام وكأن شاعرنا العربي نظر اليها فقال :

(تقول هذا مُجاج النحل تمدحه وان تذمّ تقل قيءُ الزنابير)

وترينا تلك المرآة صفحات كثيرة من علوم عصره وحوادثه مخلوطةً خلطاً عجيباً فلاهوت القديس اغوسطينوس باساطير اليونان ، وهوميرس وفيرجيل وصلاح الدين وأفلاطون باجتماع واحاديث الصبابة والهيام وما يعانيه دانتي من نار الشوق والغرام مع الغبطة او العزة الالهية أي الله ذاته ... وليس في كل ذلك اي فيما يعرض به من العلوم رأي لراويها او اعتراض او بيان او شرح ، فكأنها صورة كتاب ميت لا صوت لسان حيّ ٠

هذا ما وصل اليه بحثنا وتمحيصنا ونرجو ان نكون قد أصبنا فيه شاكلة الصواب ، وأمطنا به منيع النقاب ، عن مخدرات نزلت عليها آية الحجاب ، وتوارت وراء مغلقات الأحقاب .

عضو المجمع العلمي العربي

قسطاكي الحمصي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ مصطفى الغلاييني

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

(١) ان ما شاع على السنة الكتاب الفصحاء من الكلمات (غير القاموسية) وكان له اصل في السماع او القياس قبلناه . من ذلك كلمة « نبدّى» التي ذكرها الاستاذ فانها مسموعة ، والقياس لا يأباها . وهناك كلمات كثيرة شاعت على أقلام الفصحاء ، وهي تلتئم مع القياس فأرى ان يجيزها المجمع الموقر : كالتطوُّر والتشرُّع (بمعنى تعلُّم الشريعة كالتفقه من الفقه) والتشريع (بمعنى شرع الاحكام وسنها) والمكاتفة (بالتاء) وداهمه العدو والمُواطن ومان عليه يمون ودَوَى الصوت يَدْوِي (بالتخفيف والمسموع دوّى يُدَوّي تَدْوِيةً بالتشديد) وغيرها من الألفاظ التي درج عليها خواص الكتّاب ، ولها أصل ترجع اليه في لغتنا الكريمة . وقد بسطت الكلام على ذلك في كتابي « نظرات في اللغة والادب » (ص ٤٥ و٤٧ و٤٨ و١٠٦ و١٢٦) .

(٢) كلمة « أُقصصت » لا حاجة اليها لان « قصصت » المجردة تغني عنها . ولعل « أُقصصت » من تحريف النسخ او الطبع . وربما كانت بضم الهمزة للمجهول ، فيكون معنى قوله « فأتيته فأُقصِصْتُ قصته » حُملت على ان أقصّها ، او طلب اليّ قصُّها .

اما كلمة «نخيم» ومثلها وفير فلا أرى تجَوُّزَ استعمالها رجوعاً الى الاصل . لان وَفْراً وفَخْماً اصلها وفير ونخيم . وقد أفضت في الكلام عليها في (ص ٣٤) من كتابي المذكور .

واما « صدفة » فأرى ان شيوعها كافٍ لان يحملنا على قبولها وعدّها اسمًا بمعنى المصادفة ، كنظائرها الكثيرة .

(٣) « هيئة المحكمة » جائزة . قال في النهاية : « والهيئة : صورة الشيء وشكله وحاله » اه ومثله في اللسان وتاج العروس . وهل هيئة المحكمة الا صورتها وشكلها مجتمعة ؟

واما تشكيل المحاكم ، فان أريد به انتخاب رجال لها فالتعبير صحيح ، وكذا ان أريد به التئام اعضائها . وان أريد به اصلاحها فكلمات « اصلاح وترتيب وتنظيم وتهذيب » أليق . والدليل على ماتقدم مستوفى في كتابي السابق ذكره (ص ١٩) .

واما الميزانية والكمية والكيفية ، فقد أصبحت من الكلمات المألوفة . والأخيرتان من الكلمات العلمية التي استعملها الجدود قديمًا . ومثل ذلك لايجوز ان يُصادَم .

(٤) لا أرى مانعًا من استعمال « خابره » بمعنى راسله ، لان القياس لا يأباها مع شيوعها على ألسنة الكتاب الخواص ، ولا ينصرف الذهن اليوم الى غير معناها الذي ألفه الناس .

واما « تفرّج على الشيء » فلا أرى استعمالها ، لانها لم تجر على أقلام الفصحاء من الكتّاب ، وانما درج عليها العامة وعوام الكتبة . على انه يمكننا ارجاعها الى اصل لغوي بضرب من المجاز .

واما « احتار » فالقياس لا يأباها ، وقد أصبحت من الكلمات المألوفة . وقد أوضحت هذا المقام في كتابي المذكور (ص ٢٠) .

واما « تنزّه في البستان » فجائز : قال الجوهري : « خرجنا نتنزه في الرياض . واصله من البعد » .

(٥) ما عُرّب من الكلمات الدخيلة الأعجمية الاصل او ترجم بالعربية ودرج عليه الكتّاب ، فأرى استعماله معربًا او مترجمًا : كالسيارة والطيارة والغواصة والمنطاد والمناورة وغيرها . وما لم يُعرّب او يُترجم فان أمكننا ايجاد لفظ عربي له فذاك ، والا عرّبناه . وقد بسطت الكلام على ذلك بعض البسط في كتابي السابق (ص ١٩٩) .

(٦) ما لا يضر باساليب العربية من الاساليب والتراكيب الاعجمية جاز استعماله وما ذكره الاستاذ المقترح من الأمثلة ليس مما فيه ضرر ٠

(٧) اما الصنف السابع فقد كفانا الاستاذ مؤونة البحث فيـه ٠ ولا ارى احداً يغار على لغته يقول بجوازه ٠

***

جواب الاستاذ عبد الحميد[1] الجابري

على الاقتراح المذكور

ان ما تجتمع شعوب الامة على التفاهم به هو لغتهـا كيفما كان حدوثه ومحدثه فاللغة لا تحد بقوم او زمن بل كل لغة لا بد ان تزداد مادتها بامتداد تاريخها ٠

فعلى ذلك يكون مادوّن في المعاجم العربية التي يرجع اليها كل شعوب الامة هو من اللغة العربية ويصح ان يطلق عليه انه منها سواء كان في الاصل مبتدعاً او من اصطلاح شعب دون آخر او كان أعجمياً منقولاً واما ما لم يدوّن ولم يشع استعماله لدى الجميع فلا يصح ان يطلق عليه انه من اللغة العربية الجامعة التي تتوحد فيها الشعوب فلا ينبغي تدوينه الآن ولا استعماله وان سمع اذ لعله ان يكون من اصطلاح شعب خاص لم تدرج عليه بقية الشعوب او انه لحن من قائله و يستثني من ذلك ما كان مشتقاً تقضي قاعدة الاشتقاق بجوازه وقـد روي استعمال بعض العرب له اي العرب الذين يؤمن لحنهم واما الألفاظ العامية فالمحرّف والمصحف منها والمشتق على غير قاعدة الاشتقاق العربي لاينبغي ان يرتضى تحريفه او تصحيفه او اشتقاقه واما المحدث المخترع من أسماء الاعيان او مواد الافعال اي مصادر اشتقاقها فهو اذا اختلف باختلاف الأقطار التي اصطلحت عليه ، فكذلك لا ينبغي اعتباره حيث لا يمكن جمع الكلمة عليه ، واما ما اتفقت عليـه اهل الاقطار من كل الشعوب او عرفته فهذا لا بأس باستعماله وتدوينه وادخاله الى اللغة لان ذلك من مقتضى اتساع اللغة بامتداد الزمن وحدوث مسميات متجددة ٠

---

(١) هو احد أعيان حلب ومن أعضاء مجمعنا العلمي فيها ٠

واما الألفاظ الأعجمية فان كانت مدلولاتها معروفة عند العرب رجعنا في ذلك الى الألفاظ العربية التي تنص على تلك المدلولات وليس لنا حينئذ ان ندوّن او نستعمل تلك الألفاظ الأعجمية لاستغنائنا باسمائنا العربية عنها وان كانت مدلولاتها حادثة لم تكن العرب تعرفها فيحتاج هجر الأسماء الأعجمية الموضوعة لها الى وضع اسماء مجددة لها فلا ينبغي ان نأبى تلك الألفاظ الأعجمية ونتكلف لوضع اسماء جديدة لها بل علينا ان نستعملها على علاتها مطلقاً فأسماء المخترعات الحديثة مثل التلغراف والتلفون والاوتوموبيل ليس قلبها الى اسماء أخرى ننتحلها الا من التعصب البارد بل يكون من قبيل اغتصاب ما ليس لنا ٠ ها نحن قد سمينا التلغراف بالبرق فهل هي الا تسمية مجازية على التشبيه لا تنص صريحاً على المسمى ٠ وسمينا الاوتوموبيل بالسيارة التي هي لفظ أعم يدخل في شموله غير الأوتوموبيل وكذلك الهاتف للتلفون وكذلك الطيارة ٠ عفى الله عما مضى فانه يقتضي هذه التسميات شيوع قبولها بين شعوب الامة العربية او اكثرها وتفاهمهم بها لكن لا يمكننا ان نتخذ هذا التبديل قاعدة في اسماء المخترعات ولا يتمشى معنا اتفـاق الكلمة على قبوله كل حين على ان دخول اسماء تلك المحدثات الجديدة على لغتنا العربية لا يمس بحفظ كيانها وحفظ شرفها مهما كثرت تلك الاسماء بل تزداد رونقاً بموافقتها للغات أصحاب تلك المخترعات ٠ ولنذكر ههنا امرين الاول ان الالفاظ الأعجمية التي استعملها العرب محرفة لم يكن هذا التحريف فيهـا متعمداً لاجل صحة تعريبها بل انما كان ذلك لأن الراوي لها نقلها محرفة لعدم الفته ضبط حروفها فتعمدنا نحن الآن تحريف ما نقل الينـا على اصله هو بدعة غير مبررة الا ما كان منها مشتملاً على حرف غير عربي فبالطبع ان عامة المتكلمين به يبدلونه بما يقاربه في المخرج من الحروف العربيـة بدون تكلف لتقرير هيأة المجمع ٠ الامر الثاني ان الاسماء التي وضعناها للمخترعات الحادثة عوضاً عن اسمائها الأعجمية لم يشع قبولها بين العامة حتى الآن فالأكثر منهم يفهم قولنا الاوتوموبيل والتلغراف والتلفون دون قولنا السيارة والبرق والهاتف ٠

اعضاء المجمع العلمي

ترجمة العلامة احمد تيمور باشا المصري (١)

(نشأته) : هو السيد احمد بن اسماعيل تيمور باشا بن محمد تيمور كاشف بن محمد ابن اسماعيل بن علي كرد الكردي الموصلي وأسرته من كردستان جاء جده محمد تيمور كاشف الى مصر مع الجنود التي قدمت مصر على اثر نزوح الفرنسيين عنها فاتصل بمحمد علي باشا جد الأسرة الخديوية فاتخذه عوناً له وجعله من كبار قواده وولاه أعمالاً كثيرة منها (الكشوفية) فلقب بالكاشف.ونفذت كلمته عنده وكذلك ولده اسماعيل باشا ·

ولد احمد باشا سنة ١٢٨٨ هـ وربي يتيماً من صغره فدرس في داره العربية والفرنسية والتركية وبعض الفارسية ودخل المدارس المصرية فأتقن الفرنسية ثم العربية على بعض مشايخ عصره المشهورين وأهمهم الشيخ حسن الطويل وصحب الامام الشنقيطي الشهير والشيخ محمد عبده المعروف ولازم صحبة الشيخين طاهر الجزائري وابراهيم اليازجي ·

فاتقن العربية بجميع فروعها ونال الحظوة لدى الخديو بين وأنعموا عليه بالرتب العالية آخرها رتبة الباشا ·

وخدم العلم خدمة عظيمة فكان عضواً في المجلس العالي للنظر في شؤون دار الكتب الخديوية والإشراف على إحياء الآداب العربية · وعضواً في المجمع العلمي المصري وعضواً في المجمع العلمي العربي · وعضواً لمجلس الشيوخ ومصححاً في المكتبة السلطانية ·

واشتهر بغيرته على المشاريع العلمية وخدمة الآداب العربية فصرف معظم أوقاته مع وفرة أشغاله في إدارة مزارعه بقويسنا منفرداً في بيته مطالعاً في خزانة كتبه

(١) ملخصة من كتاب (الدر الثمين في أدباء القرن العشرين) للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ·

الثمينة الحاوية أمهات نادرة وهي آية في الترتيب والتنسيق وجمع النوادر وقد وصفنا في مجلتنا هذه (المجلد الثالث صفحة ٢٢٥ و٣٣٧ و٣٦٠) فهي اكبر خزانة في مصر بعد داري الكتب السلطانية والازهرية فيها ولكن ما فيها من النفائس قد لا يوجد فيهما . ولقد تكرم عليّ بفهرسها بخطه وهو كريم بمعارفه جليل المباحث كبير الهمة كثير الجلد في البحث والمراجعة يطالع كل كتاب و يرتب له الفهارس والتعاليق و يصفه في البرنامج الكبير الذي وضعه لخزانته بتفصيل غريب وتحقيق عجيب . و يحض على طبع نوادر الكتب و يساعد ناشريها .

فتراه دائماً يشتغل في الموضوعات المفيدة و يستدرك في مقالاته ما يراه لغيره من المباحث فيعدّلها بما وقف عليه من المخطوطات النفيسة التي لم يقف عليها غيره . وكل من طلب منه شيئاً أفاده عنه بأريحية نادرة . فيبعث بالكتب التي يطلبها السائلون مع نفاستها وندرتها في البريد ليطالعها او ينسخها له على نفقته أحياناً كل ذلك خدمة للادب . وقلما ظهرت مجلة مهمة ولم يكن له فيها أبحاث رائعة وتحقيقات مفيدة . ولقد تكرم باعارتي كثيراً من كتبه واستنساخ بعضها . وكذلك فعل بالمجمع العلمي العربي فانه آزره بمنسوخات مفيدة لمباحثه . فضلاً عن مقالاته المتواصلة لمجلته . وله في الأدب والتاريخ واللغة آثار مهمة تشهد له بطول الباع والتعمق في المباحث النادرة وجمع الشوارد والفكاهات التي قلما ينتبه اليها غيره من ارباب العلم وغواة الكتب .

وفوق ذلك فان خزانته جامعة لنوادر المطبوعات في البلدان الاوربية والشرقية . وهو واقف على أسرارها مطلع على أبحاثها ومع انه حفظه الله منحرف الصحة لكثرة اجتهاده فهو دائم العمل متفرغ (مع كثرة أشغاله وادارة بيته الكبير وتربية أسرته التي نشأ منها نوابغ كشقيقته المرحومة عائشة تيمور وبنيه حفظهم الله وأقر عينيه بهم) لمتابعة أبحاثه حتى ملأ الصحف فوائد واستدراكات وله علاقة كبيرة مع كبار العلماء والمستشرقين في الشرق والغرب ومراسلات ومناقشات تدل كلها على سمو مداركه وعلو منزلته وطيب أخلاقه النادرة فهو جامع بين العلم ورقة الطباع ولطف الذوق وحسن المحاضرة وجودة الخط ودقة البحث والأوضاع اللغوية الكثيرة .

***

(آثار أقلامه العسّالة) : من مؤلفاته التي عرفتها (معجم الألفاظ العامية المصرية) في بيان اصولها واشتقاقها وردّها الى لغتها الاصلية وذكر ما يرادفها من العربي الفصيح وهو كبير الحجم جزيل النفع لا يزال مخطوطاً .

وله رسالتان مهمتان في (تصحيح القاموس المحيط) و (تصحيح لسان العرب) وقد طبعهما وفيهما من دقة النظر والامعان في البحث وحسن الروية ولطف النقد ما لا يوصف. وقد كان نشر في (مجلة الآثار) لكاتبه قسماً صالحاً من نقد (اللسان) وكذلك في بعض الصحف قسماً آخر أضافه الى ما كتبه صديقه اليازجي في مجلته (الضياء)

وله رسالة بديعة في(الرتب والألقاب) اقترحتها عليه جريدة (القبلة) في مكة المكرمة واتصلت بمجمعنا العلمي فطبعها على نفقته في اول عهده ثم استدرك مؤلفها عليها أشياء كثيرة ارسلها اليّ على نسخة منها بخطه وهو يريد إعادة طبعها بقالب جديد خالٍ من الشوائب .

اما ما دبجته يراعته في الصحف والمجلات فانه كتب في (المؤيد) نحو ١٥ مقالة منها (تاريخ امراء تونس الحالبين) و (المجتمع اللغوي المصري) و (اللغة والدخيل) و (أغلاط لسان العرب) و (المعرّي) و (والخلافة والسلطنة) .

وفي (مجلة الضياء) منها (أغلاط لسان العرب) و (ديوان ماماي الرومي) .

وفي (مجلة المقتبس) منها وصف (الطالع السعيد للادفوي) وقد طبعه اخيراً و (اللغة والدخيل) و (أبيات العادات) .

وفي (مجلة المقتطف) منها (المناقشة مع الشرتوني في الفصاحة وكتاب العصر) و (المكاحل والمدافع عند العرب) و (البز بديةومعتقدهم) و (اسماء الكلاب عند العرب).

وفي (مجلة الهلال) منها (التصوير والعرب) و(العيون الزجاجية) و (نوادر المخطوطات وأماكن وجودها) و(المترجم : الشنفرة) و (أرجوزة أخبار الاعيان) .

وفي (المجلة السلفية) منها (الطباق اي التبغ) و (الألعاب عند العرب) .

وفي (مجلة الآثار) منها (وصف الاعلان بالتوبيخ للسخاوي) . و (أغلاط لسان العرب) .

وفي (جريدة الاهرام) منها (مناقشة صديقه احمد زكي باشا بشأن البراءة والتقليد) و (العَلَم عند المصريين) .

وفي (مجلة مجمعنا العلمي) مقالات رائقة راجعها في (٢ : ٧٣ و١٤٧ و٢٨٩ و٣٢١) و(٣ : ٩و٤٣و٥٦و٧٣و١٠٠ و١٢١ و١٣٧و١٦٩و٢٠٣و٢٤٣و٢٦٨و٢٨٠و٣٢٧) و(٤ : ١٤٧ و١٩٥ و٢٧٠ و٣٨٨) .

آراء وافكار

كلفة (Revient)

جاء في الكتاب الآتي من احد اساتذة التعليم في حماه ونصه بعد المقدمة :

« لم أعثر في المعاجم على كلمة عربية تفيد ثمن الشراء مع المصروف عوضاً عن الكلمة العامية وهي (كالف) بحيث تقابل كلمة (Revient) في اللغة الافرنسية . وستكون هذه الكلمة عنواناً لبحث في (الحساب) كما يأتي :

ثمن الشراء	Prix d'achat
ثمن ...	Prix de revient
ثمن البيع	Prix de vente

ارجو ان تتكرموا بافادتي ولحضرتكم الشكر . (ص · ع)

فأجبته بما يلي :

لا ارى مانعاً من استعمال كلمة (كلفة) مقابل كلمة (Revient) الافرنسية وهي التي يُراد بها الكلفة الأصلية للتاع او الأداة المصنوعين في المعمل . اما مقابل كلمة (Prix de vente) الافرنسية فتستعمل كلمة (كلفة البيع) المركبة اوكلمة (السعر) المفردة : فان السلعة مادامت في السوق ولم يشترها المستهلك فقيمتها (سعر) يصعد ويهبط حتى اذا اشتراها المستهلك كان ما أداه الى البائع هو (الثمن) .

إذن لنا ثلاث كلمات مركبات ومفردات وافرنسيات فلنعرضها على هذه الصورة .

Prix de revient تقابلها (الكلفة) مفردة او (الكلفة الأصلية) مركبة
Prix de vente يقابلها (سعر) مفردة او (كلفة البيع) مركبة
Prix d'achat يقابلها (ثمن) مفردة او (كلفة الشراء) مركبة

وكلمة (كُلفة) ليست عامية محضة كما يظن بل لها اصل في العربية . فان معناها فيها هو (ما تكلفته من نائبةٍ اوحق) اي ماأديته الى غيرك بحق او بغير حق : كأن يكون المؤدى ضريبة اوغرامة وهذا هوالمراد بالنائبة لغةً .

وبالجملة فان كلمة (كلفة) تصلح لان تستعمل مكان (Prix de revient) — لأنها عربية الأصل — ولأنها مفردة فهي أخف وأحق بالاستعمال — ولأنها شائعة بين الناس وهذا مما يشفع بها .

وفوق ذلك كله فان لها مشتقات وسُلالة : يقال (كلّفه) (يكلفه) (تكليفًا) و (مكالِف) و (مكلِّف) الخ .

هذا رأيي في هذه الكلمة فان أعجبتك فأثبتها في (الحساب) والا فانبذها وراء الأبواب .

المغربي

حول كتاب (تتمة اليتيمة)

كتب الينا الاستاذ عبد العزيز الميمني عضو مجمعنا العلمي وأستاذ الآداب العربية بجامعة عليكره في الهند ما يلي :

اطلعت في الجزئين الأخيرين من مجلة المجمع على ما كتبه الخوري جرجس منش بشأن كتاب (تتمة اليتيمة) وأزيد عليه انه يوجد منه نسخة جميلة كاملة في خزانة باريز . وان الدكتور محمد اقبال الاستاذ بجامعة بنجاب في لاهور ومصحح كتاب (راحة الصدور) تاريخ السلاجقة الذي نشرته لجنة (تذكار جيب) بلندره — كتب نسخة من كتاب (تتمة اليتيمة) المحفوظ في خزانة باريز وهو يريد ان يصححها ثم يطبعها ولكنه فيما علمت لا يمكنه انجاز ذلك بسرعة وقد أحلت على هذه النسخة في هوامش مصنفي الجديد (ابي العلاء) .

قال : وأزيد على مقال السيد عبدالله مخلص المنشور في مجلة المجمع (ص ٥٥٢ — ٥٥٣ مجلد ٧) ما يلي : « نعم طبع طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي عن نسخة خزانة مصر المحفوظ أصلها بالمدينة المنورة — لا عن طبعة مصر وقد كان ذلك بليدن سنة ١٩١٣ وعناية المستشرق يوسف هيل والموجود في خزانة الآباء اليسوعيين ببيروت ليس الاطبقات ابن قتيبة لا طبقات ابي عبيدة كما وهم المرحوم جرجي زيدان .

قال : « وجاء في حاشية ص ٥٣٢ ما نصه : (وروى في مجلة المجمع : المدلني) وصوابه الدالني لا غير وانظر ترجمته في حاشية كتابنا (ابي العلاء) ص ٥٥ .

قال : وطبع الاستاذ محمد بهجة الاثري البغدادي كتاب ابن الجوزي في مناقب بغداد عن نسخة العلامة احمد تيمور باشا وكتب في مقدمته ما نصه :

« هذا وان نسبة هذه الرسالة الى الشيخ عبد الرحمن ابن الجوزي لست بواثق بها ولا جازم بصحتها فقد راجعت مابين يدي من الكتب التي ترجم فيها ابن الجوزي وذكر ان فيها ما ينيف على مائة كتاب فلم أر بينها لهذه الرسالة ذكراً وقد يجوز ان يكون من ترجمه لم يقف عليها او لم يسمع بها فأغفلها والله أعلم » . أقول وقد وقفت على ان نسبتها الى ابن الجوزي صحيحة .وذلك في (رقم الحلل) للوزير لسان الدين ابن الخطيب ص ٢٨ حيث ذكر ولاية المقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد والمقتفي . وقال : « وولي المقتفي محمد بن المستظهر وقارب الاستبداد وقد مات التركي امير الجيوش سنجير وأظهر العدل حكى ذلك ابو الفرج الجوزي في مناقب بغداد » . ولكني لم أجد هذا في هذا المطبوع ولعل في النسخة نقصاً . وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (الجزء المطبوع في شيكاغو ص ٣١٢) ايضاً حيث عدد صاحبه تآليف جده قال وهو مجلد . ولم أر لابن الجوزي ترجمة أوفى من ترجمة سبطه له فقد أفاض فيها القول وأطلق عنان القلم من ص ٣١٠ الى ص ٣٢٦ اهـ .

نفائس التكية الاخلاصية بحلب

من جملة المكاتب التي وقفت عليها في مدينة حلب مكتبة التكية الاخلاصية الكائنة في محلة البياضة عند بني الشيخ محمد بهاء الدين الرفاعي فرأيت فيها كثيراً من الكتب النفيسة والنادرة الوجود فأحببت ان أتحف مجلة المجمع بما وقع عليه اختياري من هذه المكتبة وذلك :

« في علم التفسير »

(١) = النصف الثاني من تفسير الثعلبي من سورة الكهف الى الآخر مجلد فرغ كاتبه من نسخه بمكة سنة ٥٥١ وهو ابراهيم بن ميخا بن ابراهيم ·

« في علم الحديث ورجاله »

(٢) = الاول من معالم السنن للخطابي بخط البخشي احد مشايخ التكية الاخلاصية ·

(٣) = الاحكام لأحاديث الالمام تأليف ابي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي والاصل لابن دقيق العيد ·

(٤) = مختصر موضوعات ابن الجوزي للبدر بن سلامة بخط العلامة ابي ذر ابن الحافظ البرهان الحلبي ·

(٥) = تقريب التهذيب للحافظ بن حجر ·

(٦) = المعرفة والمدخل في علم الحديث للحاكم · محرر سنة ٨١١ ومن هذا الكتاب نسخة في الظاهرية بدمشق ·

(٧) = الكاشف في معرفة من له ذكر في الكتب الستة للحافظ الذهبي · محرر سنة ٨٨٩ جزء تام ·

(٨) = ثبت الشيخ محمد بن عقيلة المكي وعليه خطه مجيزاً به للشيخ عبد الله البخشي ·

(٩) = ثبت الشيخ حسن العجيمي ·

(١٠) = كتاب الفاصل بين الراوي والواعي للحافظ الرامهرمزي والنسخة نفيسة جداً عليها خطوط كثير من العلماء منهم الامام ابو الوليد بن الشحنة والحافظ البرهان الحلبي ·

(١١) = الجزء الاول من كتاب مشتبه النسبة في رجال الحديث تأليف الحافظ

عبد الغني بن سعيد الأزدي ومنه نسخة في الظاهرية بدمشق ·

(١٢) = كتاب التقييد والايضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح في علم مصطلح الحديث تأليف الحافظ العراقي بخط الحافظ بن حجر العسقلاني حرره في عدن سنة ٨٠٦ ·

(١٣) = غاية السول في خصائص الرسول تأليف ابي الحسن علي الاندلسي الشهير بابن الملقن ومعه الامتاع بحكم السماع للعلامة الخيضري وغير ذلك ·

(١٤) = ذيل الكاشف للذهبي الحافظ العراقي بخطه كتب سنة ٨٠٥ ذكر فيه من تركه الذهبي من كتاب التهذيب للمزي ·

(١٥) = الجزء الثاني والثالث من مختصر تهذيب الكمال اختصار الشيخ الخطيب القرصي والجزء الثاني انخرم منه الصحيفة الاولى ·

« في علم الاصول والكلام »

(١٦) = شرح معالم اصول الفقه لابن الخطيب الشارح ابو محمد عبد الله بن محمد الفهري التلمساني محرر سنة ٦٦٤ وهي نسخة نفيسة جداً ·

(١٧) = شرح لمع الأدلة في قواعد اهل السنة لشرف الدين ابي محمد عبد الله الفهري التلمساني ·

(١٨) = كتاب لمع الأدلة في أصول الدين لامام الحرمين ·

(١٩) = المستصفى في الاصول لحجة الاسلام الغزالي · (مطبوع)

(٢٠) = قواعد الامام الزركشي مجلد ضخم نسخة نفيسة جداً ·

(٢١) = معالم أصول الدين للفخر الرازي ·

(٢٢) = مجموع فيه رسالة الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري للشيخ عبد الغني النابلسي في (٨) ورقات وغير ذلك ·

(٢٣) مجموع فيه الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (مطبوع) وكتاب قواصم شبه الملاحدة ومسألة في الرد على المجبرة ·

(٢٤) = رسائل العلامة محمد الديباجي بخطه وهي ١٣ رسالة اولها البيان الجميل لمحاسن القرآن الجليل ·

(٢٥) = شرح جمع الجوامع للمحلي بخط الحسين بن محمد الشحنة محرر سنة ٨٩٢

« في الفقه الحنفي والشافعي »

(٢٦) = المجموع المذهب في قواعد المذهب لصلاح الدين ابي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي مجلد ضخم محرر سنة ٨٦٠ ·

(٢٧) = نصاب الاحتساب لعمر بن عوض ·

(٢٨) = شرح منظومة النسفي في الخلافيات لمحمد بن محمد اللؤلؤي ·

(٢٩) = الجزء الثاني والثالث والرابع من الفتاوى التاتارخانيه · (حنفي)

(٣٠) = الاول والثاني من بدائع الصنائع · (حنفي)

(٣١) = منظومة ابن الشحنة في الفقه ·

(٣٢) = سيف النصر في فتاوى أئمة العصر للشيخ ابراهيم بن احمد الملا الحلبي بخطه ·

« في النحو والأدب والتصوف وغير ذلك »

(٣٣) = شرح المفصل لمظهر الدين محمد كتب في آخره انه فرغ من تأليفه سنة ٦٥٩ ·

(٣٤) = شرح تائية ابن الفارض لعز الدين محمود الكاشي نسخة نفيسة ·

(٣٥) = فاتحة العلوم للغزالي ·

(٣٦) = مجموع فيه أرجوزة تشتمل على الظاء والضاد نظمت في عون الدين بن هبيرة الوزير — كتبت عنها — وفيه مثلثات قطرب ، مثلثات الازهري ، مثلثات العجلوني ، تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس للحافظ ابن حجر ، التبيين لاسماء المدلسين ، تذكرة الطالب المعلم بمن يقال انه مخضرم ، الاغتباط بمن رمي بالاختلاط ، الثلاثة للحافظ البرهان الحلبي بخط ابن النصيبي ·

« في التاريخ »

(٣٧) = كتاب القصد والامم في التعريف بانساب العرب والعجم للحافظ بن عبد البر كتاب صغير ·

(٣٨) = اللباب في معرفة الانساب تأليف النسابة ابي الحسن بن ابراهيم الاشعري ·

(٣٩) = لب اللباب في معرفة الأنساب للحافظ السيوطي · (مطبوع)

(٤٠) = طبقات الحنفية المسماة (تاج التراجم) لابن قطلوبغا . (مطبوع)
(٤١) = طبقات القراء للحافظ الذهبي كتب في القرن التاسع .
(٤٢) = الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية .
(٤٣) = تذكرة الصحابة في شعراء الصحابة للشيخ عبدالله بن محمد البخشي بخط مصنفه اخترمته المنية قبل اتمامه وبقي في المسودة .

عضو المجمع العلمي العربي
محمد راغب الطباخ

مطبوعات حديثة

دروس في صناعة الانشاء
« الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ عز الدين علم الدين وقد طبع في مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٩٢٧ م وصفحاته ١٦٦ صفحة

مصنف هذا الكتاب عضو من أعضاء مجمعنا العلمي ومن شبان العرب الذين ضربوا بسهم في توفير أسباب نهضتنا السياسية والعلمية . وهو اليوم مكب على التعليم في مدارس بغداد العالية . ومع هذا نراه لا يألو في وضع المصنفات في الفنون المختلفة مما يرى الطلاب في حاجة اليه : صنف في السنة الماضية كتابه المشهور في الطبيعيات الذي سماه (الفيزياء) ثم لما وكل اليه امر تدريس الآداب العربية والانشاء في مدرسة دار المعلمين وضع هذا الكتاب الجديد وسماه (دروس في صناعة الانشاء) .

والتأليف في هذا الفن حديث النشأة في بلادنا العربية . وأشهر طرائق أسلافنا في تعليم هذا الفن انهم يروّون الطلاب كلام البلغاء نظماً ونثراً و يشربون قلوبهم معنى مارووا وحفظوا ثم هم بعد ذلك يحملونهم على التحدي والكتابة والنظم عملاً حتى يهتدي الى الاجادة فيهما من ركّب الله فيه استعداداً لها . وأشهر المؤلفين على هذه الطريقة ضياء الدين بن الأثير . وأشهر آثاره فيها كتاباه المتعان احدهما كبير وهو الذي

سماه (المثل السائر) والآخر صغير وقد سماه (الوشي المرقوم في حل المنظوم) ·

وقد انتبه أساتذة الآداب العربية في مصر الى وجوب التصنيف في فن الانشاء على طريقة حديثة عملية تشبه في تنسيقها وترتيبها وتمارينها كتب التدريس في الفنون العصرية المختلفة · وقد رأينا بعضهم وضعوا كتبهم هذه من عند أنفسهم غير معوّلين على ما ألفه كتبة الافرنج في هذا الموضوع · اما الاستاذ عز الدين مصنف هذا الكتاب فقد رأى ان يستعين بما كتبه الافرنج فظفر بكتاب لمؤلف كبير معدود في قومه من أساتذة الأدب والانشاء فجعله عمدته في وضع كتابه العربي وقد قال في هذا الصدد ما نصه : « فاتخذته قدوتي في إنشاء أبحاث هذا التصنيف وترتيب فصوله وفقراته · واقتبست من آرائه الصحيحة ونصائحه الهادية ما يتفق مع بلاغتنا او يمت اليها بسبب » ·

وقد وفى المصنف ما وعد به فكان يقتبس من كتاب (المثل السائر) وغيره من أمهات كتب الأدب العربي أطواقاً وقلائد حلى بها جيد ما ترجمه من كتاب (مور يس غور يس) وقد أصبح كتابه بذلك مجمع البحرين · وملتقى الأدبين · الفائز بالحسنيين ·

ومن تصفح هذا الكتاب والكتب التي صنفها الاساتذة المصريون في هذا الفن قد يلاحظ ان مصنفينا المجدد فريقان : فريق يرى ان إنشاءنا العربي وطرائقه والاركان التي يبني عليها — مغايرة في الجملة للانشاء في اللغات الافرنجية · فالواجب إذن ان نضع كتباً مستأنفة في لغتنا العربية نعتمد فيها على ذوقنا الخاص غير معوّلين على ما كتبه الافرنج · وفريق آخر ومنهم على ما يظهر مصنف (دروس في الإنشاء) يرى ان نعتمد في بادئ الامر على ما كتبه الافرنج في هذا الفن : فنسلك مسالكهم · ونتحدّى طرائقهم · ونقتبس اصطلاحاتهم وتقسيماتهم · وهو ما صنفه الاستاذ عز الدين في كتابه مذ اعتمد على ما صنفه (مور يس غور يس) ·

فبهذا الاعتبار كان كتاب (دروس في الانشاء) اول كتاب صنف في هذا الفن بلغتنا العربية على ما أظن · ومن ثم كان فيه عناوين جديدة واصطلاحات جديدة وتقاسيم جديدة وطرائق في إحكام ملكة الإنشاء جديدة : فالذي لا يعرف لغة اجنبية من أساتذة هذا الفن قد يصعب عليه في اول الامر فهم اصطلاحات هذا الكتاب ·

وتعقل طرائقه · حتى اذا أطال نظره فيه أَنِس بها · وتفتحت له مغالقها · وكان له ما شاء من مادة للتدريس غزيرة · وفائدة في هذا الفن بالقبول جديرة ·

وقد ركَّب المصنف هذا الجزء الاول من كتابه على جزئين ايضاً : (الجزء الاول) في (الاستعداد العام) وينطوي تحته من المباحث (فائدة عمل الانشاء) (الأصول العامة للانشاء) (الاستعداد بالمطالعة) (الثقافة الأدبية بالمطالعة) الخ · وعنون (الجزء الثاني) بقوله : (نصائح عامة) وطوى تحته من الأبحاث ما يلي :

(تحرّي المعاني) (طريقة العثور على الخواطر) (استنباط المعاني والخطة) (البسط) (بناء الجملة) (تصحيح المنشئآت) الخ · وكل بحث من أبحاث الجزئين يحتوي على مباحث فرعية ومسائل جزئية وهو لايدع مبحثاً مالم يعقبه باسئلة ثم تمارين تزيد البحث وضوحاً · والطلاب تبصراً ورسوخاً · إذ ان مجرد حفظ القواعد لا يفيد كما قال الفيلسوف (كانت) : — « اذا حفظ الانسان قواعد علم من العلوم وعجز عن تطبيقها لا يكون عالماً بذلك العلم » وهذا ما راعاه المؤلف في مصنفه الجديد فهو قد اكثر من سرد الاسئلة والتمارين لما ذكرنا من السبب ·

واذ كان هذا الفن حديث النشأة كما قلنا وكان مصنف هذا الكتاب قد احتذى مثال (موريس غوريس) في كتابه كان مضطراً بالطبع الى وضع او ترجمة كلمات جديدة في لغتنا العربية مما يتعلق بفن الانشاء · فوضع :

كلمة (الحرث) ردفاً لكلمة (الثقافة) الشائعة ·

وكلمة (السليقي والسليقيّة) مكان (الطبَعي والطبَعية) او (الطَّبيعي والطبيعية) ·

و(الانطباعات) مكان الانفعالات : Impressions

و (الأُوَينات) بالتصغير ترجمة لكلمة : Nuances

و (رتيبة) لكلمة : Monotones

و (الكفالة والكفيل) الكائي : Pension, Pensionnaire

و (الاستخطار) بمعنى تداعي الخواطر او اشتراك الخواطر ·

و (النصيبة) مكان (ورقة اليانصيب) ·

وغير ذلك مما لا يحلو بعضه في ذوق الكثيرين في اول الأمر و يروث غيره

جدر بالاستعمال منه . ولكن الزمان كفيل بالغربلة والتمحيص واختيار ما هو الأليق او الأنسب . هذا وانا لنرحب بهذا المصنف الجديد شاكرين لمؤلفه الفاضل جهوده في خدمة الأدب . ونهضة العرب .

المغربي

اردشير وحياة النفوس

« اوبرا خيالية للدكتور احمد زكي ابوشادي طبعت في المطبعة السلفية »
« بمصر ص ١٥٢ »

ناظم هذه الاوبرا الاستاذ احمد زكي ابو شادي بك من شعراء مصر الذين تشبعوا بالأدب الانكليزي ، واخذوا يطرسون على آثاره بلغتنا . وقد نظم في موضوعات كثيرة يستملحها ويتذوقها شباب العرب . و«الاوبرا» ضرب من ضروب التطور في الموسيقى ولذلك كانت « آخر أنواع التآليف المسرحية في الظهور في مصر لاعتمادها على فن آخر لا قيام لها بدونه » . وقد اخذ الشاعر موضوع هذه القصة من أسطورة وردت في كتاب الف ليلة وليلة . وشكا من كون الملحنين يرزقون في مصر لتلحين مثل هذه الاوبرا الخمسمائة جنيه ، ولا يكافأ واضعها عشر ما يقبضون . ولعل الزمن الذي يوسع فيه على المؤلفين في هذا الشأن ، لا يطول كثيراً خصوصاً اذا جوّدوا كما يجود أقرانهم في الغرب . وكان الكتاب والمؤلفون بالعربية قبل عهدنا هذا يتضورون جوعاً ، وقد ارتاش اليوم المجيدون منهم ، ولا يزالون على ارتقاء وكما رقيت الامة رقوا هم برقيها ، فلا يشفقن ذلك على البادئين . وقد أحسن الشاعر باهداء هذه الاوبرا الى روح المرحوم الشيخ سعيد درويش نابغة الموسيقى المصرية .

م . ك

وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية
« عن افريقية الشرقية »

تأليف المسيو جيان نقله الى العربية ملخصاً الامير يوسف كمال . الطبعة الاولى بالقاهرة في سنة ١٣٤٥ هجرية (سنة ١٩٢٧) ص ٥١٩

معرب هذا الكتاب لا يحتاج الى تعريف عند المصريين وغير المصريين بحسناته على العلم والفنون الجميلة وهو اليوم آخذ بنشر مصنفه البديع الذي أسماه « المجموعة الكمالية في جغرافية مصر والقارة الافريقية » يطبعه في ليدن من بلاد القاع . وقد صدر الجزء الاول على طريقة تأخذ بمجامع القلوب . وسيطرد طبع الاجزاء الاخرى فتدخل مجموعته في عشرة مجلدات ضخمة بحجمها وكثرة تحقيقها ولم يطبع منه سوى مئة نسخة . والمؤلف لا يقتنع برؤية النصوص ونقلها على ماجرت عليه عادة معظم الباحثين بل يسيح بنفسه الى البلاد التي يريد تحقيق جغرافيتها وتاريخها وحيوانها ونباتها . وما نظن عربياً يعرف قارة إفريقية مثله . فقد توغل في أقطارها النائية الى اماكن لم يكد يبلغها احد من الجنس الابيض . ووثائقه هذه التي نحن في صدد الكلام عليها ، نموذج من علمه وعمله . ولا عجب اذا غبطه على ماوفق اليه أعاظم سياح العصر وأفاضل علمائها اهل الاخصاء .

ألف المؤلف الفرنسي كتابه في سنة ١٨٥٦ م في ثلاثة مجلدات كبار وكان من ربابنة البحار وتكلم عن علم على عصر ما قبل التاريخ وعلى العرب واليهود والفينيقيين في سواحل إفريقية الشرقية ورحلة هانون السائح القرطاجي ثم على العصر الروماني اليوناني ويدخل فيه صلات الملاحين اليونان والرومان بسواحل شرق إفريقية وجاء بعد الى الدور الاسلامي فأفاض في انشاء العرب ممالك مستقلة صغيرة على سواحل إفريقية الشرقية وانتقل بعد ذلك الى العهد البرتغالي وكيف أقاموا حكمهم على تلك السواحل ثم كيف انتزع عرب عمان الحكم من البرتغاليين من رأس دلجادو الى غردفون. نقل المعرب كل هذا بعبارة منجاس خلال الديار وعرف منها الغامر والعامر في هذه الأعصار . ولا برهان على هذا القول اصدق من تلك التصاليق التي

وشح بها اواخر الكتاب وذكر الامصار التي ورد ذكرها في المتن وارجعها الى اصولها العربية ببحث دل على طول نفس وتلذذ بخدمة العلم · ويا حبذا لو اعتمد كتاب الصحف على رسم الاعلام عين الصورة التي اختارها الناقل الباحث لها من كتب العرب والافرنج · فيقول « المعبر » لما نعرفه باسم « مليبار » « ملمقة » بدلاً من « ملقا » « سمطرة » او « شمطرة » اكبر جزيرة من مجموعة جزر « السوندة » « سفالة » لا « سوفالا » « موسامبيق » لا « موزنبيق » « سبية » بوزن ظبية قرية بالرملة من ارض فلسطين وهي بلد قديم ولعلها كانت في موقع بئر سبع وكانت في العهد القديم مزدهرة بتجارتها والنسبة اليها سبي ورد ذكرها في التوراة ويقال لاهلها السبيبون (Sabéens) ومنها منبسة بدلاً مومبازا · ملابو بدل ماليزيا · ملوقة (Les Moluques) مدغشقر = مدغسكر · وشمطره = سمطره · بنقالة = بنغال · كران · قمران = قمران · وهناك عشرات من اعلام المدن والاشخاص التي حلها في آخر الكتاب احسن حل ·

والكتاب على ما فيه من الوثائق العلمية يُسلي القارئ بما فيه من الوقائع التاريخية المملوءة بالعبر مما لم يكن معروفاً بالعربية قبل ان تصح عزيمة حفيد محمد علي الكبير على نقله · ولمثل هذا فليعمل الامراء بدون ضجة ولا ضوضاء ·

محمد كرد علي

الدين والتعصب

« بقلم السيد اسبر الغريب صاحب مجلة الشمس الجزء الاول ص ١٧٨ »

هذا كتاب من كتب الثورة على رجال الدين توخى فيه الاستاذ مؤلفه اسداء النصح لبعض العابثين بالدين وهو « لا نعارض الدين ولا نناكسه بل ندعو الناس الى التمسك بجوهره والعمل بشرائعه ليصير المسيحي مسيحيًا بالفعل والمسلم مسلماً بالفعل » وقد تعرض المؤلف للارض وتكوينها واصل الرجل وتحول الحيوان والحياة والجاذبية وللافلاك وخلق العالم ثم انتقل الى بيان حالة المذهب البابوي مما سيكون له تأثير في نفوس بعض رجال الدين لانهم لا يوافقون على بعض مبادئه فلله الشكر على همته وحريته ·

م · ك

مجلة التربية والتعليم

« مؤسسها ابو خلدون السيد ساطع الحصري تطبع في مطبعة دار السلام »
« ببغداد وتصدر كل شهر في ٦٤ ص مصورة ومعها ملحق عملي في ٢٤ »

مؤسس هذه المجلة من أعظم الاخصائيين في فن التربية والتعليم ، وقد كتب فيه كثيراً باللغة التركية ، ومنذ خرجت البلاد العربية عن حكم الترك اخذ يكتب بالعربية لغته الاصلية ، وقد قرأنا في مجلته هذه أبحاثاً وأخباراً وأفكاراً في هذا الفن الجليل لا يسع من يتعاطى التعليم او يمتّ للعلم بسبب الا ان يستفيد منها ، وممن يعاون الاستاذ مؤسس هذه الصحيفة رصيفانا وصديقانا الاستاذان السيدان معروف الرصافي وعز الدين علم الدين التنوخي فهما يعنيان بلغة المجلة اكثر من ذلك حتى تخرج نقية جميلة من كل وجه .

م . ك

مهاتما غاندي

« تأليف رومن رولان ، ترجمة السيد عمر فاخوري ، أهدته مجلة الكشاف »
« البيروتية لقرائها سنة ١٩٢٧ طبع في (مطبعة وزنكوغراف) طبارة »
« في بيروت ص ١٥٣ »

مؤلف هذا الكتاب رومن رولان من كبار كتاب فرنسا « من اولئك الاوربيين الأخيار الذين أطلقوا نفوسهم من رق التعصب القومي وجعلوها خالصة لخدمة الانسانية جمعاء » وهذا السفر في حياة فيلسوف الهند المعاصر غاندي ، مما ينمّ عليه ويرفع منزلته بين الغربيين والشرقيين ، لم يترك شيئاً من حياة هذا العظيم الا وفاه حقه من الوصف مشفوعاً بآراء مترجمه وأقواله مما يلذ القارئ ويتعلم به حكمة وعظة وادباً . وقد أجاد رصيفنا الاستاذ فاخوري في تعريبه الكتاب ، وكنا نود لو نظر في الاعلام الهندية وأرجعها الى أصلها كما يرسمها الهنود أنفسهم وعساه يفعل في الطبعة الثانية .

م . ك

الثورة الافرنسية

« طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م »

هو كتاب بقطع الثمن نظيف الطبع سلس العبارة حسن التبويب متين التركيب محلّى بعدد من الرسوم الموافقة للموضوع · وضعه السيد حسن جلال رئيس ديوان وزارة الحربية المصرية واحد أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة ·

لم يقف المؤلف عند حد جمع حوادث الثورة الافرنسية بل راعى في كتابه هذا جملة اعتبارات أهمها انه جعله وحدة مستقلة لا تستدعي ممن يطالعه ان يراجع غيره ليستوضح غموضاً او يكمل نقصاً · وهذا التأليف اول حلقة من سلسلة كتب تتناول مختلف الموضوعات التي قررت لجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية ان تخرجها تباعاً بعد ان عنيت باخراج عدة كتب مدرسية محضة · بدأ المؤلف بتعريف الثورة وشرح أنواعها حتى تخلص الى ذكر الثورات الافرنسية الثلاث واهمها ثورة ١٤ تموز ١٧٨٩ وهي المقصودة بالذات في هذا الكتاب ، فأبان منشأها وأسبابها وقارن بين حالة فرنسا في ذلك العهد وما كانت عليه من الفوضى في الحكم والبؤس في العامة وبين حالة انكلترا التي كانت تعيش في رخاء وحرية ومساواة بين طبقات الشعب · وشاء ان يبرّأ الافرنسيين من حكم الانكليز والالمان عليهم بان ثورتهم « صنف من الجنون تحولت معه فرنسا الى مارستان » فنسب النوبة المغناطيسية التي انتابتهم في هذه الثورة الى النفسية اللاتينية التي وصفها بالخفة وسرعة التأثر وقال انهم ارادوا ان يحكموا على أعمال افرنسية بعقلية انكليزية مع ما هو معروف من البعد بين نفسية الشعوب اللاتينية والشعوب الانكلوسكسونية والتفاوت في عقليتيهما ·

ولكن مع التسليم بهذا التفاوت النفسي لا ينكر حكيم على الانكليز والالمان حكمهم الذي ينطبق على العقل والمنطق · على ان ما انتشر بعد الثورة الافرنسية و بسببها من المبادئ والاصلاحات في العالم أجمع والتي أضحت فيما بعد اساساً لكثير مما حدث بعدها في عموم جهات العالم من حروب وثورات جدير بان يبرّر نوعاً ما ذلك الجنون ولو ان الغاية لا تبرّر الواسطة ·

ويظهر ان المؤلف قرأ تاريخ الثورة الافرنسية في كتب انكليزية حتى دوّن بعض الاعلام الافرنسية على لفظها الانكليزي ، من ذلك تسمية (صفحة ٤٩) أرملة هنري الثاني ملك فرنسا كاترين دي مديشي بدل دي مديسيس · وقوله (في الصفحة نفسها) سانت برثليو بدل سن بارتيلمي · وكامي (ص ١١٠) بدل كاميل · وفلاندرز (ص ١٤٥) بدل فلاندر · وماليشرب (ص ٢٠٣) بدل مالزب · وغيرذلك كثير من هذا النحو نأمل بان يعنى باصلاحه في طبعة ثانية ، اللهم الا اذا اعتذر المؤلف بان هذه الأعلام قد شاعت في بلاد مصر باللفظ الانكليزي ·

والكتاب بالاجمال جدير بالقراءة والحفظ في الخزائن الخاصة والعامة لما فيه من الأبحاث السياسية والاجتماعية والاقتصادية المفيدة ·

عضو المجمع العلمي العربي
عبد الله رعد

تاريخ الديون العامة العثمانية

هو كتاب نفيس بهذا الموضوع جمعه الشاب الأديب السيد اديب رومانى باللغة الافرنسية وجعله أطروحته لنيل رتبة العالمية (الدكتوراه) في الحقوق من جامعة باريس · يحتوي على ٣٣٠ صفحة بطبع جيد تناول فيه وصف حالة الدولة عند نشوء الديون العامة في أواسط القرن التاسع عشر ، ثم تتبع القروض التي عقدتها الواحد تلو الآخر الى مبدإ الحرب العامة مع بيان شرائط كل قرض منها وقواعد توحيد الدين وأساليب الوفاء · وقد استند في مآخذه على ما كتبه المؤلفون والماليون الاوربيون في هذا الباب بدون رجوع الى أقوال علماء العثمانيين انفسهم · و يا ليت شباننا الدارسين في اوربا يجعلون أطروحاتهم في مواضيع شرقية مجهولة عند الافرنج يستخرجون موادها من المؤلفات والمآخذ العربية والتركية ليوقفوا قراء الافرنسية على ما عندنا من اصول الفقه وتاريخ السياسة وأحكام الشرع وأساليب الادارة و بهذه الوسيلة يعرّفون الغربيين ما في الشرق من علم وعرفان والمباحث المرغوب بها في هذا

الباب كثيرة يمكنهم طرقها ووضع المؤلفات فيها باللغة الافرنسية مثل أحكام الوقف ، والوصية ، والحجر ، والنفقة ، وحقوق الزوجات ، واحكام الطلاق ، والوصي ، والفرائض ، وخراج الارض ، وبيت المال ، والقضاء وأمثال ذلك من الأبحاث التي يصلح كل منها ان يفرد له كتاب خاص تكون له قيمته عند الغربيين بما يوقفهم على مبلغ الشرقيين من المدنيـة والعلم والعدل · وعلى كل حال فان جهود المؤلف السيد اديب مقدورة قدرها في هذا السفر القيم بما جمعه من الحقائق التي يجدر بمن يهمهم الامر ان يطلعوا عليها · (ف)

ديوان

« شمس الدين محمد حافظ ترجمـه الى الافرنسية نظماً الاستاذ ارتوركي »
« قنصل فرنسا العام وعضو المجمع العلمي العربي طبع بباريز سنة ١٩٢٧ »
« وعدد صفحاته ٢٧٨ »

Arthur Guy : Ghazels de Chems ed Din Mohammed Hafiz T.I (Paris 1927)

ان علماء المشرقيات في الغرب يأتون كل يوم بعمل صالح يقدمونه الى ابناء جلدتهم وفي طليعة هؤلاء الاستاذ (ارتوركي) مترجم ديوان الشاعر الفارسي شمس الدين محمد حافظ المتوفى سنة ٧٩١ هـ في شيراز · ترجمه نظماً الى الافرنسية وافتتحه بمقدمة مسهبة ذكر فيها زبدة ما وقف عليه من ترجمة الحافظ والبيئة التي عاش فيها واستفاد الاستاذ من النسخة التركية لمترجمها (سودي) وقد أثبت بعض هذه الترجمة في حاشية كتابه · فيكون الاستاذ اول من نقل الى الافرنسية شيئاً عن هـذا الأديب الشرقي الذي قدره الغرب منذ سنة ١٦٨٠ حين ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية ثم الى الانكليزية والالمانيـة ، فلا عجب اذا قام الاستاذ بهذا العمل الشـاق ليتحف قومه بما فات اسلافهم من بليغ الشعر الفارسي الذي كان له التأثير العظيم على الادب الغربي وخصوصاً على الشاعر الالماني غوته (Gœthe) ·

جعفر الحسني

كتب ورسائل مختلفة

(١) الكافي في اللغة الفرنسوية تأليف الاستاذ احمد ابو الخضر منسى (الجزء الاول ص ٣٣٦) و (الجزء الثاني ص ١٧٥) طبعا في مطبعة الاعتماد في مصر سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٣ و١٣٤٤ — ١٩٢٦ .

(٢) المستغرب للمؤلف الموما اليه طبع بمطبعة الاعتماد بمصر ص ١٦٦ .

(٣) اربع محاضرات في التربية في انجلترا واميركا ومقارنتها بالتربية عند الامم اللاتينية القاها الاستاذ احمد فهمي بك العمرومي الطبعة الثانية في مطبعة مصر ص ١٣٣ .

(٤) محاضرة في تربية الذوق السليم واثر الفنون الجميلة فيها للاستاذ احمد فهمي العمرومي بك مصورة ص٣٢ بمطبعة النهضة بمصر .

(٥) نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر تأليف الاستاذ السيد توفيق اسكاروس . جزآن طبعا في مطبعة التوفيق الاول سنة ١٩١٠ والثاني سنة ١٩١٣ الاول في ٣٦٨ ص والثاني في ٣٥٢ .

(٦) الفنون الجميلة قديمًا وحديثًا — التصوير ، تأليف الاستاذ السيد احمد يوسف طبع بمطبعة المعاهد سنة ١٣٤١ — ١٩٢٢ ص٢٨٧ .

(٧) تاريخ الموصل لمؤلفه القس سليمان صائغ الموصلي الجزء الاول طبع بالمطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢ — ١٩٢٣ ص ٣٦١ .

(٨) حديث المائدة كتاب اجتماعي اخلاقي ادبي فلسفي عربه عن الانجليزية السيد توفيق زهرة ونشرته مجلة الزهرة في حيفا وطبع بمطبعتها ص ١٧١ .

(٩) رواية سجين القصر بقلم السيد جميل البحري طبعة ثانية في مطبعة الزهرة بحيفا ص ٧٨ .

(١٠) القانون الاساسي لجمعية الشبان المسلمين الطبعة الثانية بالقاهرة في سنة١٣٤٦ طبع بالمطبعة السلفية .

(١١) حساب الخزينة العام لخزينة دولة سورية لسنة ١٩٢٥ ص ٧٤ .

(١٢) مجموعة مراثي جان بك مراد الحلبي فيها حياته وأعماله والمراثي التي قيلت فيه ص ٦٧ بالعربية و٥٠ بالفرنسية ٠

(١٣) قائمة مكتبة السيد يوسف اليان سركيس واولاده بمصر عن سنة ١٩٢٨ طبعت بمطبعة سركيس بمصر ٠

(١٤) ضابط البوليس ، بحث في حالته الحاضرة وفي اوجه الاصلاح المنشود للسيدين علي حلمي ومحمود علي طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر ٠

(١٥) «النقد والتزييف» تأليف السيد محمد سعيد الجابي طبع بمطبعة الاصلاح بحماة سنة ١٣٤٦ — ١٩٢٨ ص ١٩٢ ٠

(١٦) مذكرات التاريخ القديم وهي خلاصة الدروس التي ألقاها تأليف السيد متى عقراوي طبعت بمطبعة السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ١٣٣ ٠

(١٧) الهندسة المجسمة تأليف زورز وتنوورث وداويد اوترمن سميث نقله الى العربية السيدان علي وجلال امين زريق طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣٤٦ — ١٩٢٧ ص ٢١٩ ٠

(١٨) الهندسة المستوية تأليف جورج وينتوورث ودافيد اوجين سميث نقله الى العربية السيد علي مدرس الرياضيات في ثانوية بغداد — الجزء الاول طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ١٩٦ ٠

(١٩) مبادئ علم الهيأة تصنيف السيد جلال امين زريق طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ٢٧٠ ٠

(٢٠) الاناشيد المدرسية الجزء الاول ٣٦ ص الجزء الثاني في ٣١ ص مع تلحينها طبعت بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ٠

(٢١) وراء الحقيقة وهو بحث في مطابقة العلم لروح الأديان ومماشاتها لها للسيد نجيب اشميا طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر ص ١٢٠ ٠

(٢٢) تاريخ الشيخ ظاهر عمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد تأليف المرحوم ميخائيل نقولا الصباغ العكاوي عني بنشره وتعليق حواشيه الخوري قسطنطين الباشا المخلصي طبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) الجزء الثاني ص ١٨٤ ٠

(٢٣) كيف تعيش مائة سنة اوقانون الصحة العام للاستاذ السيد نجيب المندراوي طبع بمطبعة التوفيق بمصر سنة ١٩٢٢ ص ٣٩٨ ٠

(٢٤) ماري دي مدسيس تأليف دي كرلك تعريب السيد نجيب المندراوي طبعة ثانية سنة ١٩٢١ ص ٢٠٤ ٠

(٢٥) بلاغات مالية دولة سورية في سنة ١٩٢٥ طبعت بمطبعة الحكومة بدمشق ص ٦٢٨ والفهرس ٥٠ ص ٠

(٢٦) ميزانية دولة سورية عن عام ١٩٢٣ ٠

(٢٧) ميزانية دولة سورية عن عام ١٩٢٧ ٠

(٢٨) مجموعة تتضمن صور البلاغات العامة الصادرة من مديرية المالية العامة في دولة سورية من ابتداء تشرين الأول سنة ٩١٨ لغاية كانون الاول سنة ٩١٨ ٠

(٢٩) بلاغات مديرية المالية العامة في دولة سورية في سنة ١٩٢٢ ٠

(٣٠) ملحق مجموعة سنة ١٩٢٢ الصادرة عن وزارة مالية دمشق وهي في ٦٩٩ ص ما عدا الفهارس ٠

(٣١) بلاغات مديرية المالية العامة في دولة دمشق في سنة ١٩٢٠ ٠

(٣٢) بلاغات مالية دولة دمشق في سنة ١٩٢٤ ٠

(٣٣) بلاغات مديرية المالية العامة في سنة ١٩٢١ ؛

(٣٤) مجموعة تتضمن صور البلاغات العامة من مديرية مالية دمشق من ابتداء كانون الثاني سنة ١٩١٩ الى آخر كانون الاول سنة ١٩١٩ وكل هذه المجلدات العشرة طبعت في مطبعة الحكومة بدمشق ٠

(٣٥) المقابلة الجلية ما بين الديانتين المسيحية والمحمدية للسيد نجيب قسطنطين حداد ٠

(٣٦) ترجمة فتاة رواية فرغانة للمرحوم جرجي زيدان ترجمها الى التركية الاستاذ زكي بك مغامز بالتركية وطبعت بمطبعة اقدام في الاستانة سنة ١٩٢٧ ص ٤٥٠ ٠

(٣٧) ديوان ابي مسلم البهلاني لناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني عني بنشره الشيخ يوسف توما البستاني طبع بالمطبعة العربية بمصر سنة ١٣٤٦—١٩٢٨ ص ٨٢ ٠

Bibliotheca Alexandrina
06552785